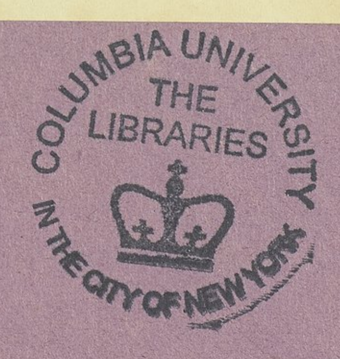
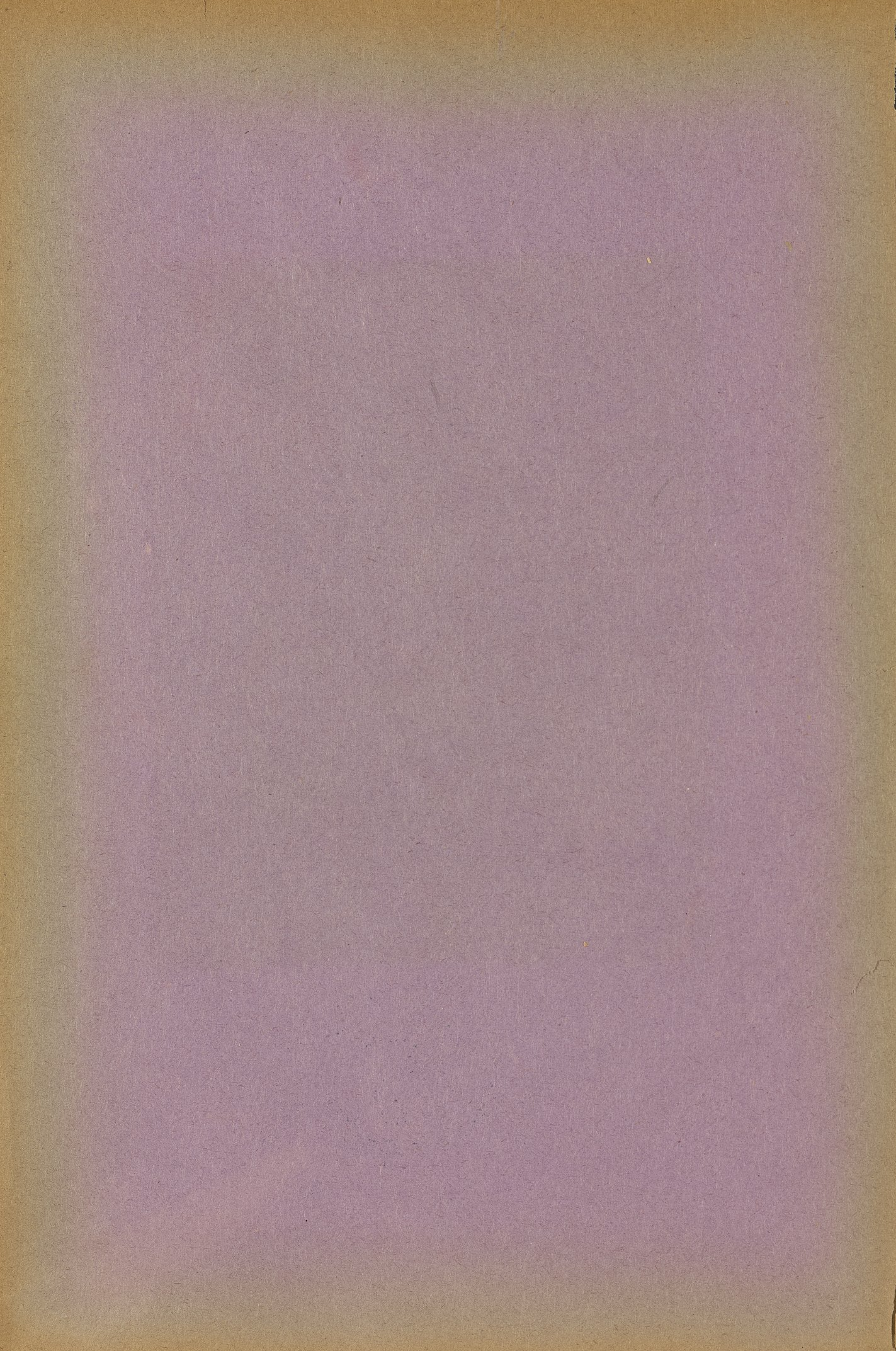
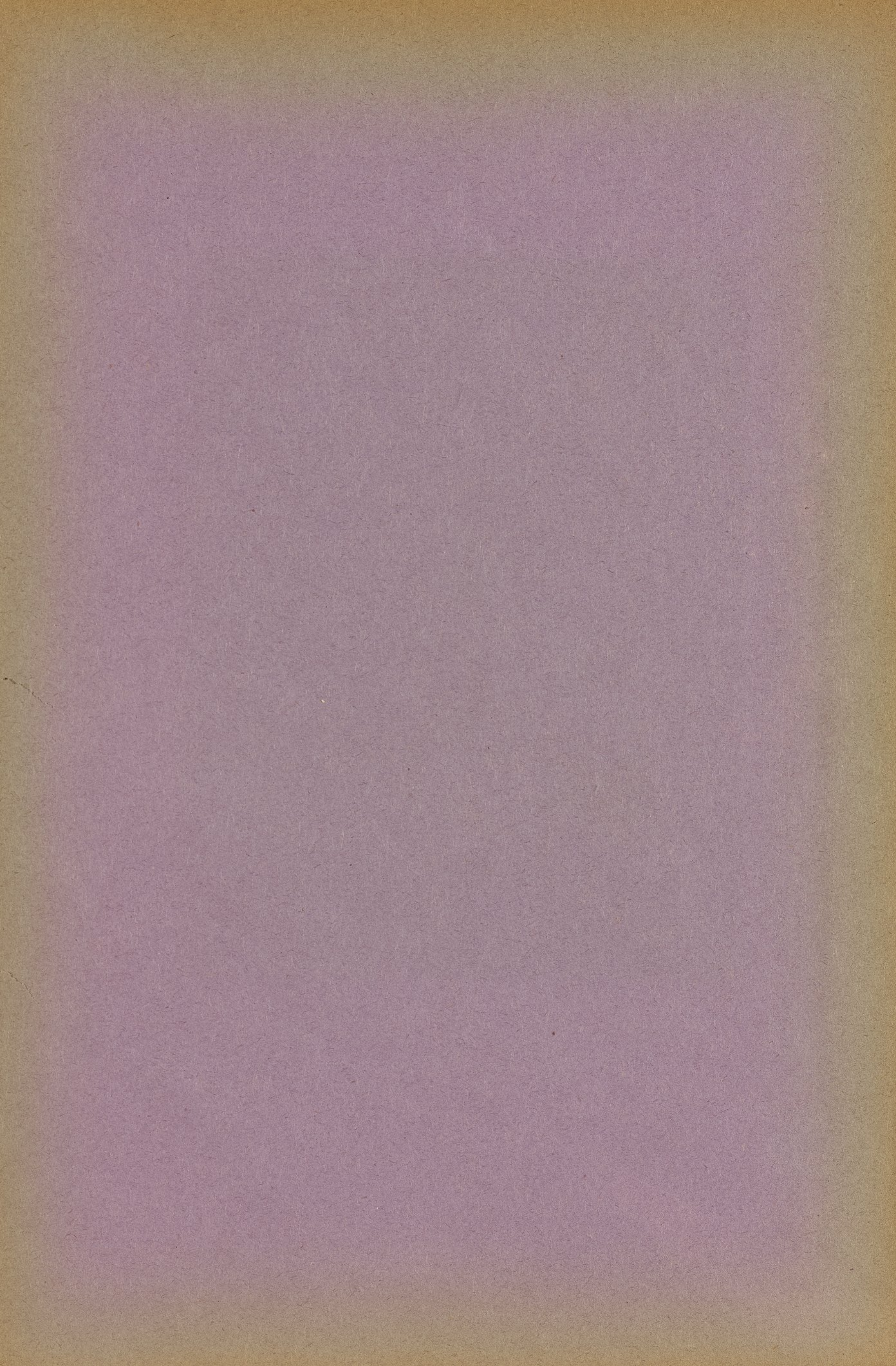


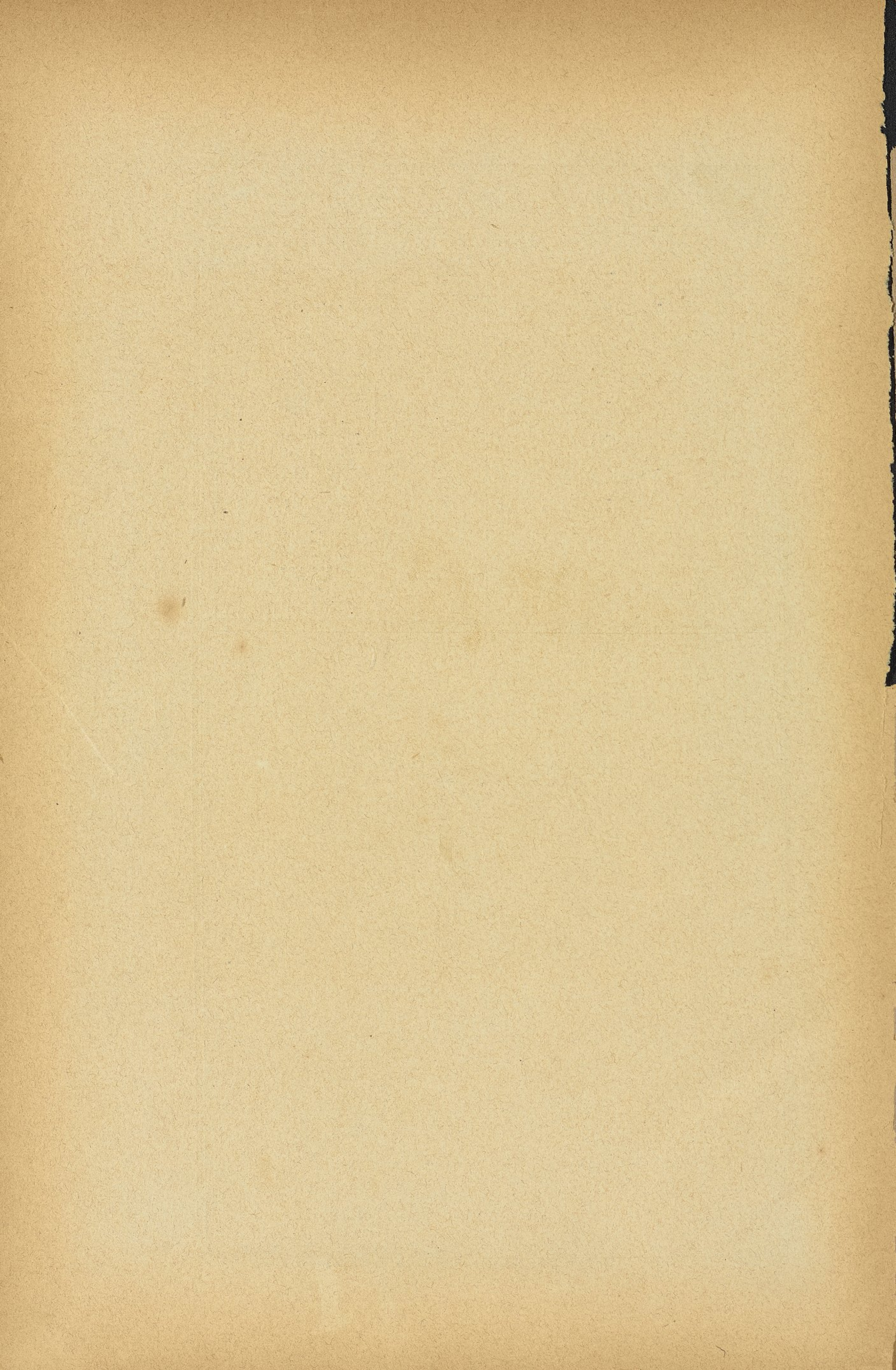


W. Arthur Jeffery









(فهرسة الجزء الثامن من تفسير فتح البيان)

صحيفه

(تمت)

(فهرسة الجزء الثامن من تفسير ابن كثير)

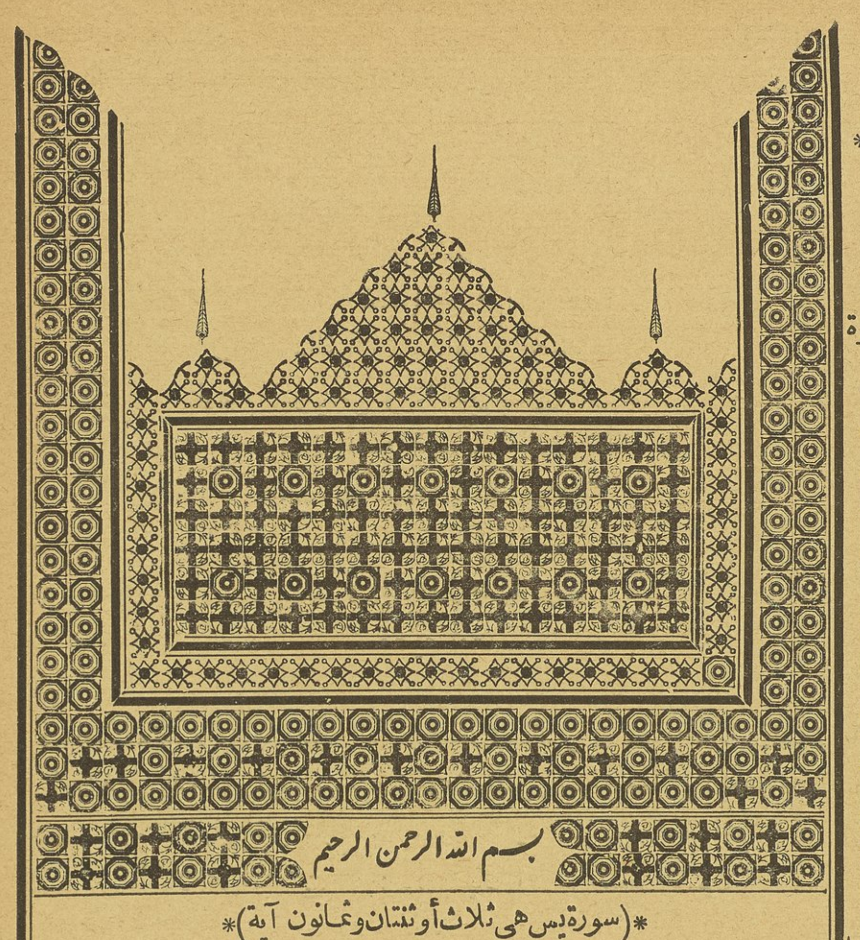
صحيفة

(تمت)

(الجزء الثامن)
من التفسير المسمى فتح البيان
فى مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاه القدير البارى أبى الطيب
صديق بن حسن القنوجى البخارى ملك
مدينة بهوبال حالا بالاقطار الهندية
لازالت كواكب فضله
فى الآفاق زاهرة
مضيه آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسمعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة سبعمائة وعشر المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين وهذا التفسير جميل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اهـ من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)
سنة ١٣٠١ هجرية



(سورة يس هى ثلاث أو ثنتان وثمانون آية)

والاول أولى وهى مكية قال القرطبى بالاجماع الا ان فرقة قالت ونكتب ماقدموا وآثارهم نزلت فى بنى سلمة من الانصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى بيان ذلك وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عائشة مثله وأخرج الدارمى والترمذى ومحمد بن نصر والبيهقى فى الشعب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال الترمذى هذا حديث غريب لانعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وفى اسناده هرون أبو محمد وهو شيخ مجهول وفى الباب عن أبى بكر ولا يصح لضعف اسناده وأخرج الدارمى وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وغيرهم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة قال ابن كثير اسناده جيد وأخرج احمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة الا غفر له ماتقدم من ذنبه فاقرؤها على موتاكم وقد ذكر له أحمد اسنادين أحدهما فيه مجهول والآخر ذكر فيه عن أبى عثمان وقال ليس بالنهدى عن أبيه عن معقل وأخرج

(تفسير سورة لقمان وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدم فى أول سورة البقرة عامة الكلام على مايتعلق بصدر هذه السورة وهو انه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل فى اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ومايتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة وآتوا الزكاة المفروضة عليهم الى مستحقيها ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا بالجزاء فى الدار الآخرة فرغبوا الى الله فى ثواب ذلك لم يراؤا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون اى بصيرة وبينة ومنهج واضح جلى وأولئك هم المفلحون اى فى الدنيا والآخرة (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم) لما ذكر تعالى حال

السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية عطف بذكر حال الاشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالالحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود فى قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال هو والله الغناء روى ابن جرير حدثنى يونس اخبرنا ابن وهب أخبرنى يزيد عن يونس عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء البكرى انه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال عبد الله بن مسعود الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن على حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء انه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلى بن بذيمة وقال الحسن البصرى نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم فى الغناء والمزامير وقال قتادة قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعله لا ينفق فيه مالا ولكن شراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع وقيل اراد بقوله يشترى لهو الحديث اشتراء المغنيات من الجوارى قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسى حدثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن أنزل الله عز وجل على ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وهكذا رواه الترمذى وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب وضعف على بن يزيد المذكور قلت على وشيخه والراوى عنه كلهم ضعفاء والله اعلم وقال الضحاك فى قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال يعنى الشرك وبه قال

الطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند ضعيف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داوم على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) قرأ الجمهور بسكون النون وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بادغام النون فى الواو التى بعدها وقرئ بفتح النون وبكسرها فالفتح على البناء أو على انه مفعول فعل مقدر تقديره اتل يس والكسر على البناء أيضا كجير وقيل الفتح والكسر للفرار من التقاء الساكنين وأما وجه قراءة الجمهور فلكونها مسرودة على نمط التعديد فلا حظ لها من الاعراب وقرئ بضم النون على البناء كمنذ وحيث وقط وقيل على انها خبر مبتدأ محذوف أى هذه يس ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث واختلف فى معنى هذه اللفظة فقيل معناها يا رجل أو يا انسان قال ابن الانبارى الوقف على يس حسن لمن قال هو افتتاح السورة ومن قال معناه يا رجل لم يقف عليه وقال سعيد بن جبير وغيره هو اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وآله وسلم دليله انك لمن المرسلين ومنه قوله تعالى سلام على آل ياسين أى آل محمد ومنه قول الشاعر

يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

وسيأتى فى الصافات ما المراد بآل ياسين قال الواحدى قال ابن عباس والمفسرون يريد يا انسان يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقال مالك هو اسم من أسماء الله تعالى روى ذلك عنه أشهب وحكى أبو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق ان معناه يا سيد وقال كعب هو قسم أقسم الله به ورجح الزجاج ان معناه يا محمد واختلفوا هل هو عربى أو غير عربى فقال سعيد بن جبير وعكرمة حبشى وقال الكلبى سريانى تكلمت به العرب فصار من لغتهم وقال الشعبى هو بلغة طى وقال الحسن هو بلغة كلب وقد تقدم فى طه وفى مفتتح سورة البقرة ما يغنى عن التطويل ههنا والاولى أن يقال الله أعلم بمراده به (والقرآن الحكيم) بالجر على انه مقسم به ابتداء وقيل هو معطوف على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار القسم قال النقاش لم يقسم الله لاحد من أنبيائه بالرسالة فى كتابه الا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما له وتمجيدا والحكيم المحكم الذى لا يتناقض ولا يتخالف أو الحكيم قائله أو ذى الحكمة أو لانه دليل

قوله قرأ الجمهور بسكون النون لم يقرأ الجمهور بالسكون وانما القراءة عنهم بادغامها فى الواو وقوله وقرأ ابن كثير الخ بادغام النون القراءة عنهم باظهارها من الواو كما لا يخفى اه مصححه

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير انه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله وقوله ليضل عن سبيل الله اى انما يصنع هذا للتخالف للاسلام وأهله وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للامر القدرى اى قيضوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى و يتخذها هزوا قال مجاهد و يتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها وقال قتادة يعنى و يتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى وقوله أولئك لهم عذاب مهين اى كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة فى العذاب الدائم المستمر ثم قال تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن (٤) فى أذنيه وقرا أى هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب اذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر اى وتصامم وما به صمم كأنه ما يسمعها لانه يتأذى بسماعها اذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها فبشره بعذاب أليم اى يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم) هذا ذكر مآل الابرار من السعداء فى الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة التابعة للشريعة لهم جنات النعيم اى يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب والنساء والنضرة والسماع الذى لم يخطر ببال أحد وهم فى ذلك مقيمون دائما فيها لا يظعنون ولا يبغون عنها حولا وقوله تعالى وعد الله حقا اى هذا كائن لا محالة لانه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لانه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شئ وهو العزيز الذى قد قهر كل شئ ودان له كل شئ الحكيم فى أقواله وأفعاله الذى جعل القرآن هدى للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى الآية وقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين) يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما فقال تعالى خلق السموات بغير عمد قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية وقال ابن عباس وعكرمة

ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة أو متصف بها على الاسناد المجازى وجواب القسم (انك لمن المرسلين) الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة وهذا رد على من أنكر رسالته من الكفار بقولهم لست مرسلا وقوله (على صراط مستقيم) خبر آخر لان أى انك على الطريق القيم الموصل الى المطلوب قال الزجاج على طريقة الانبياء الذين تقدموك ويجوز أن يكون فى محل نصب على الحال (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ نافع وغيره برفع تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو تنزيل ويجوز أن يكون خبرا لقوله يس ان جعل اسما للسورة وقرئ بالنصب على المصدرية اى نزل الله ذلك تنزيل العزيز والمعنى أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم وقيل المعنى انك يا محمد تنزيل العزيز والاول أولى وقيل هو منصوب على المدح على قراءة النصب وعبر سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنه نفس التنزيل وقرئ بالجر على النعت للقرآن أو البدل منه واللام فى قوله (لتنذر) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفعل مضمر يدل عليه لمن المرسلين اى أرسلناك لتنذر (قوما) اى العرب وغيرهم (ما أنذر) ما هى النافية أى لم تنذر (آباؤهم) ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة اى لتنذر قوما الذى انذر آباؤهم أو لتنذرهم عذابا أنذره آباؤهم أو مصدرية اى انذار آبائهم وعلى القول بانها نافية المعنى ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم ويجوز أن يراد ما أنذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة والافآباؤهم الابعدون قد أنذروا باسمعيل و بعيسى ومن قبلهما (فهم غافلون) اى فهم بسبب ذلك غافلون أو فهم غافلون عما أنذرنا به آباءهم قال أبو السعود الضمير للفريقين اى فهم جميعا غافلون وقد ذهب أكثر اهل التفسير الى ان المعنى على النفى وهو الظاهر من النظم القرآنى لترتيب فهم غافلون على ما قبله (لقد حق) اللام هى الموطئة للقسم أى والله لقد ثبت وتحقق ووجب القول أى الحكم والقضاء الازلى أو العذاب (على أكثرهم) اى أكثر اهل مكة أو أكثر الكفار على الاطلاق أو أكثر كفار العرب وهم من مات على الكفر وأصر عليه طول حياته فيتفرع قوله (فهم لا يؤمنون) على ما قبله بهذا الاعتبار اى لان الله سبحانه قد علم منهم الاصرار على ما هم فيه من الكفر والموت عليه وقيل المراد بالقول المذكور هنا قوله سبحانه فالحق والحق أقول منى لأملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل نزلت هذه الآية فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين وجملة (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) تقرير لما قبلها مثلت حالهم بحال

رمجاهد لها عمد لا ترونها وقد تقدم تقرير هذه المسئلة فى أول سورة الرعد بما أغنى عن اعادته وألقى فى الارض رواسى يعنى الجبال أرست الارض وثقلتها لئلا تضطرب باهلها على وجه الماء ولهذا قال ان تميد بكم اى لئلا تميد بكم وقوله تعالى وبث فيها من كل دابة اى وذرأ فيها من اصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد اشكالها وألوانها الا الذى خلقها ولما قرر سبحانه انه الخالق نبه على انه الرازق بقوله وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم اى من كل زوج من النبات كريم اى حسن المنظر وقال الشعبى والناس أيضا من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار (٥) فهو لئيم وقوله تعالى هذا خلق الله اى هذا الذى ذكره تعالى من خلق السموات والارض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره وحده لا شريك له فى ذلك ولهذا قال تعالى فأرونى ماذا خلق الذين من دونه اى مما تعبدون وتدعون من الاصنام والانداد بل الظالمون يعنى المشركين بالله العابدين معه غيره فى ضلال اى جهل وعمى مبين اى واضح ظاهر لا خفاء به (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد) اختلف السلف فى لقمان هل كان نبيا أو عبدا صالحا من غير نبوة على قولين الاكثرون على الثانى وقال سفيان الثورى عن الاشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم من شأن لقمان قال كان قصيرا أفطس الانف من النوبة وقال يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة وقال الاوزاعى حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل اسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه كان من اخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابى عن ابى الاشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج اطيب مضغتين فيها فاخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج اخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه امرتك ان تخرج

بحال الذين غلت أعناقهم (فهى) اى الاغلال منتهية (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات ولا يتمكنون من عطفها الا ان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطاطئ رأسه فلا يزال مقمحا وهو معنى قوله (فهم مقمحون) اى رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم قال الفراء والزجاج المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقماح رفع الرأس وغض البصر يقال أقمح البعير راسه وقمح اذا رفع رأسه ولم يشرب الماء قال الازهرى أراد الله ان ايديهم لما غلت عند اعناقهم رفعت الاغلال الى أذقانهم ورؤسهم صعداء فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال اياها وقال قتادة معنى مقمحون مغلولون والاول أولى وقال أبو عبيدة قمح البعير اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب وعنه أيضا هو مثل ضربه الله لهم فى امتناعهم عن الهدى كامتناع المغلول كما يقال فلان حمار أى لا يبصر الهدى قال الفراء هذا ضرب مثل اى حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وبه قال الضحاك وقيل الآية اشارة الى ما يفعل بقوم فى النار من وضع الاغلال فى اعناقهم كما قال تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم وقرأ ابن عباس انا جعلنا فى أيمانهم أغلالا قال الزجاج اى فى أيديهم قال النحاس وهذه القراءة تفسير ولا يقرأ بما خالف المصحف قال وفى الكلام حذف على قراءة الجماعة اى انا جعلنا فى أعناقهم وفى أيديهم أغلالا فهى الى الاذقان فلفظ هى كناية عن الأيدى لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره سرابيل تقيكم الحر أى وسرابيل تقيكم البرد لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل اذا كان فى العنق فلا بد أن يكون فى اليد ولاسيما وقد قال الله فهى الى الاذقان فقد علم انه يراد به الأيدى فهم مقمحون أى رافعو رؤسهم لا يستطيعون الاطراق لان من غلت يداه الى ذقنه ارتفع رأسه وروى عن ابن عباس انه قرأ انا جعلنا فى أيديهم أغلالا وعن ابن مسعود انه قرأ انا جعلنا فى ايمانهم أغلالا كما روى سابقا عن ابن عباس وعنه قال الاغلال ما بين الصدر الى الذقن فهم مقمحون كما تقمح الدابة باللجام (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد والسد بضم السين

اطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وامرتك ان تخرج اخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال لقمان انه ليس من شئ أطيب منهما اذا
طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وقال الاعمش قال مجاهد
كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقال حكام بن سالم عن سعيد الزبيدى عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا
حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بنى اسرائيل وذكر غيره انه كان قاضيا على بنى اسرائيل فى زمان داود عليه السلام
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا (٦) عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين
فأتاه رجل وهو فى مجلس اناس
يحدثهم فقال له ألست الذى كنت
ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا
قال نعم قال فما بلغ بك ما ارى قال
صدق الحديث والصمت عما لا يعنى
وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرعة
حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ان
الله رفع لقمان الحكيم بحكمته
فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك
فقال له الست عبد بنى فلان الذى
كنت ترعى بالامس قال بلى قال فما
بلغ بك ما ارى قال قدر الله واداء
الامانة وصدق الحديث وتركى
ما لا يعنينى فهذه الآثار منها ما هو
مصرح فيه بنفى كونه نبيا ومنها ما هو
مشعر بذلك لان كونه عبدا قد مسه
الرق ينافى كونه نبيا لان الرسل
كانت تبعث فى احساب قومها
ولهذا كان جمهور السلف على انه
لم يكن نبيا وانما ينقل كونه نبيا عن
عكرمة ان صح السند اليه فانه رواه
ابن جرير وابن ابى حاتم من حديث
وكيع عن اسرائيل عن جابر عن
عكرمة قال كان لقمان نبيا وجابر
هذا هو ابن يزيد الجعفى وهو ضعيف
والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش القتبانى عن عمر مولى غفرة قال وقف رجل
على لقمان الحكيم فقال انت لقمان انت عبد بنى الحسحاس قال نعم قال انت راعى الغنم قال نعم قال انت الاسود قال اما سوادى
فظاهر فما الذى يعجبك من امرى قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن اخى ان صغيت الى ما اقول لك
كنت كذلك قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعفة طعمتى وحفظى فرجى وقولى بصدقى ووفائى بعهدى وتكرمتى ضيفى
وحفظى جارى وتركى ما لا يعنينى فذاك الذى صيرنى الى ما ترى وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد

وفتحها لغتان قال الضحاك سدا أى الدنيا وسدا أى الآخرة وقيل بالعكس (فأغشيناهم)
بالغين المعجمة أى غطينا أبصارهم على حذف مضاف وقرئ بالعين المهملة من العشا وهو
ضعف البصر ومنه ومن يعش عن ذكر الرحمن فهم بسبب ذلك (لا يبصرون) اى لا يقدرون
على ابصار شئ قال الفراء فألبسنا أبصارهم غشوة اى عمى فهم لا يبصرون سبيل الهدى
وكذا قال قتادة ان المعنى لا يبصرون الهدى وقال السدى لا يبصرون محمدا صلى الله
عليه وآله وسلم حين ائتمروا على قتله وعن ابن عباس قال فى السد كانوا يمرون على النبى
صلى الله عليه وآله وسلم فلا يرونه وعنه أيضا قال اجتمعت قريش بباب النبى صلى الله عليه
وآله وسلم ينتظرون خروجه ليؤذوه فشق ذلك عليه فأتاه جبريل بسورة يس وأمره
بالخروج عليهم فأخذ كفا من تراب وخرج وهو يقرؤها ويذر التراب على رؤسهم فما رأوه حتى
جاز فجعل أحدهم يلمس رأسه فيجد التراب وجاء بعضهم فقال ما يجلسكم قالوا ننتظر محمدا
فقال لقد رأيته داخل المسجد قال قوموا فقد سحركم قال الضحاك فى الآية اى عموا عن
البعث وعموا عن قبول الشرائع فى الدنيا قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم قال البيضاوى هذا تمثيل آخر بمن أحاط بهم سدان فغطيا أبصارهم
بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن
النظر فى الآيات والدلائل (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى انذارك اياهم وعدمه
سواء وهذا بيان لشأنهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطريق التمثيل وجملة (لا يؤمنون)
مستأنفة مبينة لما قبلها من الاستواء أو حال مؤكدة أو بدل منه روى أن عمر بن عبد
العزيز قرأ هذه الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تائب عن قولى
فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه
هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق وعن ابن عباس
فى الآية قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى المسجد فجهر بالقراءة حتى تأذى به
ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه واذا أيديهم مجموعة بأعناقهم واذا هم عمى لا يبصرون
فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم يا محمد قال ولم يكن بطن
من بطون قريش الا وللنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهم قرابة فدعا النبى صلى الله عليه
وآله وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون قال فلم يؤمن من ذلك النفر

عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن ابى الدرداء انه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما اوتى ما اوتى عن اهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتا طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهارا قط ولم يره احد قط يبزق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك وكان لا يعيد منطقا نطقه الا ان يقول حكمة يستعيدها اياه احد وكان قد تزوج وولد له اولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتى ما أوتى وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت أرجو ان اقوم بها ولكنه خيرنى فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الى فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فالله اعلم والذى رواه سعيد ابن ابى عروبة عن قتادة فى قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة اى الفقه فى الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح اليه وقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة اى الفهم والعلم والتعبير أن اشكر لله اى امرناه ان يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذى خصه به عمن سواه من ابناء جنسه واهل زمانه ثم قال تعالى ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اى انما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون وقوله ومن كفر فان الله غنى حميد اى غنى عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الارض كلهم جميعا فانه الغنى عما سواه فلا اله الا الله ولا نعبد الا اياه (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم

أحد وفى الباب روايات فى سبب نزول ذلك هذه الرواية أحسنها وأقربها الى الصحة وقال الزجاج فى الآية اى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وانما ينفع الانذار من ذكر فى قوله (انما تنذر من اتبع الذكر) اى القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) اى فى الدنيا (فبشره) الفاء لترتيب البشارة أو الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية اى بشر هذا الذى اتبع الذكر (بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) اى حسن وهو الجنة ثم أخبر سبحانه باحيائه الموتى فقال (انا نحن نحيى الموتى) اى نبعثهم بعد الموت وقال الحسن والضحاك اى نحييهم بالايمان بعد الجهل والاول أولى وهو بيان لشأن عظيم ينطوى على الانذار والتبشير انطواء اجماليا ثم توعدهم بكتب آثارهم فقال (ونكتب) فى صحف الملائكة (ما قدموا) اى أسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) اى ما أبقوه من الحسنات التى لا ينقطع نفعها بعد الموت كمن سن سنة حسنة كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو السيآت التى تبقى بعد موت فاعلها كمن سن سنة سيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشىء احدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه ونحو ذلك قال مجاهد وابن زيد نظيره قوله علمت نفس ما قدمت وأخرت وقوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقيل المراد بالآية آثار المشائين الى المساجد وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين قال النحاس وهو أولى ما قيل فى الآية لانها نزلت فى ذلك ويجاب عنه بان الاعتبار بعموم الآية لا بخصوص سببها وعمومها يقتضى كتب جميع آثار الخير والشر والاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لأمره فلهذا قدم الاحياء وقرئ نكتب على البناء للفاعل وللمفعول عن أبى سعيد الخدرى قال كان بنو سلمة فى ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا الى قرب المسجد فأنزل الله انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انه يكتب آثاركم ثم قرأ عليهم الآية فتركوا اخرجه الترمذى وحسنه والبزار والحاكم وصححه وغيرهم وفى صحيح مسلم وغيره من حديث جابر قال ان بنى سلمة أرادوا أن يبيعوا ديارهم ويتحولوا قريبا من المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم (وكل شئ) من اعمال العباد وغيرها كائنا ما كان وقرأ الجمهور بنصب كل على الاشتغال وقرئ

أيـه ثاران فى قول حكاه السهيلى وقد ذكره الله تعالى باحسن الذكر وانه آتاه الحكمة وهو يوصى ولده الذى هو أشفق
الناس عليه وأحبهم اليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل مايعرف ولهـذا أوصاه أولا بان يعبـد الله وحده ولا يشرك به شيأ ثم قال
محـذرا له ان الشرك لظلم عظيم اى هو أعظم الظـلم قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وقالوا أينا لم يلبس
ايمانه بظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) انه ليس بذلك الا تسمع الى قول لقمان يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم ورواه مسلم من حـديث
الاعمش به ثم قرن بوصيته اياه بعبادة
الله وحـده البر بالوالدين كما قال
تعالى وقضى ربك أن لا تعبـدوا الا
اياه و بالوالدين احسانا وكثيرا
ما يقرن تعالى بين ذلك فى القرآن
وقال ههنا ووصينا الانسان
بوالديه حملته أمه وهنا على وهن قال
مجاهد مشقة وهن الولد وقال قتادة
جهـدا على جهـد وقال عطاء
الخراسانى ضعفا على ضعف وقوله
وفصاله فى عامين أى تربيته وارضاعه
بعـد وضعه فى عامين كما قال تعالى
والوالدات يرضعن أولادهن حولين
كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعـة
الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس
وغـيره من الائمة ان أقل مدة الحمل
ستة أشهر لانه قال فى الآية الاخرى
وحمـله وفصاله ثلاثون شهرا وانما
يذكر تعالى تربيـة الوالدة وتعبها
ومشقتها فى سهرها ليلا ونهارا ليذكر
الولد باحسانها المتقدم اليه كما قال
تعالى وقل رب ارحمهما كما ربيانى
صغيرا ولهـذا قال أن اشكر لى
ولوالديك الى المصير أى فانى سأجزيك
على ذلك أوفر جزاء قال ابن أبى حاتم
حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبى شيبة ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا اسرائيل عن ابى
اسحاق عن سعيد بن وهب قال قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبى صلى الله عليه وسـلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انى
رسول رسول الله صلى الله عليه وسـلم اليكم أن تعبـدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تطيعونى لا آلوكم خيرا وان المصير الى الله
والى الجنة أو الى النار اقامة فلا ظعن وخلود فلا موت وقوله وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما أى ان
حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما فى الدنيا معروفا اى

بالرفع على الابتداء (أحصيناه فى امام) اى كتاب مقتدى به (مبين) موضح لكل شئ
قال مجاهـد وقتادة وابن زيد أراد اللوح المحـفوظ وقالت فـرقة أراد صحائف الاعمال
(واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) قد تقدم الكلام على نظير هذا فى البقرة والنحل والمعنى
اضرب لاجلهم مثلا أو اضرب لاجل نفسك أصحاب القرية مثلا اى مثلهم عنـد نفسك
بأصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل لهم
ما أنا بدعا من الرسل فان قبلى بقليل جاء أصحاب القرية المرسلون وأنذروهم بما أنذرتكم
وذكروا التوحيـد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار المقامة وعلى الثانى لما قال ان
الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبى صلى الله عليـه وآله وسـلم
اضرب لنفسك ولقومك مثلا اى مثل لهم عند نفسك مثلا باصحاب القرية حيث جاءهم
ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على الايذاء وأنت جئت اليهم واحدا وقومك اكثر من
قوم الثلاثة فانهم جاؤا الى اهل قرية وانت بعثتك الى الناس كافة والمعنى واضرب لهم
مثلا مثل اصحاب القرية اى اذكرلهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية فترك المثـل واقيم
اصحاب القرية مقامه فى الاعراب وقيـل لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب
القرية لهم مثلا على ان يكون مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب او يكون اصحاب
القرية بدلا من مثلا وقد قدمنا الكلام على المفعول الاول من هـذين المفعولين هل هو
مثلا او اصحاب القرية وقد قيل ان ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة بحالة
اخرى مثلها كما فى قوله ضرب الله مثـلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ويسـتعمل
أخرى فى ذكر حالة غريبـة وبيانها للناس من غير قصـد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله
وضربنا لكم الامثال اى بينا لكم احوالا بديعـة غريبة هى فى الغرابة كالامثال فقوله
سبحانه هنا واضرب لهـم مثلا يصح اعتبار الامرين فيه قال القرطبى هـذه القرية هى
انطاكيـة فى قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وبريدة وهى ذات أعين وسور عظيم
من صخر داخله خمسة اجبل دورها اثنى عشر ميلا والعواصم بلاد قصبتها انطاكية وهى
بارض الروم (اذ جاءها المرسلون) بدل اشتمال من اصحاب القرية والمرسلون هم أصحاب
عيسى بعثهم الى اهـل انطاكيـة للدعاء الى الله وكانوا عبـدة أوثان وانما أضاف سبحانه
الارسال الى نفسه فى قوله (اذ أرسلنا اليهـم اثنين) لان عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه
ويجوز

محسنا اليهما واتبع سبيل من أناب الى يعنى المؤمنين الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون قال الطبرانى فى كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا احمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبى هند ان سعد ابن مالك قال أنزلت فى هذه الآية وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الآية قال كنت رجلا برا بأمى فلما أسلمت قالت ياسعد ماهذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا اولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى فيقال ياقاتل أمه فقلت لاتفعلى ياأمه فانى لاأدع دينى هذا الشئ فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لاتأكل فأصبحت قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت ياأمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى هذا الشئ فان شئت فكلى وان شئت لاتأكلى فأكلت (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير) هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس و يقتدوا بها فقال يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل أى ان المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل وجوز بعضهم أن يكون الضمير فى قوله انها ضمير الشأن والقصة وجوز على هذا رفع مثقال والاول أولى وقوله عزوجل يأت بها الله أى أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ الآية وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة فى داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة فى أرجاء السموات او الارض فان الله يأتى بها لانه لايخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولهذا قال تعالى ان الله لطيف خبير أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت خبير بدبيب النمل فى الليل البهيم وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله فتكن فى صخرة أنها صخرة تحت الارضين السبع وذكره السدى باسناده ذلك

ويجوز أن يكون ارسلهم الله بعد رفع عيسى الى السماء من غير واسطة (فكذبوهما) فى الرسالة وقيل ضربوهما وسجنوهما قيل واسم الاثنين يوحنا وشمعون وقيل أسماء الثلاثة صادق ومصدوق وشلوم قاله ابن جرير وغيره وقيل شمعان ويوحنا وبولس وقال وهب اسمهما يحيى وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) قرئ بتشديد الزاى وتخفيفها قال الجوهرى فعززنا يخفف ويشدد أى قوينا وشددنا فالقراءتان على هذا بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزنى فى الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا قيل وهذا الثالث هو شمعون وقيل غيره وعن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وبين عيسى بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ولم تكن بينهما فترة وانه ارسل بينهما ألف نبى من بنى اسرائيل سوى من أرسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث فى أولها ثلاثة أنبياء وهو قوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذى عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت الفترة التى لم يبعث الله فيها رسولا أربعمائة سنة وأربعا وثلاثين سنة أخرجه ابن سعد وابن عساكر (فقالوا انا اليكم مرسلون) اى قال الثلاثة جميعا وجاؤا بكلامهم هذا مؤكدا لسبق التكذيب للاثنين والتكذيب بهما تكذيب للثالث لانهم أرسلوا جميعا بشئ واحد وهو الدعاء الى الله عزوجل وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما قال هؤلاء الرسل بعد التعزيز لهم بثالث وكذلك جملة (قالوا ماأنتم الا بشر مثلنا) فانها مستأنفة كأنه قيل فما قال لهم أهل انطاكية فقيل قالوا ماأنتم الا بشر مثلنا اى مشاركون لنا فى البشرية فليس لكم مزية علينا تختصون بها والخطاب للثلاثة ثم صرحوا بجحود انزال الكتب السماوية فقالوا (وما أنزل الرحمن من شئ) مما تدعونه أنتم ويدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم (ان أنتم الا تكذبون) فى دعوى ماتدعون من ذلك (قالوا) اى فأجابوهم باثبات رسالتهم بكلام مؤكد تأكيدا بليغا لتكرر الانكار من أهل انطاكية وهو قولهم (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) فأكدوا الجواب بالقسم الذى يفهم من قولهم ربنا يعلم وبان وباللام قال الزمخشرى ووجه التكرار ان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار انتهى وهذا مخالف لما فى المفتاح من انهم أكدوا فى المرة الاولى لان تكذيب الاثنين تكذيب للثالث لاتحاد المقالة فلما بالغوا

المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ان صح ذلك ويروى هذا عن عطية العوفى وأبى مالك والثورى والمنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم ان المراد ان هذه الحبة فى حقارتها لو كانت داخل صخرة فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه كما قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان (١٠) ثم قال يابنى أقم الصلاة أى بحدودها وفروضها وأوقاتها وأمر بالمعروف وانه عن المنكر أى بحسب طاقتك وجهدك واصبر على ما أصابك علم أن الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله ان ذلك من عزم الامور أى ان الصبر على أذى الناس لمن عزم الامور وقوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك اليهم كما جاء فى الحديث ولو ان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط واياك واسبال الازار فانها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وكذا روى العوفى وعكرمة عنه وقال مالك عن زيد بن أسلم ولا تصعر خدك للناس لا تتكلم وأنت معرض وكذا روى عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الاصم وأبى الجوزاء وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم وقال ابراهيم النخعى يعنى بذلك التشديق فى الكلام والصواب القول الاول قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الابل فى أعناقها أو رؤسها حتى تلتفت أعناقها عن رؤسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حى التغلبى

وكنا اذا الجبار صعر خده * أقمنا له من ميله فتقوما

وقال أبو طالب فى شعره

وكنا قديما لا نقر ظلامة * اذا ما ثنوا صعر الرؤس نقيمها

الحسن

وقوله ولا تمش فى الارض مرحا أى خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال ان الله لا يحب كل مختال فخور أى مختال معجب فى نفسه فخور اى على غيره وقال تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقد

فى تكذيبهم زادوا التأكيد وما ذهب اليه الزمخشرى نظرا الى أن مجموع الثلاثة لم يسبق منهم اخبار ولا تكذيب لهم فى المرة الاولى فالتأكيد فيها للاعتناء والاهتمام بالخبر انتهى قاله الشهاب (وما علينا الا البلاغ المبين) أى ما يجب علينا من جهة ربنا الا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح بالادلة الواضحة وهى ابراء الاكمه والابرص والمريض واحياء الميت وليس علينا غير ذلك وهذه جملة مستأنفة كالتى قبلها وكذلك جملة (قالوا انا تطيرنا بكم) فانها مستأنفة جوابا عن سؤال مقدر أى انا تشاءمنا بكم لانقطاع المطر عنا بسببكم لم يجدوا جوابا يجيبون به على الرسل الا هذا الجواب المبنى على الجهل المنبئ عن الغباوة العظيمة وعدم وجود حجة يدفعون الرسل بها وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة هذا قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم قيل انهم أقاموا ينذرونهم عشر سنين وقيل انما تطيروا لما بلغهم من ان كل نبى اذا دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك وأصل التطير التفاؤل بالطير فانهم كانوا يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به وفى المختار وطائر الانسان عمله الذى قلده والطير أيضا الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله وتطير من الشئ وبالشئ والاسم الطيرة بوزن عنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الردئ وفى الحديث انه كان يحب الفأل ويكره الطيرة وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك أصله تطيرنا فادغم ثم رجعوا الى التجبر والتكبر لما ضاقت صدورهم وأعيتهم العلل فقالوا (لئن لم تنتهوا) اللام للقسم أى والله لئن لم تتركوا هذه الدعوى وتعرضوا عن هذه المقالة (لنرجمنكم) بالحجارة قال الفراء عامة ما فى القرآن من الرجم المراد به القتل وقال قتادة هو على بابه من الرجم بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) اى شديد فظيع وقيل معناه التحريق بالنار أو القتل وقيل الشتم وقيل هو التعذيب المؤلم من غير تقييد بنوع خاص وهذا هو الظاهر لكنهم حنثوا فى هذا القسم لانهم لم يتمكنوا من بره لاهلاك الله لهم ثم أجاب عليهم الرسل دفعا لما زعموه من التطير بهم و (قالوا طائركم معكم) اى شؤمكم معكم من جهة أنفسكم لازم فى أعناقكم وليس هو من شؤمنا قال الفراء طائركم أى رزقكم وقدركم وعملكم وبه قال قتادة وقرأ الجمهور طائركم اسم فاعل اى ما طار لكم من الخير والشر وقرأ

تقدم الكلام على ذلك فى موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عمران بن أبى
ليلى حدثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال ذكر الكبر عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فشدد فيه فقال ان الله لا يحب كل مختال فخور فقال رجل من القوم والله يا رسول الله انى لأغسل ثيابى فيعجبنى
بياضها و يعجبنى شراك نعلى وعلاقة سوطى فقال ليس ذلك الكبر انما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس ورواه من طريقة أخرى
بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله واقصد فى (١١) مشيك اى امش مشيا مقتصدا ليس بالبطىء
المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا
وسطا بين بين وقوله واغضض من
صوتك اى لا تبالغ فى الكلام اى
لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا
قال ان أنكر الاصوات لصوت
الحمير قال مجاهد وغير واحد ان أقبح
الاصوات لصوت الحمير اى غاية من
رفع صوته انه يشبه بالحمير فى علوه
ورفعه ومع هذا هو بغيض الى الله
تعالى وهذا التشبيه فى هذا بالحمير
يقتضى تحريمه وذمه غاية الذم لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس لنا مثل السوء العائد فى هبته
كالكلب يقىء ثم يعود فى قيئه وقال
النسائى عند تفسير هذه الآية
حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث
عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج
عن أبى هريرة عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال اذا سمعتم صياح
الديكة فاسألوا الله من فضله واذا
سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من
الشيطان فانها رأت شيطانا وقد
أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه
من طرق عن جعفر بن ربيعة به وفى
بعض الالفاظ بالليل فالله أعلم فهذه
وصايا نافعة جدا وهى من قصص
القرآن العظيم عن لقمان الحكيم
وقد روى عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أنموذجا ودستورا الى ذلك قال الامام أحمد حدثنا على بن اسحق اخبرنا ابن
المبارك اخبرنا سفيان اخبرنى نهيل بن مجمع الضبى عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول
ان الله اذا استودع شيأ حفظه وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعى عن موسى بن سليمان
عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بنى اياكم والتقنع فانه مخوفة بالليل مذمة
بالنهار وقال حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا (٣) البرى بن يحيى قال قال لقمان لابنه يا بنى ان الحكمة أجلست المساكين

الحسن اطيركم اى تطيركم (أئن ذكرتم) قرئ بهمزة استفهام بعدها ان الشرطية على
الخلاف بينهم فى التسهيل والتخفيف وادخال ألف بين الهمزتين وعدمه وقرئ بهمزتين
مفتوحتين وقرئ أين على صيغة الظرف واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام
وشرط أيهما يجاب فذهب سيبويه الى انه يجاب بالاستفهام وذهب يونس الى انه يجاب
بالشرط وعلى القولين فالجواب هنا محذوف اى أئن ذكرتم ووعظتم وخوفتم فتطيرتم
لدلالة ما تقدم عليه وقرئ أن ذكرتم بهمزة مفتوحة اى لان ذكرتم والقراآت كلها سبعية
ثم أضربوا عما يقتضيه الاستفهام والشرط من كون التذكير سببا للشؤم أو مصححا للتوعد
فقالوا (بل أنتم قوم مسرفون) اى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف
فى المعصية فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم
مسرفون فى تطيركم قاله قتادة وقال يحيى بن سلام مسرفون فى كفركم وقال ابن بحر
السرف هنا الفساد والاسراف فى الاصل مجاوزة الحد فى مخالفة الحق أى متجاوزون الحد
بشرككم وهذا الاينافى كون أهل انطاكية أول المؤمنين برسل عيسى فان الملك وقومه
آمنوا وهلاك قاتلى حبيب لا يستلزم هلاك أهل انطاكية (وجاء من أقصى المدينة) وهى
القرية السابق ذكرها وعبر عنها هنا بالمدينة اشارة لكبرها واتساعها (رجل يسعى) هو
حبيب بن مرى وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقال مجاهد ومقاتل هو حبيب بن
اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وقال وهب كان يعمل الحرير وقال قتادة كان يعبد
الله فى غار فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى أى يشتد عدوا وقال ابن عباس اسم صاحب يس
حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه قال القرطبى وهو ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وآله
وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن أحد بنبى
غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الا بعد ظهوره وأما نبينا فآمن به قبل ظهوره كثير انتهى
وفيه من البعد والضعف ما لا يخفى ويدفعه قوله سبحانه (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) أى
رسل عيسى عليه السلام ولم يذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولا دلت الآية عليه والجملة
مستأنفة كأنه قيل فماذا قال لهم عند مجيئه فقيل قال الخ أى اتبعوا هؤلاء الذين أرسلوا
اليكم فانهم جاؤا بحق ثم أكد ذلك وكرره فقال (اتبعوا من لا يسألكم) بدل من المرسلين
باعادة العامل أو تابع له (أجرا) على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) اى الرسل (مهتدون)

(٣) قوله البرى بن يحيى كذا بالاصل وحرر

مجالس الملوك وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سلمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودى عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يا بنى اذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الاسلام يعنى السلام ثم اجلس فى ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك معهم وان أفاضوا فى غير ذلك فتحول عنهم الى غيرهم وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى نفد الخردل فقال يا بنى لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الباقى المصيصى حدثنا احمد بن عبد الرحمن (١٢) الحرانى حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى حدثنا انس بن سفيان المقدسى عن خليفة بن سلام عن عطاء بن ابى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشى وبلال المؤذن قال الطبرانى أراد الحبش

(فصل فى الخمول والتواضع) وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع فى ذلك الحافظ أبو بكر ابن أبى الدنيا كتابا مفردا نحن نذكر منه مقاصده قال حدثنا ابراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدنى عن اسامة بن زيد عن حفص ابن عبد الله بن أنس عن جده أنس ابن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب أشعث فى طمرين يصفح عن أبواب الناس اذا أقسم على الله لأبره ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلى بن زيد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد منهم البراء بن مالك وقال أبو بكر بن سهل التميمى حدثنا ابن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياش ابن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه انه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا معاذ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الاثرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا عثام بن على عن حميد بن عطاء الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم انى اسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال أيضا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن

ولو كانوا متهمين بعدم الصدق لسألوكم المال فاهتدوا أنتم أيضا تعالهم ثم أبرز الكلام فى معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) أى أى مانع من جانبى يمنعنى من عبادة الذى خلقنى ثم رجع الى خطابهم لبيان انه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه فقال (واليه ترجعون) أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق ولذلك لم يقل اليه أرجع وفيه مبالغة فى التهديد وهذه الطريقة أحسن من ادعاء الالتفات ثم عاد الى المساق الاول وهو التلطف فى الارشاد والنصيحة لقصد التأكيد ومزيد الايضاح فقال (أأتخذ من دونه) أى غيره (آلهة) فجعل الانكار متوجها الى نفسه وهم المرادون به اى لا أتخذ من دون الله آلهة وأعبدها وأترك عبادة من يستحقها وهو الذى فطرنى ثم بين حال هذه الاصنام التى يعبدونها من دون الله سبحانه انكارا عليهم وبيانا لضلال عقولهم وقصور ادراكهم فقال (ان يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكروه وشرط وجوابه (لا تغن عنى شفاعتهم شيأ) من النفع كائنا ما كان أى لا شفاعة لها فتغنى عنى (ولا ينقذون) من ذلك الضر الذى أرادنى الرحمن به وهذه الجملة صفة لآلهة أو مستأنفة لبيان حالها فى عدم النفع والدفع (انى اذا) أى انى اذا اتخذت من دونه آلهة وعبدت غير الله (لفى ضلال مبين) ظاهر واضح لان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وهذا تعريض بهم كما سبق والضلال الخسران ثم صرح بايمانه تصريحا لا يبقى بعده شك فقال (انى آمنت بربكم فاسمعون) بكسر النون وهى نون الوقاية وهى اللغة العالية وقرئ بفتحها وهى غلط قال المفسرون أراد القوم قتله فأقبل هو على المرسلين فقال انى آمنت بربكم أيها الرسل فاسمعوا ايمانى واشهدوا لى به وقيل انه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلبا فى الدين وتشددا فى الحق وعدم المبالاة بالقتل فلما قال هذا القول وصرح بالايمان وثبوا عليه فقتلوه وقيل وطؤه بأرجلهم وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه فى سور المدينة وقبره فى سور انطاكية حكاه الثعلبى وقيل حفروا له حفيرة وألقوه فيها وقيل انهم لم يقتلوه بل رفعه الله الى السماء وهو فى الجنة وبه قال الحسن وقال السدى رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قتلوه وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت

سالم بن أبي الجعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله دينارا أو درهما أو فلسا لم يعطه ولو سأل الله الجنة لأعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها ولم يمنعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضا حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ملوك الجنة كل أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصف لهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم قال وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال قال عبد الله بن المبارك

الارب ذي طمرين في منزل غدا
زرابيه مبثوثة ونمارقه
قد طردت أنواره حول قصره
وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروى من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا قال الله من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ان صبر على ذلك قال ثم انفذ رسول الله بيده وقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وعن عبد الله بن عمرو قال أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسترك ألم ألم ألم اجمل ذكرك ثم قال الفضيل ان استطعت أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محمودا عند الله وكان ابن محيريز يقول اللهم انى أسألك ذكرا خاملا وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك وعند الناس من أوسط خلقك ثم قال باب ما جاء في الشهرة حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حسب امرئ من الشر الا من عصم الله أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وان الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم وأعمالكم وروى مثله عن اسحاق بن البهلول عن ابن أبي

روحه الا في الجنة فدخلها فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) أي قيل له ذلك عند موته تكريما له بدخولها بعد قتله كما هي سنة الله في شهداء عباده ولم يذكر لفظ له في نظم الآية لان الغرض بيان القول دون المقول له فانه معلوم وعلى قول من قال انه رفع الى السماء ولم يقتل يكون المعنى انهم لما أرادوا قتله نجاه الله من القتل وقيل له ادخل الجنة وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وعليه فالامر أمر تكوين لا أمر امتثال على حد قوله أن يقول له كن فيكون فالمعنى أدخله الله الجنة سريعا فلما دخلها ورأى نعيمها وشاهدها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر اى فماذا قال بعد ان قيل له ادخل الجنة فدخلها فقال ياليت قومي الخ وهم الذين قتلوه فنصحهم حيا وميتا قال ابن أبي ليلى سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وهو أفضلهم ومؤمن آل فرعون وصاحب يس وهم الصديقون ذكره الزمخشري وما في بما هي المصدرية وقيل موصولة أي بالذي غفر لي ربي والباء صلة يعلمون والعائد محذوف اى غفره لي ربي واستضعف هذا لانه لا معنى لتمنيه أن يعلم قومه بذنوبه المغفورة وليس المراد الا التمني منه بان يعلم قومه بغفران ربه له واليه أشار في التقرير وقال الفراء انها استفهامية جاءت على الاصل بمعنى التعجب والباء صلة غفر كأنه قال باي شيء غفر لي ربي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم قال الكسائي لو صح هذا لقال بم من غير ألف ويجاب عنه بانه قد ورد في لغة العرب اثباتها وان كان مكثورا بالنسبة الى حذفها وفي معنى تمنيه قولان أحدهما انه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته ارغاما لهم وقيل انه تمنى أن يعلموا بذلك ليؤمنوا مثل ايمانه فيصيروا الى مثل حاله ولما وقع ما وقع منهم مع حبيب النجار غضب الله له وعجل لهم النقمة وأهلكهم بالصيحة فقال (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب النجار من بعد قتلهم له أو من بعد رفع الله له الى السموات على الاختلاف السابق (من جند من السماء) لاهلاكهم وللانتقام منهم أي لم نحتج الى ارسال جنود من السماء لاهلاكهم كما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر من ارسال الملائكة لنصرته وحرب أعدائه وذلك لان الله أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك وعن ابن مسعود في الآية قال يقول ما كابدناهم بالجموع أي الامر أيسر علينا من ذلك (وما كنا منزلين)

أى وماصح فى قضائنا وحكمتنا أن ننزل لاهلاكهم جندا لسبق قضائنا وقدرنا بان اهلاكهم بالصيحة لا بانزال الجند وقال قتادة ومجاهد والحسن اى ما أنزلنا عليهم من رسالة من السماء ولا نبى بعد قتله وروى عن الحسن انه قال هم الملائكة النازلون بالوحى على الانبياء والظاهر ان معنى النظم القرآنى تحقير شأنهم وتصغير أمرهم اى ليسوا باحقاء بان تنزل لاهلاكهم جند من السماء بل أهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيده قوله (ان كانت) أى العقوبة أو النقمة أو الأخذة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل فأهلكهم قرئ صيحة بالنصب على ان كان ناقصة واسمها ضمير يعود الى مايفهم من السياق كما قدمنا وقرئ برفعها على ان كان تامة أى وقع وحدث وأنكرها أبو حاتم وكثير من النحويين بسبب التأنيث فى قوله ان كانت وقيل غير ذلك وقرأ ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة والزقية الصيحة قال النحاس وهذا مخالف للمصحف وأيضا فان اللغة المعروفة زقا يزقو اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقى فكان يجب على هذا أن يكون زقوة ويجاب عنه بما ذكره الجوهرى قال الزقو والزقى مصدر وقد زقا الصدا يزقو زقا أى صاح وكل صائح زاق والزقية الصيحة قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فاذاهم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت وهو معنى قوله (فاذاهم خامدون) ميتون شبههم بالنار اذا طفئت لان الحياة كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والموت كخمودها (ياحسرة على العباد) النصب على أنها منادى منكر كأنه نادى الحسرة وقال لها هذا أوانك فاحضرى وقيل انها منصوبة على المصدرية والمنادى محذوف والتقدير ياهؤلاء تحسروا حسرة وقرئ بالضم على النداء قال الفراء فى توجيه هذه القراءة ان الاختيار النصب وأنها لو رفعت النكرة لكان صوابا واستشهد باشياء نقلها عن العرب منها أنه سمع منهم يامهتم بامرنا لاتهتم قال النحاس وفى هذا ابطال باب النداء أو أكثره قال وتقدير ما ذكره يا أيها المهتم لاتهتم بامرنا وحقيقة الحسرة أن يلحق الانسان من الندم مايصير به حسيرا قال ابن جرير المعنى ياحسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلهفا فى استهزائهم برسل الله وقرئ ياحسرة العباد على الاضافة ورويت هذه القراءة عن أبى وقال الضحاك انها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل هى من قول الرجل الذى جاء من أقصى المدينة وقيل ان القائل ياحسرة على العباد هم الكفار

قديك عن محمد بن عبد الواحد الاخنسى عن عبد الواحد بن أبى كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله وروى عن الحسن مرسلا نحوه فقيل للحسن فانه يشار اليك بالاصابع فقال انما المراد من يشار اليه فى دينه بالبدعة وفى دنياه بالفسق وعن على رضى الله عنه قال لاتبتدأ لان تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب ماصدق الله عبد الاسره أن لا يشعر بمكانه وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس وقال سماك بن سلمة اياك وكثرة الاخلاء وقال أبان بن عثمان ان أحببت أن يسلم اليك دينك فأقل من المعارف وكان أبو العالية اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم وقال حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن أبى رجاء قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش النار وقال ابن ادريس عن هرون بن أبى عنترة عن سليم بن حنظلة قال بينا نحن حول أبى اذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال انها مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان وقال حماد بن زيد كنا اذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا فكان ذلك نعمة وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قميصه فقيل له فى ذلك فقال ان الشهرة فيما مضى كانت فى طول القميص واليوم فى تشميره واصطنع مرة نعلين على حزو نعلى النبى صلى الله عليه وسلم فلبسهما أياما ثم خلعهما وقال لم ار الناس يلبسونهما وقال ابراهيم النخعى لا تلبس من الثياب مايشهر فى الفقهاء ولا مايزدريك السفهاء وقال الثورى كانوا يكرهون من الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل دينه وحدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد عن أبى حسنة صاحب الزيادى قال كنا عند أبى قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق وقال الحسن رحمه الله ان قوما جعلوا الكبر فى قلوبهم والتواضع فى ثيابهم فصاحب الكساء بكسائه اعظم من صاحب المطرف بمطرفه مالهم تفاقدوا وفى بعض الاخبار ان موسى عليه السلام قال لبنى اسرائيل مالكم تأتونى عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية * (فصل فى

حسن الخلق)* ابو التياح عن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا عطاء عن ابن عمر قيل يارسول الله اى المؤمنين افضل قال احسنهم خلقا نوح بن عباد عن انس مرفوعا ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد سيار بن هرون عن حميد عن انس مرفوعا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة المطلب عن عائشة مرفوعا ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وقال ابن ابى الدنيا حدثنى ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن ادريس اخبرنى ابى وعمى عن جدى عن ابى هريرة رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر مايدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر مايدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج وقال اسامة بن شريك كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته الاعراب من كل مكان فقالوا يارسول الله ماخير مااعطى الانسان قال حسن الخلق وقال يعلى بن سماك عن ام الدرداء عن ابى الدرداء يبلغ به قال ماشئ اثقل فى الميزان من حسن الخلق وكذا رواه عطاء عن ام الدرداء به مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان من خياركم احاسنكم اخلاقا حدثنا عبد الله بن ابى بدر حدثنا محمد بن عنين عن محمد بن ابى سارة عن الحسن بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد فى سبيل الله يغدو عليه الاجر ويروح مكحول عن ابى ثعلبة مرفوعا ان احبكم الىّ واقربكم منى مجلسا احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الىّ وأبعدكم منى منزلا فى الجنة مساويكم اخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون ابو اويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ألا اخبركم بأكملكم ايمانا احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يؤلفون ويألفون وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن اسامة عن بكر بن ابى الفرات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحسن الله خلق رجل وخلقه فتطعمه النار عبد الله بن غالب الحدانى عن ابى سعيد مرفوعا خصلتان لايجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ميمون بن مهران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق وذلك ان صاحبه لايخرج من ذنب الاوقع فى آخر حدثنا على بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاحمسى حدثنا

الكفار المكذبون والعباد الرسل وذلك أنهم لما رأوا العذاب تحسروا على قتلهم وتمنوا الايمان قاله أبو العالية ومجاهد وقيل ان التحسر عليهم هو من الله عز وجل بطريق الاستعارة لتعظيم ماجنوه وقرئ ياحسره بسكون الهاء اجراء للوصل مجرى الوقف وقرئ ياحسرتا كما قرئ بذلك فى سورة الزمر قال ابن عباس أى ياويلا للعباد وعنه قال الندامة على العباد يوم القيامة وأل فى العباد للجنس (مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) مستأنفة مسوقة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستهزاء بهم وان ذلك هو سبب التحسر عليهم ثم عجب سبحانه من حالهم حيث لم يعتبروا بأمثالهم من الامم الخالية فقال (ألم يروا كم أهلكنا) اى ألم يعلموا كثرة من أهلكنا (قبلهم من القرون) التى أهلكناها من الامم الخالية والاستفهام للتقرير على حد قوله ألم نشرح لك صدرك (أنهم اليهم لايرجعون) بدل من أهلكنا على المعنى قال سيبويه انه بدل من كم وهى الخبرية فلذلك جاز أن يبدل منها ماليس باستفهام والمعنى ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنهم اليهم لايرجعون وقال الفراء كم فى موضع نصب من وجهين أحدهما بيروا والوجه الآخر بأهلكنا قال النحاس القول الاول محال لان كم لايعمل فيها ماقبلها لانها استفهام ومحال أن يدخل الاستفهام فى حيز ماقبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه قد أومأ الى بعض هذا فجعل أنهم بدلا من كم وقد رد ذلك المبرد أشد رد ثم بين سبحانه رجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا فقال (وان كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما مشددا ومخففا قال الفراء من شدد جعل لما بمعنى الا وان بمعنى ما أى ما كل الا جميع ومعنى جميع مجموعون فهو فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له وأما على قراءة التخفيف فان هى المخففة من الثقيلة ومابعدها مرفوع بالابتداء واللام هى الفارقة بين المخففة والنافية قال أبو عبيدة وما على هذه القراءة زائدة والتقدير عنده وان كل لجميع والحاصل ان كل أشير بها الاستغراق الافراد وشمولهم وجميع أشير بها الاجتماع الكل فى مكان واحد وهو المحشر وقيل معنى محضرون معذبون والاولى انه على معناه الحقيقى من الاحضار للحساب والجزاء ثم ذكر سبحانه البرهان على التوحيد والحشر مع تعداد النعم وتذكيرها فقال (وآية لهم) على البعث والتوحيد (الارض الميتة) فآية خبر مقدم وتنكيرها للتفخيم ولهم صفتها أو متعلقة بآية لانها بمعنى علامة والارض مبتدأ

عبد الرحمن بن اسحق عن رجل من قريش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق ان الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال عبد الله بن ادريس عن ابيه عن جده عن ابى هريرة مرفوعا انكم لاتسعون الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق وقال محمد ابن سيرين حسن الخلق عون على الدين ﴿ فصل فى ذم الكبر ﴾ قال علقمة عن ابن مسعود رفعه لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من كبر ولايدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقال ابراهيم بن أبى عيلة عن أبى سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعا من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه فى النار حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن اياس بن سلمة عن أبيه مرفوعا لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال مالك ابن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة فى السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال حبة ذرة من كبر لخسف به أبعد مما رفع حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد عن هرون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الانسان حتى ان أحدنا ليقذر نفسه يقول خرج من مجرى البول مرتين وقال الشعبى من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وقال الحسن عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده فى اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات حدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن على بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم (٣) وقال الحسن عن يحيى عن أبى قال ان مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وان فرخه وملحه وقال محمد بن الحسين بن على من ولد على رضى الله عنه مادخل قلب رجل شئ من كبر الا نقص من عقله بقدر ذلك وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق ونظر طاوس الى عمر بن عبد العزيز وهو يختال فى مشيته وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس فى جنبه باصبعه وقال ليس هذا شأن من فى بطنه خرء

(٣) قوله وقال الحسن عن يحيى الى قوله وملحه كذا فى النسخ وحرر اه

ويجوز أن يكون آية مبتدأ لكونها قد تخصصت بالصفة ومابعدها الخبر قرئ ميتة بالتشديد والتخفيف (أحييناها) مستأنفة مبينة لكيفية كونها آية وقيل هى صفة للارض فنبههم الله بهذا على احياء الموتى وذكرهم نعمه وكمال قدرته فانه سبحانه أحيى الارض بالنبات وأخرج منها الحبوب التى يأكلونها ويتغذون بها وهو معنى قوله (وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) وهو مايقتاتونه من الحبوب وتقديم منه للدلالة على ان الحب معظم مايؤكل وأكثر مايقوم به المعاش (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أى جعلنا فى الارض جنات من أنواع النخل والعنب وخصهما بالذكر لانهما أعلى الثمار وأنفعها للعباد والنخل والنخيل بمعنى والواحدة نخلة وفى المصباح النخل اسم جمع والواحدة نخلة وكل جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء فأهل الحجاز يؤنثونه وأهل نجد وتميم يذكرونه وأما النخيل بالياء فمؤنثة قال ابن أبى حاتم لا اختلاف فى ذلك والاعناب جمع عنب والعنبة الواحدة من العنب (وفجرنا فيها من العيون) أى فجرنا فى الارض بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو المفعول العيون ومن مزيدة على رأى من جوز زيادتها فى الاثبات والمراد بالعيون عيون الماء وقرأ الجمهور بالتشديد وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى واللام فى قوله (ليأكلوا من ثمره) متعلقة بجعلنا والضمير المجرور يعود الى المذكور من الجنات والنخيل وقيل هو راجع الى ماء العيون لان الثمر منه قاله الجرجانى وقرئ ثمره بضمتين وبفتحتين وهما سبعيتان وقرأ الاعمش بضم الثاء واسكان الميم وقد تقدم الكلام على هذا فى الانعام (وما عملته أيديهم) أى ليأكلوا من ثمره ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والدبس ونحوهما وكذلك ماغرسوه وحفروه وعالجوه على ان ما موصولة وفيه تجوز على هذا وقيل هى نافية والمعنى لم يعملوه بل العامل له هو الله عز وجل أى وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل انها نكرة موصوفة والكلام فيها كالذى فى الموصولة وقيل انها مصدرية أى ومن عمل أيديهم والمصدر واقع موقع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة أو الموصوفة وعن ابن عباس فى الآية قال وجدوها معمولة لم تعملها أيديهم يعنى الفرات ودجلة ونهر بلخ واشباهها (أفلا يشكرون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم بعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيرون هذه

النعم

فقال له كالمعتذر اليه يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها قال ابو بكر بن ابى الدنيا كان بنو امية يضربون
أولادهم حتى يتعلمون هذه المشية *(فصل فى الاختيال)* بن أبى ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله
اليه ورواه عن اسحق بن اسمعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وحدثنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن
أبى الزناد عن أبيه عن الاعرج عن أبى هريرة مرفوعا لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره وبينما رجل يتبختر فى برديه أعجبته
نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروى الزهرى (١٧) عن سالم عن أبيه بينما رجل الى آخره (ألم تر
أن الله سخر لكم مافى السموات
ومافى الارض وأسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة ومن الناس من
يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا
ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا أولو كان الشيطان
يدعوهم الى عذاب السعير) يقول
تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم
فى الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم
مافى السموات من نجوم يستضيئون
بها فى ليلهم ونهارهم وما يخلق
فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد
وجعله اياها سقفا محفوظا وما
خلق لهم فى الارض من قرار وأنهار
وأشجار وزروع وثمار وأسبغ
عليهم نعمه الظاهرة والباطنة
من ارسال الرسل وانزال الكتب
وازاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله
ما آمن الناس كلهم بل منهم من
يجادل فى الله اى فى توحيده وارساله
الرسل ومجادلته فى ذلك بغير علم ولا
مستند من حجة صحيحة ولا كتاب
مأثور صحيح ولهذا قال تعالى ومن
الناس من يجادل فى الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير أى مبين
مضىء واذا قيل لهم اى لهؤلاء المجادلين فى توحيد الله اتبعوا ما أنزل الله اى على رسوله من
الشرائع المطهرة قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اى لم يكن لهم حجة الا اتباع الآباء الاقدمين قال الله تعالى أولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيأ ولا يهتدون اى فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم انهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال
تعالى أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله
عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى

النعم أو أينتعمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذى خلق الازواج كلها) مستأنفة مسوقة
لتنزيهه سبحانه عما وقع منهم من ترك الشكر لنعمه المذكورة والتعجب من اخلالهم بذلك
وقد تقدم الكلام مستوفى فى معنى سبحان وهو فى تقدير الامر للعباد بان ينزهوه عما لا يليق
به والازواج الانواع والاصناف فكل زوج صنف لانه مختلف فى الالوان والطعوم
والاشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها قال قتادة يعنى الذكر والانثى (مما
تنبت الارض) بيان للازواج والمراد كل ما نبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها لانه
أصناف (ومن انفسهم) أى خلق الازواج من أنفسهم وهم الذكور والاناث (ومما
لا يعلمون) من أصناف خلقه فى البر والبحر والسماء والارض فى الاودية والبحار أشياء
لا يعلمها الناس ولم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها ووجه الاستدلال فى هذه الآية
انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغى ان يشرك به (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) الكلام فى هذا
كما قدمنا فى قوله وآية لهم الارض الخ والمعنى ان ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته
ووجوب الهيته والسلخ الكشط والنزع يقال سلخه الله من بدنه ثم يستعمل بمعنى
الاخراج فجعل سبحانه ذهاب الضوء ومجىء الظلمة كالسلخ من الشىء وهو استعارة بليغة
(فاذا هم مظلمون) أى داخلون فى الظلام مفاجأة وبغتة يقال أظلمنا أى دخلنا فى ظلام
الليل وأظهرنا دخلنا فى وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأمسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى
نسلخ عنه ضوء النهار فاذا هم فى ظلمة لان ضوء النهار يتداخل فى الهواء فيضىء فاذا خرج
منه أظلم قال الفراء يرمى بالنهار على الليل فيأتى بالظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار
داخل عليه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أى كشط وأزيل فتظهر الظلمة
وظاهره يشعر بان النهار طار على الليل قال المرزوقى الآية دلت على ان الليل قبل النهار
لان المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ كما ان المغطى قبل الغطاء لكن كلامه فى سورة الرعد
مؤذن بان بين الليل والنهار توالجا وتداخلا قال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل (والشمس تجرى لمستقر لها) يحتمل أن تكون الواو للعطف على الليل والتقدير
وآية لهم الشمس ويجوز أن تكون ابتدائية والشمس مبتدأ وما بعدها الخبر ويكون
الكلام مستأنفا مشتملا على ذكر آية مستقلة قيل وفى الكلام حذف والتقدير تجرى
لمجرى مستقر لها أى تنتهى فى سيرها الاجل مستقرلها وقيل اللام بمعنى الى قيل والمراد

عذاب غليظ) يقول تعالى مخبرا عمن اسلم وجهه لله اى أخلص له العمل وانقاد لامره واتبع شرعه ولهذا قال وهو محسن اى فى
عمله باتباع ما به امر وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعروة الوثقى اى فقد اخذ موثقا من الله متينا أنه لايعذبه والى الله عاقبة الامور
ومن كفر فلا يحزنك كفره اى لاتحزن عليهم يا محمد فى كفرهم بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم والى الله مرجعهم فينبئهم بما
عملوا اى فيجزيهم عليه ان الله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى نمتعهم قليلا اى فى الدنيا ثم نضطرهم اى نلجئهم
الى عذاب غليظ أى فظيع صعب مشق (١٨) على النفوس كما قال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع فى
الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
(ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل
أكثرهم لايعلمون لله ما فى السموات
والارض ان الله هو الغنى الحميد)
يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين
بانهم يعرفون ان الله خالق السموات
والارض وحده لاشريك له ومع
هذا يعبدون معه شركاء يعترفون
انها خلق له وملك له ولهذا قال
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل الحمد لله
اى اذ قامت عليكم الحجة باعترافكم
بل أكثرهم لايعلمون ثم قال تعالى
لله ما فى السموات والارض اى
هو خلقه وملكه ان الله هو الغنى
الحميد اى الغنى عما سواه وكل شئ
فقير اليه الحميد فى جميع ما خلق
له الحمد فى السموات والارض
على ما خلق وشرع وهو المحمود فى
الامور كلها (ولو أن ما فى الارض
من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان
الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة ان الله سميع
بصير) يقول تعالى مخبرا عن عظمته
وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لايحيط بها احد ولا اطلاع لبشر على كنهها قدرناه
واحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة
اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله اى ولو ان جميع اشجار الارض جعلت اقلاما وجعل البحر مدادا وامده
سبعة ابحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الاقلام ونفد ماء البحار ولو جاء امثالها مددا
وانما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات

بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر فلا تبقى لها حركة وقيل مستقرها هو أبعد ما تنتهى اليه
ولا تجاوزه وقيل نهاية ارتفاعها فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقيل مستقرها
تحت العرش لانها تذهب الى هنالك فتسجد فتستأذن فى الرجوع فيؤذن لها وهذا هو
الراجح وقال الحسن ان للشمس فى السنة ثلثمائة وستين مطلعا تنزل فى كل يوم مطلعا ثم
لاتنزل الى الحول فهى تجرى فى تلك المنازل وهو مستقرها وقيل ان الشمس فى الليل تسير
وتشرق على عالم آخر من أهل الارض وان كنا لانعرفه ويؤيد هذا القول ما قاله الفقهاء
فى باب المواقيت كالشمس الرملى من ان الاوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات
والنواحى فقد يكون المغرب عند ناعصرا عند آخرين ويكون الظهر صبحا عند آخرين
وهكذا وقيل غير ذلك وقرئ لامستقر لها بلا التى لنفى الجنس وبناء مستقر على الفتح وقرئ
لامستقر بلا التى بمعنى ليس ومستقر اسمها ولها خبرها (ذلك) أى ذلك الجرى على ذلك
الحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أى
الغالب القاهر بقدرته على كل مقدور (العليم) أى المحيط علمه بكل شئ ويحتمل أن تكون
الاشارة راجعة الى المستقر أى ذلك المستقر تقدير الله أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن
أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها
قال مستقرها تحت العرش وفى لفظ للبخارى وغيره من حديثه قال كنت مع النبى صلى
الله عليه وآله وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال يا أباذر أتدرى أين تغرب الشمس
قلت الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس
تجرى لمستقر لها وفى لفظ من حديثه أيضا عند أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم قال
يا أباذر أتدرى أين تذهب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد بين يدى
ربها فتستأذن فى الرجوع فيأذن لها وكأنها قد قيل لها اطلعى من حيث جئت فتطلع من
مغربها ثم قرأ ذلك مستقر لها وذلك قراءة عبد الله وأخرج الترمذى والنسائى وغيرهما
من قول ابن عمر نحوه قال النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث
قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن
تطلع وقيل تجرى الى مستقر لها وأجل لا تتعداه وعلى هذا فمستقرها انتهاء سيرها عند
انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (والقمر

التى لاتصدق ولاتكذب بل كما قال تعالى فى الآية الاخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فليس المراد بقوله بمثله آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جرا لانه لاحصر لآيات الله وكلماته قال الحسن البصرى لو جعل شجر الارض أقلاما وجعل البحور مدادا وقال الله ان من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحور وتكسرت الاقلام وقال قتادة قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى ولو ان مافى الارض من شجرة أقلام اى لو كان شجر الارض أقلاما ومع البحر سبعة ابحر ما كان لينفد عجائب ربى وحكمته (١٩) وخلقه وعلمه وقال الربيع بن أنس ان مثل علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام الآية يقول لو كان البحر مدادا لكلمات الله والاشجار كلها أقلاما لانكسرت الاقلام وفنى ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شئ لان أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغى حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق مانقول وقد روى ان هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابن اسحق حدثنى ابن أبى محمد عن سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس ان أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرأيت قولك وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا فقالوا ألست تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام الآية وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضى ان هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور انها مكية والله أعلم وقوله ان الله عزيز حكيم أى عزيز قد عز كل شئ وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم فى خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤنه وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة الى قدرته الا كنسبة نفس واحدة الجميع هين عليه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر أى لا يأمر بالشئ الا مرة واحدة فيكون ذلك الشئ لا يحتاج الى تكرره وتوكده فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقوله ان الله سميع

قدرناه منازل) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع القمر على الابتداء وقرأ الباقون بالنصب على الاشتغال وانتصاب منازل على انه مفعول لان قدرنا بمعنى صيرنا ويجوز أن يكون منتصبا على الحال أى قدرنا سيره حال كونه ذا منازل ويجوز أن يكون منتصبا على الظرفية أى فى منازل واختار أبو عبيد النصب فى القمر قال لان قبله فعلا وهو نسلخ وبعده فعلا وهو قدرنا قال النحاس أهل العربية جميعا فيما علمت على خلاف ما قال منهم الفراء قال الرفع أعجب الى قال وانما كان الرفع عندهم أولى لانه معطوف على ما قبله ومعناه وآية لهم القمر قال أبو حاتم الرفع أولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء والمنازل هى الثمانية والعشرون التى ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهى معروفة وسيأتى ذكرها فاذا صار القمر فى آخرها عاد الى أولها فيقطع الفلك فى ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ثم يطلع هلالا فيعود فى قطع تلك المنازل من الفلك كالعرجون أخرج الخطيب عن ابن عباس فى الآية قال هى ثمانية وعشرون منزلا ينزلها القمر فى كل شهر أربعة عشر منها شامية وأربعة عشر منها يمانية فاولها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك وهو آخر الشامية والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية ومقدم الدلو ومؤخر الدلو والحوت وهو آخر اليمانية سئل الرملى هل القمر الموجود فى كل شهر هو الموجود فى الآخر أو غيره فأجاب بان فى كل شهر قمرا جديدا انتهى وهذا يدل على صحة تجدد الامثال ان ثبت بالنص من الشارع ويمكن بمثله القول فى الشمس لكن لا دليل على ذلك كله (حتى عاد) فى آخر منازله فى رأى العين (كالعرجون القديم) هو عود الشمراخ بالضم اذا يبس واعوج والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه فاذا سار هذه الثمانية وعشرين منزلا عاد كالعرجون القديم كما كان فى أول الشهر وهذا يدفع ما ذكره الرملى فليتأمل وقال ابن عباس العرجون القديم أصل العذق العتيق قال الزجاج العرجون هو عود العذق الذى فيه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف أى سار فى منازله حتى اذا

بصيرأى كما هو سميع لاقوالهم بصير بافعالهم كسمعه وبصره بالنسبة الى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة
ولهذا قال تعالى ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة الاية (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان مايدعون من دونه الباطل وأن الله
هو العلى الكبير) يخبر تعالى انه يولج الليل فى النهار بمعنى يأخذ منه فى النهار فيطول ذاك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف
يطول النهار الى الغاية ثم يشرع فى النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون فى الشتاء وسخر الشمس والقمر

كل يجرى الى أجل مسمى قيل الى
غاية محدودة وقيل الى يوم القيامة
وكلا المعنيين صحيح ويستشهد
للقول الاول بحديث أبى ذر رضى
الله عنه الذى فى الصحيحين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ياأباذر
أتدرى أين تذهب هذه الشمس
قلت الله ورسوله أعلم قال فانها
تذهب فتسجد تحت العرش ثم
تستأذن ربها فيوشك ان يقال لها
ارجعى من حيث جئت وقال ابن
أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح
حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج
عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس
انه قال الشمس بمنزلة الساقية تجرى
بالنهار فى السماء فى فلكها فاذا غربت
جرت بالليل فى فلكها تحت الارض
حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك
القمر اسناده صحيح وقوله وان الله
بما تعملون خبير كقوله ألم تعلم أن
الله يعلم مافى السماء والارض
ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم
بجميع الاشياء كقوله تعالى
الله الذى خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن الاية وقوله تعالى
ذلك بان الله هو الحق وان مايدعون
من دونه الباطل أى انما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على انه الحق أى الموجود الحق ألا انه الحق وان كل
ماسواه باطل فانه الغنى عما سواه وكل شئ فقير اليه لان كل مافى السموات والارض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على
تحريك ذرة الا باذنه ولو اجتمع كل أهل الارض على ان يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى ذلك بان الله هو الحق وانما
يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير أى العلى الذى لاأعلى منه الكبير الذى هو أكبر من كل شئ فكل شئ خاضع حقير
بالنسبة اليه (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج

كان فى آخرها دق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون زائدة
قال قتادة هو العذق اليابس المنحنى من النخلة قال ثعلب العرجون الذى يبقى فى النخلة
اذا قطعت والقديم البالى وقال الخليل العرجون أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه
به الهلال اذا انحنى وكذا قال الجوهرى انه أصل العذق الذى يعوج ويقطع منه
الشماريخ فيبقى على النخل يابسا وعرجنه ضربه بالعرجون وعلى هذا فالنون أصلية قرأ
الجمهور بضم العين والجيم وقرئ بكسر العين وفتح الجيم وهما لغتان (لاالشمس ينبغى لها)
مرفوعة بالابتداء أى لايصح ولايمكن للشمس ولايستقيم ولايتسهل (أن تدرك القمر)
فى سرعة السير وتنزل فى المنزل الذى فيه القمر وتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله
فى سلطانه فتطمس نوره لان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان ولان لكل واحد
منهما سلطانا على انفراده فلا يتمكن أحدهما من الدخول على الآخر فيذهب سلطانه الى
أن يأذن الله بالقيامة فتطلع الشمس من مغربها ويفهم من الآية ان حركتها بالتسخير
لابارادتها ونفى الله تعالى الادراك عن الشمس دون عكسه لان مسير القمر أسرع لانه
يقطع فلكه فى شهر والشمس لاتقطع فلكها الا فى سنة فكانت جديرة بان توصف بنفى
الادراك لبطء سيرها وكان القمر خليقا بان يوصف بنفى السبق لسرعة سيره كما سيأتى
وقال الضحاك معناه اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس
ضوء وقال مجاهد اى لايشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر وقال الحسن انهما لايجتمعان
فى السماء ليلة الهلال خاصة وكذا قال يحيى بن سلام وقيل معناه اذا اجتمعا فى السماء
كان أحدهما بين يدى الآخر فى منزل لايشتركان فيه وقيل القمر فى سماء الدنيا والشمس
فى السماء الرابعة ذكره النحاس والمهدوى قال النحاس وأحسن ماقيل فى معناه وأبينه
أن سير القمر سريع والشمس لاتدركه فى السير وأما قوله تعالى وجمع الشمس والقمر
فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ماتقدم بيانه فى الانعام ويأتى فى سورة القيامة
أيضا وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا وقيام الساعة (ولا الليل سابق النهار) أى لايسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه ويجئ كل واحد منهما فى وقته ولايسبق صاحبه وقيل المراد من
الليل والنهار آيتاهما وهما الشمس والقمر فيكون عكس قوله لاالشمس ينبغى لها أن
تدرك القمر أى ولا القمر سابق الشمس وايراد السبق مكان الادراك لسرعة سير القمر

وهما

كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) يخبر تعالى انه الذى سخر
البحر لتجرى فيه الفلك بامره أى بلطفه وتسخيره فانه لولا ما جعل فى الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ولهذا قال ليريكم
من آياته أى من قدرته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أى صبار فى الضراء شكور فى الرخاء ثم قال تعالى واذا غشيهم موج
كالظلل أى كالجبال والغمام دعوا الله مخلصين له الدين كما قال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وقال تعالى
فاذا ركبوا فى الفلك الآية ثم قال تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قال مجاهد أى كافر كأنه فسر المقتصد ههنا
بالجاحد كما قال تعالى فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون وقال
ابن زيد هو المتوسط فى العمل وهذا
الذى قاله ابن زيد هو المراد فى قوله
تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط
فى العمل ويحتمل أن يكون مرادا
هنا ايضا ويكون من باب
الانكار على من شاهد تلك
الاهوال والامور العظام والآيات
الباهرات فى البحر ثم بعد ما أنعم
الله عليه بالخلاص كان ينبغى أن
يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب
فى العبادة والمبادرة الى الخيرات فمن
اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة
هذه والله أعلم وقوله تعالى وما يجحد
بآياتنا الا كل ختار كفور فالختار هو
الغدار قاله مجاهد والحسن وقتادة
ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذى
كلما عاهد نقض عهده والختر
أتم الغدر وأبلغه قال عمرو بن
معديكرب

وانك لو رأيت أبا عمير
ملأت يديك من غدر وختر

وقوله كفور أى جحود للنعم
لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

(يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) يقول تعالى منذرا للناس يوم المعاد وآمرا لهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث
لا يجزى والد عن ولده اى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله
فلا تغرنكم الحياة الدنيا أى لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان قاله ابن عباس
ومجاهد والضحاك وقتادة فانه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شئ كما قال تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان

وهما نيران لا يزال أمرهما على هذا الترتيب الى أن تقوم الساعة فيجمع الله بين الشمس
والقمر وتطلع الشمس من مغربها وهذا لا ينافى ان الليل برمته سابق فى الوجود على النهار
برمته وهو أحد قولين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان النهار مخلوق قبل الليل وان
الليل لم يسبقه بالخلق ووجه الاستدلال ان المعنى ليس الليل سابق النهار يعنى بل النهار هو
السابق وهذا نظر الى مقابلة جملة الليل بجملة النهار والآية محتملة لكل من القولين
(وكل فى فلك يسبحون) التنوين فى كل عوض من المضاف اليه أى وكل واحد منهما
والفلك هو الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة قال العماد بن كثير فى البداية
والنهاية حكى ابن حزم وابن الجوزى وغير واحد الاجماع على أن السموات كرية مستديرة
واستدل عليه بهذه الآية قال الحسن يدورون وقال ابن عباس فى فلكة مثل فلكة المغزل
قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق قال
ابن حجر حكى الاجماع على ان السموات مستديرة جمع وأقاموا عليها الادلة وخالف فى ذلك
فرق يسيرة من أهل الجدل وقال ابن العربى السموات ساكنة لا حركة فيها جعلها الله ثابتة
مستقرة هى لنا كالسقف للبيت ولهذا اسماها السقف المرفوع واستخرج أهل البديع
من لفظ كل فى فلك صنعة القلب ونحوه قوله تعالى وربك فكبر والسبح السير بانبساط
وسهولة والجمع باعتبار اختلاف مطالعهما فكانهما متعددان بتعددها أو المراد الشمس
والقمر والكواكب ثم ذكر سبحانه وتعالى نوعا آخر مما امتن به على عباده من النعم
فقال (وآية لهم) ارتفاع آية على انها خبر مقدم والمبتدأ أنا حملنا أو العكس اى علامة
ودلالة وقيل معنى آية هنا العبرة وقيل النعمة وقيل النذارة وقد اختلف فى معنى (أنا
حملنا ذريتهم) والى من يرجع الضمير لان الضمير الاول وهو قوله وآية لهم لاهل مكة أو
لكفار العرب أو للكفار على الاطلاق الكائنين فى عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقيل
الضمير يرجع الى القرون الماضية والمعنى ان الله حمل ذرية القرون الماضية (فى الفلك
المشحون) فالضميران مختلفان وهذا حكاه النحاس عن الاخفش وقيل الضميران لكفار
مكة ونحوهم والمعنى ان الله حمل ذرياتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله
عليهم بذلك أى انهم يحملونهم معهم فى السفن اذا سافروا أو يبعثون أولادهم للتجارة لهم
فيها وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته وقيل

الاغرورا قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلاء قومى اشتد حزنى وكثر همى وأرق نومى فتضرعت الى ربى وصليت وصمت فانا فى ذلك التضرع أبكى اذ أتانى الملك فقلت له اخبرنى هل تشفع أرواح المصدقين للظلمة أو الآباء لابنائهم قال ان القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد الا باذن الرحمن ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحدهم بغيره ولا يحزن لحزنه ولا أحد يرحمه كل مشفق على نفسه ولا يؤخذ انسان عن انسان كل يهمه همه ويبكى عوله ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره رواه ابن أبى حاتم (٢٢) (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير) هذه مفاتيح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد الا بعد اعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب لا يجليها لوقتها الا هو وكذلك انزال الغيث لا يعلمه الا الله ولكن اذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم مافى الارحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن اذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا فى دنياها وأخراها وماتدرى نفس بأى أرض تموت فى بلدها أم غيره من أى بلاد الله كان لا علم لاحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الآية وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين ابن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة سمعت أبى بريدة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس لا يعلمهن الا الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوه (حديث ابن عمر) قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير انفرد باخراجه البخارى فرواه فى

الذرية الآباء والاجداد والفلك هو سفينة نوح أى ان الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم فى سفينة نوح قال الواحدى والذرية تقع على الآباء كما تقع على الاولاد قال أبو عثمان وسمى الآباء ذرية لان منهم ذرء الابناء وقيل الذرية النطف الكائنة فى بطون النساء وشبه البطون بالفلك المشحون قاله على بن أبى طالب ذكره الماوردى والراجح القول الثانى ثم الاول ثم الثالث وأما الرابع ففى غاية البعد والنكارة وقد تقدم الكلام فى الذرية واشتقاقها فى سورة البقرة مستوفى وقيل ان الضمير فى قوله لهم يرجع الى العباد المذكورين فى قوله ياحسرة على العباد لانه قال بعد ذلك وآية لهم الارض الميتة وقال وآية لهم الليل ثم قال وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فكأنه قال وآية للعباد أنا حملنا ذريات العباد ولا يلزم أن يكون المراد باحد الضميرين البعض منهم وبالضمير الآخر البعض الآخر وهذا قول حسن والمشحون المملوء الموقر والفلك يطلق على الواحد والجمع كما تقدم فى يونس عن أبى مالك فى الآية قال فى سفينة نوح حمل فيها من كل زوجين اثنين وعن أبى صالح نحوه وعنه فى الآية قال يعنى الابل خلقها الله كما رأيت فهى سفن البر يحملون عليها ويركبونها ومثله عن الحسن وعكرمة وعبد الله بن شداد ومجاهد (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) أى وخلقنا لهم مما يماثل الفلك مايركبونه على ان ما هى الموصولة ومن زائدة وقال مجاهد وقتادة وجماعة من أهل العلم من المفسرين وهى الابل خلقها لهم للركوب فى البر مثل السفن المركوبة فى البحر والعرب تسمى الابل سفائن البر وقيل المعنى وخلقنا لهم سفنا امثال تلك السفن يركبونها قاله الحسن والضحاك وأبو مالك وقال النحاس وهذا أصح لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وقيل هى السفن المتخذة بعد سفينة نوح قلت والعموم أولى ولا وجه للتخصيص فيشمل كل مايركب حيوانا كان أو جمادا دخانا كان أو ريحا كالعجلات الحادثة فى هذا الزمان وما سيحدث فى المستقبل بتلاحق الافكار وتعامل الأيدى والانظار (وان نشأ نغرقهم) هذا من تمام الآية التى امتن الله بها عليهم ووجه الامتنان انه لم يغرقهم فى لجج البحار مع قدرته على ذلك أو لم يحرقهم بنار العجلات الدخانية الحادثة الآن والضمير يرجع الى أصحاب الذرية أو الى الذرية أو الى الجميع على اختلاف الاقوال (فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى المصرخ والمصرخ هو المغيث أى فلا مغيث لهم يغيثهم ان شئنا اغراقهم أو احراقهم وقيل هو المنعة وكما يطلق الصريخ على

المغيث

كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن سعيد الثوري به ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا
يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام انفرد به أيضا ورواه الامام أحمد عن
غندر عن شعبة عن عمر بن محمد انه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوتيت مفاتيح كل شيء الا الخمس ان
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس (٢٣) ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض
تموت ان الله عليم خبير وكذا رواه
عن محمد بن جعفر عن شعبة عن
عمرو بن مرة به وزاد في آخره قال
قلت له انت سمعته من عبد الله قال
نعم أكثر من خمسين مرة ورواه أيضا
عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة
به وهذا اسناد حسن على شرط
السنن ولم يخرجوه (حديث أبي
هريرة) قال البخاري عند تفسير
هذه الآية حدثنا اسحق عن جرير
عن أبي حيان عن أبي زرعة عن
أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا
للناس اذ أتاه رجل يمشي فقال
يارسول الله ما الايمان قال الايمان
ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر
قال يارسول الله ما الاسلام قال
الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به
شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول
الله ما الاحسان قال الاحسان ان
تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك قال يارسول الله متى
الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من
السائل ولكن سأحدثك عن
أشراطها اذا ولدت الامة ربتها
فذاك من اشراطها واذا كان الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الآية ثم انصرف الرجل فقال ردوه علي فاخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال هذا جبريل جاء ليعلم
الناس دينهم ورواه البخاري أيضا في كتاب الايمان ومسلم من طرق عن ابي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا
ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من افراد مسلم (حديث ابن عباس) قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر
حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فأتاه جبريل
فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الاسلام قال رسول

المغيث يطلق على الصارخ وهو المستغيث فهو من الاضداد كما صرح به أهل اللغة
ويكون مصدرا بمعنى الاغاثة لانه في الاصل بمعنى الصراخ وهو صوت مخصوص وكل
منهما صحيح هنا قاله الشهاب (ولا هم ينقذون) أي لا يخلصون ولا ينجون يقال أنقذه
واستنقذه اذا خلصه من مكروه (الا رحمة منا) استثناء مفرغ من أعم العلل أي لا صريخ
لهم ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا لرحمة منا كذا قال الكسائي والزجاج وغيرهما وقيل
هو استثناء منقطع أي لكن لرحمة منا (ومتاعا) أي نمتعهم بالحياة الدنيا (الى حين) وهو
الموت قاله قتادة وقال يحيى بن سلام الى القيامة (واذا قيل لهم) بيان لاعراضهم عن
الآيات التنزيلية بعد بيان أعراضهم عن الآيات الافاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم
تأملهم فيها (اتقوا ما بين أيديكم) من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم (وما خلفكم)
منها قال قتادة أي اتقوا ما بين أيديكم من الوقائع فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم
في الآخرة وقال سعيد بن جبير ومجاهد ما بين أيديكم ما مضى من الذنوب وما خلفكم
ما بقي منها وقيل ما بين أيديكم الدنيا وما خلفكم الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا
القول الثعلبي عن ابن عباس وقيل ما بين أيديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفي عنكم
وجواب اذا محذوف والتقدير اذا قيل لهم ذلك أعرضوا كما يدل عليه الا كانوا عنها معرضين
(لعلكم ترحمون) أي رجاء ان ترحموا أو كي ترحموا أو راجين ان ترحموا (وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم) ما هي النافية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ومن الاولى مزيدة
للتوكيد والثانية للتبعيض والمعنى ما تأتيهم من آية دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم وعلى صحة ما دعا اليه من التوحيد في حال من الاحوال (الا كانوا عنها معرضين)
وظاهره يشمل الآيات التنزيلية والتكوينية والمراد بالاعراض عدم الالتفات اليها
وترك النظر الصحيح فيها وهذه الآية متعلقة بقوله ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤن اذا جاءتهم الرسل كذبوا واذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها (واذا قيل
لهم) اشارة الى انهم أخلوا بجميع التكاليف لان جملتها ترجع الى أمرين التعظيم لجانب
الله والشفقة على خلق الله (أنفقوا مما رزقكم الله) أي تصدقوا على الفقراء مما أعطاكم
الله وأنعم به عليكم من الاموال قال الحسن يعني اليهود أمروا باطعام الفقراء وقال
مقاتل ان المؤمنين قالوا لكفار قريش أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من أموالكم

الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال فاذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال اذا فعلت ذلك فقد اسلمت قال يارسول الله فحدثنى ما الايمان قال الايمان ان تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال اذا فعلت ذلك فقد آمنت قال يارسول الله حدثنى ما الاحسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعمل لله كأنك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك قال يارسول الله فحدثنى متى الساعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله خمس لا يعلمهن الا هو ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت الآية ولكن ان شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك قال أرجل يارسول الله فحدثنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الامة ولدت ربتها أو ربها ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون فى البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها قال يارسول الله ومن اصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة قال (١) العريب حديث غريب ولم يخرجوه حديث رجل من بنى عامر عن ربعى بن حراش روى الامام احمد عن رجل من بنى عامر انه استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أسلج فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرجى اليه فانه لا يحسن الاستئذان فقولى له فليقل السلام عليكم أأدخل قال فسمعته يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل فاذن لى فدخلت فقلت بم أتيتنا به قال لم آتكم الا بخير أتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تدعوا اللات والعزى وان تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات وأن تصوموا من السنة شهرا وان تحجوا البيت وان تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم قال فقال فهل بقى من العلم شئ لا تعلمه قال قد علمنى الله عز وجل خيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا الله عز وجل الخمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الآية وهذا اسناد صحيح وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال ان امرأتى حبلى ما تلد وبلادنا جدبة فاخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرنى متى أموت فانزل الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة الى قوله عليم خبير قال الشئ

من الحرث والأنعام كما فى قوله سبحانه وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فكان جوابهم ما حكاه الله عنهم بقوله (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم وتهكما بقولهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) أى من لو يشاء الله رزقه وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون ان الرازق هو الله وانه يغنى من يشاء ويفقر من يشاء فكأنهم حاولوا بهذا القول الالزام للمسلمين وقالوا نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فان الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضا ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا للغنى لا استحقاقا وأمر الغنى أن يطعم الفقير وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم من لو يشاء الله أطعمه هو وان كان كلاما صحيحا فى نفسه ولكنهم لما قصدوا به الانكار لقدرة الله وانكار جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الحيثية باطلا (ان أنتم) فى قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (الا فى ضلال مبين) أى بين وهذا من تمام كلام الكفار والمعنى انكم أيها المسلمون فى سؤال المال وأمرنا باطعام الفقراء لفى ضلال فى غاية الوضوح والظهور وقيل هو من كلام الله سبحانه جوابا على هذه المقالة التى قالها الكفار وقيل هو من قول أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم وقال القشيرى والماوردى ان الآية نزلت فى قوم من الزنادقة وقد كان فى كفار قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع فقالوا هذه المقالة استهزاء بالمسلمين ومناقضة لهم وحكى نحو هذا القرطبى عن ابن عباس ولهذا أظهر فى مقام الاضمار قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك ويقول قد منعه الله أفأطعمه أنا (ويقولون متى هذا الوعد) الذى تعدونا به من البعث والعذاب والقيامة والمصير الى الجنة والنار وهذا رجوع للكلام مع الكفار من قريش المعترفين بوجود الله تعالى (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه وتعدونا به قالوا ذلك استهزاء منهم وسخرية بالمؤمنين ومقصودهم انكار ذلك بالمرة ونفى تحققه وجحد وقوعه فاجاب الله سبحانه عنهم بقوله (ما ينظرون) أى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى نفخة اسرافيل فى الصور وهذه النفخة هى الاولى وهى نفخة الصعق التى يموت بها من كان موجودا على وجه الارض وجعلوا منتظرين نظرا الى قولهم متى تقع لان من قال متى يقع

---

(١) قوله العريب قوله بعد أسلج كذا بالنسخ التى بايدينا وحرر اه

مجاهد وهى مفاتيح الغيب التى قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وقال الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها انها قالت من حدثك انه يعلم مافى غد فقد كذب ثم قرأت وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وقوله تعالى وماتدرى نفس بأى أرض تموت قال قتادة أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة أو فى أى شهر أو ليل أو نهار وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا ويعلم مافى الارحام فلا يعلم احد مافى الارحام أذكر أم

أنثى أحمر أو أسود وماهو وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا أخير أم شر ولا تدرى ياابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت اى ليس احد من الناس يدرى أين مضجعه من الارض أفى بحر أم بر أو سهل أو جبل وقد جاء فى الحديث اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة فقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير فى مسند أسامة بن زيد حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ايوب عن ابى المليح عن اسامة ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجعل الله ميتة عبد بأرض الا جعل له فيها حاجة وقال عبد الله ابن الامام احمد حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن أبى اسحق عن مطر بن عكاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله ميتة عبد بأرض جعل له اليها حاجة وهكذا رواه الترمذى فى القدر من حديث سفيان الثورى به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود فى المراسيل فالله أعلم وقال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا ايوب عن ابى المليح بن اسامة عن أبى عزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها أو قال بها حاجة وأبو عزة هذا هو بشار بن عبد الله ويقال ابن عبد الهذلى وأخرجه الترمذى من حديث اسمعيل حدثنا عبيد الله بن أبى حميد عن أبى المليح عن أبى عزة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الى عليم خبير حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد ابن ثابت الجحدرى ومحمد بن يحيى القطعى قالا حدثنا عمر بن على حدثنا اسمعيل عن قيس عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله

الشئ الفلانى يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه (تأخذهم وهم يخصمون) أى يختصمون فى ذات بينهم فى البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا ويتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح هذا فى الاحاديث الصحيحة وهى معروفة فى كتب السنة وقرئ يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا وقرئ باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد وباظهار فتحة الخاء وتشديد الصاد وبكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل فى القراآت الثلاث يختصمون وقرأ أبى على الاصل والقراآت كلها سبعية (فلا يستطيعون توصية) أى لا يستطيع بعضهم أن يوصى الى بعض بماله وما عليه أو لا يستطيع أن يوصيه بالتوبة والاقلاع عن المعاصى بل يموتون فى أسواقهم ومواضعهم قال أبو هريرة تقوم الساعة والناس فى أسواقهم يتبايعون ويذرعون الثياب ويحلبون اللقاح وفى حوائجهم فلا يستطيعون توصية الآية وعن الزبير بن العوام قال ان الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب والرجل يحلب الناقة ثم قرأ الآية وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ولا يطعمه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ولا الى أهلهم يرجعون) أى الى منازلهم التى ماتوا خارجين عنها بل يموتون حيث يسمعون الصيحة لان الساعة لا تمهلهم بشئ وقيل المعنى لا يرجعون الى أهلهم قولا وهذا اخبار عما ينزل بهم عند النفخة الاولى ثم أخبر سبحانه عما ينزل بهم عند النفخة الثانية فقال (ونفخ فى الصور) وهى النفخة التى يبعثون بها من قبورهم وما بين النفختين أربعون سنة أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعبر عن المستقبل بلفظ الماضى حيث قال ونفخ تنبيها على تحقق وقوعه كما ذكره أهل البيان وجعلوا هذه الآية مثالا له والصور باسكان الواو هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل

عليه وسلم اذا أراد الله قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحدا رفعه الا عمر بن علي المقدمي
وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال انشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان

فما تزود مما كان يجمعه * سوى حنوط غداة البين مع خرق
وغير نفحة أعواد تشب له * وقل ذلك من زاد لمنطلق
لا تأسين على شئ فكل فتى * الى منيته سيار في عنق
وكل من ظن أن الموت يخطئه * معلل باعاليل من الحمق
بأيما بلدة تقدر منيته * إن لا يسير اليها طائعا يسق

(٢٦) أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحرث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو متزوج باخت الشعبي وقد كان ممن طلب العلم والتفقه ثم عدل الى صناعة الشعر فعرف به وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا اذا كان أجل احدكم بارض أتت له اليها حاجة فاذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عزوجل فتقول الارض يوم القيامة يارب هذا ما أودعتني قال الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جعل الله منية عبد بارض الا جعل له اليها حاجة آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تفسير سورة الم السجدة وهي مكية)

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري وقال الامام أحمد حدثنا اسود بن عامر اخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك تفرد به أحمد
(بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تنزيل

كما وردت بذلك السنة واطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب وقد مضى هذا مستوفى في سورة الانعام وقال قتادة الصور جمع صورة أي نفخ في الصور الارواح (فاذاهم من الاجداث) أي القبور جمع جدث وهو القبر وقرئ الاجداف بالفاء وهي لغة واللغة الفصيحة بالثاء المثلثة (الى ربهم ينسلون) أي يسرعون ويعدون ويخرجون منها أحياء بسرعة بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار فالنسل والنسلان الاسراع في السير يقال نسل الذئب ينسل كضرب يضرب ويقال ينسل بالضم أيضا وهو الاسراع في المشي (قالوا) عند بعثهم من القبور بالنفخة (ياويلنا) نادوا ويلهم كأنهم قالوا له احضر فهذا أوان حضورك وهو مصدر لا فعل له من لفظه بل من معناه وهو هلاك وهؤلاء القائلون هم الكفار قال ابن الانباري الوقف على ياويلنا وقف حسن ثم يبتدئ الكلام بقوله (من بعثنا من مرقدنا) أي مضجعنا ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع انهم كانوا نياما قرئ من بعثنا على الاستفهام وبكسر الميم على انها حرف جر وفي قراءة أبي من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقيل انهم يقولون ذلك اذا عاينوا جهنم وقال أبو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية وعن أبي بن كعب في الآية قال ينامون قبل البعث نومة وعن مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم انتهى فعليه يكون قولهم من مرقدنا حقيقة لان المرقد حقيقة هو مكان النوم وقيل ان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا في الثانية عاينوا أهوال القيامة ودعوا بالويل (هذا ما وعد الرحمن) جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين المتقين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض قال بالاول الفراء وبالثاني مجاهد وقال قتادة هي من قول الله سبحانه وما في ما وعد موصولة وعائدها محذوف أي هذا الذي وعده الرحمن (وصدق) فيه (المرسلون) قد حق عليكم ونزل بكم ومفعولا الوعد والصدق محذوفان أي وعدكموه الرحمن وصدقكموه المرسلون والاصل وعدكم به وصدقكم فيه أو وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون على ان هذا من قول المؤمنين أو من قول الكفار أقروا حين لا ينفعهم الاقرار (ان) أي (ما كانت) تلك النفخة الثانية التي حكيت عنهم آنفا (الا صيحة واحدة) صاحها اسرافيل بنفخه في الصور (فاذاهم جميع لدينا محضرون)

الكتاب لا ريب فيه أى لا شك فيه ولا مرية انه منزل من رب العالمين ثم قال تعالى مخبرا عن المشركين أم يقولون افتراه أى اختلقه من تلقاء نفسه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون أى يتبعون الحق (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) يخبر تعالى انه الخالق للاشياء فخلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش (٢٧) وقد تقدم الكلام على ذلك ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أى بل هو المالك لازمة الامور الخالق لكل شئ المدبر لكل شئ القاهر على كل شئ فلا ولى لخلقه سواه ولا شفيع الا من بعد اذنه أفلا تتذكرون يعنى أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل لا اله الا هو ولا رب سواه وقد أورد النسائى ههنا حديثا فقال حدثنا ابراهيم بن يعقوب حدثنى محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الاخضر بن عجلان عن ابن جريج المكى عن عطاء عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدى فقال ان الله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة فى آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلقه من أديم الارض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها من اجل ذلك جعل الله من بنى آدم الطيب والخبيث هكذا أورد هذا الحديث اسنادا وقد أخرج مسلم والنسائى أيضا من حديث حجاج بن محمد الاعور عن ابن جريج عن اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق وقد علله البخارى فى كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الاحبار وهو أصح وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلم وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه أى يتنزل أمره من أعلى السموات الى أقصى تخوم الارض السابعة كما قال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن الآية وترفع الاعمال الى ديوانها

أى فاذا هم مجموعون محضرون لدينا بسرعة للحساب والعقاب (فاليوم لا تظلم نفس من النفوس (شيئا) مما تستحقه أى لا ينقص من ثواب عملها شيئا من النقص ولا تظلم فيه بنوع من أنواع الظلم وهذا حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم (ولا تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) فى الدنيا أو الا بما كنتم تعملونه أى بسببه أو فى مقابلته ولما ذكر الله سبحانه حال الكافرين أتبعه بحكاية حال عباده الصالحين وجعله من جملة ما يقال للكفار يومئذ زيادة لحسرتهم وتكميلا لجزعهم وتتميما لما نزل بهم من البلاء وما شاهدوه من الشقاء فاذا رأوا ما أعد الله لهم من العذاب وما أعده لأوليائه من أنواع النعيم بلغ ذلك من قلوبهم مبلغا عظيما وزاد فى ضيق صدورهم زيادة لا يقادر قدرها فقال (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) لما هم فيه من اللذات التى هى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عن الاهتمام بأمر الكفار ومصيرهم الى النار وان كانوا من قراباتهم والاولى عدم تخصيص الشغل بشئ معين والشغل هو الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤنه لكونه أهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان وقال قتادة ومجاهد شغلهم ذلك اليوم بافتضاض العذارى وبه قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعن ابن عمر أن المؤمن كلما أراد زوجه وجدها عذراء وقد روى نحوه مرفوعا وعن ابن عباس أيضا قال فى ضرب الاوتار وقال أبو حاتم هذا لعله خطأ من المستمع وانما هو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار وقال وكيع شغلهم بالسماع وقال ابن كيسان بزيارة بعضهم بعضا وقيل شغلهم كونهم ذلك اليوم فى ضيافة الله الجبار وقيل شغلهم عما فيه أهل النار على الاطلاق أو عن أهاليهم فى النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية واما أن المراد به افتضاض الابكار أو السماع أو ضرب الاوتار أو التزاور أو ضيافة الجبار كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه قرئ شغل بضمتين وبضم الشين وسكون الغين

فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول
من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى في يوم كان مقداره
ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة أي المدبر لهذه الامور الذي هو شهيد على اعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيرها
وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودان له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم
في عزته (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ (٢٨) خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه
من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى مخبرا انه الذي احسن خلق الاشياء وأتقنها وأحكمها وقال مالك عن زيد بن اسلم الذي احسن كل شيء خلقه قال احسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والارض شرع في ذكر خلق الانسان فقال تعالى وبدأ خلق الانسان من طين يعني خلق أبا البشر آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ثم سواه يعني آدم لما خلق من تراب خلقه سويا مستقيما ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني العقول قليلا ما تشكرون اي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل (وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) يقول تعالى مخبرا عن
المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا أئذا ضللنا في الارض اى تمزقت أجسامنا وتفرقت في ولهم
اجزاء الارض وذهبت أئنا لفي خلق جديد اى أئنا لنعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة الى قدرهم
العاجزة لا بالنسبة الى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى
بل هم بلقاء ربهم كافرون ثم قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الظاهر من هذه الآية ان ملك الموت شخص معين من
الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور قاله قتادة

وهما لغتان كما قال الفراء وقرئ بفتحتين وبفتح الشين وسكون الغين (فاكهون) وقرئ فكهين وفكهون قال الفراء هما لغتان كالناره والفره والحاذر والحذر وقال الكسائي وأبو عبيدة الفاكه ذو الفاكهة مثل تامر ولابن والفكه المتفكه المتنعم وقال قتادة الفكهون المعجبون وقال أبو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس ضحوكا وقال مجاهد والضحاك كما قال قتادة وقال السدي كما قال الكسائي وقال ابن عباس فاكهون فرحون وقيل ناعمون متلذذون في النعمة من الفكاهة وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفاكهة وفسرها زاده بطيب العيش والنشاط (هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون) مستأنفة مسوقة لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم سرورا وبهجة من كون أزواجهم معهم على هذه الصفة من الاتكاء على الارائك تحت تلك الظلال والظلال جمع ظل وقرئ ظلل بضم الظاء جمع ظلة والظل هو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس والظلة ما سترك عن الشمس وعلى القراءتين فالمراد الفرش والستور التي تظللهم كالخيام والحجال والارائك جمع أريكة كسفائن جمع سفينة والمراد بها السرر التي في الحجال قال أحمد بن يحيى ثعلب الاريكة لا تكون الا سريرا في قبة وقال مقاتل ان المراد بالظلال أكنان القصور وجملة (لهم فيها فاكهة) مبينة لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ونحوها ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس أي ولهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم ما يدعون) ما هذه هي الموصولة والعائد محذوف أو موصوفة أو مصدرية ويدعون مضارع ادعى قال أبو عبيد يدعون يتمنون والعرب تقول ادع علي ما شئت أي تمن وفلان في خير ما يدعي أي يتمنى قال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل قيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيأ فهو له لان الله قد طبعهم على ان لا يدعي أحد منهم شيأ الا وهو يحسن ويجمل به أن يدعيه وقرئ يدعون بالتخفيف ومعناه واضح قال ابن الانباري والوقف على يدعون وقف حسن ثم يبتدئ (سلام) على معنى لهم سلام وقيل ان سلام هو خبر ما أي مسلم خالص أو ذو سلامة وقال الزجاج سلام بدل من ما أي

وغير واحد وله أعوان وهكذا ورد في الحديث ان اعوانه ينتزعون الارواح من سائر الجسد حتى اذا بلغت الحلقوم تناولها ملك
الموت قال مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء ورواه زهير بن محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم
بنحوه مرسلا وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا يحيى بن ابي يحيى المقرى حدثنا عمرو بن سمرة عن
جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا بكل فاني مؤمن رفيق
واعلم ان ما في الارض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وأنا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى اني أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو أني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها قال جعفر بلغني أنه انما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة فاذا حضرهم عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهدا يقول ما على ظهر الارض من بيت شعر أو مدر الا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين وقال كعب الاحبار والله ما من بيت فيه احد من اهل الدنيا الا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه احد أمر يتوفاه رواه ابن ابي حاتم وقوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون اي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم (ولو ترى اذ
المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن
حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون) يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عزوجل حقيرين ذليلين
ناكسي رؤسهم اي من الحياء والخجل يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي نحن الآن نسمع قولك ونطيع امرك كما قال تعالى أسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا وكذلك يعودون على انفسهم بالملامة اذا دخلوا النار بقولهم لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهكذا

ولهم أن يسلم الله عليهم وهذا منى أهل الجنة والاولى أن يحمل قوله ولهم ما يدعون
على العموم وهذا السلام يدخل تحته دخولا أوليا ولا وجه لقصره على نوع خاص وان
كان أشرف أنواعه تحقيقا لمعنى العموم ورعاية لما يقتضيه النظم القرآني وقيل ان سلام
مبتدأ وخبره الناصب لقولا أي سلام يقال لهم (قولا) وقيل التقدير سلام عليكم
وقرئ سلاما على المصدرية أو على الحالية بمعنى خالصا والسلام اما من التحية أو من
السلامة وقرئ يسلم كأنه قال يسلم لهم لا يتنازعون فيه وانتصاب قولا على انه مصدر لفعل
محذوف أي قال الله لهم ذلك قولا أو يقوله لهم قولا (من رب رحيم) أي من جهته قيل
يرسل الله سبحانه اليهم بالسلام وقال مقاتل ان الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل
باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من رب رحيم وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا
في صفة الجنة والبزار وابن أبي حاتم والآجري في الرؤية وابن مردويه عن جابر قال قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا
الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله سلام
قولا من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا
ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم قال ابن كثير في اسناده
نظر وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال ان الله هو يسلم عليهم
(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) هو على اضمار القول مقابل ما قيل للمؤمنين اي ويقال
للمجرمين امتازوا أي اعتزلوا من مازه يميزه يقال مزت الشيء من الشيء اذا عزلته عنه
ونحيته قال مقاتل معناه اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي
كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار
بهم الى الجنة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه
أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض وقال قتادة عزلوا عن
كل خير وقال الضحاك يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى
فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة الاوثان فرقة وقال داود بن الجراح يمتاز
المسلمون من المجرمين الا أصحاب الاهواء فانهم يكونون مع المجرمين ثم وبخهم سبحانه
وقرعهم بقوله (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) وهذا من جملة ما يقال

هؤلاء يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا اى الى دار الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اى قد أيقنا وتحققنا فيها ان وعدك حق ولقاءك حق وقد علم الرب تعالى منهم انه لو أعادهم الى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارا يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله كما قال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقال ههنا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها كما قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين اى من الصنفين فدراهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أى يقال لاهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له اذ عاملتموه معاملة من هو ناس له انا نسيناكم أى سنعاملكم معاملة الناسى لانه تعالى لا ينسى شيأ ولا يضل عنه شئ بل من باب المقابلة كما قال تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون أى بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال فى الآية الاخرى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا الى قوله فلن نزيدكم الا عذابا (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) يقول تعالى انما يؤمن بآياتنا اى انما يصدق بها الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا أى استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون أى عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة قال الله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ثم قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعنى بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة قال مجاهد والحسن فى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعنى بذلك قيام الليل وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبى حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة رواه ابن جرير باسناد جيد وقال الضحاك هو صلاة العشاء فى جماعة وصلاة الغداة فى جماعة يدعون ربهم خوفا وطمعا أى خوفا من وبال عقابه

لهم والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله به على ألسنة الرسل من الاوامر والنواهى اى ألم أوصكم وأبلغكم على ألسن رسلى أن لا تطيعوا الشيطان قال الزجاج المعنى ألم اتقدم اليكم على لسان الرسل يا بنى آدم وقال مقاتل يعنى الذين أمروا بالاعتزال وقيل المراد بالعهد هنا الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهر آدم وقيل هو ما نصبه الله لهم وركزه فيهم من الدلائل العقلية التى فى سمواته وأرضه وما أنزل عليهم من أدلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وانما عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادة الله وجملة (انه لكم عدو مبين) تعليل لما قبلها من النهى عن طاعة الشيطان وقبول وسوسته (وأن اعبدون) أن فى الموضعين هى المفسرة للعهد الذى فيه معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية فيهما اى ألم اعهد اليكم بان لا تعبدوا وبان اعبدونى أو ألم أعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما ان حق التخلية التقديم على التحلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل به قوله (هذا) اى عبادة الله وتوحيده أو دين الاسلام (صراط مستقيم) بليغ فى الاستقامة ولا صراط أقوم منه ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبنى آدم فقال (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) اللام هى الموطئة للقسم والجملة مستأنفة لتشديد التقريع وتأكيد التوبيخ أى والله لقد أضل قرئ جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وبضم الجيم وسكون الباء وبضمتين مع تخفيف اللام وبضمتين مع تشديد اللام وقرئ بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام قال النحاس وأبينها القراءة الاولى والدليل على ذلك انهم قد قرؤا جميعا والجبلة الاولين بكسر الجيم والباء وتشديد اللام فيكون جبلا جمع جبلة واشتقاق الكل من جبل الله الخلق اى خلقهم ومعنى الآية ان الشيطان قد أغوى خلقا كثيرا كما قال مجاهد وقال قتادة جموعا كثيرة وقال الكلبى أمما كثيرة قال الثعلبى والقرا آت كلها بمعنى الخلق وقرئ جيلا بالجيم والياء التحتية قال الضحاك الجيل الواحد عشرة آلاف والكثير ما يحصيه الا الله عز وجل (أفلم تكونوا تعقلون) الهمزة للتوبيخ والتقريع والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام كما تقدم فى نظائره أى أتشاهدون آثار العقوبات فلم تكونوا تعقلون أو أفلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم أو أفلم تكونوا تعقلون شيأ أصلا

قرئ

وطمعا فى جزيل ثوابه ومما رزقناهم ينفقون فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم فى الدنيا
والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الامام أحمد حدثنا روح وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله
الى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة
مما عندى ورجل غزا فى سبيل الله
تعالى فانهزموا فعلم ما عليه من
الفرار وماله فى الرجوع فرجع
حتى أهريق دمه رغبة فيما عندى
وشفقة مما عندى فيقول الله عز
وجل للملائكة انظروا الى عبدى
رجع رغبة فيما عندى ورهبة مما
عندى حتى أهريق دمه وهكذا رواه
ابو داود فى الجهاد عن موسى بن
اسمعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه
وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق
اخبرنا معمر عن عاصم بن أبى النجود
عن أبى وائل عن معاذ بن جبل
قال كنت مع النبى صلى الله عليه
وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه
ونحن نسير فقلت يا نبى الله اخبرنى
بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من
النار قال لقد سألت عن عظيم وانه
ليسير على من يسره الله عليه تعبد
الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة
وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج
البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب
الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ
الخطيئة وصلاة الرجل فى جوف
الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه فقلت
بلى يا رسول الله فقال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله فقلت
بلى يا نبى الله فاخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب
الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم من طرق عن
معمر به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن

قرئ الفعلان بالخطاب وبالغيبة (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها فى الدنيا على ألسنة
الرسل والقائل لهم الملائكة وهو استئناف خوطبوا به بعد تمام التوبيخ عند اشرافهم
على شفير جهنم ثم يقولون لهم (اصلوها) أمر تبكيت واهانة كقوله ذق انك أنت العزيز
الكريم أى قاسوا حرها وادخلوها (اليوم) وذوقوا أنواع العذاب فيها (بما كنتم تكفرون)
أى بسبب كفركم بالله فى الدنيا وطاعتكم للشيطان وعبادتكم للاوثان (اليوم نختم على
أفواههم) قال المفسرون انهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل كما فى قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم ختما لا يقدرون معه على الكلام وفى هذا التفات
من الخطاب الى الغيبة للايذان بان أفعالهم القبيحة مستدعية للاعراض عن خطابهم
ثم قال (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أى تكلمت أيديهم بما كانوا
يفعلونه وشهدت أرجلهم عليهم بما كانوا يعملون باختيارها بعد اقدار الله تعالى لها على
الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وقرئ لتكلمنا ولتشهد بلام كى قيل سبب
الختم على افواههم ليعرفهم اهل الموقف وقيل ختم على افواههم لاجل ان يكون الاقرار
من جوارحهم لان شهادة غير الناطق أبلغ فى الحجة من شهادة الناطق لخروجه مخرج الاعجاز
وقيل ليعلموا أن أعضاءهم التى كانت أعوانا لهم فى معاصى الله صارت شهودا عليهم وجعل
ما ينطق به الايدى كلاما واقرارا لانها كانت المباشرة لغالب المعاصى وجعل نطق
الارجل شهادة لانها حاضرة عند كل معصية وكلام الفاعل اقرار وكلام الحاضر شهادة
وهذا اعتبار الغالب والا فالارجل قد تكون مباشرة للمعصية كما تكون الايدى مباشرة
لها وأخرج أحمد ومسلم والنسائى والبزار وغيرهم عن أنس فى الآية قال كنا عند النبى صلى
الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال أتدرون مما ضحكت قلنا لا يا رسول الله
قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم فيقول بلى فيقول انى لا أجيز على
الا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت أناضل وأخرج مسلم والترمذى وابن مردويه والبيهقى عن أبى سعيد
وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقى العبد ربه فيقول الله له ألم
أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى أى

جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد من جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ورواه أيضا من حديث الثورى عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ومن حديث الاعمش عن حبيب بن أبى ثابت والحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ مرفوعا بنحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن شهر عن معاذ أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وروى ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا فطر بن خليفة عن حبيب بن أبى ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقال ان شئت نبأتك بابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وقيام الرجل فى جوف الليل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية ثم قال حدثنا أبى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على ابن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم قليل وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الاغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثنى مصعب عن زيد بن اسلم عن ابيه قال قال بلال لما نزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية كنا نجلس فى المجلس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب الى العشاء فنزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم قال لا نعلم روى زيد بن أسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية اى فلا يعلم احد عظمة ما اخفى الله لهم فى الجنات من النعيم المقيم واللذات التى لم يطلع على مثلها احد لما اخفوا اعمالهم كذلك اخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقا فان الجزاء من

رب فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول انى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول مثل ذلك ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ألا نبعث شاهدنا عليك فيفكر فى نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه وفخذه وعظامه بعمله ما كان وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط عليه وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث أبى موسى نحوه (ولو نشاء) أن نطمس (لطمسنا على أعينهم) أى أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن قال الكسائى طمس يطمس ويطمس والطميس والمطموس عند أهل اللغة الذى ليس فى عينيه شق كما فى قوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم قال السدى والحسن المعنى لتركناهم عميا يترددون لا يبصرون طريق الهدى واختار هذا ابن جرير قال ابن عباس فى الآية أعميناهم وأضللناهم عن الهدى وقال عطاء ومقاتل وقتادة المعنى لو نشاء لفقأنا أعينهم وأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا ارشدهم واهتدوا وتبادروا الى طريق الآخرة (فاستبقوا الصراط) معطوف على لطمسنا أى تبادروا الى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه والصراط منصوب بنزع الخافض أى فاستبقوا اليه وقرئ فاستبقوا على صيغة الامر أى فيقال لهم استبقوا وفى هذا تهديد لهم (فأنى) اى فكيف (يبصرون) الطريق ويحسنون سلوكه ولا أبصار لهم ثم كرر التهديد لهم فقال (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) المسخ تبديل الخلقة أى تغيير الصورة وابطال القوى الى حجر أو غيره من الجماد أو بهيمة والمكانة المكان أى لو شئنا لبدلنا خلقهم على المكان الذى هم فيه قيل والمكانة أخص من المكان كالمقامة والمقام قال الحسن أى لأقعدناهم وقيل لمسخناهم فى المكان الذى فعلوا فيه المعصية وقيل المعنى لو نشاء لاهلكناهم فى مساكنهم قاله ابن عباس وقال يحيى بن سلام هذا كله يوم القيامة قرأ الجمهور على مكانتهم بالافراد وقرئ على مكاناتهم بالجمع (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى لا يقدرون على ذهاب ولا مجىء قال الحسن فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتأخر وقرئ مضيا بضم الميم وبفتحها وبكسرها قيل والمعنى لا يستطيعون رجوعا يقال مضى يمضى مضيا اذا ذهب فى الارض ورجع يرجع رجوعا اذا عاد من

حيث

جنس العمل قال الحسن البصري أخفى قوم عملا فأخفى الله لهم مالم تر عين ولم يخطر على قلب بشر رواه ابن أبي حاتم قال البخاري قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال الله مثله قيل لسفيان

رواية قال فأي شيء ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا اسحق بن نصر حدثنا أبو اسامة عن الاعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بله ما أطلعتم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة قرات أعين انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الامام أحمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها مالا عين رأت ولا أذن

حيث جاء (ومن نعمره ننكسه في الخلق) قرأ الجمهور ننكسه بفتح النون الاولى وسكون الثانية وضم الكاف مخففة وقرئ بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله والمعنى من نطل عمره نغير خلقه ونجعله على عكس ما كان عليه أولا من القوة والطراوة قال الزجاج المعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ومثل هذه الآية قوله سبحانه ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وقوله ثم رددناه أسفل سافلين (أفلا يعقلون) قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية على الخطاب أي أفلا يعلمون بعقولهم ان من قدر على ذلك قدر على البعث والنشور ولما قال كفار مكة ان القرآن شعر وان محمدا شاعر رد الله عليهم بقوله (وما علمناه الشعر) والمعنى نفي كون القرآن شعرا لان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصل الى سعادة الدنيا والآخرة ثم نفى ان يكون النبي شاعرا فقال (وما ينبغي له) أي لا يصح له الشعر ولا يتأتى منه ولا يتسهل عليه لو طلبه وأراد ان يقوله بالطبع والسجية كما جعلناه أميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة ادحض بل كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد ان ينشد بيتا قد قاله شاعر متمثلا به كسر وزنه فانه لما أنشد بيت طرفة بن العبد المشهور وهو قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

قال ويأتيك من لم تزود بالاخبار وانشد مرة أخرى قول العباس بن مرداس السلمي

أتجعل نهبي ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع

فقال بين الاقرع وعيينة وأنشد أيضا * كفى بالاسلام والشيب ناهيا * فقال أبو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال أشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم كثير من مثل هذا قال الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتأتى منه انتهى ووجه عدم تعليمه الشعر وعدم قدرته عليه التكميل للحجة والدحض للشبهة كما جعله الله أميا لا يقرأ ولا يكتب وأما ما روى

سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله يعملون وأخرجه مسلم في صحيحه عن هرون بن معروف وهرون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا معلى بن أسد حدثنا سلام ابن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه عز وجل قال أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر وغيره حدثنا سفيان بن مطرف بن طريف (٣٤) وعبد الملك بن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول اى رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية ورواه الترمذي عن ابن ابي عمر وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن ابي حاتم حدثنا ابن منير المدائني حدثنا ابو بدر بن شجاع ابن الوليد حدثنا زياد عن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عباس بن عبد الواحد قال بلغني ان الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انا من المزيد فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انا التي قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس

عنه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

وقوله

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

ونحو ذلك فمن الاتفاق الوارد من غير قصد كما يأتي ذلك في بعض آيات القرآن وليس بشعر ولا مراد به الشعر بل اتفق ذلك اتفاقا كما يقع في كثير من كلام الناس فانهم قد يتكلمون بما لو اعتبره معتبر لكان على وزن الشعر ولا يعدونه شعرا وذلك كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجواب وقدور راسيات على انه قد قال الاخفش ان قوله أنا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرا قال ابن العربي والاظهر من حاله انه قال لا كذب برفع الباء من كذب ويخفضها من عبد المطلب قال النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا لانه اذا فتح الباء من الاول أو ضمها أو نونها وكسر الباء من الثاني خرج عن وزن الشعر وقيل ان الضمير في له عائد الى القرآن أي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قال بلغني انه قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير انه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر ليس هكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي وهذا يرد ما نقلناه عن الخليل سابقا ان الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة ويأتيك بالاخبار من لم تزود * وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل من الاشعار ويأتيك الخ وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما * يقال لشيء كان الا تحقق

قالت عائشة ولم يقل تحققا لئلا يعربه فيصير شعرا واسناده هكذا قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ يعني الحاكم حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي

في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ويخبرون ان الله عنهم راض   وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الفزاري أو غيره قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآنيتها اللؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم الآية   (٣٥)   وروى ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم ابن ابان عن الغطريف عن جابر ابن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته ينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة وسع الله له في الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فاين ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم الآية قلت قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سرا أسره الى الله لم يعلم به الناس فاسر الله له يوم القيامة قرة عين (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون) يخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان فاسقا أي خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسله اليه كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون   وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الآية ولهذا قال تعالى ههنا أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أي عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما انها نزلت في علي بن

النحوي الضرير حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره وقد سئل المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير في اسناده قال البيضاوي والخازن قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه الشريف مكسرا ولو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة عقلا في أن ما جاء به من عند نفسه ولهذا قال ويحق القول الخ كما يأتي لانه لم يبق الا العناد الموجب للهلاك وقال القرطبي اصابة الوزن منه صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان لا توجب أنه يعلم الشعر كقوله أنا النبي لا كذب الخ والمعول عليه في الانفصال على تسليم ان هذا شعر ان التمثل بالبيت لا يوجب ان يكون قائله عالما بالشعر ولا ان يسمى شاعرا باتفاق العلماء كما ان من خاط خيطا على سبيل الاتفاق لا يكون خياطا قال الزجاج أي ما جعلناه شاعرا وهذا لا ينافي ان ينشئ شيأ من الشعر من غير قصد كونه شعرا قال النحاس وهذا أحسن ما قيل في هذا وقد قيل انما أخبر الله عز وجل انه ما علمه الشعر ومن لم يخبر انه لا ينشئ الشعر وقد قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر فليس بشاعر وانما وافق الشعر فما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه ولما نفي ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي ما القرآن (الا ذكر) من الاذكار وموعظة من المواعظ يوعظ بها الانس والجن (وقرآن مبين) أي كتاب من كتب الله السماوية مشتمل على الاحكام الشرعية يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والدرجات فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين واقاويل الشعراء الكاذبين (لينذر) قرئ بالتحتية وبالفوقية وعلى الاولى المراد القرآن وعلى الثانية المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به أي مؤمنا قلبه صحيح يقبل الحق ويأبى الباطل لان الكافر كالميت لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول على الكافرين) أي وتجب كلمة العذاب على المصرين على الكفر الممتنعين من الايمان بالله وبرسوله وايرادهم في مقابلة من كان حيا فيه اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة التي هي المعرفة اموات في الحقيقة ثم ذكر سبحانه قدرته العظيمة وانعامه على عبيده وجحد الكفار لنعمه فقال (أولم يروا) الهمزة للانكار والتعجيب من حالهم والواو للعطف على مقدر

أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات فلهم جنات المأوى أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية نزلا أي ضيافة وكرامة بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن الطاعة فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الآية قال الفضيل بن عياض والله ان الايدي لموثقة وان الارجل لمقيدة وان اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال ابن عباس يعني بالعذاب الادنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل باهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا اليه وروى مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وابراهيم النخعي والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف وقال ابن عباس في رواية عنه يعني به اقامة الحدود عليهم وقال البراء ابن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص وأبي عبيدة عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال سنون أصابتهم وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيي بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرني عن يحيي بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال القمر والدخان قد مضيا والبطشة واللزام ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفا نحوه وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه وقال عبد الله بن مسعود أيضا في رواية عنه العذاب الادنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة الا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو هزموا ومنهم من جمع له الامران وقوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها قال

كما في نظائره والرؤية هي القلبية اي اولم يعلموا بالتفكر والاعتبار (انا خلقنا لهم) اي لاجلهم وانتفاعهم (مما عملت ايدينا) اي مما ابدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة واسناد العمل الى الايدي مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق كما يقول الواحد منا عملته بيدي للدلالة على تفرده بعمله وما بمعنى الذي وحذف العائد لطول الصلة ويجوز ان تكون مصدرية واتى بهذه الجملة بعد قوله خلقنا للاشارة الى حصر الخلق لهذه النعم فيه تعالى واستقلاله بها فهو كناية عرفية وقيل تمثيلية اي مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وقوله (أنعاما) مفعول خلقنا وهي جمع نعم وهي البقر والغنم والابل وانما خصها بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم وقد سبق تحقيق الكلام فيها ثم ذكر سبحانه المنافع المترتبة على خلق الانعام فقال (فهم لها مالكون) اي ضابطون قاهرون يتصرفون بها كيف شاؤا ولو خلقناها وحشية لنفرت عنهم ولم يقدروا على ضبطها او المراد انها صارت في املاكهم ومعدودة في جملة اموالهم المنسوبة اليهم نسبة الملك وهذا اظهر ليكون قوله (وذللناها لهم) تأسيسا النعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي جعلناها لهم مسخرة لا تمتنع مما يريدون منها من منافعهم حتى الذبح ويقودها الصبي فتنقاد له ويزجرها فتنزجر (فمنها ركوبهم) الفاء لتفريع احكام التذليل عليه اي فمنها مركوبهم الذي يركبونه كما يقال ناقة حلوب اي محلوبة يعني معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمة الركوب قرأ الجمهور ركوبهم بفتح الراء وقرئ بضمها على المصدر وقرأ ابي وعائشة ركوبتهم والركوب والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة والحمول والحمولة وقال ابو عبيدة الركوبة تكون للواحدة والجماعة والركوب لا يكون الا للجماعة وزعم أبو حاتم انه لا يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب ما يركب واجاز ذلك الفراء كما يقال فمنها اكلهم ومنها شربهم (ومنها يأكلون) اي ما يأكلونه من لحمها ومن للتبعيض وانما غير الاسلوب هنا لان الاكل يعم الانعام كلها بخلاف الركوب فهو خاص بالابل منها (ولهم فيها) أي لهم في الانعام بقسميها (منافع) غير الركوب لها والاكل منها وهي ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها واشعارها وما يتخذونه من الادهان من شحومها وكذلك الحمل عليها والحراثة بها وجلودها ونسلها (و) لهم فيها (مشارب) مما يحصل من ألبانها جمع مشرب وهو موضع

الشرب

قتادة اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من اعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر العزة وأعوز أشد العوز وعظم من عظم الذنوب ولهذا
قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك انا من المجرمين منتقمون أى سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام وروى ابن جرير حدثنى عمران
ابن بكار الكلاعى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا اسمعيل بن عباس حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسى عن جنادة بن
أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقد لواء فى غير حق أو عق
والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله تعالى انا من المجرمين (٣٧) منتقمون ورواه ابن أبى حاتم من حديث
اسمعيل بن عياش به وهذا حديث
غريب جدا (ولقد آتينا موسى
الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه
وجعلناه هدى لبنى اسرائيل
وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما
صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك
هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى
مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه
السلام انه آتاه الكتاب وهو
التوراة وقوله تعالى فلا تكن فى
مرية من لقائه قال قتادة يعنى به
ليلة الاسراء ثم روى عن ابى العالية
الرياحى قال حدثنى ابن عم نبيكم
يعنى ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أريت
ليلة أسرى بى موسى بن عمران
رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من
رجال شنوأة ورايت عيسى رجلا
مربوع الخلق الى الحمرة والبياض
سبط الراس ورايت مالكا خازن
النار والدجال فى آيات أراهن الله
اياه فلا تكن فى مرية من لقائه
انه قد رأى موسى ولقى موسى ليلة
اسرى به وقال الطبرانى حدثنا محمد
ابن عثمان بن ابى شيبة حدثنا
الحسن بن على الحلوانى حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن ابى العالية عن ابن عباس عن النبى صلى الله
عليه وسلم فى قوله تعالى وجعلناه هدى لبنى اسرائيل قال جعل موسى هدى لبنى اسرائيل وفى قوله فلا تكن فى مرية من لقائه
قال من لقاء موسى وقوله تعالى وجعلناه اى الكتاب الذى آتيناه هدى لبنى اسرائيل كما قال تعالى فى سورة الاسراء وآتينا
موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لا تتخذوا من دونى وكيلا وقوله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
بآياتنا يوقنون اى لما كانوا صابرين على اوامر الله وترك زواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤهم به كان منهم أئمة يهدون الى الحق

الشرب او الشراب والظاهر ان المراد به ضروعها (افلا يشكرون) الله على هذه النعم
ويوحدونه ويخصونه بالعبادة ثم ذكر سبحانه جهلهم واغترارهم ووضعهم كفران النعم
موضع شكرها فقال (واتخذوا من دون الله آلهة) من الاصنام ونحوها يعبدونها ولا قدرة
لها على شئ ولم يحصل لهم منها فائدة ولا عاد عليهم من عبادتها عائدة (لعلهم ينصرون)
أى رجاء ان ينصروا من جهتهم ان نزل بهم عذاب أو دهمهم أمر من الامور
(لا يستطيعون نصرهم) مستأنفة لبيان بطلان ما رجوه منها واملوه من نفعها وانعكاس
تدبيرهم وجمعهم بالواو والنون جمع العقلاء بناء على زعم المشركين انهم ينفعون
ويضرون ويعقلون (وهم لهم جند محضرون) أى والكفار جند للاصنام
يحضرونهم فى الدنيا قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال قتادة أى يغضبون
لهم فى الدنيا قال الزجاج ينتصرون للاصنام وهى لا تستطيع نصرهم وقيل المعنى
يعبدون الآلهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند هذه الاقوال على جعل ضميرهم
للمشركين وضمير لهم للآلهة وقيل وهم أى الآلهة لهم أى للمشركين جند
معدون ومحضرون معهم فى النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الاصنام
لهؤلاء الكفار جند الله عليهم فى جهنم لانهم يلعنونهم ويتبرؤن منهم وقيل المعنى ان
الكفار يعتقدون ان الاصنام جند لهم يحضرون يوم القيامة لاعانتهم ثم سلى سبحانه نبيه
صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فلا يحزنك قولهم) الفاء لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان
يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم
بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطر ويورث السلوة والنهى وان
توجه بحسب الظاهر الى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وهذا القول هو ما يفيده قوله واتخذوا من دون الله آلهة فانهم لا بد ان يقولوا هؤلاء
آلهتنا وانها شركاء الله فى المعبودية ونحو ذلك وهو نهى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم
عن التأثر لذلك بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده وقيل انه نهى لهم عن الاسباب التى
تحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان النهى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن
التأثر لما يصدر منهم هو من باب لا أرينك ههنا فانه يراد به نهى من خاطبه عن الحضور لديه
لا نهى نفسه عن الرؤية وهذا بعيد والاول أولى والكلام من باب التسلية كما ذكرنا ويجوز

يأمر الله ويدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرفوا وا ولوا واسلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحا ولا اعتقادا صحيحا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ينبغى للرجل أن يكون له اماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا قال وكيع قال سفيان لابد للدين من العلم كما لابد للجسد من الخبز وقال ابن بنت الشافعى قال قرأ أبى على عمى أو عمى على ابى سئل سفيان عن قول على رضى الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ألم تسمع قوله وجعلناهم (٣٨) أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال لما أخذوا برأس الامر صاروا رؤسا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر الآية كما قال هنا ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اى من الاعتقادات والاعمال (اولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم افلا يبصرون) يقول تعالى اولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما اهلك الله قبلهم من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم اياهم فيما جاؤهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا اثر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ولهذا قال يمشون فى مساكنهم اى وهؤلاء المكذبون يمشون فى مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها احدا ممن كان يسكنها و يعمرها ذهبوا منها كأن لم يغنوا فيها كما قال فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض الى قوله ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور الآيات ولهذا قال ههنا ان فى ذلك لآيات أى ان فى ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة أفلا يسمعون أى اخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز يبين تعالى لطفه بخلقه واحسانه اليهم فى ارساله الماء اما من السماء أو من السيح وهو ما تحمله الانهار و يتحدر من الجبال الى الاراضى المحتاجة اليه فى أوقاته ولهذا قال تعالى الى الارض الجرز وهى التى لا نبات فيها كما قال تعالى وانا لجاعلون

ان يكون المراد بالقول المذكور هو قولهم انه ساحر وشاعر ومجنون (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) تعليل لما تقدم من النهى فان علمه سبحانه بما يظهرون وما يضمرون مستلزم للمجازاة لهم بذلك وان جميع ما صدر منهم لا يعزب عنه سواء كان خافيا أو باديا سرا أو جهرا مظهرا أو مضمرا وتقديم السر على الجهر للمبالغة فى شمول علمه بجميع المعلومات وقرئ انا بالكسر وبالفتح على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وكسرها أبو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل كما تقدم (أولم ير الانسان) مستأنفة مسوقة لبيان اقامة الحجة على من أنكر البعث وللتعجيب من جهله فان مشاهدة خلقهم فى أنفسهم على هذه الصفة من البداية الى النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الاجسام وردها كما كانت والانسان المذكور فى الآية المراد به جنس الانسان كما فى قوله أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ ولا وجه لتخصيصه بانسان معين كما قيل انه عبد الله بن أبى وانه قيل له ذلك لما أنكر البعث وقال الحسن هو أمية بن خلف وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وائل السهمى وقال قتادة ومجاهد هو أبى بن خلف الجمحى فان أحد هؤلاء وان كان سببا للنزول فمعنى الآية خطاب الانسان من حيث هو لا انسان معين ويدخل من كان سببا للنزول تحت جنس الانسان دخولا أوليا (أنا خلقناه من نطفة) قذرة خسيسة مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة والنطفة هى اليسير من الماء وقد تقدم تحقيق معناها (فاذا هو خصيم مبين) هذه الجملة معطوفة على الجملة المنفية قبلها داخلة معها فى حيز الانكار المفهوم من الاستفهام واذا هى الفجائية أى ألم ير الانسان أنا خلقناه من أضعف الاشياء وأخسها وأمهنها ففاجأ خصومتنا فى أمر قد قامت فيه عليه حجج الله و براهينه وشهدت بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله ودناءة أوله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار و يبرز لمجادلته فى انكار البعث ولا يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة وهو غاية المكابرة والخصيم الشديد الخصومة الكثير الجدال ومعنى المبين المظهر لما يقوله الموضح له بقوة عارضته وطلاقة لسانه قال ابن عباس جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد أيحيى الله هذا بعد ما أرى قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت

ماعليها صعيدا جرزا أى يبسا لاتنبت شيأ وليس المراد من قوله الى الارض الجرز أرض مصر فقط بل هى بعض المقصود وان مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فانها فى نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء مالو نزل عليها مطر التهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى اليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر وهى أرض سبخة مرملة محتاجة الى ذلك الماء وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور فى غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان (٣٩) الحكيم الكريم المنان المحمود أبدا قال ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو ابن العاص حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها قال وماذاك قالوا اذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون فى الاسلام ان الاسلام يهدم ما كان قبله فاقاموا بؤنة والنيل لا يجرى حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر انك قد أصبت بالذى فعلت وقد بعثت اليك ببطاقة داخل كتابى هذا فالقها فى النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل أهل مصر أما بعد فانك ان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله ان يجريك قال فالقى البطاقة فى النيل فاصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائى الطبرى فى كتاب السنة له ولهذا قال تعالى أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون كما قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا الآية ولهذا قال ههنا أفلا يبصرون وقال ابن أبى نجيح عن رجل عن ابن عباس فى قوله الى الارض الجرز قال هى التى لا تمطر الامطر الا يغنى عنها شيأ الا ما يأتيها من السيول وعن ابن عباس ومجاهد هى أرض باليمن وقال الحسن رحمه الله هى قرى فيما بين اليمن والشام وقال عكرمة والضحاك وقتادة

الآيات من آخر يس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الخ أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم فى معجمه وعنه قال جاء عبد الله بن ابى فى يده عظم حائل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وذكر مثل ما تقدم قال ابن كثير وهذا منكر لان السورة مكية وابن أبى انما كان بالمدينة وعنه قال جاء أبى بن خلف الجمحى وذكر نحو ما تقدم وعنه أيضا قال نزلت فى أبى جهل وذكر نحو ما تقدم (وضرب لنا مثلا) بفتة العظم والجملة معطوفة على الجملة المنفية داخلة فى حيز الانكار المفهوم من الاستفهام فهى تكميل للتعجب من حال الانسان وبيان جهله بالحقائق واهماله للتفكر فى نفسه فضلا عن التفكر فى سائر مخلوقات الله ويجوز ان تكون جملة فاذا هو خصيم مبين معطوفة على خلقنا وهذه معطوفة عليها أى أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الامر كالمثل فى الغرابة وهى انكاره احياءنا للعظام او قصة عجيبة فى زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها أشد الانكار وهى احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم فالمثل على الاول هو انكار احيائه للعظام وعلى الثانى هو احياؤه لها وأما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار والمنكر (ونسى خلقه) اى خلقنا اياه من المنى الدال على بطلان ما ضرب به من المثل وذهل عنه وترك ذكره على طريقة اللداد والمكابرة فهو اغرب من احياء العظم (قال من يحيى العظام وهى رميم) بالية استئناف جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل ماهذا المثل الذى ضرب به فقيل قال من يحيى العظام وهى رميم وهذا الاستفهام للانكار لانه قاس قدرة الله على قدرة العبد فانكر ان الله يحيى العظام البالية حيث لم يكن ذلك فى مقدور البشر يقال رم العظم يرم رما اذا بلى فهو رميم ورمام وانما قال رميم ولم يقل رميمة مع كونه خبر المؤنث لانه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات وقيل لكونه معدولا عن فاعلة وكل معدول عن وجهه يكون مصروفا عن اعرابه كما فى قوله وما كانت أمك بغيا لانه مصروف عن باغية كذا قال البغوى والقرطبى وقال بالاول صاحب الكشاف والاولى ان يقال انه فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة او مفعول وهو يستوى فيه المذكر والمؤنث كما قيل فى جريح وصبور ومن يثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عند الحنفية طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا

والسدى وابن زيد الارض الجرز التى لانبات فيها وهى مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآيتين
(ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) يقول تعالى مخبرا عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكذيبا وعنادا ويقولون متى هذا الفتح أى متى تنصر علينا يا محمد كما تزعم ان لك وقتا تدال علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا مانراك أنت وأصحابك الا مختفين خائفين ذليلين قال الله تعالى قل يوم الفتح اى اذا حل بكم بأس الله وسخطه

وغضبه فى الدنيا وفى الاخرى لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون كما قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم الآيتين ومن زعم ان المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش فان يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلام الطلقاء وقد كانوا قريبا من ألفين ولو كان المراد فتح مكة لما قبل اسلامهم لقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون وانما المراد الفتح الذى هو القضاء والفصل كقوله فافتح بينى وبينهم فتحا الآية وكقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق الآية وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وقال تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ثم قال تعالى فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون أى أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل اليك من ربك كقوله تعالى اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو الآية وانتظر فان الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك انه لا يخلف الميعاد وقوله انهم منتظرون أى أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله فى نصرتك وتأييدك وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفى اصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية) قال الامام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة

يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس وقد استدل ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعى بهذه الآية على ان العظام مما تحله الحياة وقال الشافعى لا تحلها الحياة وان المراد بقوله من يحيى العظام من يحيى اصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف ورد بان هذا التقدير خلاف الظاهر ثم أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال (قل) اى على سبيل تبكيته وتذكيره بما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال (يحييها الذى انشأها) اى ابتدأها وخلقها (اول مرة) من غير شئ ومن قدر على النشأة الاولى قدر على النشأة الثانية (وهو بكل خلق عليم) لا تخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائنا ما كان اى يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها أو احداث مثلها وقال الكرخى يعلمه مجملا ومفصلا أى قبل خلقه وبعد خلقه والآية حجة على من ينكر علمه سبحانه بالجزئيات ونظيره قوله سبحانه ان الله قد أحاط بكل شئ علما (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) هذا رجوع منه سبحانه الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم فنبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على احياء الموتى بما يشاهدونه من اخرج النار المحرقة من العود الندى الرطب وذلك ان الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار اذا قطع منهما عودان مثل السواكين وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران قيل المرخ هو الذكر والعفار هو الانثى ويسمى الاول الزند والثانى الزندة تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منهما وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب لمصلحة الدق للثياب ولذلك تتخذ منه مطارق القصارين وبالجملة فمن بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجرة قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب وقال الاخضر ولم يقل الخضر اعتبارا باللفظ وقرئ الخضراء اعتبارا بالمعنى وقد تقرر انه يجوز تذكير اسم الجنس وتأنيثه كما فى قوله نخل منقعر وقوله نخل خاوية فبنو تميم ونجد يذكرونه وأهل الحجاز

يؤنثونه

عن زر قال قال لى أبي بن كعب كان يقرأ سورة الاحزاب أو كان يعدها قال قلت ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وانها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائى من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو أبو بهدلة به وهذا اسناد حسن وهو يقتضى انه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله (٤١) وكيلا) هذا تنبيه بالاعلى على الادنى فانه تعالى اذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الاولى والاحرى وقد قال طلق بن حبيب التقوى ان يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله وان يترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين أى لا تسمع منهم ولا تستشرهم ان الله كان عليما حكيما اى فهو أحق ان تتبع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الامور حكيم فى أقواله وافعاله ولهذا قال تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك أى من قرآن وسنة ان الله كان بما تعملون خبيرا أى فلا تخفى عليه خافية وتوكل على الله أى فى جميع أمورك وأحوالك وكفى بالله وكيلا أى وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب اليه (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوى أمرا معروفا حسيا وهو انه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه ولا تصير زوجته التى يظاهر منها بقوله أنت على كظهر أمى أما له كذلك لا يصير الدعى ولدا للرجل اذا تبناه فدعاه ابناله فقال ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله عز وجل ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم الآية وقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم هذا هو المقصود بالنفى فانها نزلت فى شأن زيد بن حارثة

يؤثثونه الانادر او الموصول بدل من الموصول الاول (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون منه النار وتوقدونها من ذلك الشجر الاخضر ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم من الانسان خلقا فقال (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر كنظائره ومعنى الآية ان من قدر على خلق السموات الارض وهما فى غاية العظم وكبر الاجزاء يقدر على اعادة خلق البشر الذى هو صغير الشكل ضعيف القوة كما قال سبحانه لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس قال الشهاب أى مثل هؤلاء الاناسى الذين ماتوا والمراد هم وأمثالهم على سبيل التقديم والتأخير أو المراد هم على طريق الكناية فى نحو مثلك يفعل كذا قرأ الجمهور بقادر بصيغة اسم الفاعل وقرئ يقدر بصيغة الفعل المضارع ثم أجاب سبحانه عما أفاده الاستفهام من الانكار التقريرى بقوله (بلى وهو الخلاق العليم) أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم على أكمل وجه وأتمه وقرئ وهو الخالق ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته وتيسير المبدا والاعادة عليه فقال (انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) اى انما شأنه سبحانه اذا تعلقت ارادته بشئ من الاشياء ان يقول له احدث فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلا وقد تقدم تفسير هذا فى سورة النحل وفى البقرة قرأ الجمهور فيكون بالرفع على الاستئناف وقرأ الكسائى بالنصب عطفا على يقول ثم نزه سبحانه نفسه عن ان يوصف بغير القدرة فقال (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) هذا تنزيه له تعالى عما وصفوه به وتعجيب مما قالوا فى شأنه والملكوت فى كلام العرب لفظ مبالغة فى الملك كالجبروت والرحموت كأنه قال فسبحان من بيده مالكية الاشياء الكاملة قال قتادة ملكوت كل شئ مفاتح كل شئ وقرئ ملكة بزنة شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وملك والملكوت أبلغ من الجميع (واليه ترجعون) قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب مبنيا للمفعول وقرئ بالتحتية على الغيبة مبنيا للمفعول أيضا وقرأ زيد بن على على البناء للفاعل أى ترجعون اليه لا الى غيره وتردون وتعادون بعد الموت بلا فوت وذلك فى الدار الآخرة بعد البعث

(سورة الصافات هى مائة واثنتان وثمانون آية وهى مكية)

رضى الله عنه مولى النبى صلى الله عليه وسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فاراد الله
تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم كما قال تعالى فى أثناء السورة ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما وقال ههنا ذلكم قولكم بافواهكم يعنى تبنيكم لهم قول
لا يقتضى أن يكون ابنا حقيقيا فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان
والله تعالى يقول الحق وهو يهدى السبيل (٤٢) قال سعيد بن جبير يقول الحق أى العدل وقال قتادة وهو يهدى السبيل
أى الصراط المستقيم وقد ذكر غير
واحد ان هذه الآية نزلت فى رجل
من قريش كان يقال له ذو القلبين
وانه كان يزعم ان له قلبين كل منهما
بعقل وافر فانزل الله تعالى
هذه الآية ردا عليه هكذا روى
العوفى عن ابن عباس وقاله مجاهد
وعكرمة والحسن وقتادة واختاره
ابن جرير وقال الامام أحمد حدثنا
حسن حدثنا زهير عن قابوس يعنى
ابن أبى ظبيان قال ان أباه حدثه
قال قلت لابن عباس أرأيت قول
الله تعالى ما جعل الله لرجل من
قلبين فى جوفه ما عنى بذلك قال
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما يصلى فخطر خطرة فقال
المنافقون الذين يصلون معه ألا
ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم
فانزل الله تعالى ما جعل الله لرجل
من قلبين فى جوفه وهكذا رواه
الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمى عن صاعد الحرانى عن
عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس
كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية
به ثم قال وهذا حديث حسن وكذا
رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من
حديث زهير به وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال
بلغنا ان ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب له مثل يقول ليس ابن رجل آخر ابنك وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد انها نزلت فى زيد
ابن حارثة رضى الله عنه وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو أقسط
عند الله هذا أمر ناسخ لما كان فى ابتداء الاسلام من جواز ادعاء الابناء الاجانب وهم الادعياء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم الى
آبائهم فى الحقيقة وان هذا هو العدل والقسط والبر قال البخارى رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى

قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن عمر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات أخرجه النسائى والبيهقى
فى سننه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ يس
والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله أخرجه ابن أبى داود فى فضائل القرآن وابن
النجار فى تاريخه وعنه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله ملوك حضرموت عند
قدومهم عليه ان يقرأ عليهم شيأ مما أنزل اليه قرأ والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق
والمغارب الحديث أخرجه أبو نعيم فى الدلائل والسلفى فى الطيوريات

(بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا) الواو للقسم والمقسم به الملائكة والمراد
بالصافات التى تصف فى السماء من الملائكة كصفوف الخلق فى الدنيا قاله ابن مسعود
وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قالوا وكيف
تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف أخرجه
أبو داود وقيل انها تصف أجنحتها فى الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد وقال
الحسن صفا كصفوفهم عند ربهم فى صلاتهم وقيل المراد بالصافات هنا الطير كما فى
قوله أولم يروا الى الطير فوقهم صافات والاولى هو الاول والصف ترتيب الجمع على خط
كما يصف فى الصلاة وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين اذا قاموا صفا فى الصلاة وفى
الجهاد ذكره القشيرى (فالزاجرات زجرا) أى الفاعلات للزجر من الملائكة اما
لانها تزجر السحاب كما قال السدى واما لانها تزجر عن المعاصى بالمواعظ والنصائح
وقال قتادة المراد بالزاجرات الزواجر من القرآن وهى كل ما ينهى ويزجر عن القبيح
والاول أولى وانتصاب صفا وزجرا على المصدرية لتأكيد ما قبلهما وقيل المراد
بالزاجرات العلماء لانهم هم الذين يزجرون أهل المعاصى عن المعاصى والزجر فى
الاصل الدفع بقوة وهو هنا قوة التصويت ومنه زجرت الابل والغنم اذا أفزعتها بصوتك
(فالتاليات ذكرا) أى الملائكة التى تتلو القرآن كما قال ابن مسعود وابن عباس والحسن
ومجاهد وابن جبير والسدى وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع تعظيما له مع انه
لا يخلو من أتباع له من الملائكة وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر الله وكتبه وقيل المراد
آيات

ابن عقبة قال حدثنى سالم عن عبد الله بن عمر قال ان زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا
زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن موسى بن عقبة
به وقد كانوا يعاملونهم معاملة الابناء من كل وجه فى الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبى حذيفة رضى
الله عنها يارسول الله انا كنا ندعو سالما ابنا وان الله قد أنزل ما أنزل وانه كان يدخل على وانى أجد فى نفس أبى حذيفة من ذلك
شيأ فقال صلى الله عليه وسلم أرضعيه تحرمى عليه الحديث ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعى
وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وقال تبارك وتعالى فى آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم احترازا عن زوجة الدعى فانه ليس من الصلب فاما الابن الولد من الرضاعة فنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب فامادعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه فى هذه الآية بدليل ما رواه الامام أحمد وأهل السنن الا الترمذى من حديث سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بنى عبد المطلب على جمرات لنا من جمع فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول أبنى لاترموا الجمرة حتى تطلع الشمس قال أبو عبيدة وغيره أبنى تصغير ابنى وهذا ظاهر
الدلالة فان هذا فى حجة الوداع سنة عشر وقوله ادعوهم لآبائهم فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه وقد قتل فى يوم مؤتة سنة ثمان
وأيضا ففى صحيح مسلم من حديث أبى عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكرى عن الجعد أبى عثمان البصرى عن أنس بن مالك رضى
الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى ورواه أبو داود والترمذى وقوله عز وجل فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم
فى الدين ومواليكم أمر تعالى برد أنساب الادعياء الى آبائهم ان عرفوا فان لم يعرفوا فهم اخوانهم فى الدين ومواليهم أى عوضا
عما فاتهم من النسب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة حمزة رضى الله عنها

آيات القرآن ووصفها بالتلاوة وان كانت متلوة كما فى قوله ان هذا القرآن يقص على بنى
اسرائيل وقيل لان بعضها يتلو بعضا ويتبعه وذكر الماوردى ان التاليات هم الانبياء يتلون
الذكر على أممهم وانتصاب ذكرا على انه مفعول به ويجوز ان يكون مصدرا كما قبله قيل
وهذه الفاء فى قوله فالزاجرات فالتاليات اما لترتيب الصفات أنفسها فى الوجود أو لترتب
موصوفاتها فى الفضل وفى الكل نظر (ان الهكم لواحد) جواب القسم أى أقسم الله
بهذه الاقسام انه واحد ليس له شريك وأجاز الكسائى فتح ان الواقعة فى جواب القسم
وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى
قولهم وللتأكيد لما تقدم لاسيما والقرآن أنزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين
طريقة مألوفة عندهم قال ابن الانبارى الوقف على لواحد وقف حسن ثم يبتدئ (رب
السموات والارض) على معنى هو ربهما وقيل غير ذلك والمعنى فى الآية ان وجود هذه
المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وانه رب
ذلك كله أى خالقه ومالكه (وما بينهما) أى من المخلوقات والكائنات (ورب المشارق)
أعاد الرب فيها لما فيها من غاية ظهور آثار الربوبية وتجددها كل يوم قيل أراد مشارق
الكواكب والظاهر انها مشارق الشمس قيل ان الله خلق للشمس كل يوم مشرقا ومغربا
بعدد أيام السنة تطلع كل يوم من واحد منها وتغرب فى واحد كذا قال ابن الانبارى وابن
عبد البر وأما قوله فى سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين فالمراد بالمشرقين
أقصى مطلع تطلع منه الشمس فى الايام الطوال وأقصر يوم فى الايام القصار وكذلك فى
المغربين وأما ذكر المشرق والمغرب بالافراد فالمراد بهما الجهة التى تشرق منها الشمس
والجهة التى تغرب فيها واقتصر على المشارق اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر أى
والمغارب للشمس ولم يعكس لان شروق الشمس سابق على غروبها وأيضا فالشروق أبلغ
فى النعمة وأكثر نفعا من الغروب فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على
عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله يأتى بالشمس من
المشرق قال الكرخى وجمع هنا المشرق وحذف مقابله وثناه فى الرحمن وجمعه فى المعارج
وأفرده فى المزمل مع ذكر مقابله فى الثلاثة لان القرآن نزل على المعهود من أساليب كلام
العرب وفنونه ومنها الاجمال والتفصيل والذكر والحذف والتثنية والجمع والافراد

تنادى ياعم ياعم فأخذها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها دونك ابنة عمك فاحتملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم فى أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة فقال على رضى الله عنه أنا أحق بها وهى ابنة عمى وقال زيد ابنة أخى وقال جعفر ابن أبى طالب ابنة عمى وخالتها تحتى يعنى أسماء بنت عميس فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى رضى الله عنه أنت منى وأنا منك وقال لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا ففى هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها (٤٤) أنه صلى الله عليه وسلم حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين وقال لزيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا كما قال تعالى فاخوانكم فى الدين ومواليكم وقال ابن جرير حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكرة رضى الله عنه قال الله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فانا ممن لا يعرف ابوه فانا من اخوانكم فى الدين قال ابى والله انى لاظنه انه لو علم ان أباه كان حمارا لانتمى اليه وقد جاء فى الحديث (٣) من ادّعى الى غير ابيه وهو يعلمه الا كفر وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد فى التبرى من النسب المعلوم ولهذا قال عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ثم قال تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اى اذا نسبتم بعضهم الى غير ابيه فى الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج فى الخطا ورفع اثمه كما ارشد اليه فى قوله تبارك وتعالى آمرا عباده ان يقولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل قد فعلت وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اجتهد فاخطا فله اجر وفى الحديث الآخر ان الله تعالى رفع عن امتى الخطأ والنسيان والامر الذى يكرهون عليه وقال تبارك وتعالى ههنا وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما اى وانما الاثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الآية وفى الحديث المتقدم من ادعى الى غير

باعتبارات مختلفة فافردوا جمل فى المزمل أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وجمع وفصل فى المعارج أراد جميع مشارق السنة ومغاربها وهى تزيد على سبعمائة وثنى وفصل فى الرحمن اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وجمع وحذف هنا أراد جميع مشارق السنة واقتصر عليه لدلالته على المحذوف كما مرت الاشارة اليه وخص ما هنا بالجمع موافقة للجموع اول السورة وبالحذف مناسبة للزينة اذ هى انما تكون غالبا بالضياء والنور وهما ينشآن من المشرق لا من المغرب وما فى الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية فى يسجدان وفى فبأى آلاء ربكما تكذبان وبذكر المقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وانعاماته ثم وما فى المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله وبعده وبذكر المقابلين موافقة لكثرة التأكيد فى القسم وجوابه وما فى المزمل بالافراد موافقة لما قبله من افراد ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما بعده من افراد ذكر الله تعالى وبذكر المقابلين موافقة للحصر فى قوله لا اله الا هو ولبسط او أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثمة (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) المراد بالسماء الدنيا التى تلى الارض من الدنو وهو القرب فهى أقرب السموات الى الارض قرأ الجمهور باضافة زينة الى الكواكب والمعنى زيناها بتزيين الكواكب أى بحسنها وقرئ بتنوين زينة وخفض الكواكب على انها بدل من الزينة على ان المراد بالزينة الاسم لا المصدر والتقدير بعد طرح المبدل منه انا زينا السماء بالكواكب فان الكواكب فى أنفسها زينة عظيمة فانها فى الليلة المظلمة فى أعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة على سطح أزرق وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر عنه بتنوين زينة ونصب الكواكب على ان الزينة مصدر وفاعله محذوف والتقدير بان الله زين الكواكب بكونها مضيئة حسنة فى أنفسها أو تكون الكواكب منصوبة باضمار اعنى أو بدلا من السماء بدل اشتمال وقيل المعنى بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل غير ذلك (وحفظا) أى حفظناها حفظا وقيل زيناها بالكواكب للحفظ وقيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أى عات متمرد خارج عن الطاعة يرمى بالكواكب والشهب كقوله انا زينا السماء الدنيا

(٣) قوله من ادعى الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وحرر الرواية اه مصححه

أبيه وهو يعلمه الا كفر وفى القرآن المنسوخ فان كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر
عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم أنه قال ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ثم قال قد كنا نقرأ
ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطرونى كما أطرى عيسى بن
مريم عليه الصلاة والسلام فانما انا عبد الله فقولوا عبده ورسوله وربما قال معمر كما أطرت النصارى ابن مريم ورواه
فى الحديث الآخر ثلاث من
الناس كفر الطعن فى النسب
والنياحة على الميت والاستسقاء
بالنجوم (النبى أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو
الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين الا
أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا
كان ذلك فى الكتاب مسطورا) قد
علم الله تعالى شفقة رسوله صلى
الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم
فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه
فيهم أنه كان مقدما على اختيارهم
لانفسهم كما قال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما وفى الصحيح
والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب اليه من نفسه
وماله وولده والناس أجمعين وفى
الصحيح أيضا ان عمر رضى الله عنه
قال يا رسول الله والله لانت أحب
الى من كل شئ الا من نفسى فقال
صلى الله عليه وسلم لا يا عمر حتى
أكون أحب اليك من نفسك
فقال والله يا رسول الله لانت أحب
الى من كل شئ حتى من نفسى فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر ولهذا قال تعالى فى هذه الآية النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وقال البخارى عندها حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا ابى عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى
هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى
أولى بالمؤمنين من أنفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فليأتنى فانا مولاه تفرد به البخارى
ورواه أيضا فى الاستقراض وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن فليح به مثله ورواه أحمد من حديث أبى حصين عن أبى صالح عن

الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (لا يسمعون الى الملا الاعلى) مستأنفة لبيان
حالهم بعد حفظ السماء منهم وقال أبو حاتم أى لئلا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل وكذا
قال الكلبى قال النسفى وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من
الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث
وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك
والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك انتهى والملأ الاعلى أهل السماء الدنيا فما فوقها
وسمى الكل منهم أعلى باضافته الى ملا الارض لانهم سكان السماء والضمير فى يسمعون
للشياطين وقيل ان جملة لا يسمعون صفة لكل شيطان وقيل جواب عن سؤال مقدر
كأنه قيل فما حالهم بعد حفظ السماء عنهم فقال لا يسمعون الى الملا الاعلى قرأ الجمهور
بسكون السين وتخفيف الميم وقرئ بتشديدهما والاصل يتسمعون فالاولى تدل على انتفاء
سماعهم دون استماعهم والثانية تدل على انتفائهما وفى معنى الاولى قوله تعالى انهم عن
السمع لمعزولون قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون واختار الثانية أبو عبيدة
قال لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول تسمعت اليه وكان ابن عباس يقرأ مخففة
وقال انهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون (ويقذفون من كل جانب دحورا) أى يرمون
من كل جانب من جوانب السماء ونواحيها وجهاتها بالشهب اذا أرادوا الصعود لاستراق
السمع والدحور الطرد تقول دحرته دحرا ودحورا طردته قرئ يقذفون مبنيا للمفعول
وللفاعل وهى غير مطابقة لما هو المراد من النظم القرآنى وقيل دحورا أى مدحورين
وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا وقيل انه مصدر لمقدر أى يدحرون
دحورا وقال الفراء ان المعنى يقذفون بما يدحرهم اى بدحور ثم حذفت الباء فانتصب
بنزع الخافض قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وقرئ بفتحها واختلف هل كان هذا الرمى
لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالاول طائفة وبالآخر آخرون وقالت طائفة
بالجمع بين القولين ان الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث رميا يقطعها عن السمع ولكن
كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا آخر وترمى من جانب ولا ترمى من جانب آخر ثم بعد المبعث
رميت فى كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استماع شئ (ولهم عذاب
واصب) أى دائم لا ينقطع والمراد به العذاب فى الآخرة غير العذاب الذى لهم فى الدنيا من

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم عن ابى سلمة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل
مؤمن من نفسه فايما رجل مات وترك دينا فالى ومن ترك مالا فهو لورثته و رواه ابوداود عن احمد بن حنبل به نحوه وقوله
تعالى وازواجه امهاتهم اى فى الحرمة والاحترام والتوقير والاكرام والاعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم الى
بناتهن واخواتهن بالاجماع وان سمى بعض العلماء بناتهن اخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعى رضى الله عنه
فى المختصر وهو من باب اطلاق
العبارة لا اثبات الحكم وهل يقال
لمعاوية وامثاله خال المؤمنين فيه
قولان للعلماء رضى الله عنهم ونص
الشافعى رضى الله عنه على انه يقال
ذلك وهل يقال له صلى الله عليه وسلم أبو
المؤمنين فيدخل النساء فى جمع المذكر
السالم تغليبا فيه قولان صح عن عائشة
رضى الله عنها انها قالت لا يقال
ذلك وهذا اصح الوجهين فى مذهب
الشافعى رضى الله عنه وقد روى
عن ابى بن كعب وابن عباس رضى
الله عنهم انهما قرآ النبى اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وروى نحو
هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة
والحسن وهو احد الوجهين فى
مذهب الشافعى رضى الله عنه
حكاه البغوى وغيره واستأنسوا
عليه بالحديث الذى رواه ابوداود
رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد
النفيلى حدثنا ابن المبارك عن محمد
ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم
عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فاذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة احجار
وينهى عن الروث والرمة واخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن عجلان والوجه الثانى انه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله اى فى حكم الله من المؤمنين والمهاجرين
اى القرابات اولى بالتوارث من المهاجرين والانصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التى كانت بينهم كما
قال ابن عباس وغيره كان المهاجرى يرث الانصارى دون قراباته وذوى رحمه للاخوة التى آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرمى بالشهب وقال مقاتل يعنى دائما الى النفخة الاولى والاول أولى وقد ذهب جمهور
المفسرين الى ان الواصب الدائم وقال السدى وأبو صالح والكلبى هو الموجع الذى
يصل وجعه الى القلب مأخوذ من الوصب أو الوصوب وهو المرض وقيل هو الشديد
(الا من خطف الخطفة) الاستثناء هو من قوله لا يسمعون أو من قوله ويقذفون وقيل
الاستثناء راجع الى غير الوحى لقوله انهم عن السمع لمعزولون بل يخطف الواحد منهم
خطفة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم مما سيكون فى العالم قبل ان يعلمه أهل
الارض والخطف الاختلاس مسارقة وأخذ الشئ بسرعة قرأ الجمهور خطف بفتح الخاء
وكسر الطاء مخففة وقرئ بكسرهما وتشديد الطاء وهى لغة تميم بن مر وبكر بن وائل وقرئ
بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وقرأ ابن عباس بكسرهما مع تخفيف الطاء وقيل ان
الاستثناء منقطع (فأتبعه) أى لحقه وتبعه (شهاب ثاقب) أى نجم مضئ أو مستوقد
فيحرقه أو يقتله ويخبله وربما لا يحرقه فيلقى الى اخوانه ما خطفه وليست الشهب التى ترجم
بها هى من الكواكب الثوابت بل من غير الثوابت وأصل الثقوب الاضاءة قال الكسائى
ثقبت النار تثقب ثقابة اذا اتقدت وهذه الآية هى كقوله الا من استرق السمع فأتبعه
شهاب مبين قال ابن عباس اذا رمى الشهاب لم يخطئ من رمى به وتلا فأتبعه شهاب ثاقب
وقال لا يقتلون بالشهاب ولا يموتون ولكنها تحرق وتخبل وتجرح فى غير قتل قال سليمان
الجمل قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل منها شعلة
يرمى بها الشيطان والكواكب باقية بحالها وهذا كمثل القبس الذى يؤخذ من النار
وهى على حالها ويعود الشيطان مرة أخرى مع انه يعلم أنه يصاب ولا يصل الى مقصوده رجاء
نيل المطلوب وطمعا فى السلامة كراكب البحر فانه يشاهد الغرق احيانا لكن يعود الى
ركوبه رجاء السلامة ونيل المقصود (فاستفتهم) اى اسأل الكفار المنكرين للبعث (أهم
أشد خلقا) وأقوى اجساما وأعظم أعضاء وأمتن بنية وأشق ايجادا وأصعب خلقا (أم من
خلقنا) من السموات والارض والجبال والملائكة قال الزجاج المعنى فاسألهم سؤال
تقرير أهم أحكم صنعة أم من خلقنا قبلهم ممن قبلهم من الامم السالفة يريد انهم ليسوا
باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بالتكذيب فما الذى يؤمنهم من العذاب
قرئ أم من خلقنا بتشديد الميم وهى أم المتصلة عطفت من على هم وقرئ بتخفيفها
وهو

وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف وقد اورد فيه ابن ابى حاتم حديثا عن الزبير بن العوام فقال حدثنا ابى
حدثنا احمد بن ابى بكر المصعبى من ساكنى بغداد عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضى
الله عنه قال انزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وذلك انا معشر قريش لما قدمنا
المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فواخيناهم وورثناهم فآخى أبو بكر رضى الله عنه خارجة بن زيد وآخى
عمر رضى الله عنه فلانا وآخى عثمان رضى الله عنه رجلا من بنى زريق بن سعد (٤٧) الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضى
الله عنه وواخيت أنا كعب بن مالك (٣) فجئته خرفا بلعته فاتبعته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى فوالله يا بنى لو مات يومئذ عن الدنيا ماورثه غيرى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والانصار خاصة فرجعنا الى مواريثنا وقوله تعالى الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أى ذهب الميراث وبقى النصر والبر والصلة والاحسان والوصية وقوله تعالى كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى هذا الحكم وهو ان أولى الارحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب فى الكتاب الاول الذى لا يبدل ولا يغير قاله مجاهد وغير واحد وان كان تعالى قد شرع خلافه فى وقت لما له فى ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم انه سينسخه الى ما هو جار فى قدره الازلى وقضائه القدرى الشرعى والله أعلم (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا
ألما) يقول تعالى مخبرا عن أولى العزم الخمسة وبقية الانبياء انه أخذ عليهم العهد والميثاق فى اقامة دين الله تعالى وابلاغ
رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فهذا
العهد والميثاق أخذ عليهم بعد ارسالهم وكذلك هذا ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص
على العام وقد صرح بذكرهم أيضا فى هذه الآية وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به

وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام أيضا ومن مبتدأ وخبره محذوف اى الذين خلقناهم
أشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك أتى بمن قاله السمين
وتكتب أم مفصولة من من فى هذا الموضع ثم ذكر خلق الانسان فقال (انا خلقناهم) اى
فى ضمن خلق أبيهم آدم (من طين لازب) اى لاصق يقال لزب يلزب لزوبا اذا لصق من باب
دخل وقال قتادة وابن زيد اللازب اللاصق وقال عكرمة اللازب اللزج وقال سعيد
ابن جبير اللازب الجيد الذى يلصق باليد وقال مجاهد هو اللازم والعرب تقول طين لازب
ولازم تبدل الباء من الميم واللازم الثابت كما يقال صار الشئ ضربة لازب ومنه قول النابغة

لا تحسبون الخير لا شر بعده * ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وحكى الفراء عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت قال الاصمعى واللاتب
اللاصق مثل اللازب والمعنى فى الآية ان هؤلاء كيف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من
هذا الخلق الضعيف ولم ينكره من هو مخلوق خلقا أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم وقيل
ان اللازب هو المنتن قاله مجاهد والضحاك قيل وقد قرئ لازم ولاتب ولا أدرى من قرأ
بذلك قال ابن عباس لازب ملتصق وقال اللزج الجيد وقال اللازب والحمأ والطين
واحد كان أوله ترابا ثم صار حمأ منتنا ثم صار طينا لازبا فخلق الله منه آدم وعن ابن مسعود
اللازب الذى يلصق بعضه الى بعض والآية تشهد عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين
غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب
فمن أين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده
ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث والغرض من هذا السياق اثبات المعاد والرد عليهم
فى دعوى استحالته ثم أضرب سبحانه عن الكلام السابق فقال (بل عجبت) يا محمد من
قدرة الله سبحانه أو من تكذيبهم اياك قرأ الجمهور بفتح التاء من عجبت على الخطاب للنبى
صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بضمها وقال الفراء قرأها الناس بنصب التاء ورفعها
والرفع أحب الى لانها عن على وعبد الله وابن عباس قال والعجب ان أسند الى الله فليس
معناه من الله كمعناه من العباد قال الهروى قال بعض الائمة معنى بل عجبت بل جازيتهم
على عجبهم لان الله أخبر عنهم فى غير موضع بالتعجب من الخلق كما قال وعجبوا أن جاءهم منذر
منهم وقالوا ان هذا الشئ عجاب أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم وقال على

---

(٣) قوله فجئته خرفا بلعته الخ هكذا فى الاصل وحرر الرواية اه مصححه

ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى واذ أخذنا من النبيين (٤٨) ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا وهو أشبه ورواه بعضهم عن قتادة موقوفا والله أعلم وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خيار ولد آدم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم موقوف وحمزة فيه ضعف وقد قيل ان المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ورفع أباهم آدم فنظر اليهم يعني ذريته وان فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال اني أحببت ان أشكر وأرى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذا قول مجاهد أيضا وقال ابن عباس الميثاق الغليظ العهد وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل وقوله تعالى وأعد للكافرين أي من أممهم عذابا أليما أي موجعا فنحن نشهد ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الامم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وان كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها أبعد

ابن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطب بالقرآن قال النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير وقيل ان معنى الاخبار من الله سبحانه عن نفسه بالعجب انه ظهر من أمره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم أي رضي ربكم وأثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة فيكون معنى عجبت هنا عظم فعلهم عندي وحكى النقاش ان معنى بل عجبت بل أنكرت قال الحسن بن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب وقيل معناه الانكار والذم وسئل الجنيد رحمه الله عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقيل معناه انه بالغ في كمال قدرته وكثرة مخلوقاته الى حيث عجب منها (و) هؤلاء لجهلهم (يسخرون) منها والواو للحال أي والحال انهم يسخرون أو للاستئناف والمعنى ويسخرون منك بسبب تعجبك أو بما تقوله من اثبات المعاد (واذا ذكروا لا يذكرون) اى واذا وعظوا بموعظة من مواعظ الله أو مواعظ رسوله لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيها قال سعيد بن المسيب أي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين ممن كان قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبروا (واذا رأوا آية) اى معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانشقاق القمر (يستسخرون) أي يبالغون في السخرية قال قتادة يسخرون ويقولون انها سخرية يقال سخر واستسخر بمعنى مثل قر واستقر وعجب واستعجب والاول أولى لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقيل المعنى يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزؤن (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أي ما هذا الذي تأتينا به الا سحر واضح ظاهر (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) الاستفهام للانكار أي أنبعث اذا متنا فالعامل في اذا هو ما دل عليه أئنا لمبعوثون وهو أنبعث لا نفس مبعوثون لتوسط ما يمنع من عمله فيه فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكارا وهذا الانكار للبعث منهم هو السبب الذي لاجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم واستهزؤا بما جاؤا به من المعجزات وقد تقدم تفسير معنى هذه الآية في مواضع (أو آباؤنا الاولون) هو مبتدأ وخبره محذوف اى آباؤنا الاولون مبعوثون يعنون انهم أقدم فبعثهم

أبعد وأبطل وقيل معطوف على ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون لوقوع الفصل بينهما والهمزة للانكار داخلة على حرف العطف ولهذا قرأ الجمهور بفتح الواو وقرئ بسكونها على ان أو هي العاطفة وليست الهمزة للاستفهام ثم أمر الله سبحانه رسوله بان يجيب عنهم تبكيتا لهم فقال (قل نعم) كلكم مبعوثون (وأنتم داخرون) أي صاغرون ذليلون والخطاب لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم قال الواحدي والدخور أشد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال (فانما) أي اذا كان الامر كذلك فانما (هي زجرة واحدة) أولا تستصعبوه فانما هي زجرة واحدة والضمير للقصة أو البعثة المفهومة مما قبلها أي انما قصة البعث أو البعثة صيحة واحدة من اسرافيل بنفخه في الصور عند البعث وقال الحسن هي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لان المقصود منها الزجر من قولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) أي يبصرون سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يفعل الله بهم من العذاب والاول أولى (وقالوا) أي قال أولئك المبعوثون لما عاينوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا (ياويلنا) دعوا بالويل على أنفسهم قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة وقال الفراء ان أصله يا وي لنا ووي بمعنى الحزن كأنه قال يا حزن لنا قال النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلا وهو في المصحف متصل ولا نعلم أحدا يكتبه الا متصلا والوقف هنا تام لان ما بعده كلام مستقل وجملة (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم بالويل على أنفسهم والدين الجزاء فكأنهم قالوا هذا اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا من الكفر والتكذيب للرسل فاجابتهم الملائكة بقولهم (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) ويجوز أن يكون هذا من قول بعضهم لبعض والفصل الحكم والقضاء لانه يفصل فيه بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) هو أمر من الله سبحانه للملائكة بان يحشروا المشركين (وأزواجهم) وهم أشباههم في الشرك والتابعون لهم في الكفر والمشايعون لهم في تكذيب الرسل كذا قال قتادة وأبو العالية وقال الحسن ومجاهد المراد بازواجهم نساؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والظلم وقال الضحاك أزواجهم قرناؤهم من الشياطين يحشر كل كافر مع شيطانه وبه قال مقاتل قال ابن عباس تقول الملائكة للزبانية هذا القول أو خطاب من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل

وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله واحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه اياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع وكان بسبب قدوم الاحزاب ان نفرا من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى خيبر منهم سلام ابن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا الى مكة فاجتمعوا باشراف قريش وألبوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم النصر والاعانة فاجابوهم الى ذلك ثم خرجوا الى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب وعلى غطفان عيينة ابن حصن بن بدر والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق وذلك باشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة كما قال الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فاسندوا ظهورهم الى سلع ووجوههم الى نحو العدو والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الخيالة والرجالة ان تصل اليهم وجعل النساء والذراري في آطام المدينة وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب اليهم حيي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومال الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الامر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر الا انهم لا يصلون اليهم ولم يقع بينهم قتال الا ان عمرو بن عبد

ودّ العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين اليه فيقال انه لم يبرز اليه أحد فأمر عليا رضي الله عنه فخرج اليه فتجاولا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة على النصر ثم أرسل الله عز وجل على الاحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم (٥٠) ريحا وجنودا قال مجاهد وهي الصبا ويؤيده الحديث الآخر نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل قال فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أرسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لي وقال من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسفي كل شيء فجعلت لا ألقى أحدا الا أمرته بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضرب به علي وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأنفذها الى الارض وقوله وجنودا لم تروها هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بني فلان الي فيجتمعون اليه فيقول النجاء النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال وكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض

من الموقف الى الجحيم وعن عمر بن الخطاب قال أمثالهم الذين هم مثلهم يجيء أصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر أزواج في الجنة وأزواج في النار وعن ابن عباس أيضا قال أشباههم وفي لفظ نظراؤهم أي من العصاة عابد الصنم مع عبدة الاصنام وعابد الكوكب مع عبدة الكواكب كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة ولا مانع من حمل الآية على الجميع (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام والشياطين ونحوها وهذا العموم المستفاد من ما الموصولة فانها عبارة عن المعبودين لا عن العابدين كما قيل مخصوص لان من طوائف الكفار من عبد المسيح ومنهم من عبد الملائكة فيخرجون بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ووجه حشر الاصنام مع كونها جمادات لا تعقل هو زيادة التبكيت لعابديها وتخجيلهم واظهار انها لا تنفع ولا تضر وقيل الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أي عرفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم اليها يقال هديته الطريق وهديته اليها أي دللته عليها وفي هذا تهكم بهم وقال ابن عباس وجهوهم ودلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم في الموقف يقال وقفت الدابة أقفها وقفا فوقفت هي وقوفا يتعدى ولا يتعدى وهذا الحبس لهم يكون قبل السوق الى جهنم أي وقفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار بعد ذلك كأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك (انهم مسؤلون) تعليل للجملة الاولى أي ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسئلوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله الآتي ما لكم بطريق التهكم والتوبيخ قال الكلبي أي مسؤلون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم أي جميعها وقال الضحاك عن خطاياهم وقيل عن لا اله الا الله وقيل عن ظلم العباد وقال ابن عباس احبسوهم انهم محبوسون وأخرج البخاري في تاريخه والدارمي والترمذي وابن جرير والحاكم وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا معه يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون وعن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع

عن

وحملناه على أعناقنا قال فقال حذيفة رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له النبي صلى الله عليه وسلم انه يرجع أدخله الله الجنة قال فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله تعالى ان يكون رفيقي (٥١) في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا قال فذهبت ودخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جليسه قال حذيفة رضي الله عنه فأخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن لا تحدث شيأ حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرجل فلما رآني أدخلني بين رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات برد شديد وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتي

عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذي (ما لكم لا تناصرون) اي اي شئ لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجيز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وأصل تناصرون تتناصرون فطرحت احدى التاءين تخفيفا وقيل الاشارة بقوله ما لكم الى قول أبي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر ثم أضرب سبحانه عما تقدم الى بيان الحالة التي هم عليها هنالك فقال (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون لعجزهم عن الحيلة قال قتادة مستسلمون خاضعون في عذاب الله وقال الاخفش ملقون بأيديهم يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع (وأقبل بعضهم) أي بعض الكفار (على بعض يتساءلون) أي يتلاومون ويتخاصمون قيل هم الاتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة قال ابن عباس ذلك اذا بعثوا في النفخة الثانية وقال مجاهد هو قول الكفار للشياطين وقال قتادة هو قول الانس للجن والاول أولى لقوله (قالوا انكم كنتم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) أي من جهة الحق والدين والطاعة وتصدوننا عنها قال الزجاج كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الدين والحق ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم قال الواحدي قال أهل المعاني ان الرؤساء كانوا قد حلفوا لهؤلاء الاتباع ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم فمعنى تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها قال والمفسرون على القول الاول وقيل المعنى تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك عن جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسميه السانح وقيل اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر كما في قوله فراغ عليهم ضربا باليمين أي بالقوة وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وكذلك جملة (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) اي قال الرؤساء أو الشياطين لهؤلاء القائلين كنتم تأتوننا عن اليمين بل لم تكونوا مؤمنين ولم نمنعكم من الايمان والمعنى انكم لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم عن الايمان الى الكفر بل كنتم من الاصل على الكفر فاقمتم عليه أجابوا باجوبة خمسة الاول بل لم تكونوا الخ والثاني قوله (وما كان لنا عليكم من

بخبر القوم يكون معى يوم القيامة فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة قم فاتنا بخبر من القوم فلم أجد بدا اذ دعانى باسمى ان أقوم فقال ائتنى بخبر القوم ولا تذعرهم على قال فمضيت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما فى كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم على ولو رميته لاصبته قال فرجعت كأنما أمشى فى حمام فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابنى البرد حين فرغت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسنى من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما ان أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان ورواه يونس ابن بكير عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم قال ان رجلا قال لحذيفة رضى الله عنه نشكو الى الله صحبتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره فقال حذيفة رضى الله عنه ونحن نشكو الى الله ايمانكم به ولم تروه والله لا تدرى يا ابن أخى لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق فى ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا وروى بلال بن يحيى العبسى عن حذيفة رضى الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقى فى الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى عن عبد العزيز ابن أخى حذيفة قال ذكر حذيفة رضى الله عنه مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا فى أصوات ريحها أمثال الصواعق وهى ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة فما يستأذنه أحد منهم الا أذن له ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك اذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى على وما على جنة من العدو ولا من البرد الا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى قال فاتانى صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتى فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتقاصرت الارض فقلت بلى يا رسول

سلطان) اى قوة وقدرة وتسلط بقهر وغلبة حتى ندخلكم فى الكفر ونخرجكم من الايمان والثالث قوله (بل كنتم قوما طاغين) أى متجاوزين الحد فى الكفر والضلال والرابع قوله (فحق علينا) أى وجب علينا وعليكم ولزمنا (قول ربنا) يعنون قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (انا) جميعا (لذائقون) العذاب الذى ورد به الوعيد قال الزجاج أى ان المضل والضال فى النار الخامس (فأغويناكم) أى أضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا فيه من الغى وزينا لكم ما كنتم عليه من الكفر فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغى على الرشد (انا كنا غاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لانا أردنا أن تكونوا امثالنا فى الغواية ومعنى الآية أقدمنا على أغوائكم لانا كنا موصوفين فى انفسنا بالغواية فاقروا ههنا بانهم تسببوا لاغوائهم لكن لا بطريق القهر والغلبة ونفوا عن انفسهم فيما سبق أنهم قهروهم وغلبوهم فقالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم اخبر الله سبحانه عن الاتباع والمتبوعين بقوله (فانهم يومئذ) اى يوم اذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاصمون بما سبق (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) اى باهل الاجرام وهم المشركون كما يفيده قوله سبحانه (انهم كانوا اذا قيل لهم) قولوا (لا اله الا الله يستكبرون) عن القبول واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وأنزل الله فى كتابه وذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهى لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قضية المدة وعن ابن عباس قال كانوا اذا لم يشرك بالله يستنكفون (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر) أى لقول شاعر (مجنون) لا يعقل يعنون النبى صلى الله عليه وآله وسلم فحكى الله سبحانه صدقه ورد عليهم بقوله (بل جاء بالحق) يعنى القرآن المشتمل على التوحيد والوعد والوعيد (وصدق المرسلين) أى

صدقهم

الله كراهية ان اقوم فقمت فقال انه كائن فى القوم خبر فائتنى بخبر القوم قال وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا قال فخرجت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله
ماخلق الله تعالى فزعا ولا قرا فى جوفى الا خرج من جوفى فما أجد فيه شيأ قال فلما وليت قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة لا تحدثن
فى القوم شيأ حتى تأتينى قال فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت فى ضوء نار لهم توقد فاذا رجل أدهم ضخم يقول بيده
على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف (٥٣) أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى
أبيض الريش فاضعه فى كبد قوسى لارميه به فى ضوء النار فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن فيهم شيأ حتى تأتينى قال فامسكت ورددت سهمى الى كنانتى ثم انى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله انى لاسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبى صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت فى الطريق أو نحوا من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك ان الله تعالى كفاه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل فى شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت اقرقف فاومأ الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلى فدنوت منه فاسبل علىّ شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى فاخبرته خبر القوم وأخبرته انى تركتهم
يرحلون وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله
بما تعملون بصيرا وأخرج أبو داود فى سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به
وقوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم أى الاحزاب ومن أسفل منكم تقدم عن حذيفة رضى الله عنه انهم بنو قريظة واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر أى من شدة الخوف والفزع وتظنون بالله الظنونا قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الدائرة على المؤمنين وان الله سيفعل ذلك وقال محمد بن اسحق فى قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت

صدقهم فيما جاؤا به من التوحيد والوعيد واثبات الدار الآخرة ولم يخالفهم ولا جاء بشئ
لم تأت به الرسل قبله (انكم) بسبب شرككم وتكذيبكم (لذائقوا العذاب الاليم) اى
الشديد وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب لاظهار كمال الغضب عليهم قرأ الجمهور لذائقوا
بحذف النون وخفض العذاب وقرئ بحذفها ونصب العذاب وأجاز سيبويه أيضا
والمقيمى الصلاة بنصب الصلاة على هذا التوجيه وقد قرئ باثبات النون ونصب العذاب
على الاصل ثم بين سبحانه ان ماذاقوه من العذاب ليس الا بسبب أعمالهم فقال (وما
تجزون الا) جزاء (ما) أو بما (كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى ثم استثنى المؤمنين فقال
(الا عباد الله المخلصين) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام اى الذين أخلصهم الله لطاعته
وتوحيده وقرئ بكسرها أى الذين اخلصوا لله العبادة والتوحيد والاستثناء اما متصل
على تقدير تعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين أو منقطع أى لكن عباد الله المخلصين
لا يذوقون العذاب (أولئك) المخلصون (لهم رزق) يرزقهم الله اياه (معلوم) فى حسن
منظره وطيبه ولذته ورائحته وطعمه وعدم انقطاعه قال قتادة يعنى الجنة وقيل معلوم
الوقت وهو ان يعطوا منه بكرة وعشيا كما فى قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس
اليه أسكن وقيل معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة وقيل معلوم القدر الذى
يستحقونه باعمالهم من ثواب الله تعالى وقيل هو المذكور فى قوله بعده (فواكه) فانه
بدل من رزق أو هو فواكه وهذا هو الظاهر والفواكه جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها
ويابسها وخص الفواكه بالذكر لان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه كذا قيل والاولى ان
يقال ان تخصيصها بالذكر لانها أطيب ما يأكلونه وألذ ما تشتهيه أنفسهم وقيل ان
الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها يغنى عن ذكر غيرها (وهم مكرمون) فى محل
نصب على الحال اى ولهم من الله عزوجل اكرام عظيم برفع درجاتهم عنده وسماع كلامه
ولقائه فى الجنة أو مكرمون فى نيل ثواب يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق
الدنيا قرئ مكرمون بتخفيف الراء وبتشديدها (فى جنات النعيم على سرر متقابلين)
قال عكرمة ومجاهد معنى التقابل انه لا ينظر بعضهم فى قفا بعض تواصلا وتحاببا وقيل
انها تدور بهم الاسرة كيف شاؤا فلا يرى بعضهم قفا بعض قرأ الجمهور سرر بضم الراء
وقرئ بفتحها وهى لغة بعض تميم قيل على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير

القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد
يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على ان يذهب الى الغائط وقال الحسن فى قوله عزوجل وتظنون بالله الظنونا
ظنون مختلفة ظن المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون ان ما وعد الله ورسوله حق وانه
سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصارى حدثنا أبو عامر سرح وحدثنا أبى
حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا الزبير يعنى ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ربيح بن عبد الرحمن
ابن أبى سعيد عن أبيه عن أبى
سعيد رضى الله عنه قال قلنا يوم
الخندق يا رسول الله هل من شئ
نقول فقد بلغت القلوب الحناجر
قال صلى الله عليه وسلم نعم قولوا
اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا
قال فضرب وجوه أعدائه بالريح
فهزمهم بالريح وكذا رواه الامام
احمد بن حنبل عن أبى عامر العقدى
(هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا واذ يقول المنافقون والذين
فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة
منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم
فارجعوا ويستأذن فريق منهم
النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما
هى بعورة ان يريدون الا فرارا)
يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال
حين نزلت الاحزاب حول المدينة
والمسلمون محصورون فى غاية الجهد
والضيق ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين أظهرهم انهم ابتلوا
واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا
فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين فى
قلوبهم مرض بما فى أنفسهم واذ
يقول المنافقون والذين فى قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا أما المنافق فنجم نفاقه والذى فى قلبه شبهة أو حسيكة لضعف حاله فتنفس بما لان
يجده من الوسواس فى نفسه لضعف ايمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى واذ قالت طائفة منهم
يا أهل يثرب يعنى المدينة كما جاء فى الصحيح أريت فى المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلى انها هجر فاذا هى يثرب وفى لفظ
المدينة فاما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن مهدى حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى
ليلى عن البراء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى انما هى طابة هى طابة

ما بين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى ايلة وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله أعلم
ذكره القرطبى ثم ذكر سبحانه صفة أخرى لهم فقال (يطاف عليهم بكأس) مستأنفة جواب
سؤال مقدر أو فى محل نصب على الحال والكأس عند أهل اللغة ما كان من الزجاج وهو
اسم شامل لكل اناء فيه الشراب فان كان فارغا فليس بكأس وقد تسمى الخمر نفسها كأسا
تسمية للشئ باسم محله قال الشاعر

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

وقال الضحاك والسدى كل كأس فى القرآن فهى الخمر قال النحاس وحكى من يوثق
به من أهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كأس فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح
كما يقال للخوان اذا كان فيه طعام مائدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مائدة (من معين)
صفة لكأس قال الزجاج أى من خمر تجرى كما تجرى العيون على وجه الارض ظاهرة
تراها العيون والمعين الماء الجارى وقوله (بيضاء لذة للشاربين) صفتان لكأس قال
الزجاج أى ذات لذة فحذف المضاف ويجوز ان يكون الوصف بالمصدر لقصد المبالغة فى
كونها لذة ولا يحتاج الى تقدير المضاف قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن له لذة
لذيذة يقال شراب لذ ولذيذ كما يقال نبات غض وغضيض واللذيذ كل شئ مستطاب وقيل
البيضاء هى التى لم تعتصرها الرجال ثم وصف هذه الكأس من الخمر بغير ما يتصف به خمر
الدنيا فقال (لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها مرض ولا
صداع قال الفراء العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال أبو عبيدة الغول
ان تغتال عقولهم وقال الواحدى الغول حقيقته الاهلاك يقال غاله غولا واغتاله أى
أهلكه والغول كل ما اغتالك أى أهلكك ومنه الغول بالضم شئ توهمته العرب ولها فيه
أشعار كالعنقاء (ولا هم عنها ينزفون) أى يسكرون يقال نزف الشارب فهو منزوف
ونزيف اذا سكر قرأ الجمهور ينزفون مبنيا للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر الزاى من
أنزف الرجل اذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف ومنزف يقال أحصد الزرع
اذا آن حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه قال الفراء من كسر الزاى فله معنيان
يقال أنزف الرجل اذا فنيت خمره وأنزف اذا ذهب عقله من السكر وتحمل هذه القراءة
على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة قال النحاس والقراءة الاولى أبين وأصح فى المعنى

تفرد به الامام أحمد وفى اسناده ضعف والله أعلم ويقال انما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد ابن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاذ بن آدم بن سام بن نوح قاله السهيلى قال وروى عن بعضهم انه قال ان لها فى التوراة أحد عشر اسما المدينة وطابة وطيبة والجليلة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وعن كعب الاحبار قال انا نجد فى التوراة يقول الله تعالى للمدينة ياطيبة وياطابة ويامسكينة لاتبتلى الكنوز أرفع أجاجرك على أجاجر القرى وقوله لامقام لكم أى ههنا يعنون عند النبى صلى الله عليه وسلم فى مقام

المرابطة فارجعوا أى الى بيوتكم ومنازلكم ويستأذن فريق منهم النبى قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها السرق وكذا قال غير واحد وذكر ابن اسحق ان القائل ذلك هو أوس بن قيظى يعنى اعتذروا فى الرجوع الى منازلهم بانها عورة أى ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى وماهى بعورة اى ليس كما يزعمون ان يريدون الافرارا اى هربا من الزحف (ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الايسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لاتمتعون الاقليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوأ او اراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياولانصيرا) يخبر تعالى عن هؤلاء الذين يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الافرارا أنهم لودخل عليهم الاعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهى الدخول فى الكفر لكفروا سريعا وهم لايحافظون على الايمان ولايستمسكون به مع أدنى خوف وفزع هكذا فسره قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم فى غاية الذم ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ان لايولوا الادبار ولا يفرون من الزحف وكان عهد الله مسؤلا أى وان الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد لابد من ذلك ثم أخبرهم ان فرارهم ذلك لايؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا فى تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى واذا لاتمتعون الاقليلا أى بعد هربكم وفراركم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ثم قال تعالى قل من ذا الذى

لان معنى ينزفون عند جمهور المفسرين لاتذهب عقولهم فنفى الله سبحانه عن خمر الجنة الآفات التى تلحق فى الدنيا من خمرها من الصداع والسكر وقال الزجاج وأبو على الفارسى معنى لا ينزفون بكسر الزاى لايسكرون قال المهدوى لايكون معنى ينزفون يسكرون لان قبله لافيها غول أى لاتغتال عقولهم فيكون تكريرا وهذا يقوى ماقاله قتادة ان الغول وجع البطن وكذاروى ابن أبى نجيح عن مجاهد وقال الحسن ان الغول الصداع وبه قال ابن عباس وقال ابن كيسان هو المغص فيكون معنى الآية لايكون فيها نوع من أنواع الفساد المصاحبة لشرب الخمر فى الدنيا من مغص أو وجع بطن أو صداع أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولاهم يسكرون منها ويؤيد هذا ان أصل الغول الفساد الذى يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا أفسد عليه أمره فى خفية ومنه الغول والغيلة القتل خفية وقرئ ينزفون بفتح الياء وكسر الزاى وقرئ بفتح الياء وضم الزاى عن ابن عباس قال فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقىء والبول فنزه الله خمر الجنة عنها فقال لافيها غول أى لاتغول عقلهم من السكر ولاهم عنها ينزفون قال لايقيئون عنها كما يقىء صاحب خمر الدنيا عنها وعنه قال هى الخمر ليس فيها وجع بطن قال فى النهر ذكر أولا الرزق وهو ماتتلذذ به الاجسام وثانيا الاكرام وهو ماتتلذذ به النفوس ثم ذكر المحل الذى هم فيه وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر ثم لذة التأنس بان بعضهم مقابل بعضا وهو أتم السرور وآنسه ثم المشروب وانهم لايتناولون ذلك بأنفسهم بل يطاف عليهم بالكؤس ثم وصف مايطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق وهى أبلغ الملاذ وهى التأنس بالنساء فقال (وعندهم قاصرات الطرف) أى نساء حابسات الاعين غاضات العيون قصرن طرفهن على أزواجهن فلايردن غيرهم والقصر معناه الحبس وقيل القاصرات المحبوسات على أزواجهن والاول أولى لانه قال قاصرات الطرف ولم يقل مقصورات (عين) أى عظام العيون جمع عيناء وهى الواسعة العين والذكر أعين قال الزجاج معنى عين كبار الاعين حسانها وقال مجاهد العين حسان العيون عظام المقلة وقيل نجل العيون بضم النون جمع نجلاء وهى التى اتسع شقها سعة غير مفرطة وقال الحسن هن الشديدات بياض العين الشديدات سوادها والاول أولى (كأنهن بيض) جمع بيضة وهو معروف

يعصمكم من الله أى يمنعكم ان أراد بكم سوأ او أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا أى ليس لهم ولا لغيرهم
من دون الله مجير ولا مغيث (قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير
أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) يخبر تعالى عن احاطة علمه بالمعوّقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين
لاخوانهم اى اصحابهم وعشائرهم وخلطائهم هلم الينا اى الى ما نحن فيه من الاقامة فى الظلال والثمار وهم
مع ذلك لا يأتون البأس الا قليلا
أشحة عليكم اى بخلاء بالمودة
والشفقة عليكم وقال السدى
أشحة عليكم اى فى الغنائم فاذا
جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك
تدور أعينهم كالذى يغشى عليه
من الموت اى من شدة خوفه
وجزعه وهكذا خوف هؤلاء
الجبناء من القتال فاذا ذهب
الخوف سلقوكم بالسنة حداد أى
فاذا كان الأمن تكلموا كلاما
بليغا فصيحا عاليا وادعوا لانفسهم
المقامات العالية فى الشجاعة
والنجدة وهم يكذبون فى ذلك وقال
ابن عباس رضى الله عنهما سلقوكم
أى استقبلوكم وقال قتادة أما عند
الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة
أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم
واما عند البأس فأجبن قوم وأخذلة
للحق وهم مع ذلك أشحة على
الخير اى ليس فيهم خير قد جمعوا
الجبن والكذب وقلة الخير فيهم كما
قال فى امثالهم الشاعر

افى السلم اعيار جفاء وغلظة
وفى الحرب أمثال النساء العواتك

اى فى حال المسالمة كأنهم الحمر
والاعيار جمع عير وهو الحمار وفى الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله
اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا اى سهلا هينا عنده (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودّوا لو أنهم بادون فى
الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) وهذا ايضا من صفاتهم القبيحة فى الجبن والخور والخوف يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وان لهم عودة اليهم وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يسألون عن انبائكم اى
ويودون اذا جاءت الاحزاب انهم لا يكونون حاضرين معكم فى المدينة بل فى البادية يسألون عن أخباركم وما كان من امركم مع
وحاسبون

(مكنون) أى مصون مستور من كننته اذا جعلته فى كن قال الحسن وابن زيد شبهن
ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه أبيض فى صفرة وهو أحسن
ألوان النساء عند العرب والا فأحسنها عند العجم والروم الابيض المشرب بحمرة وقال
سعيد بن جبير والسدى شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وتمسه الايدى وبه قال ابن
جرير قال المبرد وتقول العرب اذا وصفت الشئ بالحسن والنظافة كأنه بيض النعام
المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر أى انهن عذارى وقيل المراد بالبيض
اللؤلؤ كما فى قوله وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون والاول أولى وانما قال مكنون ولم
يقل مكنونات لانه وصف البيض باعتبار اللفظ وعن ابن عباس فى قوله كأنهن بيض
مكنون قال اللؤلؤ المكنون وعنه قال بياض البيضة ينزع عنها فوفها وغشاؤها (فأقبل
بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل هذا ذاك وذاك هذا
حال شربهم عن أحوالهم التى كانت فى الدنيا وما جرى لهم وما عملوه وذلك من تمام نعيم
الجنة والتقدير فيقبل بعضهم على بعض وانما عبر عنه بالماضى للتأكيد والدلالة على
تحقق وقوعه قيل المعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال الشاعر

فما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

(قال قائل منهم) أى من أهل الجنة فى حال اقبال بعضهم على بعض بالحديث وسؤال
بعضهم لبعض (انى كان لى قرين) أى صاحب ملازم لى فى الدنيا كافر بالبعث منكر له قيل
كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس وقيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين
أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما
فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين والاول أولى (يقول) لى (أئنك لمن
المصدقين) بالبعث والجزاء وهذا الاستفهام من القرين لتوبيخ ذلك المؤمن وتبكيته
بايمانه وتصديقه بما وعد الله به من البعث وكان هذا القول منه فى الدنيا قرأ الجمهور
مصدقين بتخفيف الصاد من التصديق اى لمن المصدقين بالبعث وقرئ بتشديدها ولا ادرى
من قرأ بها ومعناها بعيد لانها من التصدق لا من التصديق ويمكن تأويلها بأنه انكر عليه
التصدق بماله لطلب الثواب وعلل ذلك باستبعاد البعث ثم ذكر ما يدل على الاستبعاد
للبعث عنده وفى زعمه فقال (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) اى لمجزيون بأعمالنا

عدوكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اى ولو كانوا بين اظهركم لما قاتلوا معكم الا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله
سبحانه وتعالى العالم بهم (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى
المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) هذه الآية الكريمة أصل كبير
في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه
وسلم يوم الاحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه
عليه دائما الى يوم الدين ولهذا قال
تعالى للذين تقلقوا وتضجروا
وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم
الاحزاب لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة أي هلا اقتديتم
به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه
وسلم ولهذا قال تعالى لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر وذكر
الله كثيرا ثم قال تعالى مخبرا عن
عباده المؤمنين المصدقين بموعود
الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم
في الدنيا والآخرة فقال تعالى ولما
رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله قال ابن عباس رضي الله
عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في
سورة البقرة أم حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا
ان نصر الله قريب أي هذا ما وعدنا
الله ورسوله من الابتلاء والاختبار
والامتحان الذي يعقبه النصر
القريب ولهذا قال تعالى وصدق
الله ورسوله وقوله تعالى وما زادهم
 الا ايمانا وتسليما دليل على زيادة الايمان وقوته بالنسبة الى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الائمة انه يزيد
وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ومعنى قوله جلت عظمته وما زادهم أي ذلك الحال والضيق والشدة
الا ايمانا بالله وتسليما أي انقيادا لاوامره وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان
غفورا رحيما) لما ذكر عز وجل عن المنافقين انهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله لا يولون الادبار وصف المؤمنين بانهم

ومحاسبون بها بعد أن صرنا ترابا وعظاما وقيل معنى مدينون مسوسون يقال دانه اذا
ساسه وقد اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة فقرأ نافع الاولى والثانية
بالاستفهام بهمزة والثالثة بكسر الالف من غير الاستفهام ووافقه الكسائي الا انه
يستفهم الثالثة بهمزتين وابن عامر الاولى والثالثة بهمزتين والثانية بكسر الالف
من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة
واحدة غير مطولة وبعده ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين
(قال هل انتم مطلعون) القائل هو المؤمن الذي في الجنة بعد ما حكى لجلسائه فيها ما قاله
له قرينه في الدنيا اى هل انتم يا اخواني مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين الذي
قال لي تلك المقالة كيف منزلته في النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا قال ابن
الاعرابي والاستفهام هو بمعنى الامر أي اطلعوا وقيل القائل هو الله سبحانه وقيل
الملائكة والاول أولى قرأ الجمهور مطلعون بتشديد الطاء مفتوحة وبفتح النون فاطلع
ماضيا مبنيا للفاعل من الطلوع وقرأ ابن عباس ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو مطلعون
بسكون الطاء وفتح النون فأطلع بقطع الهمزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول
وقرئ مطلعون بتخفيف الطاء وكسر النون فاطلع مبنيا للمفعول وأنكرها أبو حاتم وغيره
قال النحاس هي لحن لانه لا يجوز الجمع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لقال هل أنتم
مطلعي وان كان سيبويه والفراء قد حكيا مثله ولكنه شاذ خارج عن كلام العرب (فاطلع
فرآه في سواء الجحيم) أي فاطلع ذلك المؤمن على النار الذي صار يحدث أصحابه في الجنة بما
قال له قرينه في الدنيا فرأى قرينه في وسط الجحيم وقال الزجاج سواء كل شيء وسطه قال
النحاس فاطلع فيه قولان أحدهما ان يكون فعلا مستقبلا أي فأطلع أي أنا والثاني ان
يكون فعلا ماضيا أي المؤمن قال ابن مسعود في الآية اطلع ثم التفت الى أصحابه فقال
لقد رأيت جماجم القوم تغلي قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار
جمع كوة وهي الثقب في الحائط وهي بفتح الكاف وضمها وفي الجمع وجهان كسرها
وضمها لكن مع الكسر يصح المد والقصر ومع الضم يتعين القصر (قال) ذلك الذي من أهل
الجنة لما اطلع على قرينه ورآه في النار (تالله ان كدت لتردين) أي لتهلكني بالاغواء
وفيه معنى التعجب قال الكسائي الردى الهلاك قال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار

استمروا على العهد والميثاق وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه قال بعضهم أجله وقال البخارى عهده وهو يرجع الى الاول ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا أى وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه قال البخارى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد الا مع خزيمة بن ثابت الانصارى رضى الله عنه الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه انفرد به البخارى دون مسلم وأخرجه أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما من حديث الزهرى به وقال الترمذى حسن صحيح وقال البخارى أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد ابن عبد الله الانصارى حدثنى أبى عن ثمامة عن انس بن مالك رضى الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر رضى الله عنه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية انفرد به البخارى من هذا الوجه ولكن له شواهد من طرق أخر قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال انس عمى أنس بن النضر رضى الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أرانى الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عزوجل ما أصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له انس رضى الله عنه يا أبا عمرو الى اين واها لريح الجنة انى اجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه قال فوجد فى جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية فقالت اخته عمتى الربيع ابنة النضر فما عرفت اخى الا ببنانه قال فنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفى أصحابه رضى الله عنهم ورواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائى أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس رضى الله عنه به نحوه وقال ابن أبى حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حميد عن

لكان جائزا قال مقاتل المعنى والله لقد كدت أن تغوينى فانزل منزلتك والمعنى متقارب فمن أغوى انسانا فقد أهلكه (ولولا نعمة ربى) أى رحمته وانعامه على بالاسلام وهدايتى الى الحق وعصمتى عن الضلال (لكنت) معك فى النار (من المحضرين) قال الماوردى ولا يستعمل أحضر الا فى الشر ولما تم كلامه مع ذلك القرين الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال (أفما نحن بميتين) الهمزة للاستفهام التقريرى وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على محذوف كما فى نظائره أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وقرأ زيد بن على بمائتين قال ابن عباس فى الآية قول الله لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون قال هنيأ أى لا تموتون فيها فعند ذلك قالوا أفما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم وقيل هذا السؤال من أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت وقيل من قولهم توبيخا للكفار لما كانوا ينكرونه من البعث وانه ليس الا الموت فى الدنيا والاول أولى (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذى لا ينقطع وانهم مخلدون لا يموتون أبدا والاستثناء مفرغ وقيل منقطع بمعنى لكن (وما نحن بمعذبين) كما يعذب الكفار ثم قال مشيرا الى ما هم فيه من النعيم (ان هذا) الامر العظيم والنعيم المقيم والخلود الدائم الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) الذى لا يقادر قدره ولا يمكن الاحاطة بوصفه (لمثل) أى لنيل مثل (هذا) العطاء والفضل العظيم (فليعمل العاملون) فان هذه هى التجارة الرابحة لا العمل للدنيا الزائلة وحظوظها المشوبة بالآلام السريعة الانصرام فانها صفقة خاسرة نعيمها منقطع وخيرها زائل وصاحبها عن قريب منها راحل وهذا من تمام كلامه وقيل ان هذا من قول الله سبحانه قاله ابن عباس وقيل من قول الملائكة والاول أولى وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال كنت امشى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده فى يدى فرأى جنازة فأسرع المشى حتى أتى القبر ثم جثا على ركبتيه فجعل يبكى حتى بل الثرى ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون واخرج ابن مردويه عن انس قال دخلت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم على مريض يجود بنفسه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون (أذلك) الذى ذكره من نعيم الجنة وهو مبتدأ وخبره (خير) و (نزلا) تمييز والنزل فى أصل اللغة الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ والرزق

الذى

الذى يصلح ان ينزلوا معه و يقيموا فيه والخيرية بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره
والمعنى قل يا محمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت والتهكم أذلك الرزق المعلوم الذى
حاصله اللذة والسرور خير نزلا (أم شجرة الزقوم) أى التى حاصلها الالم والغم قال الزجاج
المعنى أذلك خير فى باب الانزال التى يقوون بها نزلا ام نزل اهل النار وهو الزقوم وهو ما يكره
تناوله قال الواحدى وهو شئ مر كريه يكره اهل النار على تناوله فهم يتزقمونه فهى على هذا
مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها واختلف فيها هل هى من شجر الدنيا
التى تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا فقال قطرب انها
شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة من اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل
وقيل شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات والاضافة من اضافة المسمى الى
الاسم القول الثانى انها غير معروفة فى شجر الدنيا وقيل انه قال ابن الزبعرى لصناديد
قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وهى بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هى بلغة اهل اليمن قال
قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة افتتن بها الظلمة فقالوا كيف تكون فى النار شجرة فانزل
الله تعالى (انا جعلناها فتنة للظالمين) قال الزجاج اى حين افتتنوا بها وكذبوا بوجودها ولم
يعلموا أن من يقدر على خلق حيوان وهو السمندل يعيش فى النار ويتلذذ بها يقدر على خلق
الشجر فى النار وحفظه منها وقيل معنى جعلها فتنة لهم أنها محنة لهم لكونهم يعذبون بها
والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصى الموجبة للنار ثم بين سبحانه أوصاف هذه
الشجرة ردا على منكريها فقال (انها شجرة تخرج) أى تنبت (فى أصل الجحيم) أى فى قعرها
وأسفلها قال الحسن أصلها فى قعر جهنم وأغصانها ترفع الى دركاتها أخرج ابن مردويه
عن ابن عباس قال مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس فلما بعد قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فلما سمع أبو جهل قال
من توعد يا محمد قال اياك قال بم توعدنى قال أوعدك بالعزيز الكريم فقال أبو جهل أليس
أنا العزيز الكريم فانزل الله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الى قوله ذق انك أنت العزيز
الكريم فلما بلغ أباجهل ما نزل فيه جمع أصحابه فأخرج اليهم زبدا وتمرا فقال تزقموا من هذا
فوالله ما يتوعدكم محمد الا بهذا فانزل الله انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم الآية وعنه قال
لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الارض لأفسدت على الناس معايشهم ثم قال الله

انس رضى الله عنه قال ان عمه يعنى انس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله
عليه وسلم المشركين لئن اشهدنى الله عزوجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما اصنع قال فلما كان يوم احد انكشف المسلمون
فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فلقيه سعد يعنى ابن معاذ
رضى الله عنه دون احد فقال انا معك قال سعد رضى الله عنه فلم استطع ان اصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون
ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفى أصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
واخرجه الترمذى فى التفسير عن
عبد بن حميد والنسائى فيه أيضا عن
اسحق بن ابراهيم كلاهما عن يزيد
ابن هرون به وقال الترمذى حسن
وقد رواه البخارى فى المغازى عن
حسان بن حسان عن محمد بن طلحة
عن مصرف عن حميد عن انس
رضى الله عنه به ولم يذكر نزول
الآية ورواه ابن جرير من حديث
المعتمر بن سليمان عن حميد عن أنس
رضى الله عنه به وقال ابن ابى حاتم
حدثنا احمد بن الفضل العسقلانى
حدثنا سليمان بن ايوب بن سليمان
حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة بن
عبيد الله حدثنى ابى عن جدى عن
موسى بن طلحة عن ابيه طلحة رضى
الله عنه قال لما ان رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أحد
صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى
عليه وعزى المسلمين بما أصابهم
وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر
والذخر ثم قرأ هذه الآية من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه الآية
كلها فقام اليه رجل من المسلمين
فقال يارسول الله من هؤلاء فأقبلت
وعلى ثوبان أخضران حضرميان فقال أيها السائل هذا منهم وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحى به وأخرجه
الترمذى فى التفسير والمناقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابنى طلحة عن ابيهما
رضى الله عنه به وقال حسن غريب لانعرفه الا من حديث يونس وقال ايضا حدثنا احمد بن عصام الانصارى حدثنا أبو عامر يعنى
العقدى حدثنى اسحق يعنى ابن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية رضى الله عنه فلما خرجت دعانى
فقال الا أضع عندك يا ابن أخى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

طلحة ممن قضى نحبه ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحمانى عن اسحق بن يحيى بن طلحة الطلحى عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه ولهذا قال مجاهد فى قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يعنى عهده ومنهم من ينتظر قال يوما فيه القتال فيصدق فى اللقاء وقال الحسن فمنهم من قضى نحبه يعنى موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم نحبه نذره وقوله تعالى وما بدلوا تبديلا (٦٠) أى وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقوله تعالى ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اى انما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع انه تعالى يعلم الشئ قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم فهذا علم بالشئ بعد كونه وان كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده وكذا قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولهذا قال تعالى ههنا ليجزى الله الصادقين بصدقهم اى بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظتهم عليه ويعذب المنافقين وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته فى الدنيا ان شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه وان شاء تاب عليهم بان أرشدهم الى النزوع عن النفاق الى الايمان والعمل الصالح بعد الفسوق ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هى الغالبة لغضبه جل جلاله قال تعالى ان الله كان غفورا رحيما (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) يقول تعالى مخبرا عن الاحزاب لما اجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا ان الله تعالى جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد

تعالى (طلعها) الطلع حقيقة اسم لثمر النخل أول بروزه فاطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة والمعنى ثمرها وما تحمله (كأنه) فى تناهى قبحه وهوله وشناعة منظره (رؤس الشياطين) فشبه المحسوس بالمتخيل وان كان غير مرئى للدلالة على انه غاية فى القبح كما يقولون فى تشبيه من يستقبحونه كأنه شيطان وفى تشبيه من يستحسنونه كأنه ملك كما فى قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قال الزجاج والفراء الشياطين حيات هائلة لها رؤس وأطراف وهى من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسما وقيل ان رؤس الشياطين اسم لنبت قبيح معروف باليمن يقال له الاستن ويقال له الشيطان قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب وقيل هو شجر خشن منتن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وقيل هو شجر يقال له الصرم فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة وقيل انه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات (فانهم لآكلون) لشدة جوعهم أو لقهرهم على الاكل (منها) أى من الشجرة أو من طلعها والتأنيث لاكتساب الطلع التأنيث من اضافته الى الشجرة (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة (ثم ان لهم عليها) أى على الشجرة بعد الاكل منها (لشوبا من حميم) الشوب الخلط قال الفراء يقال شاب طعامه وشرابه اذا خلطهما بشئ يشوبهما شوبا وشيابة وقال ابن عباس شوبا مزجا أى يخالط طعامهم ويشاب بالحميم وهو الماء الحار فأخبر الله سبحانه أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون أفظع لعذابهم وأشنع لحالهم كما فى قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قرأ الجمهور بفتح الشين وهو مصدر وقرأ شيبان النحوى بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض (ثم ان مرجعهم) بعد شرب الحميم واكل الزقوم (لالى الجحيم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج الجحيم كما تورد الابل ثم يردون الى الجحيم كما فى قوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم آن وهذا قول الاقل والجمهور على انه داخلها وانهم لا يخرجون أصلا وقيل ان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها قال أبو عبيدة ثم بمعنى الواو وقرأ ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وعنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء أهل الجنة وأهل النار وقرأ ان مقيلهم

لالى

ولكن قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم اخلاط
من قبائل شتى احزاب وآراء فناسب ان يرسل عليهم الهواء الذى فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيرا
لا فى الدنيا مما كان فى انفسهم من الظفر والمغنم ولا فى الآخرة بما تحملوه من الآثام فى مبارزة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداوة
وهمهم بقتله واستئصال جيشه ومن هم بشئ وصدق همه بفعله فهو فى الحقيقة كفاعله وقوله تبارك وتعالى وكفى الله المؤمنين
القتال أى لم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده
ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا اله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم
الاحزاب وحده فلا شئ بعده
أخرجاه من حديث أبى هريرة رضى
الله عنه وفى الصحيحين من حديث
اسمعيل بن أبى خالد عن عبد الله
ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الاحزاب فقال اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب اهزم
الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم
وفى قوله عز وجل وكفى الله المؤمنين
القتال اشارة الى وضع الحرب بينهم
وبين قريش وهكذا وقع بعدها
لم يغزهم المشركون بل غزاهم
المسلمون فى بلادهم قال محمد بن
اسحق لما انصرف اهل الخندق
عن الخندق قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما بلغنا لن تغزوكم
قريش بعد عامكم هذا ولكنكم
تغزونهم فلم تغز قريش بعد ذلك
وكان صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم
بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة
عليه وهذا الحديث الذى ذكره
محمد بن اسحق حديث صحيح كما قال
الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى أبو اسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول قال رسول صلى الله عليه
وسلم يوم الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا وهكذا رواه البخارى فى صحيحه من حديث الثورى واسرائيل عن أبى اسحق به وقوله تعالى
وكان الله قويا عزيزا أى بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الاسلام واهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد
والمنة (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا) قد تقدم ان بنى قريظة لما قدمت جنود الاحزاب ونزلوا على

لا الى الجحيم (انهم ألفوا) أى وجدوا (آباءهم ضالين) تعليل لاستحقاقهم ما تقدم ذكره
أى صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم تقليدا وضلالة لا لحجة أصلا قال أبو السعود أى تقليد
آبائهم فى الدين من غير ان يكون لهم أولآبائهم شئ يتمسك به أصلا (فهم على آثارهم
يهرعون) أى من غير ان يتدبروا انهم على الحق أولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى
تأمل والاهراع الاسراع الشديد وقال الفراء الاسراع برعدة وقال أبو عبيدة يهرعون
يستحثون من خلفهم يقال جاء فلان يهرع الى النار اذا استحثه البرد اليها وقال المفضل
يزعجون من شدة الاسراع قال الزجاج هرع وأهرع اذا استحث وازعج والمعنى يتبعون
آباءهم فى سرعة كأنهم يزعجون الى اتباع آبائهم وذلك فى الدنيا (ولقد ضل قبلهم) أى
قبل هؤلاء المذكورين (اكثر الاولين) من الامم الماضية بالتقليد ورفض الدليل
وترك النظر وايثار التأويل (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) أى أرسلنا فى هؤلاء الاولين
رسلا أنذروهم العذاب وحذروهم عواقب التقليد وبينوا لهم الحق فلم ينجع ذلك فيهم
وكذلك لا ينجع فى مقلدة هذا الزمان فما أشبه الليلة بالبارحة (فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين) أى الذين أنذرتهم الرسل فانهم صاروا الى النار قال مقاتل يقول كان عاقبتهم
العذاب يحذر كفار مكة والخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يتأتى منه
التمكن من مشاهدة آثارهم ثم استثنى عباده المؤمنين فقال (الا عباد الله المخلصين) أى
الا من أخلصهم الله بتوفيقهم الى الايمان والتوحيد وايثار الدليل وترك التقليد وقرئ
المخلصين بكسر اللام أى الذين أخلصوا لله طاعتهم ولم يشوبوها بشئ مما يغيرها * ولما ذكر
سبحانه انه أرسل فى الامم الماضية منذرين ذكر تفصيل بعض ما أجمله فيما سبق فقال
(ولقد نادانا نوح) اللام هى الموطئة للقسم والمراد ان نوحا دعا ربه على قومه لما عصوه
فاجاب الله دعاءه وأهلك قومه بالطوفان فالنداء هنا هو نداء الدعاء لله والاستغاثة به كقوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله انى مغلوب فانتصر وحاصل ما يأتى من
القصص سبع قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة اسمعيل وقصة موسى وهارون وقصة الياس
ولوط ويونس (فلنعم المجيبون) له نحن أى دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه والواو للتعظيم
(ونجيناه وأهله) المراد باهله أهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين أو زوجته وأولاده

المدينة نقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري لعنه الله دخل
حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئتك بعز الدهر أتيتك بقريش وأحابيشها
وغطفان وأتباعها ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه فقال له كعب بل والله أتيتني بذل الدهر ويحك يا حيي انك مشؤم
فدعنا منك فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابه واشترط له حيي ان ذهب الاحزاب ولم يكن من أمرهم شيء ان يدخل معهم
في الحصن فيكون له أسوتهم فلما نقضت قريظة و بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه وشق عليه وعلى
المسلمين جدا فلما أيده الله تعالى
ونصره وكبت الاعداء وردهم
خائبين باخسر صفقة ورجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغتسل من وعثاء تلك المرابطة في
بيت أم سلمة رضي الله عنها اذ تبدى له
جبريل عليه الصلاة والسلام
معتجرا بعمامة من استبرق على
بغلة عليها قطيفة ديباج فقال
أوضعت السلاح يا رسول الله قال
صلى الله عليه وسلم نعم قال لكن
الملائكة لم تضع أسلحتها وهذا الآن
رجوعي من طلب القوم ثم قال ان
الله تبارك وتعالى يأمرك ان تنهض
الى بني قريظة وفي رواية فقال له
عذيرك من يقاتل أوضعتم السلاح
قال نعم قال لكنا لم نضع أسلحتنا بعد
انهض الى هؤلاء قال صلى الله
عليه وسلم أين قال بني قريظة فان
الله تعالى أمرني ان ازلزل عليهم
فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فوره وأمر الناس بالمسير الى بني
قريظة وكانت على أميال من
المدينة وذلك بعد صلاة الظهر وقال صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فسار ولا
الناس فادركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجيل السير وقال
آخرون لا نصليها الا في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة
ابن ام مكتوم رضي الله عنه وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا
وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لانهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية واعتقدوا

الثلاثة و زوجاتهم الثلاث (من الكرب العظيم) هو الغرق وقيل تكذيب قومه له وما
يصدر اليه منهم من أنواع الاذى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وحدهم دون غيرهم كما
يشعر به ضمير الفصل وذلك لان الله أهلك الكفرة بدعائه ولم يبق منهم باقية ومن كان معه
في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل ولم يبق الا أولاده قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح
ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام
أبو السودان من المشرق الى المغرب السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط
والبربر وغيرهم و يافث أبو الصقالب والترك والخزر ويأجوج ومأجوج وغيرهم وقيل
انه كان لمن مع نوح ذرية كما يدل عليه قوله ذرية من حملنا مع نوح وقوله قيل يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم فيكون
على هذا معنى الآية ذريته وذرية من معه دون ذرية من كفر فان الله أغرقهم فلم يبق لهم
ذرية والاول أولى وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم عن سمرة بن جندب
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال حام وسام و يافث وأخرج أحمد والترمذي
وحسنه وأبو يعلى وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم والحديثان هما من سماع
الحسن عن سمرة وفي سماعه منه مقال معروف وقد قيل انه لم يسمع منه الا حديث العقيقة
فقط وما عداه فبواسطة قال ابن عبد البر وقد روي عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم مثله وأخرج البزار وابن أبي حاتم والخطيب في تالي التلخيص عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فولد سام
العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة
ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وهو من حديث اسماعيل بن عياش عن
يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عنه قلت في الآية دليل على ان الطوفان عم كل
البلاد وشمل جميع العباد ولم يبق أحد من الناس سوى من كان معه في السفينة والفرس
وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الامم
المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى
الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا أغرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان

انه يحسن اليهم فى ذلك كما فعل عبد الله بن أبى ابن سلول فى مواليه بنى قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء ان سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن ابى فى أولئك ولم يعلموا ان سعدا رضى الله عنه كان قد أصابه سهم فى أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكحله وأنزله فى قبة فى المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتنى حتى تقرعينى من بنى قريظة فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم ان نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء أنفسهم فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطؤا له عليه جعل الاوس يلوذون به ويقولون ياسعد انهم مواليك فاحسن فيهم ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فعرفوا انه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقام اليه المسلمون فانزلوه اعظاما واكراما واحتراما له فى محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء وأشار اليهم قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت فقال رضى الله عنه وحكمى نافذ عليهم قال صلى الله عليه وسلم نعم قال وعلى من فى هذه الخيمة قال نعم قال وعلى من ههنا واشار الى الجانب الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا واكراما واعظاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال رضى الله عنه انى أحكم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة وفى رواية لقد حكمت بحكم الملك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاخاديد فخدت فى الارض وجئ بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة الى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه فى كتاب السيرة الذى أفردناه موجزا وبسيطا ولله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى وأنزل الذين ظاهروهم أى عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب

ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع فى زمان طهمورث وان أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع فى مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك باصبهان فامر بتجليد العلوم ودفنها فيها فى أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سنى الهجرة فى حى من مدينة أصفهان من التلال التى انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسى وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هى ذكره المقريزى فى الخطط وقال بعض محققى الهنود ان سرى كشن الهندى قد أخبر قبل وفاته بسبعة أيام ان بلدة دواركا ستغرق عن قريب وأشار الى حصول الطوفان بارض الهند والحق ما دلت عليه هذه الآية وغيرها من عموم الغرق للعمران وشمول الطوفان لجميع الارض ونوع الانسان ولا يلتفت الى قول من أنكره أو أوله أو خصه ببعض الامكنة دون بعضها فانه اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله يعلم وأنتم لا تعلمون (وتركنا عليه فى الآخرين) يعنى فى الذين يأتون بعده الى يوم القيامة من الامم وقال ابن عباس يقول يذكر بخير والمتروك هذا هو قوله (سلام على نوح) أى تركنا هذا الكلام بعينه والسلام هو الثناء الحسن أى يثنون عليه ثناء حسنا ويدعون له ويترحمون عليه قال الزجاج تركنا عليه الذكر الجميل الى يوم القيامة وذلك الذكر هو قوله سلام على نوح قال الكسائى فى ارتفاع سلام وجهان أحدهما وتركنا عليه فى الآخرين يقال سلام والثانى ان يكون المعنى وأبقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال سلام على نوح أى سلامة له من ان يذكر بسوء فى الآخرين قال المبرد اى تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقوله سورة أنزلناها وقيل انه ضمن تركنا معنى قلنا قال الكسائى وفى قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا أى تركنا عليه ثناء حسنا وقيل المراد بالآخرين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فى العالمين) أى سلام ثابت أو مستمر أو مستقر على نوح فى العالمين من الملائكة والجن والانس وهذا يدل على عدم اختصاص ذلك بامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قيل (انا كذلك نجزى المحسنين) هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح باجابة دعائه وبقاء الثناء من الله عليه وبقاء ذريته أى انا كذلك نجزى من كان محسنا

يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني اسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما طمعا في اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فعليهم لعنة الله وقوله تعالى من صياصيهم يعني حصونهم قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم ومنه سمي صياصي البقر وهي قرونها لانها أعلى شئ فيها وقذف في قلوبهم الرعب وهو الخوف لانهم كانوا مالؤا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوهم في الدنيا فانعكس عليهم الحال وانقلب اليهم (٦٤) القتال انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا وأضيف الى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة ان هذه هي الصفقة الخاسرة ولهذا قال تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا فالذين قتلوا هم المقاتلة والاسراء هم الاصاغر والنساء وقال الامام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا في فأمر بي النبي صلى الله عليه وسلم ان ينظروا هل أنبت بعد فنظروني فلم يجدوني أنبت فخلى عني وألحقني بالسبي وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه النسائي أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم أي جعلها لكم من قتلكم لهم وأرضا لم تطؤها قيل خيبر وقيل مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم وقيل فارس والروم وقال ابن جرير يجوز ان يكون الجميع مرادا وكان الله على كل شئ قديرا وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتني بعدها عائشة رضي الله عنها قالت خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الارض ورائي فاذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست الى الارض فمر سعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل * ما أحسن الموت اذا حان الاجل

في أقواله وأفعاله راسخا في الاحسان معروفا به والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف أي جزاء كذلك الجزاء (انه من عبادنا المؤمنين) هذا بيان لكونه من المحسنين وتعليل له بانه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله وذلك اجلال لشأن الايمان وشرفه وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه كما قال في مدح ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى فلا يقال كيف مدح الرسول بذلك مع ان مرتبتهم فوق مرتبة المؤمنين (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله ولا صدقوا نوحا معطوف على نجيناه والترتيب حقيقي لان نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين والشهاب فهم انه معطوف على قوله وجعلنا ذريته فجعل الترتيب اخباريا لان اغراق الآخرين كان قبل جعل ذريته باقين ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم وبين انه ممن شايع نوحا فقال (وان من شيعته لابراهيم) أي من أهل دينه وممن شايعه ووافقه على الدعاء الى الله والى توحيده والايمان به قال مجاهد وابن عباس أي على منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار التي توقد مع الكبار حتى تستوقد وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة واربعون سنة وما كان بينهما الانبياء هود وصالح والذين قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث وآدم فجملة من قبل ابراهيم من الانبياء ستة والمعنى كان من اتباعه في أصل الدين وان اختلفت فروع شرائعهما أو كان بين شريعتهما اتفاق كلي او أكثري وان طال الزمان وقال الفراء المعنى وان من شيعة محمد لابراهيم فالهاء على هذا في شيعته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا قال الكلبي ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك أو من آفات القلوب وقيل هو الناصح لله في خلقه وقيل الذي يعلم ان الله حق وأن الساعة قائمة وان الله يبعث من في القبور ومعنى مجيئه الى ربه يحتمل وجهين أحدهما عند دعائه الى توحيده وطاعته الثاني عند لقائه في النار وجاء استعارة تصريحية تبعية شبه اخلاصه قلبه بمجيئه بتحفة كأنه جاء به تحفة من عنده في انه فاز بما يستجلب به رضاه والظرف في قوله اذ جاء منصوب بفعل محذوف أي اذكر وقيل بما في الشيعة من معنى المتابعة قال أبو حيان لا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو ابراهيم والاولى ان يقال ان لام الابتداء تمنع ما قبلها عن العمل فيما

بعدها (اذ) أى وقت اذ (قال لابيه) آزر (وقومه) من الكفار (ماذا) أى
أى شئ (تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) انتصاب افكا على انه مفعول لاجله اى
اتريدون آلهة من دون الله للافك وتقديم هذه المعمولات للفعل عليه للاهتمام وقيل
انتصاب افكا على انه مفعول به لتريدون والآلهة بدل منه جعلها نفس الافك مبالغة
وهذا أولى من الوجه الاول وقيل اتريدون آلهة آفكين اوذوى افك قال المبرد الافك
أسوأ الكذب وهو الذى لايثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الارض (فما ظنكم برب
العالمين) اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وماترونه يصنع بكم وهو تحذير مثل قوله ماغرك بربك
الكريم وقيل المعنى اى شئ توهمتموه بالله حتى اشركتم به غيره (فنظر نظرة فى النجوم)
أى اليها (فقال انى سقيم) قال الواحدى قال المفسرون كانوا يتعاطون علم النجوم
فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد ان يكايدهم فى أصنامهم لتلزمهم الحجة فى
انها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون اليه وأراد ان يتخلف عنهم فاعتل
بالسقم وذلك انهم كلفوه ان يخرج معهم الى عيدهم فنظر الى النجوم أى فى علمها أوفى
كتبها يريهم انه مستدل بها على حاله فلما نظر اليها قال انى سقيم أى مشارف للسقم وقال
الحسن انهم لما كلفوه ان يخرج معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى على هذا انه نظر فيما نجم
له من الرأى أى فيما طلع له منه فعلم ان كل شئ يسقم فقال انى سقيم قال الخليل والمبرد
يقال للرجل اذا فكر فى الشئ يدبره نظر فى النجوم وقيل كانت الساعة التى دعوه الى
الخروج معهم فيها ساعة تعتاده فيها الحمى وقال الضحاك معنى انى سقيم سأسقم سقم
الموت لان من كتب عليه الموت يسقم فى الغالب ثم يموت وهذا تورية وتعريض كما قال
للملك لما سأله عن سارة هى أختى يعنى أخوة الدين وقال سعيد بن جبير اشار لهم الى
مرض يسقم ويعدى وهو الطاعون وكانوا يهربون من ذلك قال ابن عباس سقيم أى
مريض وقال أيضا مطعون ولهذا قال (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه وذهبوا مخافة
العدوى (فراغ الى آلهتهم) يقال راغ يروغ روغا وروغانا اذا مال ومنه طريق رائغ اى مائل
وقال السدى ذهب اليهم وقال أبو مالك جاء اليهم وقال الكلبى أقبل عليهم والمعنى
متقارب وكانت اثنين وسبعين صنما من حجر وخشب وذهب وفضة ونحاس وحديد
ورصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر (فقال) ابراهيم للاصنام التى راغ اليها

قالت فقمت فاقتحمت حديقة فاذا فيها نفر من المسلمين واذا فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم رجل عليه تسبغة له يعنى المغفر
فقال عمر رضى الله عنه ماجاء بك لعمرى والله انك لجريئة ومايؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز قالت فمازال يلومنى حتى تمنيت
ان الارض انشقت لى ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقال ياعمر
ويحك انك قد أكثرت منذ اليوم واين التحوز أو الفرار الا الى الله تعالى قالت ويرمى سعدا رضى الله عنه رجل من قريش يقال له ابن
العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله (٦٥) تعالى سعد رضى الله عنه فقال اللهم لاتمتنى
حتى تقر عينى من بنى قريظة قالت
وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية
قالت فرقأ كلمه وبعث الله تعالى
الريح على المشركين وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا
عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه
بتهامة ولحق عيينة بن بدر ومن
معه بنجد ورجعت بنو قريظة
فتحصنوا فى صياصيهم ورجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة وأمر بقبة من أدم
فضربت على سعد رضى الله عنه
فى المسجد قالت فجاءه جبريل عليه
السلام وان على ثناياه لنقع الغبار
فقال أوقد وضعت السلاح لا والله
ماوضعت الملائكة بعد السلاح
اخرج الى بنى قريظة فقاتلهم قالت
فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأمته وأذن فى الناس بالرحيل أن
يخرجوا فمر على بنى تميم وهم جيران
المسجد حوله فقال من مر بكم قالوا
مر بنا دحية الكلبى وكان دحية
الكلبى يشبه لحيته وسنه ووجهه
جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما
اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم انه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فاتى به على حمار عليه
اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت قالت فلا يرجع اليهم
شيأ ولا يلتفت اليهم حتى اذا دنا من دورهم التفت الى قومه فقال قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم قالت قال ابو سعيد فلما طلع قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فأنزلوه فقال عمر رضى الله عنه سيدنا الله قال أنزلوه فأنزلوه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احكم فيهم قال سعد رضى الله عنه فانى أحكم فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله ثم دعا سعد رضى الله عنه فقال اللهم ان كنت أبقيت على نبيك من
حرب قريش شيأ فابقنى لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك قال فانفجر كلمه وكان قد برأ منه الا مثل الخرص ورجع
الى قبته التى ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر وعمر رضى الله عنهما
قالت فو الذى نفس محمد بيده انى
لاعرف بكاء أبى بكر رضى الله عنه
من بكاء عمر رضى الله عنه وأنا
فى حجرتى وكانوا كما قال الله تعالى
رحماء بينهم قال علقمة فقلت أى
أمه فكيف كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصنع قالت كانت
عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان
اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته صلى
الله عليه وسلم وقد أخرج البخارى
ومسلم من حديث عبد الله بن نمير
عن هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة رضى الله عنها نحوا من هذا
ولكن أخصر منه وفيه دعا سعد
رضى الله عنه (يا أيها النبى قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة
الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن
وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الآخرة
فان الله أعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما) هذا أمر من الله تبارك
وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
بان يخير نساءه بين أن يفارقهن
فيذهبن الى غيره ممن يحصل لهن من
عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين
الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضى الله عنهن وأرضاهن الله عليهم
ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة قال البخارى حدثنا أبو اليمان اخبرنا شعيب
عن الزهرى قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ان عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى ذاكر لك أمرا فلا عليك
أن لا تستعجلى حتى تستأمرى أبويك وقد علم ان أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبى قل

استهزاء وسخرية (ألا تأكلون) من الطعام الذى كانوا يصنعونه لها وخاطبها كما يخاطب
من يعقل لانهم أنزلوها تلك المنزلة وكذا قوله (ما لكم لا تنطقون) فانه خاطبهم خطاب
من يعقل والاستفهام للتهكم بهم لانه قد علم انها جمادات لا تنطق قيل انهم تركوا عند
أصنامهم طعامهم للتبرك بها وليأكلوه اذا رجعوا من عيدهم وقيل تركوه للسدنة
وقيل ان ابراهيم هو الذى قرب اليها الطعام مستهزئا بها (فراغ عليهم ضربا باليمين) أى فمال
عليهم ضربهم ضربا مصدر مؤكد لفعل محذوف أو هو مصدر لراغ لانه بمعنى ضرب قال
الواحدى قال المفسرون يعنى بيده اليمنى يضربهم بها وقال السدى بالقوة والقدرة لان
اليمين أقوى اليدين قال الفراء وثعلب ضربا بالقوة واليمين القوة وقال الضحاك والربيع
ابن أنس المراد باليمين اليمين التى حلفها حين قال وتالله لأكيدن أصنامكم وقيل المراد
باليمين هنا العدل كما فى قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين أى بالعدل
واليمين كناية عن العدل كما ان الشمال كناية عن الجور وأولى هذه الاقوال أولاها
(فأقبلوا اليه يزفون) أى أقبل اليه عبدة تلك الاصنام يسرعون لما علموا بما صنعه بها
فقالوا نحن نعبدها وأنت تكسرها ويزفون فى محل نصب على الحال حال من فاعل أقبلوا
قرأ الجمهور بفتح الياء من زف الظليم يزف اذا عدا بسرعة وقرئ بضم الياء من أزف يزف
أى دخل فى الزفيف أو يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعى أزففت الابل أى
حملتها على ان تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم وازفوا وزففت العروس وأزففتها
حكى ذلك عن الخليل قال النحاس زعم أبو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة يعنى يزفون بضم
الياء وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم أطردت الرجل أى صيرته
الى ذلك وقال المبرد الزفيف الاسراع وقال الزجاج الزفيف أول عدو النعام وقال
قتادة والسدى معنى يزفون يمشون وقال الضحاك يسعون وقال يحيى بن سلام
يرعدون غضبا وقال مجاهد يختالون أى يمشون مشى الخيلاء وقيل يتسللون تسللا بين
المشى والعدو والاولى تفسيره بيسرعون وقال ابن عباس يزفون يخرجون وقرئ يزفون
على البناء للمفعول وقرئ على زنة يرمون وحكى الثعلبى عن الحسن ومجاهد وابن
السميفع انهم قرؤا يرفون بالراء المهملة وهى ركض بين المشى والعدو ولما أنكروا على
ابراهيم ما فعله بالاصنام ذكرلهم الدليل الدال على فساد عبادتها و(قال) مبكتا لهم ومنكرا

لازواجك الى تمام الآيتين فقلت له فبى اى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وكذا رواه معلقا عن الليث حدثنى يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت وقد حكى البخارى ان معمرا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهرى عن ابى سلمة وتارة رواه عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها وقال ابن جرير حدثنا احمد بن عبدة الضبى حدثنا ابو عوانة عن عمر بن ابى سلمة عن ابيه قال قالت عائشة رضى الله عنها المانزل الخيار قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اريد ان اذكر لك (٦٧) أمرا فلا تقضى فيه شيأ حتى تستأمرى ابويك قالت قلت وماهو يارسول الله قالت فرده عليها فقالت وماهو يارسول الله قالت فرده عليها فقالت وماهو يارسول الله قالت فقرأ صلى الله عليه وسلم عليها ياايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قالت ففرح بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد ابن بشر عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت آية التخيير بدأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعائشة انى عارض عليك امرا فلا تفتاتى فيه حتى تعرضيه على أبويك ابى بكر وام رومان رضى الله عنهما فقلت يارسول الله وماهو قال صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل ياايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما قالت فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر فى ذلك ابوى ابا بكر وام رومان رضى الله عنهما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال ان عائشة رضى الله عنها قالت كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ماقالت عائشة رضى الله عنهن كلهن ورواه ابن ابى حاتم عن ابى سعيد الاشج عن أبى اسامة عن محمد ابن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الاموى حدثنا ابى عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابى بكر عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل (١) الى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل على فقال سأذكر لك أمرا فلا تعجلى حتى تستشيرى أباك فقلت وماهو يارسول الله قال انى امرت ان أخيركن وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآيتين

(١) بياض بالاصل

عليهم (أتعبدون ماتنحتون) أى أتعبدون أصناما أنتم تنحتونها والنحت النجر والبرى نحته ينحته بالكسر نحتا أى براه والنحاتة البراية ووجه التوبيخ ظاهر وهو ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه عن هيئته فلو صار معبودا لهم عند ذلك لزم ان الشئ الذى لم يكن معبودا اذا حصل فيه آثار صار معبودا وفساده واضح (والله خلقكم وماتعملون) أى وخلق الذى تصنعونه على العموم ويدخل فيها الاصنام التى تنحتونها دخولا اوليا و يكون معنى العمل هنا التصوير والنحت ونحوهما نحو عمل الصائغ السوار أى صاغه ويرجحه ماقبله أى أتعبدون الذى تنحتون أو خلقكم وخلق عملكم وجعلها الاشعرية دليلا على خلق أفعال العباد لله تعالى وهو الحق فان فعلهم كان بخلق الله فيهم فكان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك ويرجح على الاول بعدم الحذف ويجوز أن تكون ما استفهامية أى أى شئ تعملون ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقريع ويجوز أن تكون نافية أى ان العمل فى الحقيقة ليس لكم فانتم لاتعملون شيأ وقد طول صاحب الكشاف الكلام فى رد قول من قال انها مصدرية ولكن بما لاطائل تحته وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام والجملة اما حالية أو مستأنفة (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) مستأنفة جواب سؤال مقدر كالجملة التى قبلها قالوا هذه المقالة لما عجزوا عن جواب ماأورده عليهم من الحجة الواضحة فتشاوروا فيما بينهم أن يبنوا له حائطا من حجارة ويملؤه حطبا ويضرموه ثم يلقوه فيه والجحيم النار الشديدة الاتقاد قال الزجاج وكل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم واللام فى جحيم عوض عن المضاف اليه أى فى جحيم ذلك البنيان ثم لما ألقوه فيها انجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما وهو معنى قوله (فارادوا به كيدا) مكرا وحيلة أى احتالوا لاهلاكه (فجعلناهم الاسفلين) اى المقهورين المغلوبين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه لانها قامت له بذلك عليهم الحجة التى لايقدرون على دفعها ولايمكنهم جحدها فان النار الشديدة الاتقاد العظيمة الاضطرام المتراكمة الجمار اذا صارت بعد القائه فيها بردا وسلاما ولم تؤثر فيه أقل تأثير كان ذلك من الحجة بمكان يفهمه كل من له عقل وصار المنكر له سافلا ساقط الحجة ظاهر التعصب واضح التعسف وسبحان من يجعل المحن لمن يدعو الى دينه منحا ويسوق اليهم الخير بما هو من صور الضير (و) لما انقضت هذه

قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيري أباك فاني أختار الله و رسوله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نسائه
فتتابعن كلهن فاخترن الله و رسوله صلى الله عليه وسلم   وقال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله
ابن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت
عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فقال صلى الله عليه وسلم اني ذاكر لك أمرا فلا عليك ان لا تعجلي
حتى تستأمري أبويك قالت قد علم ان أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال ان الله تبارك وتعالى قال يا ايها
النبي قل لأزواجك الآيتين
قالت عائشة رضي الله عنها
فقلت أفي هذا استأمر أبوي
فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة
ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل
ما قالت عائشة رضي الله عنهن
وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن
قتيبة عن الليث عن الزهري عن
عروة عن عائشة رضي الله عنها مثله
وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية
حدثنا الاعمش عن مسلم بن صبيح
عن مسروق عن عائشة رضي الله
عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا
شيأ أخرجاه من حديث الاعمش
وقال الامام احمد حدثنا ابو عامر
عبد الملك بن عمرو حدثنا زكريا
ابن اسحق عن ابي الزبير عن جابر
رضي الله عنه قال اقبل ابو بكر رضي
الله عنه يستأذن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس ببابه
جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس فلم يؤذن له ثم اقبل عمر رضي
الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن
لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبي صلى الله   قال
عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفا فوجأت عنقها
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه وقال هن حولي يسألنني النفقة فقام ابو بكر رضي الله عنه الى عائشة ليضربها وقام
عمر رضي الله عنه الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وانزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة

الواقعة واسفر الصبح لذي عينين وظهرت حجة الله لابراهيم وقامت براهين نبوته وسطعت
أنوار معجزته (قال اني ذاهب الى ربي) أي مهاجر من مولدي وبلد قومي الذين فعلوا
ما فعلوا تعصبا للاصنام وكفرا بالله وتكذيبا لرسله الى حيث امرني بالمهاجرة اليه أو الى
حيث أتمكن من عبادته وهذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك ابراهيم
عليه السلام وذلك حين خلصه الله من النار (سيهدين) فيما نويت الى المكان الذي أمرني
بالذهاب اليه أو الى مقصدي   وقيل ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه
بالعمل لا بالبدن والاول أظهر قيل ان الله سبحانه أمره بالمصير الى الشام وقد سبق بيان
هذا في سورة الكهف مستوفى قال ابن عباس قال هذا حين هاجر قال مقاتل فلما قدم
الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لي) ولدا صالحا (من الصالحين) يعينني على
طاعتك ويؤنسني في الغربة هكذا قال المفسرون وعللوا ذلك بأن الهبة قد غلب معناها في
الولد فتحمل عند الاطلاق عليه واذا وردت مقيدة حملت على ما قيدت به كما في قوله
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا   وعلى فرض انها لم تغلب في طلب الولد فقوله
(فبشرناه بغلام حليم) يدل على انه ما أراد بقوله رب هب لي من الصالحين الا الولد والمعنى
بشرناه به على لسان الملائكة الذين جاؤه في صورة الاضياف ثم انتقلوا من قريته الى قرية
لوط كما تقدم في هود ويأتي في الذاريات   ومعنى حليم أن يكون حليما عند كبره فكأنه بشر
ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حليما لان الصغير لا يوصف بالحلم قال الزجاج هذه البشارة
تدل على انه مبشر بابن ذكر وانه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم (فلما بلغ معه
السعي) في الكلام حذف كما تشعر به هذه الفاء الفصيحة والتقدير فوهبنا له الغلام فنشأ
حتى صار الى السن التي يسعى فيها مع أبيه في أمور دنياه معينا له على أعماله قال مجاهد
أي لما شب وأدرك سعيه سعي ابراهيم قال ابن عباس شب حتى بلغ سعيه سعي ابيه في
العمل   وقال مقاتل لما مشى معه قال الفراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة   وقال
الحسن هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة   وقال ابن زيد هو السعي في العبادة   وقيل هو
الاحتلام (قال) ابراهيم لانه لما بلغ ذلك المبلغ (يا بني) بفتح الياء وكسرها سبعيتان
(اني أرى في المنام أني أذبحك) أي أفعل الذبح أو أومر به فهما احتمالان ويشير للثاني
قوله افعل ما تؤمر ويشير للاول قد صدقت الرؤيا   والمعنى اني رأيت في المنام هذه الرؤيا

رضى الله عنها فقال انى أذكر لك أمرا ما أحب ان تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك قالت وما هو قال فتلا عليها يا أيها النبى قل
لأزواجك الآية قالت عائشة رضى الله عنها أفيك أستأمر أبوى بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك ان لا تذكر لامرأة من نسائك
ما اخترت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يبعثنى معنفا ولكن بعثنى معلما ميسرا لا تسألنى امرأة منهن عما اخترت الا
اخبرتها انفرد باخراجه مسلم دون البخارى فرواه هو والنسائى من حديث زكريا بن اسحق المكى به   وقال عبد الله ابن الامام
أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا على بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد بن على بن أبى رافع عن عثمان بن على
ابن الحسين عن أبيه عن على رضى
الله عنه قال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير نساءه الدنيا
والآخرة ولم يخيرهن الطلاق وهذا
منقطع وقد روى عن الحسن وقتادة
وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف
الظاهر من الآية فانه قال فتعالين
أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا
أى أعطيكن حقوقكن وأطلق
سراحكن وقد اختلف العلماء فى
جواز تزوج غيره لهن لو طلقهن
على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل
المقصود من السراح والله أعلم قال
عكرمة وكان تحته يومئذ تسع
نسوة خمس من قريش عائشة
وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة
رضى الله عنهن وكانت تحته صلى
الله عليه وسلم صفية بنت حيى
النضرية وميمونة بنت الحرث
الهلالية وزينب بنت جحش
الاسدية وجويرية بنت الحرث
المصطلقية رضى الله عنهن
وأرضاهن أجمعين (يا نساء النبى
من يأت منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وكان
ذلك على الله يسيرا   ومن يقنت
منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) يقول تعالى واعظا نساء النبى صلى الله عليه وسلم
اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرن بحكمهن وتخصيصهن دون
سائر النساء بان من يأت منهن بفاحشة مبينة قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط
والشرط لا يقتضى الوقوع كقوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وكقوله عز وجل ولو
أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه

قال مقاتل رأى ابراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات   قال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا رأوا
شيأ فعلوه وقد اختلف أهل العلم فى الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل عليهما السلام قال
القرطبى فقال أكثرهم الذبيح اسحق وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله
وهو الصحيح عن ابن مسعود   ورواه أيضا عن جابر وعلى وابن عمر وعمر بن الخطاب قال
فهؤلاء سبعة من الصحابة قال ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبى ومجاهد وسعيد بن
جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى برزة وعطاء ومقاتل وعبد
الرحمن بن سابط والزهرى والسدى وعبد الله بن أبى الهذيل ومالك بن أنس كلهم قالوا
الذبيح اسحق وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد منهم النحاس
وابن جرير الطبرى وغيرهما قال وقال آخرون هو اسمعيل وممن   قال بذلك أبو هريرة وأبو
الطفيل عامر بن واثلة   وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضا كما سيجىء ومن التابعين
سعيد بن المسيب والشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب
القرظى والكلبى وعلقمة وعن الاصمعى   قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال
يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة   قال ابن كثير
فى تفسيره وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى ان الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من
السلف حتى يقال عن بعض الصحابة وليس فى ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا
عن أخبار أهل الكتاب وأخذ مسلما من غير حجة وكتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسمعيل
فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر انه الذبيح   وقال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين انتهى واحتج القائلون بانه اسحق بان الله عز وجل قد أخبرهم عن ابراهيم حين
فارق قومه وهاجر الى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال انى ذاهب الى ربى
سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ولان الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر انه فى الغلام
الحليم الذى بشر به ابراهيم وانما بشر باسحق لانه قال وبشرناه باسحق   وقال هنا بغلام
حليم وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس فى القرآن انه بشر بولد الا
اسحق قال الزجاج الله أعلم أيهما الذبيح انتهى   وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الجزم
بأحد القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى وما استدل به الفريقان يمكن الجواب

هو الله الواحد القهار ولما كانت محلتهن رفيعة ناسب ان يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال مالك عن زيد بن أسلم يضاعف لها العذاب ضعفين قال في الدنيا والآخرة وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وكان ذلك على الله يسيرا أي سهلا هينا ثم ذكر عدله وفضله في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله أي يطع الله ورسوله و يستجب نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما أي في الجنة فانهن في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة الى العرش (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الامة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن اذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فانه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى فلا تخضعن بالقول قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام اذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض أي دغل وقلن قولا معروفا قال ابن زيد قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ومعنى هذا انها تخاطب الاجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الاجانب كما تخاطب زوجها وقوله تعالى وقرن في بيوتكن أي الزمن بيوتكن وقد فلا تخرجن لغير حاجة ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات وفي رواية وبيوتهن خير لهن وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبي روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى فقال رسول الله

عنه والمناقشة له ومن جملة ما احتج به القائلون بانه اسمعيل ان الله وصفه بالصبر دون اسحق كما في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله سبحانه قال وبشرناه باسحق نبيا فكيف يأمره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا وأيضا فان الله قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد في يعقوب وأيضا ورد في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على ان الذبيح اسمعيل ولو كان اسحق لكان الذبح واقعا ببيت المقدس وكل هذا أيضا يحتمل المناقشة والمسئلة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسئل عنها في القيامة فهي مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله وزعم ابن عباس ان الذبيح اسمعيل وعنه قال المفدى اسمعيل وهو الاظهر وعنه قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين وعن ابن عمر قال اسمعيل ذبح عنه ابراهيم الكبش وعن الفرزدق الشاعر قال رأيت أبا هريرة يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول ان الذي أمر بذبحه اسمعيل وعن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال نبي الله داود يارب أسمع الناس يقولون رب ابراهيم واسحق ويعقوب فاجعلني رابعا قال ان ابراهيم ألقي في النار فصبر من أجلي وان اسحق جاد لي بنفسه وان يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك أخرجه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وفي اسناده الحسن بن دينار البصري وهو متروك عن علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وأخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذبيح اسحق أخرجه الدارقطني في الافراد والديلمي وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا مثله وعن ابن مسعود قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أكرم الناس قال يوسف ابن يعقوب بن اسحق ذبيح الله أخرجه الطبراني وابن مردويه وعن ابن مسعود موقوفا مثله وعن العباس مثله أخرجه البخاري في تاريخه وغيره في غيره وعن علي قال كبش أعين أبيض أقرن قد ربط بسمرة في أصل ثبير وعن ابن عباس قال فدى اسمعيل بكبشين املحين أقرنين أعينين وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم انه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعينا ظاهرا

صلى الله عليه وسلم من قعدت أو كلمة نحوها منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت الا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور وقال البزار أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما يكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه وروى البزار باسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة

في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وهذا اسناد جيد وقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية وقال قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى يقول اذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك وقال مقاتل بن حيان ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والتبرج انها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى ابن اسمعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال كانت فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ ابليس شيأ من مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيتبرج الرجال للنساء قال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقوله تعالى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله نهاهن أولا

وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فانه رجح انه اسحق ولكنه لم يستدل على ذلك الا ببعض ما سقناه ههنا وكابن كثير فانه رجح انه اسمعيل وجعل الادلة على ذلك أقوى وأصح وليس الامر كذلك فانها ان لم تكن دون أدلة القائلين بان الذبيح اسحق لم تكن فوقها ولا أرجح منها ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء وما روي عنه فهو اما موضوع أو ضعيف جدا ولم يبق الا مجرد استنباطات من القرآن كما أشرنا الى ذلك فيما سبق وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل (فانظر ماذا ترى) قرئ بضم التاء الفوقية وكسر الراء والمفعولان محذوفان أي انظر ماذا تريني اياه من صبرك واحتمالك وقرئ بفتح التاء والراء من الرأي وهو مضارع رأيت وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مبنيا للمفعول أي ماذا يخيل اليك ويسنح لخاطرك قال الفراء في بيان معنى القراءة الاولى انظر ماذا ترى من صبرك وجزعك وقال الزجاج لم يقل هذا أحد غيره وانما قال العلماء ماذا تشير أي ما تريك نفسك من الرأي وقال أبو عبيد انما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال أبو حاتم وغلطهما النحاس وقال هذا يكون من رؤية العين وغيرها ومعنى القراءة الثانية ظاهر واضح وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله والا فرؤيا الانبياء وحي وامتثالها لازم لهم متحتم عليهم (قال يا أبت افعل ما تؤمر) به مما أوحي اليك من ذبحي وما موصولة وقيل مصدرية على معنى افعل أمرك والمصدر مضاف الى المفعول وتسمية المأمور به أمرا والاول أولى (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على ما ابتلاني به من الذبح والتعليق بمشيئة الله سبحانه تبركا بها منه (فلما أسلما) أي استسلما لامر الله وأطاعاه وانقادا له وخضعا قرأ الجمهور أسلما وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس فلما سلما أي فوضا أمرهما الى أمر الله وروى عن ابن عباس انه قرأ استسلما قال قتادة أسلم أحدهما نفسه لله وأسلم الآخر ابنه يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد اختلف في جواب لما ماذا هو فقيل هو محذوف تقديره ظهر صبرهما وأجزلنا لهما أجرهما أو فديناه بكبش هكذا قال البصريون وقال الكوفيون الجواب هو ناديناه والواو زائدة مقحمة واعترض عليهم النحاس بان الواو من حروف المعاني ولا يجوز أن تزاد وقال الاخفش الجواب وتله للجبين والواو زائدة وروى هذا أيضا عن الكوفيين ويرد عليه

عن الشر ثم أمرهن بالخير من اقامة الصلاة وهى عبادة الله وحده لاشريك له وايتاء الزكاة وهى الاحسان الى المخلوقين وأطعن الله ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص وقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذا نص فى دخول أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل البيت ههنا لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادى فى السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم خاصة وهكذا روى ابن أبى حاتم قال حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم خاصة وقال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت فى شأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم فان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح وان اريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففى هذا نظر فانه قد وردت أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك الحديث الاول قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد اخبرنا على بن زيد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضى الله عنها ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه الترمذى عن عبد ابن حميد عن عفان به وقال حسن غريب حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو نعيم حدثنا يونس عن ابى اسحق اخبرنى ابو داود عن ابى الحمراء قال رابطت المدينة سبعة اشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب على وفاطمة رضى الله عنهما فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أبو داود الاعمى هو نفيع ابن الحرث كذاب حديث آخر وقال الامام احمد ايضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعى حدثنا شداد ابن عمار قال دخلت على واثلة بن الاسقع رضى الله عنه وعنده قوم فذكروا عليا رضى الله عنه فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لى شتمت هذا الرجل قلت

هذه

اعتراض النحاس كما ورد على الاول (وتله للجبين) أى صرعه وأسقطه على شقه وقيل هو الرمى بقوة وأصله من رماه على التل وهو المكان المرتفع أو من التليل وهو العنق أى رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق وفى القاموس تله تلا من باب قتل فهو متلول وتليل صرعه وألقاه على عنقه وخده يقال تللت الرجل اذا ألقيته والتل الصرع والدفع والمراد انه أضجعه على جبينه على الارض والجبين ما انكشف من الجبهة قاله السمين وفى المصباح الجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة الى الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها قاله الازهرى وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين جبينين وجمعه جبن بضمتين مثل بريد وبرد وأجبنة مثل أسلحة وقيل المعنى كبه على وجهه كيلا يرى منه ما يؤثر الرقة لقلبه واختلف فى الموضع الذى أراد ذبحه فيه فقيل هو مكة فى المقام وقيل فى المنحر بمنى عند الجمار وقيل على الصخرة التى بأصل جبل ثبير وقيل بالشام (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى عزمت على الاتيان بما رأيته قال المفسرون لما أضجعه للذبح نودى من الجبل يا ابراهيم الخ وجعله مصدقا بمجرد العزم وان لم يذبحه لانه قد أتى بما أمكنه والمطلوب استسلامهما لامر الله وقد فعلا قال القرطبى قال أهل السنة ان نفس الذبح لم يقع ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الفداء قال ومعنى صدقت الرؤيا فعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا أصح ما قيل فى هذا الباب وقالت طائفة ليس هذا مما ينسخ بوجه لان معنى ذبحت الشئ قطعته وقد كان ابراهيم يأخذ السكين فيمر بها على حلقه فتنقلب كما قال مجاهد وقال بعضهم كان كلما قطع جزأ التأم وقالت طائفة منهم السدى ضرب الله على عنقه صفحة نحاس فجعل ابراهيم يحز ولا يقطع شيأ وهذا كله جائز فى القدرة الالهية لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعظيما لرتبة اسمعيل وابراهيم وكان أولى بالبيان من الفداء وقال بعضهم ان ابراهيم ما أمر بالذبح الحقيقى الذى هو فرى الاوداج وانهار الدم وانما رأى انه أضجعه للذبح فتوهم انه أمر بالذبح الحقيقى فلما أتى بما أمر به من الاضجاع قيل له قد صدقت الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وأيضا لو صحت

قدشمتوه فشتمته معهم قال الا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها
عن علي رضي الله عنه فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
علي وحسن وحسين رضي الله عنهم آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه
وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه
الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٧٣) وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم عن ابن أبي عمير عن الوليد ابن مسلم عن أبي عمرو الاوزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال واثلة رضي الله عنه فقلت وانا يارسول الله صلى الله عليك من أهلك قال صلى الله عليه وسلم وأنت من أهلي قال واثلة رضي الله عنه وانها من أرجى ما ارتجي ثم رواه أيضا عن عبد الاعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد بن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الاسقع رضي الله عنه اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فألقى صلى الله عليه وسلم عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يارسول الله وانا قال صلى الله عليه وسلم وأنت قال فوالله انها لأوثق عمل عندي حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا

عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني من سمع أم سلمة رضي
الله عنها تذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله
عليه وسلم لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة
وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيبري قالت وانا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت رضي الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم

هذه الاشياء لما احتيج الى الفداء أخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما أراد ابراهيم ان يذبح اسحق قال لابيه اذا ذبحتني فاعتزل لا اضطرب فينتضح عليك دمي فشده فلما أخذ الشفرة وأراد ان يذبحه نودي من خلفه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وأخرج أحمد عنه مرفوعا مثله مع زيادة وأخرجه عنه موقوفا وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عنه قال فلما أسلما سلما أمر به وتله وضع وجهه الى الارض فقال لا تذبحني وأنت تنظر عسى ان ترحمني فلا تجهز علي وان اجزع فانكص فأمتنع منك ولكن اربط يدي الى رقبتي ثم ضع وجهي الى الارض فلما ادخل يده ليذبحه فلم تحل المدية حتى نودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فامسك يده وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا الانبياء وحي اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه البخاري وغيره من قول عبيد بن عمير واستدل بهذه الآية (انا كذلك) أي كما جزيناك (نجزي المحسنين) أي نجزيهم بامتثال الامر بالخلاص من الشدائد والسلامة من المحن فالجملة كالتعليل لما قبلها قال مقاتل جزاه الله سبحانه باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء والبلاء الاختبار والمعنى ان هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره الله في طاعته بذبح ابنه وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة حيث سلم الله ولده من الذبح وفداه بالكبش يقال أبلاه الله ابلاء وبلاء اذا أنعم عليه والاول أولى وان كان الابتلاء يستعمل في الاختبار بالخير والشر ومنه ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولكن المناسب للمقام المعنى الاول قال أبو زيد هذا في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ولده قال وهذا من البلاء المكروه (وفديناه بذبح عظيم) الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم للمطحون وبالفتح المصدر ومعنى عظيم عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة وانما عظم قدره لانه فدي به الذبيح أو لانه متقبل قال النحاس العظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف وأهل التفسير على انه ههنا للشريف أي المتقبل قال الواحدي قال أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا وقال الحسن مافدي الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم فداء عن ابنه قال الزجاج قد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي ومعنى الآية جعلنا الذبح فداء له وخلصناه به من الذبح قال ابن عباس بكبش عظيم

متقبل قيل قد بقي قرناه معلقين على الكعبة الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال
الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد
كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس انتهى ومن
المعلوم المقرر ان كل ما هو من الجنة لا تؤثر فيه النار فلم يطبخ لحم الكبش بل أكلته السباع
والطيور تأمل قال أبو السعود لما ذبحه السيد ابراهيم قال جبريل الله أكبر الله أكبر الله
أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي هذا سنة
انتهى عن ابن عباس ان رجلا قال نذرت لاذبح نفسي فقال ابن عباس لقد كان لكم
في رسول الله أسوة حسنة ثم تلا وفديناه بذبح عظيم فأمره بكبش فذبحه وقد استشهد
أبو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر بذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة (وتركنا عليه في الآخرين)
أي في الامم الآخرة التي تأتي بعده ولا وقف عليه لان قوله (سلام على ابراهيم) مفعول
وتركنا والسلام الثناء الجميل وقال عكرمة سلام منا وقيل سلامة من الآفات والكلام
في هذا كالكلام في قوله سلام على نوح في العالمين وقد تقدم في هذه السورة بيان معناه
(كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لامر الله ولم يقل انا
كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بتركها اكتفاء بذكره مرة عن
ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين) أي الذين أعطوا العبودية حقها ورسخوا في الايمان
بالله وتوحيده (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بشرنا ابراهيم بولد يولد له ويصير نبيا
بعد ان يبلغ السن التي يتأهل فيها لذلك ونبيا منصوب على الحال وهي حال مقدرة وقال ابن
عباس انما بشر نبيا حين فداه الله من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده قال
الزجاج ان كان الذبيح اسحق فيظهر كونها مقدرة والاولى ان يقال ان من فسر الذبيح
باسحق جعل البشارة هنا خاصة بنبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه ولا حاجة
الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط المقارنة
للفعل وقوله من الصالحين كما يجوز ان يكون صفة لنبيا يجوز أن يكون حالا من الضمير
المستتر فيه فتكون أحوالا متداخلة (وباركنا عليه) أي على ابراهيم (وعلى اسحق)
بمرادفة نعم الله عليهما وقيل كثرنا أولادهما وقيل ان الضمير في عليه يعود الى اسمعيل وهو
بعيد وقيل المراد بالمباركة هنا هي الثناء الحسن عليهما الى يوم القيامة وقيل أخرجنا من

أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي
البيت فقلت وانا معكم يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انك الى خير انك الى خير في اسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية
رجاله ثقات طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن
أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة رضي الله عنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها
عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال أين ابن عمك وابناك فقالت رضي الله عنها
في البيت فقال صلى الله عليه وسلم
ادعيهم فجاءت الى علي رضي الله
عنه فقالت أجب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنت وابناك قالت
أم سلمة رضي الله عنها فلما رآهم
مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده
الى كساء كان على المنامة فمده
وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ
صلى الله عليه وسلم بأطراف
الكساء الاربعة بشماله فضمه
فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى
ربه فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا طريق أخرى قال ابن جرير
حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن
عبد القدوس عن الاعمش عن
حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي
طالب رضي الله عنه عند أم سلمة
رضي الله عنها فقالت في بيتي نزلت
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت
أم سلمة جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بيتي فقال لا تأذني لاحد
فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم
أستطع ان أحجبها عن أبيها ثم جاء
الحسن رضي الله عنه فلم استطع ان
أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضي الله عنهما ثم جاء الحسين رضي الله عنه فلم استطع أن أحجبه ثم جاء
علي رضي الله عنه فلم استطع أن أحجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يارسول الله وانا قالت فوالله ما أنعم
وقال انك الى خير طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوي عن أبيه قال
ان أم سلمة رضي الله عنها حدثته قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما اذ قالت الخادم ان فاطمة وعليا رضي الله عنهما

صلبه

بالسدة قالت فقال صلى الله عليه وسلم الى قومى فتنحى عن أهل بيتى قالت فقمت فتنحيت فى البيت قريبا فدخل على وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضى الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما فى حجره فقبلهما واعتنق عليا رضى الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضى الله عنها باليد الاخرى فقبل فاطمة وقبل عليا وأغدف عليهم خميصة سوداء وقال اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتى قالت فقلت وانا يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم وانت طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد عن أم سلمة

رضى الله عنها قالت ان هذه الآية نزلت فى بيتى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يارسول الله ألست من أهل البيت فقال صلى الله عليه وسلم انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم طريق أخرى رواه ابن جرير أيضا عن أبى كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنها بنحوه طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثنى موسى بن يعقوب حدثنى هشيم بن هشيم بن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتنى ام سلمة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ثم ادخلهم تحت ثوبه ثم جأر الى الله عز وجل ثم قال هؤلاء أهل بيتى قالت ام سلمة رضى الله عنها فقلت يارسول الله ادخلنى معهم فقال صلى الله عليه وسلم أنت من اهلى طريق اخرى رواها ابن جرير ايضا عن احمد بن محمد الطوسى عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الاصبهانى عن يحيى بن عبيد المكى عن عطاء عن عمر بن ابى سلمة عن امه رضى الله عنها بنحو ذلك حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة رضى الله عنها خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن رضى الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضى الله عنه فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضى الله عنها فأدخلها معه ثم جاء على رضى الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب

صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى (ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) أى محسن فى عمله بالايمان والتوحيد وظالم لها بالكفر والمعاصى لما ذكر الله سبحانه البركة فى الذرية بين ان كون الذرية من هذا العنصر الشريف والمحتد المبارك ليس بنافع لهم ولا يجرى أمر الخبث والطيب على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر بل انما ينتفعون بأعمالهم لا بآبائهم فان اليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحق فقد صاروا الى ماصاروا اليه من الضلال المبين وان العرب وان كانوا من ولد اسمعيل فقد ماتوا على الشرك الا من أنقذه الله بالاسلام وفيه تنبيه على ان الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه ولما فرغ سبحانه من ذكر انجاء الذبيح من الذبح وما من عليه بعد ذلك من النبوة ذكر مامن به على موسى وهرون فقال (ولقد مننا على موسى وهرون) يعنى بالنبوة وغيرها من النعم العظيمة التى أنعم الله بها عليهما (ونجيناهما وقومهما) المراد بقومهما هم المؤمنون من بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) هو ما كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وما كان يصيبهم من جهته من البلاء وقيل هو الغرق الذى أهلك فرعون وقومه والاول أولى (ونصرناهم) جاء بضمير الجمع قال الفراء الضمير لموسى وهرون وقومهما لان قبله ونجيناهما وقومهما وقيل الضمير عائد على الاثنين موسى وهرون تعظيما لهما والاول أولى (فكانوا) بسبب نصرنا وتأييدنا (هم الغالبين) على عدوهم من القبط بعد ان كانوا تحت أسرهم وقهرهم وهم تأكيد أو بدل أو فصل وهو الاظهر (وآتيناهما الكتاب) أى التوراة (المستبين) البين الظاهر فيما أتى به من الحدود والاحكام يقال استبان كذا أى صار بينا (وهديناهما الصراط المستقيم) أى القيم الذى لا عوج فيه وهو دين الاسلام فانه الطريق الموصلة الى الحق والصواب عقلا وسمعا أو الى المطلوب وهو الجنة (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام) منا (على موسى وهرون) أى أبقينا عليهما فى الامم المتأخرة الثناء الجميل وقد قدمنا الكلام فى السلام وكذلك تقدم فى هذه السورة تفسير قوله (انا كذلك) أى كما جزيناهما (نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانهما بالايمان واظهار الجلالة

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه مسلم عن ابى بكر بن ابى شيبة عن محمد بن بشر به طريق اخرى قال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا شريح بن يونس ابو الحرث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعنى ابن حوشب رضى الله عنه عن عم له قال دخلت مع ابى على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن على رضى الله عنه فقالت رضى الله عنها تسألنى عن رجل كان من احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته واحب الناس اليه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضى الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال اللهم هؤلاء اهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فدنوت منهم فقلت يارسول الله وأنا من اهل بيتك فقال صلى الله عليه وسلم تنحى فانك على خير حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا بكر بن يحيى عن زبان العنزى حدثنا مبدل عن الاعمش عن عطية عن ابى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية فى خمسة فىّ وفى علىّ وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قد تقدم ان فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن ابى سعيد عن ام سلمة رضى الله عنها كما تقدم وروى ابن ابى حاتم من حديث هرون بن سعد العجلى عن عطية عن ابى سعيد رضى الله عنه موقوفا والله سبحانه وتعالى اعلم حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا ابو بكر الحنفى حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضى الله عنه قال قال سعد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحى فأخذ عليا وابنيه وفاطمة رضى الله عنهم فادخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلى واهل بيتى حديث آخر وقال مسلم فى صحيحه حدثنى زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنى ابن حبان حدثنى يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلمة الى زيد بن أرقم رضى الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا

قدره واصالة أمره (وان الياس لمن المرسلين) قال المفسرون هو نبى من أنبياء بنى اسرائيل وقصته مشهورة مع قومه قيل وهو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى قال ابن اسحق وغيره كان الياس هو القيم بامر بنى اسرائيل بعد يوشع وقال قتادة هو ادريس وقيل هو ابن عم اليسع والاول أولى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخضر هو الياس أخرجه ابن مردويه قرئ الياس بهمزة مكسورة مقطوعة وبوصلها وهما سبعيتان وتوجيههما انه اسم أعجمى تلاعبت به العرب فقطعوا همزته تارة ووصلوها أخرى وقرأ ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وان ادريس لمن المرسلين وقرئ ابليس وقالوا فيه الياسين كاسرافيل قيل فى الالياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار قال السيوطى فى الاتقان قال وهب ان الياس عمر كما عمر الخضر وأنه يبقى الى آخر الدنيا اه وقال الحسن البصرى قد هلكا ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان وهو الراجح نظرا فى الادلة والله أعلم وعلمه أتم وأحكم ثم اختلف فى كون الخضر نبيا مرسلا أو نبيا فقط أو هو من الاولياء وأما الياس فهو نبى مرسل باتفاق وذكر الثعلبى أنه كان الياس على صفة موسىٰ فى الغضب والقوة نشأ نشأة حسنة يعبد الله جعله الله نبيا رسولا وآتاه آيات وسخر له الجبال والاسود وغيرهما وتوهم قوم أن اليسع هو الياس وليس كذلك لان الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر وقال وهب اليسع صاحب الياس وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا غير صحيح لان ادريس جد نوح والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر وقيل لا بل الخضر هو اليسع (اذ) ظرف لقوله لمن المرسلين أو متعلق بمحذوف أى اذكر يا محمد اذ (قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله ثم انكر عليهم بقوله (أتدعون بعلا) هو اسم لصنم كانوا يعبدونه أى أتعبدون صنما وتطلبون الخير منه قال ثعلب اختلف الناس فى قوله سبحانه بعلا فقالت طائفة البعل هنا الصنم وكان الشيطان يدخل فى جوفه ويتكلم بالضلال والخدمة يحفظونه ويعلمونه الناس وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة اوجه فاعتنوا به وعظموه حتى أخدموه بأربعمائة خادم وجعلوهم أبناءه وقالت طائفة البعل هنا ملك وقال اسحق امرأة كانوا يعبدونها قال الواحدى والمفسرون يقولون ربا وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل قال النحاس القولان صحيحان أى

أتدعون

فلا تكلفوا فيه ثم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى
عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما
كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم
الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته
ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم
قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده
قال نعم ثم رواه عن محمد بن الريان
عن حسان بن ابراهيم عن سعيد بن
مسروق عن يزيد بن حبان عن
زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر
الحديث بنحو ما تقدم وفيه
فقلت له من أهل بيته نساؤه قال
لا ايم الله ان المرأة تكون مع
الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها
فترجع الى أبيها وقومها أهل بيته
أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة
بعده هكذا وقع في هذه الرواية
والاولى أولى والاخذ بها أحرى
وهذه الثانية تحتمل انه أراد تفسير
الاهل المذكورين في الحديث الذي
رواه انما المراد بهم آله الذين حرموا
الصدقة وانه ليس المراد بالاهل
الازواج فقط بل هم مع آله وهذا
الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين
الرواية التي قبلها وجمعا أيضا بين
القرآن والاحاديث المتقدمة ان
صحت فان في بعض أسانيدها نظرا والله
تعالى أعلم ثم الذي لا يشك فيه من
تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله
عليه وسلم داخلات في قوله تعالى انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيرا فان سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة أي
واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد واذكرن هذه
النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ان الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس وعائشة بنت الصديق رضي الله عنها أولاهن بهذه
النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة فانه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة
سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لانه لم يتزوج بكرا سواها ولم ينم معها رجل في فراشها

أتدعون صنما عملتموه ربا وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام
(وتذرون أحسن الخالقين) أي وتتركون عبادة أحسن من يقال له خالق بأي معنى كان
كما قاله الآمدي وانتصاب الاسم الشريف في قوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين)
على انه بدل من أحسن هذا على قراءة حمزة والكسائي والربيع بن خيثم وابن أبي اسحق
وغيرهم فانهم قرؤا بنصب الثلاثة الاسماء وقيل النصب على المدح وقيل على عطف
البيان وحكى أبو عبيد أن النصب على النعت قال النحاس وهو غلط وانما هو بدل ولا يجوز
النعت لانه ليس بتحلية واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وغيرهما بالرفع قال أبو حاتم بمعنى هو الله ربكم قال النحاس وأولى ما قيل انه مبتدأ
وخبر بغير اضمار ولا حذف وحكى عن الاخفش ان الرفع أولى وأحسن قال ابن
الانباري من رفع أو نصب لم يقف على أحسن الخالقين على جهة التمام لان الله مترجم عن
أحسن الخالقين على الوجهين جميعا والمعنى انه خالقكم وخالق من قبلكم فهو الذي تحق
له العبادة (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبه (لمحضرون) في العذاب أو في النار وقد تقدم
ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر (الا عباد الله المخلصين) أي من كان مؤمنا به من قومه
قرئ بكسر اللام وفتحها كما تقدم والمعنى على الكسر انهم أخلصوا لله وعلى الفتح ان الله
استخلصهم من عباده والاستثناء متصل وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذبه فلذلك
استثنوا وقد تقدم تفسير قوله (وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين) قرأ نافع
وابن عامر باضافة آل بمعنى آل ياسين وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة
بياسين الا الحسن فانه قرأ الياسين بادخال آلة التعريف على ياسين قيل المراد على هذه
القراءة كلها الياس وعليه وقع التسليم ولكنه اسم أعجمي والعرب تضطرب في هذه
الاسماء الاعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية
تلاعبا فياسين والياس والياسين شيء واحد قال الاخفش العرب تسمي قوم الرجل باسم
الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا
انه سمى كل رجل منهم بالياسين قال الفراء ذهب بالياسين الى أن تجعله جمعا فتجعل أصحابه
داخلين معه في اسمه قال أبو علي الفارسي تقديره الياسيين الا ان الياءين للنسبة حذفتا كما
حذفتا في الاشعرين والاعجمين ورجح الفراء وأبو عبيدة قراءة الجمهور قالا لانه لم يقل في

سواه فناسب ان تخصص بهذه المزية وان تفرد بهذه المرتبة العلية ولكن اذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية
كما تقدم فى الحديث وأهل بيتى أحق وهذا يشبه ما ثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذى
أسس على التقوى من أول يوم فقال هو مسجدى هذا فهذا من هذا القبيل فان الآية انما نزلت فى مسجد قباء كما ورد فى الاحاديث
الأخر ولكن اذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم وقد
قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد (٧٨) حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابن جميلة قال ان الحسن بن
على رضى الله عنهما استخلف حين
قتل على رضى الله عنهما قال فبينما
هو يصلى اذ وثب عليه رجل فطعنه
بخنجر وزعم حصين انه بلغه ان الذى
طعنه رجل من بنى أسد وحسن
رضى الله عنه ساجد قال فيزعمون
ان الطعنة وقعت فى وركه فمرض
منها أشهرا ثم برأ فقعد على المنبر فقال
يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا
أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذى قال الله
ونحن أهل البيت الذى قال الله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا قال فما زال يقولها حتى
ما بقى أحد من أهل المسجد الا
وناح بكاء وقال السدى عن أبى
الديلم قال قال على بن الحسين رضى
الله عنهما لرجل من أهل الشام اما
قرأت فى الاحزاب انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا قال نعم ولانتم هم
قال نعم وقوله تعالى ان الله كان
لطيفا خبيرا اى بلطفه بكن بلغتن
هذه المنزلة وبخبرته بكن وانكن
أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن
بذلك قال ابن جرير رحمه الله
واذكرن نعمة الله عليكن بان جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه هل
ان الله كان لطيفا خبيرا أى ذا لطف بكن اذ جعلكن فى البيوت التى تتلى فيها آيات الله والحكمة وهى السنة خبيرا بكن اذ اختاركن
لرسوله أزواجا وقال قتادة واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة قال يمتن عليهن بذلك رواه ابن جرير وقال
عطية العوفى فى قوله تعالى ان الله كان لطيفا خبيرا يعنى لطيفا باستخراجها خبيرا بموضعها رواه ابن أبى حاتم ثم قال وكذا روى عن
الربيع بن أنس عن قتادة (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين

شئ من السور على آل فلان انما جاء بالاسم كذلك الياسين لانه انما هو بمعنى الياس أو بمعنى
الياس واتباعه وقال الكلبى المراد بآل ياسين آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال
الواحدى وهذا بعيد لان ما بعده من الكلام وما قبله لا يدل عليه قال ابن عباس نحن آل
محمد آل ياسين وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد بعيد وقد تقدم
تفسير قوله (انا كذلك نجزى المحسنين) أى كما جزيناه ببقاء سيرته الحسنة فى الآخرين
وتقدم أيضا تفسير قوله (انه من عبادنا المؤمنين) مستوفى (وان لوطا لمن المرسلين) قد
تقدم ذكر قصة لوط عليه السلام مستوفى (اذ نجيناه وأهله أجمعين) الظرف متعلق
بمحذوف هو اذكر ولا يصح تعلقه بالمرسلين لانه لم يرسل وقت تنجيته (الا عجوزا فى الغابرين)
قد تقدم ان الغابر يكون بمعنى الماضى ويكون بمعنى الباقى فالمعنى الا عجوزا فى الباقين فى
العذاب أو الماضين الذين قد هلكوا (ثم دمرنا الآخرين) أى أهلكناهم بالعقوبة
والمعنى ان فى نجاته وأهله جميعا الا العجوز وتدمير الباقين من قومه الذين لم يؤمنوا به دلالة
بينة على ثبوت كونه من المرسلين (وانكم لتمرون عليهم) خاطب بهذا العرب أو كفار مكة
على الخصوص أى تمرون على منازلهم التى فيها آثار العذاب (مصبحين) أى داخلين فى وقت
الصباح وهو من أصبح التامة (وبالليل) المعنى تمرون على منازلهم فى ذهابكم الى الشام
ورجوعكم منه نهارا وليلا والوقف عليه مطلق والباء للملابسة (أفلا تعقلون)
ما تشاهدونه فى ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم فان فى ذلك عبرة للمعتبرين وموعظة
للمتدبرين وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى
قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام
(وان يونس لمن المرسلين) يونس هو ذو النون وهو ابن متى قال المفسرون وكان يونس
قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم وقصد البحر وركب السفينة
فكان بذهابه الى البحر كالفار من مولاه فوصف بالاباق وهو معنى قوله (اذ أبق الى الفلك
المشحون) أى المملوء وأصل الاباق الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن
ربه وصف به فهو استعارة تصريحية أو مجاز مرسل من استعمال المقيد فى المطلق وقال
المبرد تأويل أبق تباعد أى ذهب اليه ومن ذلك قولهم عبد آبق وقد اختلف أهل العلم

والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبى صلى الله عليه وسلم مالنا لانذكر فى القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعنى منه ذات يوم الا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعرى فلففت شعرى ثم خرجت الى حجرتى حجرة بيتى فجعلت سمعى عند الجريد فاذا هو يقول عند المنبر يا أيها الناس ان الله تعالى يقول ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى آخر الآية وهكذا رواه النسائى وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله طريق أخرى عنها قال النسائى أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله عن شريك عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يا نبى الله مالى أسمع الرجال يذكرون فى القرآن والنساء لا يذكرون فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وقد رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى معاوية عن محمد ابن عمرو عن ابى سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله أيذكر الرجال فى كل شئ ولا نذكر فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية طريق أخرى قال سفيان الثورى عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة رضى الله عنها يارسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية حديث آخر قال ابن جرير حدثنا سنان بن مظاهر الضمرى حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النساء للنبى صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكركن الله تعالى فى القرآن ولم نذكر بشئ أما فينا ما يذكر فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية فقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات دليل على ان الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل

هل كانت رسالته قبل التقام الحوت اياه أو بعده (فساهم فكان من المدحضين) المساهمة أصلها المغالبة وهى الاقتراع وهو أن يخرج السهم على من غلب قال المبرد أى فقارع أهل السفينة قال وأصله من السهام التى تجال والمعنى فصار من المغلوبين قال يقال دحضت حجته وأدحضها الله وأصله من الزلق عن مقام الظفر قال ابن عباس اقترع فكان من المقروعين وعنه قال بعث الله يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به فامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه انى مرسل اليهم العذاب فى يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهرهم فاعلم قومه الذى وعد الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التى وعدوا بالعذاب فى صبيحتها أدلج فرآه القوم فحذروا فخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله وأنابوا واستقالوا فاقالهم الله وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية قال ان نبيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا انه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من القرية الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها ثم عجوا الى الله وتابوا فتقبل منهم وأخر عنهم العذاب فقال يونس عند ذلك لا أرجع اليهم كذابا أبدا ومضى على وجهه أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم ومعنى هذه المساهمة ان يونس لما ركب السفينة احتبست فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيه آبق لا تجرى فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وقد قدمنا الكلام على قصته وما روى فيها فى سورة يونس فلا نكرره (فالتقمه الحوت) يقال لقمت اللقمة والتقمتها اذا ابتلعتها أى فابتلعه الحوت ومعنى (وهو مليم) هو مستحق للوم يقال رجل مليم اذا أتى بما يلام عليه واما الملوم فهو الذى يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا وقيل المليم المعيب يقال ألام الرجل اذا عمل شيأ صار به معيبا وقيل داخل فى الملامة وقال ابن عباس المليم المسئ قال سعيد بن جبير لما استهموا جاء حوت الى السفينة فاغرا فاه ينتظر أمر ربه حتى اذا ألقى نفسه فى الماء أخذه الحوت (فلولا أنه كان من المسبحين) أى الذاكرين لله أو المصلين له أو من القائلين لا اله الا أنت الآية وقيل من العابدين وقال ابن عباس كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة وقال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وفى الصحيحين لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فيسلبه الايمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على انه أخص منه كما قررناه فى أول شرح البخارى وقوله تعالى والقانتين والقانتات القنوت هو الطاعة فى سكون أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى وله من فى السموات والارض كل له قانتون يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين وقوموا لله قانتين فالاسلام بعده مرتبة يرتقى اليها وهو الايمان ثم القنوت ناشئ عنهما

والصادقين والصادقات هذا فى الاقوال فان الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضى الله عنهم لم تجرب عليه كذبة لافى الجاهلية ولافى الاسلام وهو علامة على الايمان كما ان الكذب امارة على النفاق ومن صدق نجا عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والاحاديث فيه كثيرة جدا والصابرين والصابرات هذه نتيجة الاثبات وهى الصبر على المصايب والعلم بان المقدر كائن لا محالة وتلقى ذلك بالصبر والثبات وانما الصبر عند الصدمة الاولى أى أصعبه فى أول وهلة ثم مابعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها والخاشعين والخاشعات أى السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والمتصدقين والمتصدقات الصدقة هى الاحسان الى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الاموال طاعة لله تعالى واحسانا الى خلقه وقد ثبت فى الصحيحين سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه وفى الحديث الآخر والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والاحاديث فى الحث عليها كثيرة جدا له موضع بذاته والصائمين والصائمات فى الحديث الذى رواه ابن ماجه والصوم زكاة البدن أى تزكيه وتطهره وتنقيه من الاخلاط الرديئة طبعا وشرعا قال سعيد بن جبير من صام

ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) أى لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم البعث وقيل للبث فى بطنه حيا واختلف المفسرون كم أقام فى بطن الحوت فقال السدى والكلبى ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعة أيام وقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقيل ساعة واحدة وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وفى هذه الآية ترغيب فى ذكر الله وتنشيط للذاكرين له (فنبذناه بالعراء) النبذ الطرح والعراء قال ابن الاعرابى هو الصحراء وقال الاخفش الفضاء وقال أبو عبيدة الواسع من الارض وقال الفراء المكان الخالى وروى عن أبى عبيدة أيضا انه قال هو وجه الارض وقيل الارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل قاله ابن عباس والمعنى ان الله طرحه من بطن الحوت فى الصحراء الواسعة التى لا نبات فيها أو أمر الحوت بنبذه وانما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أعمال العباد مخلوقة لله (وهو) عند القائه (سقيم) لما ناله فى بطن الحوت من الضرر وقيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وقيل كالفرخ الممعط أى المنتوف شعره وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين ماوقع هنا من قوله فنبذناه بالعراء وقوله فى موضع آخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فان هذه الآية تدل على انه لم ينبذ بالعراء وأجاب النحاس وغيره بان الله سبحانه أخبر ههنا انه نبذ بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمته عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم (وأنبتنا عليه شجرة) فوقه تظلل عليه وقيل معنى عليه عنده وقيل معنى عليه له أى مظلة له (من يقطين) هو شجرة الدباء وقال المبرد اليقطين يقال لكل شجرة ليس لها ساق بل يمتد على وجه الارض نحو الدباء والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق تقلها فيقال لها شجرة فقط وهذا قول الحسن ومقاتل وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو كل شئ ينبت ثم يموت من عامه قال الجوهرى اليقطين مالا ساق له من الشجر كشجر القرع ونحوه قال الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان أى أقام به فهو يفعيل وقيل هو اسم أعجمى قال المفسرون كان يستظل بظلها من الشمس وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشية فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك قال ابن عباس يقطين القرع وعليه الجمهور وفائدته ان

رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ناسب ان يذكر بعده والحافظين فروجهم والحافظات أي عن المحارم والمآثم الا عن المباح كما قال عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (٨١) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الاقمر عن الاغر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن الاغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الذاكرون الله كثيرا قال قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله تعالى قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فأتى على جمدان فقال هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون قالوا وما المفردون قال صلى الله عليه وسلم الذاكرون الله كثيرا ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الامام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال انه بلغني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل

الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا قال ابن جزي وخص الله القرع لانه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقي لم يكن يتحمل الذباب وقيل اليقطين شجرة التين وقيل الموز وقال سعيد بن جبير اليقطين كل شيء يذهب على وجه الارض وعنه قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وهو معنى قوله (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه الذين هرب منهم الى البحر وجرى له ما جرى بعد هربه كما قصه الله علينا في هذه السورة وهم أهل نينوى قال قتادة أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل ان يصيبه ما أصابه وأو في قوله أو يزيدون قيل بمعنى الواو والمعنى ويزيدون وقال الفراء أو ههنا بمعنى بل وهو قول مقاتل والكلبي وأبي عبيدة وقال المبرد والزجاج والاخفش أو ههنا على أصله والمعنى أو يزيدون في تقديركم اذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك انما دخل على حكاية قول المخلوقين وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون بدون ألف الشك قال السمين الشك بالنسبة الى المخاطبين والابهام بالنسبة الى ان الله أبهم أمرهم والاباحة بالنسبة الى الناظر وكذلك التخيير أي هو مخير بين أن يحزرهم كذا أو كذا وقد وقع الخلاف بين المفسرين هل هذا الارسال هو الذي كان قبل التقام الحوت له وتكون الواو في وأرسلناه لمجرد الجمع بين ما وقع له مع الحوت وبين ارساله الى قومه من غير اعتبار تقديم ما تقدم في السياق وتأخير ما تأخر أو هو ارسال له بعد ما وقع له من الحوت ما وقع على قولين وقد قدمنا الاشارة الى الاختلاف بين أهل العلم هل كان قد أرسل قبل أن يهرب من قومه الى البحر أو لم يرسل الا بعد ذلك والراجح انه كان رسولا قبل أن يذهب الى البحر كما يدل عليه ما قدمنا في سورة يونس وبقي مستمرا على الرسالة وهذا الارسال المذكور ههنا هو بعد تقدم نبوته ورسالته قال سعيد بن جبير انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت ثم تلا فنبذناه بالعراء الى قوله الى مائة ألف أو يزيدون وقد تقدم ما يدل على ان رسالته كانت من قبل ذلك وليس في الآية ما يدل على ما ذكره كما قدمنا وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين وفيه بعد وأخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله هذا قال يزيدون عشرين ألفا قال الترمذي غريب وكذا روي عن الكلبي ومقاتل وعن ابن عباس قال

آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عزوجل وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ومن ان تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عزوجل وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجرا يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكرا قال فأى (٨٢)

الصائمين أكثر أجرا قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عزوجل ذكرا ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكرا فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وسنذكر ان شاء الله تعالى بقية الاحاديث الواردة فى كثرة الذكر عند قوله تعالى فى هذه السورة ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الآية وقوله تعالى أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أى ان الله تعالى قد أعد لهم أى هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الاسدية رضى الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فانكحيه قالت يارسول الله أؤامر فى نفسى فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الآية قالت قد رضيته لى يارسول الله منكحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت اذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسى وقال ابن لهيعة عن ابن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد

يزيدون ثلاثين ألفا وروى عنه انهم يزيدون بضعة وثلاثين ألفا وكذا روى عن الحسن وروى عن ابن عباس انهم يزيدون بضعة وأربعين ألفا وقال سعيد بن جبير سبعين ألفا ولا يتعلق بالخلاف فى هذا كثير فائدة (فآمنوا فمتعناهم الى حين) أى وقع منهم الايمان بعد ماشاهدوا أعلام نبوته فمتعهم الله فى الدنيا الى حين انقضاء آجالهم ومنتهى أعمارهم ولما كانت قريش وقبائل من العرب يزعمون ان الملائكة بنات الله أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم باستفتائهم على طريقة التقريع والتوبيخ فقال (فاستفتهم) أى استخبرهم يامحمد (ألربك البنات ولهم البنون) أى كيف يجعلون لله على تقدير صدق مازعموه من الكذب أدنى الجنسين وأوضعهما وهو الاناث ولهم أعلاهما وأرفعهما وهم الذكور وهل هذا الاحيف فى القسمة لضعف عقولهم وسوء ادراكهم ومثله قوله ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ثم زاد فى توبيخهم وتقريعهم فقال (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) فأضرب عن الكلام الاول الى ماهو أشد منه فى التبكيت والتهكم بهم أى كيف جعلوهم اناثا وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم وهذا كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم فبين سبحانه ان مثل ذلك لا يعلم الا بالمشاهدة ولم يشهدوا ولا دل دليل على قولهم من السمع ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا ادراكه الى عقولهم ثم أخبر سبحانه عن كذبهم فقال (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان انه ليس مبناه الا الافك الصريح والافتراء القبيح من دون دليل ولا شبهة دليل فانه لم يلد ولم يولد قرأ الجمهور ولد الله فعلا ماضيا مسندا الى الله وقرئ باضافة ولد الى الله على انه خبر مبتدا محذوف أى يقولون الملائكة ولد الله والولد بمعنى مفعول يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ثم كرر سبحانه تقريعهم وتوبيخهم فقال (أصطفى البنات على البنين) قرأ الجمهور بفتح الهمزة على انها للاستفهام الانكارى وقد حذف معها همزة الوصل استغناء بها عنها وقرئ بهمزة وصل تثبت ابتداء وتسقط درجا ويكون الاستفهام منويا قاله الفراء وحذف حرفه للعلم به من المقام أو على ان أصطفى ومابعده بدل من الجملة المحكية بالقول وعلى تقدير عدم الاستفهام والبدل فقد حكى جماعة من المحققين منهم الفراء ان التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما فى قوله

أذهبتم

ابن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان انها نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت فى ام كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذاك خاص وهذا اجمع وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الانصار الى أبيها فقال حتى أستأمر امها فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم اذا قال فانطلق الرجل الى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله اذن ماوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية فى سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقالت الجارية أتريدون ان تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ان كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم فانى قد رضيته قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وانها لمن انفق بيت بالمدينة وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبى برزة الاسلمى قال ان جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتى لاتدخلن عليك جليبيبا فانه ان دخل عليكن لافعلن ولأفعلن قالت وكانت الانصار اذا كان لاحد أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل

أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وقيل هو على اضمار القول والاصطفاء أخذ صفوة الشئ (مالكم كيف تحكمون) جملتان استفهاميتان ليس لاحداهما تعلق بالاخرى من حيث الاعراب استفهمهم أولا عما استقر لهم وثبت استفهام انكار وثانيا استفهام تعجب من هذا الحكم الذى حكموا به والمعنى أى شئ ثبت لكم كيف تحكمون لله بالبنات وهو القسم الذى تكرهونه ولكم بالبنين وهو القسم الذى تحبونه (أفلا تذكرون) أى تتذكرون والمعنى الاتعتبرون وتتفكرون فتتذكرون بطلان قولكم (أم لكم سلطان مبين) أى حجة واضحة ظاهرة على هذا الذى تقولونه ضرورة ان الحكم بذلك لابد له من مستند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلابد من مستند نقلى وهو اضراب عن توبيخ الى توبيخ وانتقال من تقريع الى تقريع (فأتوا بكتابكم) أى فأتوا بحجتكم الواضحة على هذا أو فأتوا بالكتاب الذى ينطق لكم بالحجة ويشتمل عليها (ان كنتم صادقين فيما تقولونه (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) التفات للغيبة للايذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم للآخرين قال أكثر المفسرين ان المراد بالجنة هنا الملائكة قيل لهم جنة لانهم لايرون وقال مجاهد هم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وقال أبو مالك انما قيل لهم الجنة لانهم خزان على الجنان والنسب الصهر قال قتادة والكلبى قالوا لعنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من أولادهم قالا والقائل بهذه المقالة اليهود وقال مجاهد والسدى ومقاتل ان القائل بذلك كنانة وخزاعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن أشركوا الشيطان فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه وقال ابن عباس زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وابليس أخوان ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى علموا ان هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون النار ويعذبون فيها لكذبهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان ان الذين ادعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤبدا وقيل علمت الجنة انهم أنفسهم يحضرون للحساب والاول أولى لان الاحضار اذا أطلق

من الانصار زوجني ابنتك قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم انى لست اريدها لنفسى قال فلمن يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم لجليبيب فقال يارسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال انه ليس يخطبها لنفسه انما يخطبها لجليبيب فقالت اجليبيب ائنه الجليبيب ائنه لجليبيب ائنه لا لعمر الله لا نزوجه فلما أراد أن يقوم ليأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبنى اليكم فاخبرتها امها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني اليه فانه لن يضيعني فانطلق أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة له فلما أفاء الله عليه قال لاصحابه رضى الله عنهم هل تفقدون من أحد قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم انظروا هل تفقدون من أحد قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم لكنى أفقد جليبيبا قال صلى الله عليه وسلم فاطلبوه فى القتلى فطلبوه فوجدوه الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يارسول الله ها هو ذا الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال قتل سبعة وقتلوه هذا منى وأنا منه مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ماله سرير الا ساعدا النبى صلى الله عليه وسلم ثم وضعه فى قبره ولم يذكر انه رضى الله عنه غسله قال ثابت رضى الله عنه فما كان فى الانصار أيم أنفق منها وحدث اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة ثابتا هل تعلم مادعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال اللهم صب عليها صبا واجعل عيشها كذا وكذا قال فما كان فى الانصار أيم أنفق منها هكذا أورده الامام أحمد بطوله واخرج منه مسلم والنسائى فى الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب ان الجارية لما قالت فى خدرها أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره نزلت هذه الآية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وقال ابن جريج أخبرنى عامر بن مصعب عن طاوس قال انه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضى الله عنه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم فهذه الآية عامة فى جميع الامور وذلك انه اذا

فالمراد به العذاب وقيل المعنى ولقد علمت الجنة انهم يحضرون الى الجنة ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه الكريمة فقال (سبحان الله عما يصفون) أو هو حكاية لتنزيه الملائكة الله عز وجل عما وصفه به المشركون ذكره العمادى وأشار له أبو السعود والاستثناء فى قوله (الا عباد الله المخلصين) منقطع والتقدير لكن عباد الله المخلصين بريئون عن ان يصفوا الله بشئ من ذلك وقد قرئ بفتح اللام وكسرها ومعناهما ما بيناه قريبا وقيل هو استثناء من المحضرين أى انهم يحضرون النار الا من أخلص فيكون متصلا لا منقطعا قاله أبو البقاء وعلى هذا تكون جملة التسبيح معترضة ثم خاطب الكفار على العموم أو كفار مكة على الخصوص فقال (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين) أى فانكم وآلهتكم التى تعبدون من دون الله لستم بفاتنين على الله بافساد عباده واضلالهم وعلى متعلقة بفاتنين والواو فى وما تعبدون اما للعطف على اسم ان أو هو بمعنى مع وما موصولة أو مصدرية أى فانكم والذى تعبدون أو وعبادتكم ومعنى فاتنين مضلين يقال فتنت الرجل وأفتنته ويقال فتنه على الشئ وبالشئ كما يقال أضله على الشئ وأضله به قال الفراء أهل الحجاز يقولون فتنته وأهل نجد يقولون أفتنته ويقال فتن فلان على فلان امرأته أى أفسدها عليه فالفتنة هنا بمعنى الاضلال والافساد قال مقاتل يقول ما أنتم بمضلين أحدا بآلهتكم الا من قدر الله له ان يصلى الجحيم وما فى ما أنتم نافية وأنتم خطاب لهم ولمن يعبدونه على التغليب قال الزجاج أهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما أنتم بمضلين أحدا الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل والجملة تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام (الا من هو صال الجحيم) أى الا من سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار والاستثناء مفرغ قاله السمين وهذا من حيث اللفظ واما من حيث المعنى فهو استثناء من المفعول المقدر قال ابن عباس فى الآية انكم يامعشر المشركين وما تعبدون يعنى الآلهة ما أنتم عليه بمضلين الا من سبق فى علمه انه سيصلى الجحيم وعنه قال يقول انكم لا تضلون أنتم ولا أضل منكم الا من قضيت عليه انه صال الجحيم وعنه قال لا تفتنون الا من هو صال الجحيم قرأ الجمهور صال بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذفت الياء لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ من فأفرد كما أفرده وقرأ الحسن وابن أبي عبلة بضم

اللام

حكم الله ورسوله بشىء فليس لاحد مخالفته ولا اختيار لاحد ههنا ولا رأى ولا قول كما قال تبارك وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ولهذا اشدد فى خلاف ذلك فقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا كقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (٨٥) فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه وهو الذى أنعم الله عليه أى بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنعمت عليه أى بالعتق من الرق وكان سيدا كبير الشان جليل القدر حبيبا الى النبى صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة رضى الله عنها ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية الا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهى عنها وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرنى عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال حدثنى أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال كنت فى المسجد فأتانى العباس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت على والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم أتدرى ما حاجتهما قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لكنى أدرى قال فأذن لهما قالا يا رسول الله جئناك لتخبرنا أى أهلك أحب اليك قال صلى الله عليه وسلم أحب أهلى الى فاطمة بنت محمد قالا يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة قال صلى الله عليه وسلم فاسامة بن زيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية رضى الله عنها وأمها أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما

اللام مع واو بعدها وروى عنهما انهما قرآ بضم اللام بدون الواو فأما مع الواو فعلى انه جمع سلامة بالواو وحملا على معنى من وحذفت نون الجمع للاضافة وأما بدون الواو فيحتمل أن يكون جمعا وانما حذفت الواو خطا كما حذفت لفظا ويحتمل ان يكون مفردا وحقه على هذا كسر اللام قال النحاس وجماعة أهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة والمعنى ان الكفار وما يعبدونه لا يقدرون على اضلال أحد من عباد الله الا من هو من أهل النار وهم المصرون وانما يصر على الكفر من سبق القضاء عليه بالشقاوة وانه ممن يصلى النار أى يدخلها ثم قال الملائكة مخبرين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم كما حكاه الله سبحانه عنهم (وما منا) فى الكلام حذف والتقدير وما منا أحد أو وما منا ملك (الا له مقام معلوم) فى عبادة الله وقيل التقدير وما منا الا من له مقام معلوم ورجح البصريون التقدير الاول ورجح الكوفيون الثانى قال الزجاج هذا قول الملائكة وفيه مضمر والمعنى وما منا ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه لا يتجاوزه وقيل مقام معلوم فى القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضاء والاول أولى وقيل هو من كلام النبى والمؤمنين أى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة أو بين يدى الله فى القيامة وفيه بعد ثم قالوا (وانا لنحن الصافون) أى فى مواقف الطاعة أو حول العرش داعين للمؤمنين قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبى صفوف الملائكة فى السماء كصفوف أهل الدنيا فى الارض أو نحن الصافون له فى الصلاة وهذا على القول الثانى انهم المؤمنون والاول أظهر (وانا لنحن المسبحون) أى المنزهون لله المقدسون له عما أضافه اليه المشركون وقيل المصلون وقيل المراد بقولهم المسبحون مجموع التسبيح باللسان وبالصلاة والمقصود ان هذه الصفات هى صفات الملائكة وليسوا كما وصفهم به الكفار من انهم بنات الله وعن ابن عباس قال هذه الملائكة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فى السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجدا أو قائم وذلك قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه وغيرهم وعن العلاء بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوما لاصحابه أطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون أخرجه محمد بن نصر وابن عساكر وعن ابن

وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم
وقع بينهما فجاء زيد يشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمسك عليك زوجك
واتق الله قال الله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثارا
عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها وقد روى الامام أحمد ههنا أيضا من رواية
حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله (٨٦) عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا وقد روى البخارى أيضا بعضه مختصرا فقال
حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ان هذه الآية وتخفى فى نفسك ما الله مبديه نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن هشيم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن على بن زيد بن جدعان قال سألنى على بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن فى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل ان يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها اليه قال اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال قد أخبرتك انى مزوجكها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وهكذا روى عن السدى انه قال نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنى اسحق بن شاهين حدثنى خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه من كتاب الله تعالى
لكتم وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال
الوطر هو الحاجة والارب أى لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى انه أوحى اليه أن
يدخل عليها بلا ولى ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر قال الامام أحمد حدثنا هاشم يعنى ابن القاسم اخبرنا النضر حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن
حارثة اذهب فاذكرها على فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع ان أنظر اليها

مسعود قال ان من السموات لسماء ما فيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائما
أو ساجدا ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وأخرج الترمذى وحسنه
وابن جرير وابن مردويه عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى أرى
ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ان السماء أطت وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع
الا وملك واضع جبهته ساجد لله قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل
وحنينها وقد ثبت فى الصحيح وغيره أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه بان يصفوا كما
تصف الملائكة عند ربهم فقالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يقيمون
الصفوف المقدمة ويتراصون فى الصف قال القرطبى قال مقاتل هذه الآيات الثلاث
نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبى صلى
الله عليه وآله وسلم أهنا تفارقنى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم عن مكانى هذا وأنزل
الله حكاية عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الى آخرها (وان كانوا ليقولون) ان
مخففة من الثقيلة وفيها ضمير شان محذوف واللام هى الفارقة بينها وبين النافية أى وان
الشأن كان كفار العرب ليقولون الخ وهذا رجوع الى الاخبار عن المشركين أى كانوا قبل
المبعث المحمدى اذا عيروا بالجهل قالوا (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتبهم
كالتوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العبادة له ولم نكفر به كما كفروا
فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به)
قال ابن عباس لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الاولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب
والفاء هى الفصيحة الدالة على محذوف مقدر فى الكلام قال الفراء تقديره فجاءهم محمد
بالذكر فكفروا به وهذا على طريق التعجب منهم ونظير ذلك قوله فى سورة فاطر وأقسموا بالله
جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم
الا نفورا والمراد بالنذير الرسول وقد قيل هنا أن الذكر هو الرسول (فسوف يعلمون) عاقبة
كفرهم ومغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وفى هذا تهديد لهم شديد (ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين) مستأنفة مقررة للوعيد وتصديرها بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق
مضمونها أى والله والمراد بالكلمة ما وعدهم الله به من النصر والغلبة والظفر على الكفار

وأقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى وقلت يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤمر ربى عز وجل فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت أهلك فما أدرى انا (٨٧) أخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الآية كلها ورواه مسلم والنسائى من طرق عن سليمان بن المغيرة به وقد روى البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ان زينب بنت جحش رضى الله عنها كانت تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات وقدمنا فى سورة النور عن محمد بن عبد الله ابن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضى الله عنهما فقالت زينب رضى الله عنها أنا التى نزل تزويجى من السماء وقالت عائشة رضى الله عنها أنا التى نزل عذرى من السماء فاعترفت لها زينب رضى الله عنهما وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبى قال كانت زينب رضى الله عنها تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لأدلى عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلى بهن ان جدى وجدك واحد وانى أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا أى انما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين فى تزويج مطلقات الادعياء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضى الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم الى قوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضى الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضى الله عنه ولهذا

قال مقاتل عنى بالكلمة قوله سبحانه كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وقال الفراء سبقت كلمتنا بالسعادة لهم والاولى تفسير هذه الكلمة بما هو مذكور هنا فانه قال (انهم لهم المنصورون) فهذه هى الكلمة المذكورة سابقا وهذا تفسير لها وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة فهو مجاز من اطلاق الجزء على الكل (وان جندنا) المراد بجند الله حزبه وهم الرسل وأتباعهم والجند الانصار والاعوان والجمع اجناد وجنود والواحد جندى فالياء للوحدة مثل روم ورومى وجند بفتحتين بلد باليمن قال الشيبانى جاء هنا على الجمع يعنى قوله (لهم الغالبون) من أجل انه رأس آية وهذا الوعد لهم بالنصر والغلبة لا ينافيه انهزامهم فى بعض المواطن وغلبة الكفار لهم فان الغالب فى كل موطن هو انتصارهم على الاعداء وغلبتهم لهم فخرج الكلام مخرج الغالب على ان العاقبة المحمودة لهم على كل حال وفى كل موطن كما قال سبحانه والعاقبة للمتقين والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقادم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن ابن عباس ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالعبرة للغالب ويعطى الاكثر حكم الكل ويلحق القليل بالعدم أو الغلبة باعتبار عاقبة الحال وملاحظة المآل ثم أمر الله سبحانه رسوله بالاعراض عنهم والاغماض عما يصدر منهم من الجهالات والضلالات فقال (فتول عنهم حتى حين) أى أعرض عنهم الى مدة معلومة عند الله سبحانه وهى مدة الكف عن القتال قال السدى ومجاهد حتى نأمرك بالقتال وقال قتادة الى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل الى يوم فتح مكة قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف والاول أولى وكان صلى الله عليه وآله وسلم أول الامر مأمورا بالتبليغ والانذار والصبر على أذى الكفار تألفا لهم ثم أمر بالجهاد فى السنة الثانية من الهجرة قال ابن حجر رحمه الله وغزواته صلى الله عليه وآله وسلم سبع وعشرون غزوة قاتل فى ثمان منها بنفسه بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف انتهى (وأبصرهم) اذا نزل بهم العذاب بالقتل والاسر وما هيأنا لهم (فسوف يبصرون) ذلك عن قريب حين لا ينفعهم الابصار وسوف هنا للوعيد لا للتبعيد اذ ليس المقام مقامه كما تقول سوف أنتقم منك وأنت متهيئ للانتقام قاله

قال تعالى في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ليحترز من الابن الدعي فان ذلك كان كثيرا فيهم وقوله تعالى وكان أمر الله مفعولا أي وكان هذا الامر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة كانت زينب رضى الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا) يقول تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضى الله عنها التي طلقها دعيه زيد بن حارثة رضى الله عنه وقوله

تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الانبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه وكان أمر الله قدرا مقدورا أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) يمدح تبارك وتعالى الذين يبلغون رسالات الله أي الى خلقه ويؤدونها بأماناتها ويخشونه أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن ابلاغ رسالات الله تعالى وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله ناصرا ومعينا وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قام باداء الرسالة وابلاغها الى أهل المشارق والمغارب الى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الاديان والشرائع فانه قد كان النبي قبله انما يبعث الى قومه خاصة وأما هو صلى الله عليه وسلم فانه بعث الى جميع الخلق عربهم وعجمهم قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته فرضي الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم الى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد

الكرخي ولذا عبر بالابصار عن قرب الامر كأنه حاضر قدامه مشاهد له خصوصا اذا قيل ان الامر للفور وقيل يبصرون العذاب يوم القيامة ثم هددهم سبحانه بقوله (أفبعذابنا يستعجلون) كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب (فاذا نزل بساحتهم) اذا نزل عذاب الله لهم بفنائهم والساحة في اللغة فناء الدار الواسع الخالي من الابنية وجمعها سوح قال الفراء نزل بهم ونزل بساحتهم سواء قال الزجاج وكان عذاب هؤلاء بالقتل قيل المراد به نزول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بساحتهم يوم فتح مكة شبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم ففي الضمير المستتر في نزل استعارة بالكناية والنزول تخييل قرأ الجمهور نزل مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول والجار والمجرور قائم مقام الفاعل (فساء صباح المنذرين) أي بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب والمخصوص بالذم محذوف أي صباحهم وخص الصباح بالذكر لان العذاب كان يأتيهم فيه وان وقع في وقت آخر وفي التعبير بالمنذرين اقامة الظاهر مقام المضمر واللام للجنس لا للعهد فان أفعال الذم والمدح تقتضي الشيوع للابهام والتفصيل فلا يجوز أن تقول بئس الرجل هذا ونعم الرجل هذا اذا أردت رجلا بعينه أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال صبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحي فلما نظروا اليه قالوا محمد والخميس فقال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين الحديث ثم كرر سبحانه ما سبق تأكيدا للوعد بالعذاب وتسلية على تسلية فقال (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) حذف مفعول أبصر هنا وذكره أولا اما لدلالة الاول عليه فترك هنا اختصارا أو قصد الى التعميم للايذان بان ما يبصره من أنواع عذابهم لا يحيط به الوصف وقيل هذه الجملة المراد بها أحوال القيامة والجملة الاولى المراد بها عذابهم في الدنيا وعلى هذا فلا يكون من باب التأكيد بل من باب التأسيس ثم نزه سبحانه نفسه عن قبيح ما يصدر منهم فقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) العزة الغلبة والقوة والمراد تنزيهه عن كل ما يصفونه مما لا يليق بجنابه الشريف ورب العزة بدل من ربك وأضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترتب على القولين مسئلة اليمين فعلى الاول ينعقد بها اليمين لانها صفة من صفاته بخلاف الثاني فانه لا ينعقد

الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه ان يرى أمر الله فيه فقال ثم لا يقوله فيقول الله
ما يمنعك ان تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فانا أحق أن يخشى ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثورى عن زبيد عن
عمرو بن مرة ورواه ابن ماجه عن أبى كريب عن عبد الله بن نمير وأبى معاوية كلاهما عن الاعمش به وقوله تعالى ما كان محمد أبا
أحد من رجالكم نهى ان يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وان كان قد تبناه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ
الحلم فانه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضى (٨٩) الله عنها فماتوا صغارا وولد له صلى الله
عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية
فمات أيضا رضيعا وكان له صلى الله
عليه وسلم من خديجة أربع بنات
زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة
رضى الله عنهم أجمعين فمات فى
حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث
وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى
أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم
ماتت بعده لستة أشهر وقوله تعالى
ولكن رسول الله وخاتم النبيين
وكان الله بكل شئ عليما كقوله عز
وجل الله أعلم حيث يجعل رسالته
فهذه الآية نص فى انه لا نبى بعده
واذا كان لا نبى بعده فلا رسول
بالطريق الاولى والاحرى لان مقام
الرسالة أخص من مقام النبوة فان
كل رسول نبى ولا ينعكس وبذلك
وردت الاحاديث المتواترة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
حديث جماعة من الصحابة رضى
الله عنهم قال الامام أحمد حدثنا أبو
عامر الازدى حدثنا زهير بن محمد
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن
الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه
رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال مثلى فى النبيين كمثل
رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان
ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا فى النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذى عن بندار عن أبى عامر العقدى به
وقال حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى قال فشق ذلك على الناس
فقال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل المسلم وهو جزء من أجزاء النبوة وهكذا رواه الترمذى عن

لا ينعقد بها اليمين قاله السمين ثم ذكر ما يدل على تشريف رسله وتكريمهم فقال (وسلام
على المرسلين) أى الذين أرسلهم الى عباده وبلغوا رسالاته وهو من السلام الذى هو التحية
وقيل معناه أمن لهم وسلامة من المكاره أخرج ابن سعد وابن مردويه عن أنس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم على المرسلين فسلموا على فانما أنا بشر من
المرسلين وعن أنس مرفوعا نحوه باطول منه عند ابن مردويه وعمم الرسل بالسلام بعد
ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين)
ارشاد لعباده الى حمده على ارسال رسله اليهم مبشرين ومنذرين وتعليم لهم كيف يصنعون
عند انعامه عليهم وما يثنون به عليه وقيل انه الحمد على هلاك المشركين ونصر الرسل عليهم
والاولى انه حمد لله سبحانه على كل ما أنعم به على خلقه أجمعين كما يفيده حذف المحمود عليه
فان حذفه مشعر بالتعميم كما تقرر فى علم المعانى والحمد هو الثناء الجميل لقصد التعظيم عن أبى
سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا أراد ان يسلم من صلاته قال سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أخرجه سعيد بن
منصور وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن مردويه وأخرج الطبرانى عن ابن
عباس قال كنا نعرف انصراف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة بقوله سبحان
ربك الى آخرها وأخرج الخطيب نحوه من حديث أبى سعيد وأخرج الطبرانى عن زيد بن
أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك الآيات
ثلاث مرات فقد اكتال بالمكيال الاوفى من الاجر وأخرج حميد بن زنجويه فى ترغيبه عن
على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نحوه وعن على رضى الله تعالى عنه من أحب أن
يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان
ربك الى آخرها ذكره النسفى والخازن قال النسفى اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون
فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من
النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على
المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب (٣)

(سورة ص آياتها ست وثمانون وقيل خمس وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية)

وهى مكية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعنه قال لما مرض

(٣) تمت التقييدات فى ٢٦ رمضان ذو الفقار

الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل حديث آخر قال أبو داود الطيالسى حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الاموضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ما أحسنها الاموضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ورواه البخارى ومسلم والترمذى من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذى صحيح غريب من هذا الوجه قال الامام أحمد (٩٠) حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها الالبنة واحدة فجئت انا فاتممت تلك اللبنة انفرد باخراجه مسلم من رواية الاعمش به حديث آخر قال أحمد حدثنا يونس ابن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبى قال سمعت أبا الطفيل رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبوة بعدى الا المبشرات قيل وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الحسنة أوقال الرؤيا الصالحة حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام ابن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فأكملها وأحسنها وأجملها الاموضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون ألاوضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة أخرجاه من حديث عبد الرزاق حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا قال مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلى بن حجر قالوا حدثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث اسمعيل بن جعفر وقال الترمذى حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابى صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

داود

أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقال ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل فخشى أبو جهل ان يجلس الى أبى طالب ويكون أرق عليه فوثب فجلس فى ذلك المجلس فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب اى ابن أخى ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ياعم انى اريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وابيك عشرا قالوا فما هى قال لا اله الا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب فنزل فيهم ص والقرآن ذى الذكر الى قوله بل لما يذوقوا عذاب أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وأحمد وابن أبى شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل وابن جرير وابن المنذر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) قرأ الجمهور صاد بسكون الدال كسائر حروف التهجى فى أوائل السور فانها ساكنة الاواخر على الوقف وقرئ بكسرها من غير تنوين لالتقاء الساكنين وهذا أقرب وقيل وجه الكسر انه من صادى يصادى اذا عارض والمعنى صاد القرآن بعملك أى عارضه وقابله فاعمل به وهذا حكاه النحاس عن الحسن البصرى وقال انه فسر قراءته هذه بهذا وعنه ان المعنى اتله وتعرض لقراءته وقرئ صاد بفتح الدال والفتح لالتقاء الساكنين وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به وورويت هذه القراءة عن أبى عمرو وروى عن ابن أبى اسحق أيضا انه قرأ صاد بالكسر والتنوين تشبيها لهذا الحرف بما هو غير متمكن من الاصوات وقرئ صاد بالضم من غير تنوين على البناء نحو منذ وحيث كما قرئ به فى ق ون وقد بسط السمين الكلام على توجيه الكل وقال الحفناوى يجوز السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار ان هذا الاسم علم على السورة والجر مع التنوين نظرا الى كون السورة قرآنا ويقال لها سورة

مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها الا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وأبى كريب كلاهما عن أبى معاوية به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الاعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته حديث آخر قال الزهرى أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى أخرجاه فى الصحيحين وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا النبى الامى ثلاثا ولا نبى بعدى أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بى وعرفت وعرفت أمتى فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم فاذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله تعالى أحلوا حلاله وحرموا حرامه تفرد به الامام احمد ورواه الامام احمد ايضا عن يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولانى عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فذكر مثله سواء والاحاديث فى هذا كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ثم من تشريفه له ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه انه لا نبى بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ وأتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولى الالباب كما اجرى الله سبحانه وتعالى على يد الاسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجى انهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام

داود وقد اختلف فى معنى ص فقال الضحاك معناه صدق الله وقال عطاء صدق محمد وقال سعيد بن جبير هو بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله وقال قتادة هو اسم من أسماء الله وعنه هو اسم من أسماء الرحمن وقال محمد هو فاتحة السورة وقال ابن عباس ص محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو مما استأثر الله بعلمه وهو أعلم بمراده به وهذا هو الحق كما قدمنا فى فاتحة سورة البقرة قيل وهو اسم للحروف مسرودا على نمط التعديد أو اسم للسورة أو خبر مبتدا محذوف أو منصوب باضمار اذكر أو اقرأ (والقرآن) هى واو القسم والاقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله ومعنى (ذى الذكر) انه مشتمل على الذكر الذى فيه بيان كل شئ وقال مقاتل معنى ذى الذكر ذى البيان وقال الضحاك وابن عباس ذى الشرف والعظمة كما فى قوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أى شرفكم أو الشهرة وقيل ذى الموعظة وقيل فيه ذكر ما يحتاج اليه فى أمر الدين وقيل فيه ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده وقيل فيه ذكر العقائد والشرائع والمواعيد وجواب القسم قوله ان ذلك لحق قاله الزجاج والكسائى والكوفيون وقال الفراء لا نجده مستقيما لتأخره جدا عن قوله والقرآن ورجح هو وثعلب ان الجواب قوله كم أهلكنا وقال الاخفش الجواب هو ان كل الا كذب الرسل وقيل هو صاد لان معناه حق فهو جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله وجب والله ذكره ابن الانبارى وروى أيضا عن ثعلب والفراء وهو مبنى على ان جواب القسم يجوز تقدمه وهو ضعيف وقيل الجواب محذوف والتقدير لتبعثن ونحو ذلك وقال الحوفى تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقال الزمخشرى انه لمعجز والمحلى انك لمن المرسلين وقال ابن عطية تقديره ما الامر كما يزعم الكفار من تعدد الآلهة والقول بالحذف أولى وقيل ان قوله ص مقسم به وعلى هذا القول تكون الواو فى والقرآن للعطف عليه ولما كان الاقسام بالقرآن دالا على صدقه وانه حق وانه ليس بمحل للريب قال سبحانه (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) فأضرب عن ذلك وكأنه قال لا ريب فيه قطعا ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه بل هم فى عزة عن قبول الحق أى تكبر وتجبر وشقاق أى امتناع عن قبول الحق يعنى ليس الحامل لهم عليه الدليل بل مجرد الحمية والخصام والتقليد والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال من عز بز أى من غلب أخذ السلب ومنه وعزنى فى الخطاب أى غلبنى والشقاق مأخوذ من الشق

لطف الله تعالى بخلقه فانهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر الا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد الى غيره ويكون فى غاية الافك والفجور فى أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم الآية وهذا بخلاف حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فى غاية البر والصدق والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الارض والسموات (يا أيها (٩٢) الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم فى ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثنى مولى ابن عياش عن أبى بحرية عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد ابن ابى عبيد عن زياد مولى ابن عياش عن ابى بحرية واسمه عبد الله ابن قيس البراغمى عن ابى الدرداء رضى الله عنه به قال الترمذى ورواه بعضهم عنه فأرسله قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات فى مسند الامام احمد من حديث زياد بن ابى زياد مولى عبد الله بن عياش انه بلغه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه فالله اعلم وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن ابى سعيد الحمصى قال سمعت اباهريرة رضى الله عنه يقول دعاء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى عن وكيع عن ابى فضالة الفرج بن فضالة عن ابى سعيد الحمصى عن ابى هريرة رضى الله عنه فذكر

وهو الخلاف والعداوة وقد تقدم بيانه والتنكير فيهما للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق والاول أولى ثم خوفهم سبحانه وهددهم بما فعله من قبلهم من الكفار فقال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى الامم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل أى كم أهلكنا الذين كانوا أمنع من هؤلاء وأشد قوة وأكثر أموالا وكم هى الخبرية الدالة على التكثير وهى فى محل نصب بأهلكنا على انها مفعول به ومن قرن تمييز ومن فى من قبلهم هى لابتداء الغاية (فنادوا ولات حين مناص) النداء هنا هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس الحين حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن وقال النحاة هى لا التى بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما فى قولهم رب وربت وثم وثمت قال الفراء النوص التأخر وانشد قول امرئ القيس

أمن ذكر ليلى اذ نأتك تنوص * فتقصر عنها خطوة وتبوص

قال يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا أى فر وراغ قال الفراء ويقال ناص ينوص اذا تقدم وقيل المعنى انه قال بعضهم لبعض مناص أى عليكم بالفرار والهزيمة فلما أتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال سيبويه والخليل لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر أى ليس حيننا حين مناص وقال الزجاج التقدير وليس أواننا قال ابن كيسان والقول قول سيبويه والوقف عليها عند الكسائى بالهاء وبه قال المبرد والاخفش وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان قال الكسائى والفراء والخليل وسيبويه والاخفش والتاء تكتب منقطعة عن حين وكذلك هى فى المصاحف وقال أبو عبيد تكتب متصلة بحين فيقال ولاتحين وقد يستغنى بحين عن المضاف اليه قال أبو عبيد لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا فى حين وأوان والآن قلت قد يزيدونها فى غير ذلك أيضا وقال ابن عباس ليس بحين نزو ولا فرار وأخرج ابن أبى من طريق عكرمة عنه قال نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد

تذكرت ليلى حين لات تذكر * وقد بنت منها والمناص بعيد

وعنه قال ليس هذا حين زوال وعنه قال لا حين فرار وقرأ الجمهور لات بفتح التاء وقرئ بكسرها

مثله وقال غريب وهكذا رواه الامام احمد ايضا عن ابى النضر هشيم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن ابى سعد المرى عن ابى هريرة رضى الله عنه فذكره وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء أعرابيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يارسول الله أى الناس خير قال صلى الله عليه وسلم من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر يارسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علينا فمرنى بأمر أتشبث به قال صلى الله عليه وسلم لايزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى وروى الترمذى وابن ماجه الفصل

الثانى من حديث معاوية بن صالح به وقال الترمذى حديث حسن غريب وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث قال ان دراجا ابا السمح حدثه عن ابى الهيثم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا عقبة بن مكرم العمى حدثنا سعيد بن سفين الجحدرى حدثنا الحسن بن أبى جعفر عن عقبة بن أبى شبيب الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله ذكرا كثيرا (١) يقول المنافقون يراؤن وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبى سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه الارأوه حسرة يوم القيامة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة الاجعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحد فى تركه الامغلوبا على تركه فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال عزوجل وسبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته والاحاديث والآيات والآثار فى الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفى هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار من ذلك وقد صنف الناس فى الاذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار

(١) بياض بأصله

بكسرها كجير وجملة لات حين مناص فى محل نصب على الحال من ضمير نادوا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بانهم فى عزة وشقاق ان جاءهم رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب ان استمروا على الكفر وان ومافى حيزها فى محل نصب بنزع الخافض أى من أن جاءهم وهو كلام مستأنف مشتمل على ذكر نوع من أنواع كفرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قالوا هذا القول لما شاهدوا ماجاء به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أى هذا المدعى للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات كذاب فيما يدعيه من ان الله أرسله قيل ووضع الظاهر موضع المضمر لاظهار الغضب عليهم وان ماقالوه لايتجاسر على مثله الا المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر أغلظ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولايتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج ثم أنكروا ماجاء به صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد ومانفاه من الشركاء لله فقالوا (أجعل الآلهة) أى صيرها (الها واحدا) وقصرها على الله سبحانه (ان هذا لشئ عجاب) أى الامر بالغ فى العجب الى الغاية تعجبوا من هذا القصر والحصر وقالوا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ومنشؤه ان القوم ما كانوا أصحاب نظر واستدلال بل كانت أوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا فى الشاهد أن الفاعل الواحد لاتفى قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وان اسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا ان كونهم على هذه الحال محال أن يكونوا مبطلين فيه ويكون الانسان الواحد محقا فلعمرى لو كان التقليد حقا كانت هذه الشبهة لازمة قاله الكرخى قال الجوهرى العجيب الامر الذى يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه قرأ الجمهور عجاب بالتخفيف وقرئ بتشديد الجيم قال مقاتل بالتخفيف لغة أزدشنوءة قيل والعجاب بالتخفيف والتشديد يدل على انه قد يجاوز الحد فى العجب كما يقال الطويل للذى فيه طول والطوال للذى قد تجاوز حد الطول وكلام الجوهرى يفيد اختصاص المبالغة بعجاب مشدد الجيم لابالمخفف وقد قدمنا فى صدر هذه السورة سبب نزول هذه الآيات (وانطلق الملأ منهم) المراد بالملا الاشراف كما هو مقرر فى غير موضع من تفسير الكتاب العزيز عن ابن عباس قال نزلت حين انطلق أشراف قريش الى أبى طالب فكلموه فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قائلين

كالنسائي والمعمري وغيرهما ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الاذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وقوله تعالى
وسبحوه بكرة وأصيلا أي عند الصباح والمساء كقوله عزوجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون وقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته هذا تهييج الى الذكر أي انه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم كقوله
عزوجل كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكروني
أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في
نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير منهم والصلاة من الله
تعالى ثناؤه على العبد عند
الملائكة حكاه البخاري عن أبي
العالية ورواه أبو جعفر الرازي عن
الربيع بن أنس عنه وقال غيره
الصلاة من الله عزوجل الرحمة وقد
يقال لا منافاة بين القولين والله
أعلم وأما الصلاة من الملائكة
فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار
كقوله تبارك وتعالى الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ
رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي
وعدتهم ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم انك أنت
العزيز الحكيم وقهم السيآت
الآية وقوله تعالى ليخرجكم من
الظلمات الى النور أي بسبب رحمته
بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته
لكم يخرجكم من ظلمات الجهل
والضلال الى نور الهدى واليقين
وكان بالمؤمنين رحيما أي في الدنيا
والآخرة أما في الدنيا فانه هداهم الى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من
الدعاة الى الكفر أو البدعة وأساغهم من الطعام وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الاكبر وأمر ملائكته يتلقونهم
بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك الا لمحبته لهم ورأفته بهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عدي عن حميد عن أنس رضي
الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على
ولدها أن يوطأ فاقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يارسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال فخفضهم

بعضهم للبعض (أن امشوا) أي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه (واصبروا
على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادتها وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام
امشوا واصبروا على آلهتكم وأن هي المفسرة للقول المقدر أو لقوله وانطلق لانه مضمن
معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدر أو للمذكور اي بأن امشوا
وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها أي
اجتمعوا وأكثروا وهو بعيد جدا وخلاف مايدل عليه الانطلاق والمشي بحقيقتهما
وخلاف ماتقدم في سبب النزول وجملة (ان هذا الشئ يراد) تعليل لما تقدمه من الامر
بالصبر أي يريده محمد بنا وآلهتنا ويود تمامه من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ليعلو
علينا ونكون له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا مخرج التحذير
منه والتنفير عنه وقيل ان هذا الامر يريده الله سبحانه وما أراده ويحكم بامضائه فهو
كائن لامحالة ولا ينفع فيه الا الصبر فاصبروا على عبادة آلهتكم وقيل المعنى ان دينكم
لشئ يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه أو ان هذا الامر شئ من نوائب الدهر يراد
بنا فلا انفكاك لنا منه أو أمر يراد بأهل الارض والاول أولى (ما سمعنا بهذا) الذي يقوله
محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) وهي ملة النصرانية فانها آخر الملل قبل ملة الاسلام
كذا قال محمد بن كعب القرظي وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي وبه قال ابن عباس
وقال مجاهد يعنون به ملة قريش أي التي أدركنا عليها آباءنا وعن قتادة مثله وقال
الحسن المعنى ما سمعنا ان هذا يكون في آخر الزمان وقيل ان المعنى ما سمعنا من اليهود
والنصارى ان محمدا رسول الله (ان هذا الا اختلاق) أي ما هذا الا كذب اختلقه محمد
وافتراه من تلقاء نفسه وافتعله ثم استنكروا أن يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم
فقالوا (ءأنزل عليه الذكر من بيننا) والاستفهام للانكار أي كيف يكون ذلك ونحن
الرؤساء والاشراف قال الزجاج قالوا كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا ونحن أكبر
سنا وأعظم شرفا منه وهذا مثل قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
فأنكروا أن يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء ولماذكر استنكارهم لنزول
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونهم بين السبب الذي لاجله تركوا
التصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فقال (بل هم في شك من ذكري)

اى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا والله لا يلقى حبيبه فى النار اسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ولكن فى صحيح الامام البخارى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبى قد أخذت صبيا لها فألصقته الى صدرها وأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم أترون هذه تلقى ولدها فى النار وهى تقدر على ذلك قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام الظاهر ان المراد والله أعلم تحيتهم أى من الله تعالى يوم يلقونه سلام أى يوم يسلم عليهم كما قال عزوجل سلام قولا من رب رحيم وزعم قتادة ان المراد انهم يحيون يعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله فى الدار الآخرة واختاره ابن جرير قلت وقد يستدل له بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما يعنى الجنة وما فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والملاذ والمناظر مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ياأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) قال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين فأنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وقد رواه البخارى فى البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن على به ورواه فى التفسير عن عبد الله قيل ابن رجاء وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون به وقال البخارى

أى من القرآن أو الوحى لاعراضهم عن النظر الموجب لتصديقه واهمالهم للادلة الدالة على انه حق منزل من عند الله (بل لما يذوقوا عذاب) أى بل السبب انهم لم يذوقوا عذابى فاغتروا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابى على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا ما جئت به من القرآن ولم يشكوا فيه وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين فقوله بل لما يذوقوا اضراب عن الاضراب الاول خلاف ما يفهم من الكشاف من تعلقه بالكلامين قبله (أم) أى بل أ (عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى مفاتيح نعم ربك وهى النبوة وما هو دونها من النعم حتى يعطوها من شاؤا فما لهم ولانكار ما تفضل الله به على هذا النبى واختاره له واصطفاه لرسالته والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب القاهر الذى لا يغلب الوهاب المعطى بغير حساب الذى له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أى بل ألهم ملك هذه الاشياء حتى يعطوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ويعترضوا على اعطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء والمعنى انه ليس لهم مدخل فى أمر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها وقوله (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى الاسباب أى المعارج والمناهج والطرق التى توصلهم الى السماء أو الى العرش حتى يستووا عليه ويحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويدبروا أمر العالم بما يشتهون أو فليصعدوا وليمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاسباب أبواب السموات التى تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال الربيع بن أنس الاسباب أدق من الشعر وأشد من الحديد ولكن لا ترى وقال السدى فى الاسباب فى الفضل والدين وقيل فليعملوا فى أسباب القوة ان ظنوا انها مانعة وهو قول أبى عبيدة وقيل الاسباب الحبال أى ان وجدوا حبالا يصعدون فيها الى السماء فعلوا والاسباب عند أهل اللغة كل شئ يتوصل به الى المطلوب كائنا ما كان وفى هذا الكلام تهكم بهم وتعجيز لهم قال ابن عباس الاسباب السماء أى لانها أسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) هذا وعد من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم والظفر وجند

في اليسوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال وهب بن منبه ان الله تعالى أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعيا ان قم في قومك بني اسرائيل فاني منطق لسانك بوحي وأبعث أميا من الأميين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق لو يمر الى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنى أفتح به أعينا كمها وآذانا صما وقلوبا غلفا أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى

ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلال وأعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واعرف به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة وأهواء متشتتة واستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلي ألهمهم التسبيح والتحميد والثناء والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون وأعز من نصرهم وأؤيد من دعاهم وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيأ مما في أيديهم أجعلهم ورثة لنبيهم والداعية الى ربهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني رحمه الله ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن

مرتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم جند حقير يعني الكفار مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم ولا تظن انهم يصلون الى شيء مما يضمرونه بك من الكيد وما في قوله ما هنالك هي صفة لجند لافادة التعظيم أو التحقير أي جند أي جند وقيل هي زائدة يقال هزمت الجيش كسرته وتهزمت القربة اذا تكسرت وهذا الكلام متصل بما تقدم وهو قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا تحزن لعزتهم وشقاقهم فاني أسلب عزهم وأهزم جمعهم وقد وقع ذلك ولله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاسلام وقيل الى حفر الخندق يعني الى مكان ذلك قال الرازي والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون مهزومين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة وما ذاك الا في يوم الفتح (كذبت قبلهم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنسهم بما فعلوا من الكفر والتكذيب وفعل بهم من العقاب والعذاب (قوم نوح) أي كذبوا رسولهم نوحا وكذا يقدر فيما بعده وتأنيث قوم باعتبار المعنى وهو أنهم أمة وطائفة وجماعة (وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال المفسرون كانت له أوتاد يعذب بها الناس وذلك انه كان اذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الارض وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وما أبرد هذا القول وقيل ذو القوة والبطش وقيل المراد بالاوتاد الجموع والجنود الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون أمره ويشدون سلطانه كما يقوي الاوتاد ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا قال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز وفي ملك ثابت الاوتاد ويريدون ملكا دائما شديدا وأصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد وقيل المراد بالاوتاد هنا البناء المحكم أي وفرعون ذو الابنية المحكمة قال الضحاك والبنيان يسمى أوتادا والاوتاد جمع وتد وفيه لغات أفصحها فتح الواو وكسر التاء ويقال وتد بفتحهما وود بادغام التاء في الدال بوزن وج وودت وهي لغة أهل نجد قال الاصمعي ويقال وتد واتد مثل شغل شاغل (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أي الغيضة وهي الاشجار الملتفة المجتمعة وقد تقدم تفسيرها في سورة الشعراء ومعنى (أولئك الاحزاب) انهم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولهم فلان هو الرجل وقريش وان كانوا احزابا كما قال الله تعالى فيما تقدم جند ما هنالك

مهزوم

عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقد كان أمر عليا ومعاذا رضى الله عنهما أن
يسيرا الى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا انه قد أنزل على يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ورواه
الطبرانى عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادى عن عبد الرحمن بن صالح الازدى عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمى
باسناده مثله وقال فى آخره فانه قد أنزل على يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى
شهادة ان لا اله الا الله باذنه وسراجا منيرا بالقرآن فقوله تعالى شاهدا (٩٧) أى لله بالوحدانية وانه لا اله غيره وعلى الناس
بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا كقوله لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وقوله عز وجل
ومبشرا ونذيرا أى بشيرا للمؤمنين
بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين
من وبيل العقاب وقوله جلت
عظمته وداعيا الى الله باذنه أى
داعيا الخلق الى عبادة ربهم عن
أمره لك بذلك وسراجا منيرا أى
وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق
كالشمس فى اشراقها واضاءتها
لا يجحدها الا معاند وقوله جلا
وعلا ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع أذاهم أى لا تطعهم وتسمع
منهم فى الذى يقولونه ودع أذاهم أى
اصفح وتجاوز عنهم وكل امرهم الى
الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا
قال جل جلاله وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا (يا أيها الذين آمنوا
اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها فمتعوهن
وسرحوهن سراحا جميلا) هذه
الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة
منها اطلاق النكاح على العقد

وحده وليس فى القرآن آية أصرح فى ذلك منها وقد اختلفوا فى النكاح هل هو حقيقة فى العقد
وحده أو فى الوطء أو فيهما على ثلاثة أقوال واستعمال القرآن انما هو فى العقد والوطء بعده الا فى هذه الآية فانه استعمل فى
العقد وحده لقوله تبارك وتعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وفيها دلالة لاباحة طلاق المرأة قبل الدخول
بها وقوله تعالى المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ لا فرق فى الحكم بين المؤمنة والكتابية فى ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس
رضى الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وعلى بن الحسين وزين العابدين وجماعة من من السلف بهذه الآية على ان

مهزوم من الاحزاب ولكن هؤلاء الذين قصهم الله علينا من الامم السالفة هم أكثر منهم
عددا وأقوى أبدانا وأوسع أموالا وأعمارا وقيل ان المعنى ان مشركى قريش من أولئك
الاحزاب وهم هم ومنهم وجد التكذيب وهذه الجملة مستأنفة أو خبر والمبتدأ قوله وعاد
كذا قال أبو البقاء وهو ضعيف بل الظاهر أن عاد وما بعده معطوفات على قوم نوح والاولى
أن تكون هذه الجملة خبر المبتدا محذوف أو بدلا من الامم المذكورة (ان كل) أى ما كل
حزب من هذه الاحزاب (الا كذب الرسل) لان تكذيب الحزب لرسوله المرسل اليه
تكذيب لجميع الرسل لان دعوتهم واحدة وهى التوحيد أو هو من مقابلة الجمع بالجمع
والمراد تكذيب كل حزب لرسوله والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى ما كان أحد
من الاحزاب فى جميع أحواله الا وقع منه تكذيب الرسل وفى تكرير التكذيب
وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما
فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق
أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فحق عقاب) أى فحق عليهم عقابى بتكذيبهم ومعنى حق ثبت
ووجب وان تأخر فكأنه واقع بهم وكل ما هو آت قريب قرئ عقاب باثبات الياء وحذفها
مطابقة لرؤس الآى وفى الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أى ما ينتظر
(هؤلاء) أى كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الكائنة عند قيام الساعة وقيل
هى النفخة الثانية وعلى الاول المراد من عاصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار
وعلى الثانى المراد كفار الامم المذكورة أى ليس بينهم وبين ما أعد الله لهم من عذاب
النار الا ان ينفخ فى الصور النفخة الثانية وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجأهم فى الدنيا وجملة
(ما لها من فواق) فى محل نصب صفة لصيحة قال الزجاج فواق بفتح الفاء وضمها لغتان
بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع وهو مشتق من
الرجوع أيضا لانه يعود اللبن الى الضرع بين الحلبتين ويقال أفاق من مرضه أى رجع
الى الصحة ولهذا قال مجاهد ومقاتل ان الفواق الرجوع وقال قتادة ما لها من مثنوية
وقال السدى ما لها من افاقة وقيل ما لها من مرد قال الجوهرى ما لها من نظرة
وراحة وافاقة وقال ابن عباس ما لها من رجعة والفيقة اسم اللبن الذى يجتمع بين
الحلبتين وجمعها فيق وفواق وأما أفاويق فجمع الجمع قال الفراء والسدوسى وأبو

الطلاق لا يقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فعقب النكاح بالطلاق فدل على انه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق فعندهما متى تزوجها طلقت منه واختلفا فيما اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور (٩٨) فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي اسحق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشيء من أجل ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الآية وحدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن ابن مسلم بن يناق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما قال الله عز وجل اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الا ترى ان الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب وهكذا روى ابن ماجة عن علي والمسور بن مخرمة وكان رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا طلاق قبل النكاح وقوله عز وجل فما لكم عليهن من عدة تعتدونها هذا أمر مجمع عليه بين العلماء ان المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ولا يستثنى من هذا الا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا وان لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا وقوله تعالى فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا المتعة ههنا أعم من أن يكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة ان لم يكن قد سمى لها قال الله تعالى

عبيدة وابن زيد والسدي الفواق بفتح الفاء الراحة والافاقة أي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه وبالضم الانتظار ومعنى الآية ان تلك الصيحة هي ميعاد عذابهم فاذا جاءت لم ترجع ولا ترد عنهم ولا تصرف منهم ولا تتوقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي الحالب لها وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (و) لما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب (قالوا) استهزاء وسخرية (ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) والقط في اللغة النصيب من القط وهو القطع وبهذا قال قتادة وسعيد بن جبير قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قط قال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز والجمع القطوط وأصله من قط الشيء أي قطعه ومنه قط القلم ومعنى الآية سؤالهم لربهم أن يعجل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب وهو مثل قوله ويستعجلونك بالعذاب وقال السدي سألوا ربهم ان يمثل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل بن أبي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وبه قال سعيد بن جبير والسدي وقال أبو العالية والكلبي ومقاتل لما نزل قوله وأما من أوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد انا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال ابن عباس سألوا الله ان يعجل لهم وقال قطنا نصيبنا من الجنة ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يصبر على ما يسمعه من أقوالهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أقوالهم الباطلة التي هذا القول المحكي عنهم من جملتها وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة وهو الصحيح ولما فرغ من ذكر قرون الضلالة وأمم الكفر والتكذيب وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليته وتأسيته بذكر قصة داود وما بعدها فقال (واذكر عبدنا داود ذا الايد) أي اذكر قصته فانك تجد فيها ما تتسلى به والايد القوة قاله ابن عباس ومنه رجل أيد أي قوي وتأيد الشيء تقوى والايد مفرد بوزن البيع وهو مصدر وليس جمع يد يقال آد الرجل يئيد أيدا وايادا بالكسر اذا قوي واشتد فهو أيد مثل سيد وهين ومنه قولهم أيدك الله تأييدا والمراد ما كان فيه عليه السلام من القوة على العبادة قال الزجاج وكانت قوة داود على العبادة أتم قوة ومن قوته ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصوم يوما ويفطر يوما

وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم وقال عزوجل لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن اوتفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد وأبى أسيد رضى الله عنهما قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أمية بنت شراحيل فلما أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده اليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف (٩٩) وان لم يكن سمى لها صداقا فأمتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل (ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم وماملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتى أعطاهن مهورهن وهى الاجور ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتى عشرة أوقية ونش وهو نصف أوقية فالجميع خمسمائة درهم الا أم حبيبة بنت أبى سفيان فانه أمهرها عنه النجاشى رحمه الله تعالى أربعمائة دينار والا صفية بنت حيى فانه اصطفاها من سبى خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها كتابتها الى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضى الله عنهن اجمعين وقوله تعالى وماملكت يمينك مما افاء الله عليك اى وأباح لك التسرى مما اخذت من المغانم وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية ام ابنه ابراهيم عليه السلام وكانتا من السرارى رضى الله عنهما وقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الآية هذا عدل وسط بين الافراط والتفريط فان النصارى لايتزوجون المرأة الا اذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا واليهود يتزوج احدهم بنت أخيه وبنت أخته فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم افراط النصارى فأباح

وكان يصلى نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو وجملة (انه أواب) تعليل لكونه ذا الايد والاواب الرجاع عن كل مايكرهه الله سبحانه الى مايحبه ولا يستطيع ذلك الامن كان قويا فى دينه وقيل معناه كلما ذكر ذنبه استغفر منه وتاب عنه وهذا داخل تحت المعنى الاول يقال آب يؤب اذا رجع وقال ابن عباس الاواب المسبح بلغة الحبشة وأخرج الديلمى عن مجاهد قال سألت ابن عمر عن الاواب فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلا فيستغفر الله وعن ابن عباس قال الاواب الموقن (انا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته فى الدين وكونه رجاعا الى مرضاته تعالى وايثار مع على اللام لما أشير اليه فى سورة الانبياء من ان تسخير الجبال لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان بل بطريق التبعية له والاقتداء به قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) ولم يقل مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ فشيأ وحالا بعد حال أى يقدسن الله سبحانه وينزهنه عما لايليق به ويسبحن فى محل نصب على الحال وفى هذا بيان ماأعطاه الله من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال محمد بن اسحق أوتى داود من حسن الصوت مايكون له فى الجبال دوى حسن فهذا معنى تسبيح الجبال والاول أولى ومعنى يسبحن يصلين ومعه متعلق بسخرنا (بالعشى) أى وقت صلاة العشاء (والاشراق) أى وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها والمعنى كان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وغروبها وقال الكلبى أى غدوة وعشية يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وذلك وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها قال الزجاج شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاءت عن عطاء الخرسانى عن ابن عباس قال لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى حتى قرأت هذه الآية وعنه قال لقد أتى على زمان وما أدرى وجه هذه الآية حتى رأيت الناس يصلون الضحى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأخرج الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه عنه قال كنت أمر بهذه الآية فما أدرى ماهى حتى حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها يوم الفتح فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال ياأم هانئ هذه صلاة الاشراق

بنت العم والعمة وبنت الخال والخالة وحرم ما أفرطت فيه اليهود من اباحة بنت الاخ والاخت وهذا بشع فظيع وانما قال وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك فوحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الاناث لنقصهن كقوله عن اليمين والشمائل
يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله نظائر كثيرة وقوله تعالى اللاتى هاجرن معك قال ابن ابى حاتم رحمه الله
حدثنا محمد بن عمار بن الحرث الرازى حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن السدى عن أبى صالح عن أم هانئ قالت خطبنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله تعالى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما
ملكت يمينك مما أفاء الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن
معك قالت فلم أكن أحل له لم أكن
ممن هاجر معه كنت من الطلقاء
ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن
عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن أبى
حاتم من حديث اسمعيل بن أبى
خالد عن أبى صالح عنها بنحوه ورواه
الترمذى فى جامعه وهكذا قال أبو
رزين وقتادة ان المراد من هاجر معه
الى المدينة وفى رواية عن قتادة
اللاتى هاجرن معك أى أسلمن
وقال الضحاك قرأ ابن مسعود
واللاتى هاجرن من معك وقوله
تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبى ان أراد النبى أن
يستنكحها خالصة لك الآية أى
ويحل لك يا أيها النبى المرأة المؤمنة
ان وهبت نفسها لك ان تتزوجها
بغير مهر ان شئت ذلك وهذه الآية
توالى فيها شرطان كقوله تعالى
اخبارا عن نوح عليه السلام انه
قال لقومه ولا ينفعكم نصحى ان
اردت ان أنصح لكم ان كان الله
يريد أن يغويكم وكقول موسى
عليه السلام يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال ههنا وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبى الآية وقد قال الامام احمد حدثنا اسحق اخبرنا مالك عن ابى حازم عن سهل بن سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله انى قد وهبت نفسى لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن
لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شئ تصدقها اياه فقال ما عندى الا ازارى هذا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اعطيتها ازارك جلست لا ازار لك فالتمس شيأ فقال لا اجد شيأ فقال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيأ

والاحاديث فى صلاة الضحى كثيرة جدا قد ذكرها الشوكانى فى شرحه للمنتقى (والطير
محشورة) أى وسخرنا له الطير حال كونها محشورة أى مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله
معه قيل كانت تجمعها اليه الملائكة وقيل كانت تجمعها الريح (كل له أواب) أى كل
واحد من داود والجبال والطير رجاع الى طاعة الله وأمره والضمير فى له راجع الى الله عز
وجل وقيل الى داود أى لاجل تسبيح داود مسبح فوضع أواب موضع مسبح والاول أولى
وقد قدمنا ان الاواب الكثير الرجوع الى الله سبحانه (وشددنا ملكه) أى قويناه وثبتناه
بالنصر فى المواطن على أعدائه والقاء الرعب منه فى قلوبهم وقيل بكثرة الجنود كان
يبيت حول محرابه كل ليلة ستة أو ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه وكان أشد ملوك
الارض سلطانا وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال استعدى رجل من بنى
اسرائيل عند داود على رجل من عظمائهم فقال ان هذا غصبنى بقرا لى فسأل داود الرجل
عن ذلك فجحده فسأل الآخر البينة فلم تكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما
فقاما من عنده فأتى داود فى منامه فقيل له اقتل الرجل الذى استعدى فقال ان هذه
رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأتى الليلة الثانية فى منامه فأمر أن يقتل الرجل فلم يفعل
ثم أتى الليلة الثالثة فقيل له اقتل الرجل أو تأتيك العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل
فقال ان الله أمرنى ان أقتلك قال تقتلنى بغير بينة ولا تثبت قال نعم والله لانفذن أمر
الله فيك فقال الرجل لا تعجل على حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت
اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته فى بنى اسرائيل
وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) المراد بها النبوة والمعرفة
بكل ما يحكم به وقال مقاتل الفهم والعلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل الاصابة فى
الامور وقيل كل كلام وافق الحق فهو الحكمة وقال مجاهد العدل وقال أبو العالية
العلم بكتاب الله وقال شريح السنة ولا مانع من حمل الآية على الكل (وفصل الخطاب)
المراد به الفصل فى القضاء وبه قال الحسن والكلبى ومقاتل وحكى الواحدى عن
الاكثر أن فصل الخطاب الشهود والايمان لانها انما تنقطع الخصومة بهذه وبه قال أبى
ابن كعب وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه البينة على المدعى واليمين على من
انكر وقيل الفصل بين الحق والباطل وقاله شريح والشعبى وقتادة أيضا وقيل هو

الايجاز

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شئ قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور يسميها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زوجتكها بما معك من القرآن أخرجاه من حديث مالك وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أقل حياءها فقال هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها انفرد باخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد الغفار عن ثابت البناني عن أنس به وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي عن أنس بن مالك ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لى كذا وكذا فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها فقال قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت انها لم تصدع ولم تشتك شيأ قط فقال لا حاجة لى في ابنتك لم يخرجوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ان خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث ان خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة فيحتمل ان ام سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة اخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمرو بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة ست من قريش خديجة وعائشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحرث وهي التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وزينب ام المساكين وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القرظات وهي التى اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التى استعاذت منه وزينب بنت جحش الاسدية والسبيتين صفية بنت حيي بن أحطب وجويرية بنت الحرث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي قال هي ميمونة بنت الحرث فيه انقطاع هذا مرسل والمشهور أن زينب التى

الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل وقيل بيان الكلام وقيل علم الحكم والتبصر بالقضاء والمعاني متقاربة وعن أبي موسى الاشعري قال أول من قال اما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي وعن الشعبي انه سمع زياد بن أبيه يقول فصل الخطاب الذى أوتيه داود أما بعد أخرجه سعيد بن منصور ولما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره أردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الاخبار العجيبة وقال (وهل أتاك نبأ الخصم) ومعنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده لكونه أمرا غريبا كما تقول لمخاطبك هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع قال مقاتل بعث الله الى داود ملكين جبريل وميكائيل لينبهه على التوبة فأتياه وهو في محرابه قال النحاس ولا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخصم هنا الملكان والخصم مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة ومعنى قوله (اذ تسوروا المحراب) أتوه من أعلى سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع وجاء بلفظ الجمع في تسوروا مع كونهما اثنين نظرا الى ما يحتمله لفظ الخصم من الجمع والمحراب الغرفة لانهم تسوروا عليه وهو فيها كذا قال يحيي ابن سلام وقال أبو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقيل انهما كانا انسيين ولم يكونا ملكين والعامل في اذ النبأ أى هل اتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم وبهذا قال ابن عطية ومكي وأبو البقاء وقيل العامل فيه أتاك وقيل معمول للخصم وقيل معمول لمحذوف أى وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم عن ابن عباس ان داود حدث نفسه اذا ابتلى انه يعتصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم الذى تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل له هذا اليوم الذى تبتلى فيه فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق باب المحراب وأخذ الزبور في حجره وأقعد منصفا يعني خادما على الباب وقال لا تأذن لاحد على اليوم فبينما هو يقرأ الزبور اذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون للطير فيه من كل لون فجعل يدور بين يديه فدنا منه فامكن ان يأخذه فتناوله بيده ليأخذه فاستوفز من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه ليأخذه فطار فوقع على كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فأفضى فوقع على خص فاشرف عليه لينظر أين وقع فاذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها وكان زوجها غازيا في سبيل الله فكتب داود الى رأس الغزاة انظر أوريا فاجعله في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما ان يفتح عليهم واما ان يقتلوا فقدمه في حملة

كانت تدعى ام المساكين هي زينب بنت خزيمة الانصارية وقد ماتت عند النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فالله أعلم والغرض من
هذا ان اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام بن عروة
حدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها فلما أنزل
الله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قلت ما أرى ربك الا يسارع في هواك
وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين (١٠٢) حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر
عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي انه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيئته كما قال الله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها أي ان اختار ذلك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيأ وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي انها اذا فوضت المرأة نفسها الى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي صلى الله عليه وسلم فاما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمفوضة
شيء ولو دخل بها لان له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضى الله عنها ولهذا
قال قتادة في قوله خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر الا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم قال ابي بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله
قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاؤا من الاماء واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم
وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيأ منه لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (ترجي من تشاء منهن

التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون
الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسين من بني اسرائيل وكتب عليه بذلك كتابا فاشعر
بفتنته انه افتتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور عليه الملكان المحراب وكان شأنهما
ما قص الله في كتابه وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف
وابن أبي حاتم وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب قال ما أصاب داود ما أصابه بعد
القدر الا من عجب عجب بنفسه وذلك انه قال يارب ما من ساعة من ليل ولا نهار الا وعابد من
آل داود يعبدك يصلي لك أو يسبح أو يكبر وذكر أشياء فكره الله ذلك فقال يا داود ان ذلك
لم يكن الا بي فلولا عوني ما قويت عليه وعزتي وجلالي لأكلنك الى نفسك يوما قال يارب
فاخبرني به فأخبره فأصابته الفتنة ذلك اليوم وأخرج أصل القصة الحكيم الترمذي في
نوادر الاصول وابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس مرفوعا باسناد ضعيف وأخرجها ابن
جرير من وجه آخر عن ابن عباس مطولة وأخرجها جماعة عن جماعة من التابعين قال
صاحب الكشاف بعد ذكره هذه القصة هذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين
بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء انتهى وقال القاضي عياض
لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض
المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في
قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت وهذا هو الذي ينبغي
أن يعول عليه من أمر داود قال الرازي حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم
بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه
السلام هذا وقال غيره ان الله أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على
استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من
بعض الناس لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه أثناء
مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كتابه القديم وروى سعيد بن المسيب والحرث
الاعور عن علي بن أبي طالب أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد
العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب

وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تعير النساء اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحى المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فأنزل الله عزوجل ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء الآية قالت انى أرى ربك يسارع لك فى هواك وقد تقدم ان البخارى رواه من حديث أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على ان المراد بقوله ترجى اى تؤخر من تشاء منهن اى من الواهبات وتؤوى اليك من تشاء اى من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ومن رددتها أنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك ان شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قال عامر الشعبى فى قوله تعالى ترجى من تشاء منهن الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وأرجى بعضهن لم ينكحن بعده منهن ام شريك وقال آخرون بل المراد بقوله ترجى من تشاء منهن الآية اى من أزواجك لا حرج عليك ان تترك القسم لهن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابى بن زيد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ومع هذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم الى انه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة وقال البخارى حدثنا حبان بن عبد موسى حدثنا الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الاحول عن معاذ عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن فى اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك فقلت لها ما كنت تقولين فقالت كنت أقول ان كان ذلك الى فانى لا اريد يا رسول الله ان أوثر عليك أحدا فهذا الحديث عنها يدل على ان المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الاول يقتضى ان الآية نزلت فى الواهبات ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة فى الواهبات وفى النساء اللاتى عنده انه مخير فيهن ان شاء قسم وان شاء لم يقسم وهذا الذى اختاره حسن جيد قوى وفيه جمع بين الاحاديث ولهذا قال تعالى ذلك أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن

الله فما ينبغى ان يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ماذكرت وكف الله عنها استرا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر سماعى هذا الكلام احب الى مما طلعت عليه الشمس قال النسفى والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة انتهى قال أبو السعود وأما ما يذكر من انه عليه السلام تزوج امرأة أوريا فهو افك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع وويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه وسيأتى الكلام على ذنب داود عليه السلام فى آخر هذه القصة (اذ) بدل من الاولى وقيل هو معمول لتسوروا وقال الفراء ان أحد الظرفين المذكورين بمعنى لما (دخلوا على داود ففزع منهم) لانهما أتياه ليلا فى غير وقت دخول الخصوم ودخلوا عليه بغير اذنه ولم يدخلوا من الباب الذى يدخل منه الناس قال ابن الاعرابى وكان محراب داود من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقى اليه آدمى بحيلة (قالوا لا تخف) جملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قالوا لداود لما فزع منهم (خصمان) أى نحن خصمان وجاء فيما سبق بلفظ الجمع وهنا بلفظ التثنية لما ذكرنا من ان لفظ الخصم يحتمل المفرد والمثنى والمجموع فالكل جائز قال الخليل هو كما تقول نحن فعلنا كذا اذا كنتما اثنين وقال الكسائى جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة أخبر الاثنان عن أنفسهما فقالا خصمان وقوله (بغى بعضنا على بعض) هو على سبيل الفرض والتقدير أو على سبيل التعريض لان من المعلوم ان الملكين لا يبغيان ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالحق ونهياه عن الجور فقالا (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى حكمك يقال شط الرجل وأشط شططا واشطاطا اذا جار فى حكمه وتجاوز الحد قال أبو عبيد شططت عليه وأشططت فيه أى جرت فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل وقال الاخفش معناه لا تسرف وقيل لا تفرط وقيل لا تمل والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شطت الدار اذا بعدت قال أبو عمرو والشطط مجاوزة القدر فى كل شئ (واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه ومحجته أى العدل والصواب والمعنى ارشدنا الى الحق واحملنا عليه ثم لما أخبراه عن

كلهن أي اذا علمن ان الله قد وضع عنك الحرج في القسم فان شئت قسمت وان شئت لم تقسم لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لا انه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وانصافك لهن وعدلك فيهن وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم أي من الميل الى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك

ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب واسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى وكان الله عليما أي بضمائر السرائر حليما أي يحلم ويغفر (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا) ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم ان هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن ان الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن الا الاماء والسراري فلا حرج عليه فيهن ثم انه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذي والنسائي في سننيهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة انها قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل

الخصومة اجمالا شرعا في تفصيلها وشرحها فقالا (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) المراد بالاخوة هنا اخوة الدين قاله ابن مسعود أو الصحبة أو الالفة أو اخوة الشركة والخلطة والنعجة هي الانثى من الضأن وقد يقال لبقر الوحش نعجة ويعبر بها عن المرأة لما هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجر والناقة لان الكل مركوب قال الواحدي النعجة البقرة الوحشية والعرب تكني عن المرأة بها وتشبه النساء بالنعاج من البقر قرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء وقرئ بفتحها قال النحاس وهي لغة شاذة وانما عني بهذا داود لانه كان له تسع وتسعون امرأة وعني بقوله (ولي نعجة واحدة) أوريا زوج المرأة التي أراد أن يتزوجها داود كما تقدم بيان ذلك (فقال أكفلنيها) اي ضمها الي وانزل لي عنها حتى اكفلها واصير بعلا لها قال ابن كيسان اجعلها كفلي ونصيبي قال ابن مسعود ما زاد داود على ان قال أكفلنيها وعن ابن عباس قال ما زاد داود على ان قال تحول لي عنها وهذا يخالف ما سبق عنه (وعزني في الخطاب) أي غلبني يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه وفي المثل من عز بز اي من غلب أخذ السلب والاسم العزة وهي القوة قال عطاء المعنى ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني لقوة ملكه فالغلبة كانت له على لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل وقرئ وعازني أي غالبني من المعازة وهي المغالبة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أي بسؤاله نعجتك ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين ان كان الامر على ما تقول واللام هي الموطئة للقسم وهي وما بعدها جواب القسم المقدر وجاء بالقسم في كلامه مبالغة في انكار ما سمعه من طلب صاحب التسع والتسعين النعجة ان يضم اليه النعجة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها ويمكن انه انما قال بهذا بعد أن سمع الاعتراف من الآخر قال النحاس ويقال ان خطيئة داود هي قوله لقد ظلمك لانه قال ذلك قبل ان يتثبت (وان كثيرا من الخلطاء) وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال (ليبغي) اللام لام التوكيد وقعت في خبر ان أي يتعدى (بعضهم على بعض) ويظلمه غير مراع لحقه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم يتحامون ذلك ولا يظلمون خليطا ولا غيره والاستثناء متصل (وقليل ما هم) أي وقليل هم وما زائدة لتوكيد القلة والتعجب وقيل هي موصولة وهم مبتدأ وقليل خبره عن ابن عباس قال يقول قليل الذي هم فيه (وظن داود أنما فتناه) قال أبو عمرو والفراء

الله له أن يتزوج من النساء ماشاء الا ذات محرم وذلك قول الله تعالى ترجى من تشاء منهن الآية فجعلت هذه ناسخة للتى بعدها فى التلاوة كآيتى عدة الوفاة فى البقرة الاولى ناسخة للتى بعدها والله أعلم وقال آخرون بل معنى الآية لا يحل لك النساء من بعد أى من بعد ماذكرنا لك من صفة النساء اللاتى أحللنا لك من نسائك اللاتى آتيت أجورهن وماملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وماسوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك هذا مروى عن أبى بن كعب ومجاهد فى رواية عنه وعكرمة والضحاك فى رواية وأبى رزين فى رواية عنه وأبى صالح والحسن (١٠٥) وقتادة فى رواية والسدى وغيرهم قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبى هند حدثنى محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الانصار قال قلت لابى بن كعب أرأيت لوان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال ومايمنعه من ذلك قال قلت قول الله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى قوله تعالى ان وهبت نفسها للنبى ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داود به وروى الترمذى عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ماملكت يمينك فأحل الله فتياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى وحرم كل ذات دين غير الاسلام ثم قال ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الآية وقال تعالى يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن الى قوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وحرم ماسوى ذلك من أصناف النساء وقال مجاهد لا يحل لك النساء من بعد أى من بعد ماسمى لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة وقال أبو صالح لا يحل لك النساء من بعد ولا أمر ان تتزوج اعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساء تهامة وماشاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلثمائة وقال عكرمة لا يحل لك النساء من بعد أى التى سمى الله واختار ابن جرير رحمه الله ان الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء وفى النساء اللواتى فى عصمته وكن تسعا وهذا الذى قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من

والفراء ظن بمعنى أيقن ومعنى فتناه ابتليناه وقال ابن عباس اختبرناه والمعنى انه عند ان تخاصما اليه وقال ما قال علم عند ذلك انه المراد وان مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذى أراد ان ينزل له عن امرأته قال الواحدى قال المفسرون فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه فضحك فعند ذلك علم داود بما أراداه قرأ الجمهور فتناه بالتخفيف للتاء وتشديد النون وقرئ بالتشديد للتاء والنون وهى مبالغة فى الفتنة وقرأ الضحاك أفتناه وقرئ فتناه بتخفيفهما واسناد الفعل الى الملكين (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) أى ساجدا وعبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل خر ساجدا بعد ما كان راكعا قال ابن العربى لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع هنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء وأحدهما يدخل فى الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئته ثم جاء هذا على تسمية أحدهما بالآخر وقيل المعنى للسجود راكعا أى مصليا وقيل بل كان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا (وأناب) أى رجع الى الله بالتوبة من ذنبه قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام أربعين لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة وقد اختلف المفسرون فى ذنب داود الذى استغفر له وتاب عنه على أقوال الاول انه نظر الى امرأة الرجل الذى أراد ان تكون زوجة له كذا قال سعيد بن جبير وغيره قال الزجاج ولم يتعمد داود النظر الى المرأة لكنه عاود النظر اليها وصارت الاولى له والثانية عليه الثانى انه أرسل زوجها فى جملة الغزاة الثالث انه نوى ان مات زوجها أن يتزوجها الرابع ان أوريا بن حنان كان خطب تلك المرأة فلما غاب خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها الخامس انه لم يجزع على قتل أوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر كما قدمنا وأقول الظاهر من الخصومة التى وقعت بين الملكين تعريضا لداود عليه السلام انه طلب من زوج المرأة الواحدة ان ينزل له عنها ويضمها الى نسائه ولا ينافى هذا العصمة الكائنة للانبياء فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بارسال ملائكته اليه ليتخاصموا فى مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر

السلف فان كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ثم اجاب بان هذا كان قبل نزول قوله تعالى لا يحل لك النساء
من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج الآية وهذا الذى قاله من ان هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج الى ذلك فان
الآية انما دلت على انه لا يتزوج بمن عدا اللواتى فى عصمته وانه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على انه لا يطلق واحدة منهن
من غير استبدال فالله أعلم فأما قضية سودة ففى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها وهى سبب نزول قوله تعالى وان
امرأة خافت من بعلها نشوزا أو
اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما صلحا الآية وأما قضية
حفصة فروى أبو داود والنسائى
وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه
من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبى
زائدة عن صالح بن صالح بن حى
عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم طلق حفصة
ثم راجعها وهذا اسناد قوى وقال
الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب
حدثنا يونس بن بكير عن الاعمش
عن أبى صالح عن ابن عمر قال دخل
عمر على حفصة وهى تبكى فقال
ما يبكيك لعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلقك انه كان طلقك
مرة ثم راجعك من أجلى والله لئن
كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك
أبدا ورجاله على شرط الصحيحين
وقوله تعالى ولا أن تبدل بهن من
أزواج الآية فنهاه عن الزيادة
عليهن أو طلاق واحدة منهن
واستبدال غيرها بها الا ما ملكت
يمينه وقد روى الحافظ أبو بكر
البزار حديثا مناسبا ذكره ههنا
فقال حدثنا ابراهيم بن نصر حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا عبد السلام بن حرب عن اسحق بن عبد الله عن
القرشى عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان البدل فى الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلنى
امرأتك وأبادلك بامرأتى أى تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزارى على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال

وتاب عنه وقد قال تعالى وعصى آدم ربه فغوى وهو أبو البشر وأول الانبياء ووقع لغيره
من الانبياء ما قصه الله علينا فى كتابه وفى الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله وظن
داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك والجواب عن هذا
بان حسنات الابرار سيئات المقربين ليس كما ينبغى والاولى ما ذكرناه ثم أخبر سبحانه انه
قبل استغفاره وتوبته فقال (فغفرنا له ذلك) الذنب الذى استغفر منه قال عطاء
الخراسانى وغيره ان داود بقى ساجدا أربعين يوما حتى نبت الرعى حول وجهه وغمر رأسه
قال ابن الانبارى الوقف على قوله ذلك تام ثم يبتدأ الكلام بقوله (وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب) والزلفى القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه قال مجاهد الزلفى الدنو من الله
عز وجل يوم القيامة والمراد بحسن المآب حسن المرجع وهو الجنة وأخرج ابن مردويه
عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه
وشدته قال ويقول الرحمن عز وجل لداود عليه السلام مر بين يدى فيقول داود يا رب
أخاف ان تدحضنى خطيئتى خذ بقدمى فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر قال فتلك الزلفى التى
قال الله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وأخرج أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى
والنسائى وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس انه قال فى السجود فى ص ليست من
عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد فيها وأخرج النسائى
وابن مردويه بسند جيد عنه أيضا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم سجد فى ص وقال
سجدها داود توبة ونسجدها شكرا وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله
عليه وآله وسلم سجد فى ص وعن أنس مثله مرفوعا أخرجه ابن مردويه وأخرج الدارمى
وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى
فى سننه عن أبى سعيد قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ
السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيأ
الناس للسجود فقال انما هى توبة ولكنى رأيتكم تهيأتم للسجود فنزل فسجد (يا داود انا
جعلناك خليفة فى الارض) لما تمم سبحانه قصة داود أردفها ببيان تفويض أمر خلافة
الارض اليه والجملة مقولة لقول مقدر معطوف على غفرنا أى وقلنا له يا داود انا
استخلفناك على الارض أو جعلناك خليفة لمن قبلك من الانبياء لتأمر بالمعروف وتنهى

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك فلما ان
خرج قالت عائشة من هذا قال أحمق مطاع وانه على ماترين لسيد قومه ثم قال البزار اسحق بن عبد الله لين الحديث جدا وانما
ذكرناه لانا لم نحفظه الامن هذا الوجه وبينا العلة فيه (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير
ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم (١٠٧) أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان

تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم
كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو
تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما)
هذه آية الحجاب وفيها أحكام
وآداب شرعية وهي مما وافق
تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين
عنه انه قال وافقت ربي عز وجل في
ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت
من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله
تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وقلت يارسول الله ان نساءك
يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن
فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج
النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالأن
عليه في الغيرة عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت
كذلك وفي رواية لمسلم ذكر أسارى
بدر وهي قضية رابعة وقد قال
البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن
حميد عن أنس بن مالك قال قال
عمر بن الخطاب يارسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات
المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب
وكان وقت نزولها في صبيحة عرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش التي تولى الله تزويجها بنفسه تعالى وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في
قول قتادة والواقدي وغيرهما وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة ثلاث فالله أعلم قال البخاري
حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك
قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فجئت

عن المنكر وتدبر أمر الناس وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه
لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده لان الاحكام
اذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات
واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس أفضى الى تخريب العالم
ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم (ولا تتبع
الهوى) أي هوى النفس في الحكم بين العباد وفيه تنبيه لداود عليه السلام ان الذي
عوتب عليه ليس بعدل وان فيه شائبة من اتباع هوى النفس (فيضلك عن سبيل الله)
بالنصب على انه جواب للنهي والفاعل هو الهوى ويجوز ان يكون الفعل مجزوما بالعطف
على النهي وانما حرك لالتقاء الساكنين فعلى الوجه الاول يكون المنهي عنه الجمع بينهما
وعلى الثاني يكون النهي عن كل واحد منهما على حدة وسبيل الله هو طريق الحق
أو طريق الجنة أو دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا (ان الذين يضلون عن
سبيل الله لهم عذاب شديد) تعليل للنهي عن اتباع الهوى والوقوع في الضلال (بما نسوا
يوم الحساب) الباء للسببية ومعنى النسيان الترك قال الزجاج أي بتركهم العمل لذلك
اليوم صاروا بمنزلة الناسين وان كانوا ينظرون ويذكرون ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا
في الدنيا وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتأخير والتقدير ولهم عذاب يوم الحساب
بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل والاول أولى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا) مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها من أمر البعث والحساب أي ما خلقنا هذه الاشياء
خلقا باطلا خارجا عن الحكمة الباهرة بل خلقناها للدلالة على قدرتنا فانتصاب باطلا على
المصدرية أو على الحالية أو على انه مفعول لاجله والاشارة بقوله (ذلك) الى المنفي قبله
وهو مبتدأ وخبره (ظن الذين كفروا) أي مظنونهم فانهم يظنون ان هذه الاشياء خلقت
لا لغرض ويقولون انه لا قيامة ولا بعث ولا حساب وذلك يستلزم أن يكون خلق هذه
المخلوقات باطلا (فويل للذين كفروا من النار) الفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على
ظنهم الباطل أي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم كما ان وضع الموصول
موضع ضميرهم للاشعار بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل ثم وبخهم وبكتهم فقال (أم نجعل

فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني و بينه فأنزل الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا الآية
وقد رواه أيضا في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي
قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال
بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب (١٠٨) بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فيأكلون
ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون
ويخرجون فدعوت حتى ما أجد
أحدا أدعوه فقلت يارسول الله
ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا
طعامكم وبقي ثلاثة رهط يتحدثون
في البيت فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم فانطلق الى حجرة عائشة رضي
الله عنها فقال السلام عليكم أهل
البيت ورحمة الله وبركاته قالت
وعليك السلام ورحمة الله كيف
وجدت أهلك يارسول الله بارك الله
لك فتقرى حجر نسائه كلهن يقول
لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما
قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله
عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت
يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه
وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو
حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر
ان القوم خرجوا فرجع حتى اذا
وضع رجله في أسكفة الباب داخلة
والاخرى خارجة أرخى الستر بيني
وبينه وأنزلت آية الحجاب انفرد به
البخاري من بين أصحاب الكتب
الستة سوى النسائي في اليوم
والليلة من حديث عبد الوارث
ثم رواه عن اسحق هو ابن منصور
عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في
أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان
عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا
ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس
يومئذ في جهد فجئت به فقلت يارسول الله بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره ان هذا منا له قليل فنظر اليه ثم
قال ضعه فوضعته في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا فسمى رجالا كثيرا وقال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قال مقاتل قال كفار قريش
للمؤمنين انا نعطى في الآخرة كما تعطون فنزلت وأم هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة
للاضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم
خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين
الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أي بل انجعل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا
بفرائضه كالكفرة المفسدين في اقطار الارض بالمعاصي قال ابن عباس في الآية الذين
آمنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحرث والمفسدون في الارض عتبة وشيبة والوليد ثم أضرب
سبحانه اضرابا آخر وانتقل عن الاول الى ما هو أظهر استحالة منه فقال (أم نجعل المتقين
كالفجار) أي بل انجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين وحمل الفجار على
المنهمكين في معاصي الله سبحانه من المسلمين مما لا يساعده المقام وقيل المراد بالمتقين
الصحابة ولا وجه للتخصيص بغير مخصص والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين
هما أدخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين (كتاب) أي القرآن كتاب (أنزلناه
اليك) يا محمد (مبارك) أي كثير الخير والبركة (ليدبروا آياته) أي التي من جملتها هذه
الآيات المعربة من اسرار التكوين والتشريع وهو متعلق بأنزلناه وفي الآية دليل على
ان الله سبحانه انما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون تدبر قال
الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده
قرأ الجمهور ليدبروا بالادغام وقرئ لتدبروا بالتاء الفوقية على الخطاب وهي قراءة علي رضي
الله تعالى عنه والاصل لتتدبروا (وليتذكر أولوا الالباب) أي ليتعظ أهل العقول
والبصائر والالباب جمع لب وهو العقل (ووهبنا لداود سليمان) أخبر سبحانه بأن من جملة
نعمه على داود انه وهب له سليمان ولدا ثم مدح سليمان فقال (نعم العبد) أي سليمان
فالمخصوص بالمدح محذوف وقيل ان المدح هنا بقوله نعم العبد هو لداود والاول أولى وجملة
(انه أواب) تعليل لما قبلها من المدح والاواب الرجاع الى الله بالتوبة كما تقدم بيانه
(اذ عرض عليه بالعشي) أي اذكر ما صدر عنه وقت ان عرض عليه (الصافنات الجياد)
وقيل

قال لى ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأ من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا فقال كانوا زهاء ثلاثمائة
قال انس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم جئ به فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ماشاء الله ثم قال ليتحلق عشرة
عشرة وليسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه
قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدرى اهو حين وضعت أكثر ام حين اخذت قال وتخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم و زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط
فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا انهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارخى الستر ودخل البيت وأنا فى الحجرة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته يسيرا وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية قال انس فقرأهن على النساء نسخة قبل الناس فأنا احدث الناس بهن عهدا وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذى حسن صحيح وعلقه البخارى فى كتاب النكاح فقال وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبى عثمان عن أنس فذكر نحوه ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن
بيان بن بشر عن أنس بنحوه ورواه البخارى والترمذى من طريقين آخرين عن بيان بن بشر أبى بشر الاحمسى الكوفى عن أنس
بنحوه ورواه ابن أبى حاتم أيضا من حديث أبى نضرة العبدى عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ورواه ابن جرير من حديث
عمرو بن سعيد ومن حديث الزهرى عن أنس بنحو ذلك وقال الامام احمد حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد
حتى أتاها قال وهى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى صدرى وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا

وقيل هو متعلق بنعم وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقييده بذلك الوقت وقيل متعلق
باواب ولا وجه لتقييد كونه أوابا بذلك الوقت والعشى من الظهر أو العصر الى آخر النهار
والصافنات جمع صافن وقد اختلف أهل اللغة فى معناه فقال القتيبى والفراء الصافن فى
كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها وبه قال قتادة ومنه الحديث من أحب أن يتمثل له
الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اى يديمون القيام له وقال الزجاج هو الذى يقف على
احدى اليدين ويرفع الاخرى ويجعل على الارض طرف الحافر منها حتى كأنه يقوم على
ثلاث وهى الرجلان واحدى اليدين وقد يفعل ذلك باحدى رجليه وهى علامة الفراهة
وقال أبو عبيدة الصافن الذى يجمع يديه ويسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فاسمه
المتخيم والجياد جمع جواد يقال للفرس ذكرا كان أو أنثى اذا كان شديد العدو وقيل انها
الطوال الاعناق ماخوذ من الجيد وهو العنق وقيل الذى يجود فى الركض قيل كانت مائة
فرس وقيل كانت عشرين ألفا وقيل كانت عشرين فرسا وعن ابراهيم التيمى قال كانت
عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها وقيل انها اخرجت له من البحر وكانت لها أجنحة
وعن أبى هريرة قال الصافنات الجياد خيل خلقت على ماشاء وعن مجاهد قال صفون
الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر والجياد السراع لانه يجود
بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون فى الهجان وانما هو فى العراب وقيل وصفها
بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت
ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها قيل ان سليمان
غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من
العمالقة (فقال) اعترافا بما صدر منه وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها
وعقرها والتعقيب باعتبار آخر العرض الممتد دون ابتدائه (انى أحببت حب الخير عن
ذكر ربى) انتصاب حب على انه مفعول أحببت بعد تضمينه معنى آثرت قال الفراء يقول
آثرت حب الخير وكل من أحب شيأ فقد آثره وقيل انتصابه على المصدرية بحذف الزوائد
والناصب له أحببت وقيل هو مصدر تشبيهى أى حبا مثل حب الخير والاول أولى والمراد
بالخير هنا الخيل قاله الزجاج وقال الفراء الخير والخيل فى كلام العرب واحد وانها تعاقب
بين الراء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت قال النحاس وفى

وزاد فى آخره بعد قوله ووعظ القوم بما وعظوا به قال هاشم فى حديثه لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الآية وقد أخرجه مسلم والنسائى من حديث جعفر بن سليمان به وقال ابن جرير حدثنى أحمد بن عبد الرحمن ابن أخى ابن وهب حدثنى عمى عبد الله ابن وهب حدثنى يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الاعلى قد عرفناك ياسودة حرصا ان ينزل الحجاب قالت فانزل الله الحجاب هكذا وقع فى هذه الرواية والمشهور ان هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت سودة بعد ماضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لاتخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال ياسودة أما والله ماتخفين علينا فانظرى كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وانه ليتعشى وفى يده عرق فدخلت فقلت يارسول الله انى خرجت لبعض حاجتى فقال لى عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وان العرق فى يده ماوضعه فقال انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن لفظ البخارى فقوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبى حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون فى بيوتهم فى الجاهلية وابتداء الاسلام حتى غار الله لهذه الامة فأمرهم بذلك وذلك من اكرامه تعالى هذه الامة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه قال مجاهد وقتادة وغيرهما أى غير متحينين نضجه واستواءه اى لاترقبوا الطعام اذا طبخ حتى اذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فان هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذى تسميه العرب الضيفن وقد صنف الخطيب البغدادى فى ذلك كتابا فى ذم الطفيليين وذكر من اخبارهم اشياء يطول ايرادها ثم قال تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله

الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير فكأنها سميت خيرا لهذا وقيل لما فيها من المنافع وعن بمعنى على أى آثرت حب الخيل على ذكر ربى يعنى صلاة العصر وبه قال على وقال ابن عباس الخير المال وقيل أحببت بمعنى لزمت وقيل بمعنى قعدت من أحب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء وقيل بمعنى أردت (حتى توارت بالحجاب) يعنى الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك قال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشئ أو دليل الذكر وقد جرى هنا الدليل وهو قوله بالعشى والتوارى الاستتار عن الابصار والحجاب مايحجبها عن الابصار قال قتادة وكعب الحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف وسمى الليل حجابا لانه يستر مافيه ويقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وفيه بعد وبرودة وعن ابن مسعود قال توارت من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها وعن ابن عباس قال كان سليمان لايكلم اعظاما له فلقد فاتته صلاة العصر وما استطاع أحد ان يكلمه وقيل الضمير للخيل أى حتى توارت فى المسابقة عن الاعين والاول أولى وقوله (ردوها على) من تمام كلام سليمان أى أعيدوا عرضها على مرة أخرى قال الحسن ان سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله وقال ردوها على أى أعيدوها وقال ابن عباس ردوها أى الخيل وقيل الضمير يعود الى الشمس ويكون ذلك معجزة له وانما أمر بارجاعها بعد مغيبها الاجل ان يصلى العصر والاول أولى (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) الفاء هى الفصيحة التى تدل على محذوف فى الكلام والتقدير هنا فردوها عليه قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل مازال يفعل وهو مثل ظل وبات وانتصاب مسحا على المصدرية بفعل مقدر أى يمسح مسحا لان خبر طفق لايكون الافعلا مضارعا وقيل هو مصدر فى موضع الحال والاول أولى والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والمراد انه طفق يضرب أعناقها وسوقها بالسيف يقال مسح علاوته أى ضرب عنقه قال الفراء المسح هنا القطع قال والمعنى انه أقبل يضرب سوقها وأعناقها لانها كانت سبب فوت صلاته وكذا قال أبو عبيدة قال الزجاج ولم يكن يفعل ذلك الا وقد أباحه الله له وجاز ان يباح ذلك لسليمان ويحظر فى هذا الوقت وقد اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية فقال قوم المراد بالمسح ماتقدم وقال آخرون منهم الزهرى وقتادة ان المراد به المسح على سوقها وأعناقها لكشف الغبار عنها احبالها والقول الاول أولى بسياق

الكلام

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا أحدكم اخاه فليجب عرسا كان اوغيره واصله فى الصحيحين وفى الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ذراع لاجبت ولو أهدى الى كراع لقبلت فاذا فرغتم من الذى دعيتم اليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا فى الارض ولهذا قال تعالى ولا مستأنسين لحديث اى كما وقع لاولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم وقيل المراد ان دخولكم منزله بغير اذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره ان ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهى عن ذلك ولهذا قال تعالى والله لايستحى من الحق اى ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب أى وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا اليهن بالكلية ولو كان لاحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن حاجة الامن وراء حجاب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى ابن أبى كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبى صلى الله عليه وسلم حيسا فى قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعى فقال حس أوأوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أى هذا الذى أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب وقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن أبى حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت فى رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم بعده قال رجل لسفيان أهى عائشة قال قد ذكروا ذاك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وذكر بسنده عن السدى ان الذى عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على ان من توفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه انه يحرم على غيره تزوجها من بعده لانهن أزواجه فى الدنيا والآخرة وامهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها فى

الكلام فانه ذكر انه آثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بافساد ما ألهاه عن ذلك وما صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها وأعناقها بالمسح عليها بيده أو بثوبه ولا متمسك لمن قال ان افساد المال لا يصدر عن نبى فان هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر فى شرعنا مع جواز أن يكون فى شرع سليمان ان مثل هذا مباح على ان افساد المال المنهى عنه فى شرعنا انما هو مجرد اضاعته لغير غرض صحيح وأما الغرض صحيح فقد جاز مثله فى شرعنا كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من اكفاء القدور التى طبخت من الغنيمة قبل القسمة ولهذا نظائر كثيرة فى الشريعة ومن ذلك ما وقع من الصحابة من احراق طعام المحتكر قال ابن عباس مسحا عقرا بالسيف أى قطع سوقها وأعناقها بالسيف قال الرازى التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر انى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب ثم أمر برد الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد ان يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات انتهى وما أبرد هذا التفسير من الرازى وأبعده عن النظم القرآنى والحق ما ذكرناه فان اللغة تشهد بضرب السوق والاعناق ولا وجه للعدول عنه الى تأويل ركيك وتوجيه بعيد بناء على عصمة الانبياء عليهم السلام (ولقد فتنا سليمان) أى ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه قال الواحدى قال أكثر المفسرين تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم فى داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته عن ذلك وقيل ان سبب الفتنة أنه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حبا شديدا فاختصم اليه فريقان أحدهما من أهل جرادة فاحب أن يكون القضاء لهم ثم قضى بينهم

حياته هل يحل لغيره ان يتزوجها على قولين مأخذهما هل دخلت هذه فى عموم قوله من بعده أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم فى حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم وقال ابن جرير حدثنى محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبى الله صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة ابنت الاشعث يعنى ابن قيس فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبى بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله انها ليست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التى ارتدت مع قومها قال فاطمأن أبو بكر رضى الله عنه وسكن وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما ثم قال تعالى ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما أى مهما تكنه ضمائركم وتنطوى عليه سرائركم فان الله يعلمه فانه لا يخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا) لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين ان هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم فى سورة النور عند قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما اغنى عن اعادته ههنا وقد سأل بعض السلف فقال لم لم يذكر العم والخال فى هاتين الآيتين ما

فأجاب عكرمة والشعبى بأنهما لم يذكرا لانهما قد يصفان ذلك لبنيهما قال ابن جرير حدثنى محمد بن المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبى وعكرمة فى قوله تعالى لا جناح عليهن فى آبائهن الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لانهما ينعتانها لابنائهما وكرها ان تضع خمارها عند خالها وعمها وقوله تعالى ولا نسائهن يعنى بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات وقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن يعنى به ارقاءهن من الذكور والاناث كما تقدم التنبيه عليه وايراد الحديث فيه

بالحق وقيل السبب أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد وقيل انه تزوج جرادة هذه وهى مشركة لانه عرض عليها الاسلام فقالت اقتلنى ولا أسلم وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه فى شئ من حيض أو غيره وقيل انه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم وقيل ان سبب فتنته ما ثبت فى الحديث الصحيح أنه قال لاطوفن الليلة على تسعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يقاتل فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وقيل غير ذلك والمصير الى الحديث متعين قال النسفى وأما ما روى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان فمن أباطيل اليهود انتهى أقول حديث الخاتم أخرجه النسائى وغيره وقواه السيوطى كما سيأتى فكونه من أباطيل اليهود ليس على ما ينبغى ثم بين سبحانه ما عاقبه به فقال (وألقينا على كرسيه جسدا) قال أكثر المفسرين هذا الجسد الذى ألقاه الله على كرسى سليمان هو شيطان اسمه صخر وكان متمردا عليه غير داخل فى طاعته ألقى الله شبه سليمان عليه وما زال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان وذلك عند دخول سليمان الكنيف لانه كان يلقيه اذا دخل الكنيف فجاء صخر فى صورة سليمان فاخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان فقعد على سرير سليمان وأقام أربعين يوما على ملكه وسليمان هارب وكان ملكه مرتبا على لبسه فاذا لبسه سخرت له الجن والانس والرياح وغيرها واذا نزعه زال عنه الملك قيل وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم كما نزل بعصا موسى والحجر الاسود وبعود البخور وباوراق التين وقد نظم الخمسة بعضهم فى قوله

وآدم معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة * وختم سليمان النبى المعظم

لكن يفتقر ذلك الى دليل يدل له من الاخبار المرفوعة الصحيحة وقال مجاهد ان شيطانا قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه فى البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فيقول أتعرفونى أطعمونى فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع اليه ملكه وهو معنى قوله (ثم أناب) أى رجع الى ملكه بعد أربعين وقيل معنى أناب رجع الى الله بالتوبة من ذنبه وهذا هو الصواب قيل فتن سليمان بعد

ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة أخرج الحاكم وصححه والفريابى والحكيم
الترمذى عن ابن عباس قال الشيطان الذى كان على كرسيه يقضى بين الناس أربعين يوما
وكان لسليمان امرأة يقال لها جرادة وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم
بالحق الا أنه ود أن الحق كان لاهلها فأوحى الله اليه ان سيصيبك بلاء فكان لايدرى أيأتيه
من السماء أم من الارض وأخرج النسائى وابن جرير وابن أبي حاتم بسند قال السيوطى
قوى عن ابن عباس قال أراد سليمان ان يدخل الخلاء فأعطى جرادة خاتمه وكانت جرادة
امرأته وكانت أحب نسائه اليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى
فأعطته فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال
هاتى خاتمى قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت لست سليمان فجعل
لايأتى أحدا يقول أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك
عرف انه من أمر الله وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان
سلطانه ألقى فى قلوب الناس انكار ذلك الشيطان فارسلوا الى نساء سليمان فقالوا لهن
تنكرن من أمر سليمان شيأ قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما
رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر
فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان
على الناس ويغلبهم فاكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم
فطرحه فى البحر فتلقته سمكة فأخذته وكان سليمان يعمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل
فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال تحمل لى هذا السمك
قال نعم بكم قال بسمكة من هذا السمك فحمل سليمان السمك ثم انطلق به الى منزله فلما
انتهى الرجل الى باب داره أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق
بطنها فاذا الخاتم فى جوفها فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين
وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان فى طلبه
وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤا فبنوا
عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لايثب فى مكان من البيت الا انماط معه
الرصاص فأخذوه فأوثقوه وجاؤا به الى سليمان فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخله فى

قال سعيد بن المسيب انما يعنى به الاماء فقط رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا اى
واخشينه فى الخلوة والعلانية فانه شهيد على كل شئ لايخفى عليه خافية فراقبن الرقيب (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال البخارى قال ابو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة
الدعاء وقال ابن عباس يصلون يبركون هكذا علقه البخارى عنهما وقد رواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية
كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء رواهما ابن أبي حاتم
وقال أبو عيسى الترمذى روى عن
سفيان الثورى وغير واحد من أهل
العلم قالوا صلاة الرب الرحمة
وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال
ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الاودى
حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمرو
ابن مرة قال الاعمش أراه عن
عطاء بن أبي رباح ان الله وملائكته
يصلون على النبى قال صلاته
تبارك وتعالى سبوح قدوس
سبقت رحمتى غضبى والمقصود من
هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى
أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى
الملا الاعلى بأنه يثنى عليه عند
الملائكة المقربين وان الملائكة
تصلى عليه ثم امر تعالى اهل العالم
السفلى بالصلاة والتسليم عليه
ليجتمع الثناء عليه من اهل العالمين
العلوى والسفلى جميعا وقد قال
ابن ابى حاتم حدثنا على بن الحسين
حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى
ابى عن ابيه عن أشعث بن اسحق
عن جعفر يعنى ابن المغيرة عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان
بنى اسرائيل قالوا لموسى عليه
السلام هل يصلى ربك فناداه ربه عز
وجل ياموسى سألوك هل يصلى ربك فقل نعم أنا أصلى وملائكتى على انبيائى ورسلى فانزل الله عز
وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقد اخبر سبحانه
وتعالى بأنه يصلى على عباده المؤمنين فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى
عليكم وملائكته الآية وقال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من
ربهم الآية وفى الحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وفى الحديث الآخر اللهم صل على آل أبى أوفى وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها صلى الله عليك وعلى زوجك وقد جاءت الاحاديث
المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها ان شاء الله ما تيسر والله المستعان
قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة
قال قيل يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وقال الامام
احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي
ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال
ألا اهدي لك هدية خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا
يارسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف
السلام عليك فكيف الصلاة
فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على آل ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل
ابراهيم انك حميد مجيد وهذا
الحديث قد أخرجه الجماعة في
كتبهم من طرق متعددة عن الحكم
وهو ابن عتيبة زاد البخاري وعبد الله
ابن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى فذكرهم وقال ابن أبي
حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا
هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد
حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن
كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
قال قلنا يارسول الله قد علمنا
السلام عليك فكيف الصلاة
عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ورواه الترمذي بهذه الزيادة ومعنى
قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم اياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته حديث آخر قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك

جوفه ثم شد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على
كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان سلط عليه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي
حاتم عن ابن عباس قال صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته (قال) سليمان (رب
اغفرلي) ماصدر عني من الذنب الذي ابتليتني لاجله وطلب المغفرة دأب الانبياء
والصلحاء هضما للنفس واظهار للذل والخشوع وطلبا للترقي في المقامات ثم لما قدم التوبة
والاستغفار جعلها وسيلة الى اجابة طلبته فقال (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي) قال أبو عبيدة معناه لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا ينبغي لاحد أن يسلبه مني
بعد هذه السلبة أو لا يصح لاحد من بعدي لعظمته وليس هذا من سؤال نبي الله سليمان
عليه السلام للدنيا وملكها والشرف بين أهلها بل المراد بسؤاله الملك أن يتمكن به من
انفاذ حكم الله سبحانه والاخذ على يد المتمردين من عباده من الجن والانس ولو لم يكن من
المقتضيات لهذا السؤال منه الامارة عند قعود الشيطان على كرسيه من الاحكام
الشيطانية الجارية في عباد الله لكفى وجملة (انك أنت الوهاب) تعليل لما قبلها مما طلبه
من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده لا بالاخيرة فقط فان المغفرة أيضا
من أحكام وصف الوهابية قطعا قاله أبو السعود وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عفريتا من الجن جعل يتفلت
على البارحة ليقطع علي صلاتي وان الله امكنني منه فلقد هممت أن أربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا ثم ذكر سبحانه اجابة دعوته واعطاءه
لمسئلته فقال (فسخرنا له الريح) أي ذللناها له وجعلناها منقادة لامره ثم بين كيفية
التسخير لها بقوله (تجري بأمره رخاء) أي لينة الهبوب ليست بالعاصف مأخوذ من
الرخاوة والمعنى انها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة جريها ولا
ينافي هذا قوله في آية أخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره لان المراد انها في قوة
العاصفة ولا تعصف وقيل انها كانت تارة رخاء وتارة عاصفة على ما يريده سليمان
و يشتهيه وهذا أولى في الجمع بين الآيتين (حيث أصاب) قال الزجاج اجماع أهل اللغة
والمفسرين على ان معنى حيث أصاب حيث أراد وحقيقته حيث قصد وقال الاصمعي
وابن

قورسولك كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا ابراهيم بن حمزة حدثنا ابن
ابى حازم والدراوردى عن يزيد يعنى ابن الهاد وقال كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل
ابراهيم وأخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن الهاد به حديث آخر قال الامام أحمد قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله
ابن أبى بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم انه قال أخبرنى ابو حميد الساعدى انهم قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على (١١٥) محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم
انك حميد مجيد وقد اخرجه بقية
الجماعة سوى الترمذى من حديث
مالك به حديث آخر قال مسلم
حدثنا يحيى بن يحيى التميمى قال
قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله
المجمر اخبرنى محمد بن عبد الله بن زيد
الانصارى قال وعبد الله بن زيد هو
الذى كان أرى النداء بالصلاة اخبره
عن ابى مسعود الانصارى قال
أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال
له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلى
عليك يارسول الله فكيف نصلى
عليك قال فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على آل ابراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على آل ابراهيم فى العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم
وقد رواه أبوداود والترمذى
والنسائى من حديث مالك به
وقال الترمذى حسن صحيح وروى
الامام أحمد وأبوداود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى مستدركه من حديث محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم
التيمى عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبى مسعود البدرى أنهم قالوا يارسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف
نصلى عليك اذا نحن صلينا فى صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وذكره ورواه الشافعى رحمه الله فى مسنده عن
أبى هريرة بمثله ومن ههنا ذهب الشافعى رحمه الله الى أنه يجب على المصلى ان يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد
الاخير فان تركه لم تصح صلاته وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الامام الشافعى فى اشتراطه ذلك فى

وابن الاعرابى العرب تقول أصاب الصواب وأخطأ الجواب وقيل معنى أصاب بلغة حمير
أراد وليس من لغة العرب وقيل هو بلسان هجر والاول أولى وهو مأخوذ من اصابة
السهم للغرض (و) سخرناله (الشياطين) وقوله (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين
أى كل بناء منهم وغواص منهم يبنون له مايشاء من المبانى ويغوصون فى البحر
فيستخرجون له الدر منه وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين مقرنين فى
الاصفاد) معطوف على كل داخل فى حكم البدل وهم مردة الجن والشياطين سخروا له
حتى قرنهم فى الاصفاد يقال قرنهم فى الحبال اذا كانوا جماعة كثيرة والاصفاد الاغلال
واحدها صفد قال الزجاج هى السلاسل فكل ماشددته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد
صفدته قال أبو عبيدة صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته فهو مصفد قال يحيى بن سلام
ولم يكن يفعل ذلك الا بكفارهم فاذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم (هذا) أى ماتقدم من
تسخير الريح والشياطين له أو من الملك والمال والبسطة وهو بتقدير القول أى وقلنا له
هذا (عطاؤنا) الذى أعطيناكه من الملك العظيم الذى طلبته (فامنن أو أمسك) أى فاعط
من شئت وامنع من شئت قاله الحسن والضحاك وغيرهما وقال ابن عباس اعتق من
الجن من شئت وامسك منهم من شئت (بغير حساب) لا حساب عليك فى ذلك الاعطاء
والامساك أو عطاؤنا لك بغير حساب لكثرته وعظمته وقال قتادة ان قوله هذا عطاؤنا
اشارة الى ماأعطيه من قوة الجماع وهذا الاوجه لقصر الآية عليه لو قدرنا انه قد تقدم
ذكره من جملة تلك المذكورات فكيف يدعى اختصاص الآية به مع عدم ذكره (وان له
عندنا لزلفى) أى قربة فى الآخرة (وحسن مآب) اى حسن مرجع وهو الجنة (واذكر
عبدنا أيوب) عطف بيان وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه
وبين داود عليهما السلام حتى كأن قصتيهما قصة واحدة (وأيوب) هو ابن عيص بن اسحق
(اذ نادى ربه) بدل اشتمال من عبدنا (انى مسنى الشيطان) قرأ الجمهور بفتح الهمزة على انه
حكاية لكلامه الذى نادى به ربه ولو لم يحكه لقال انه مسه وقرئ بكسرها على اضمار
القول وفى ذكر قصة أيوب ارشاد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاقتداء به فى
الصبر على المكاره (بنصب) قرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد فقيل هو جمع نصب
بفتحتين نحو أسد وأسد وقيل هو لغة فى النصب نحو رشد ورشد وقرئ بضمتين وبفتحتين

الصلاة ويزعم أنه قد تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه ابو جعفر الطبرى والطحاوى والخطابى وغيرهم فيما نقله القاضى عياض عنهم وقد تعسف هذا القائل فى رده على الشافعى وتكلف فى دعواه الاجماع فى ذلك فانه قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ومن التابعين الشعبى وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب الشافعى لا خلاف عنه فى ذلك ولا بين أصحابه أيضا واليه ذهب الامام أحمد أخيرا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقى به وبه قال اسحق ابن راهويه والفقيه الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن المواز المالكى رحمهم الله حتى ان بعض أئمة الحنابلة أوجب ان يقال فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سألوه وحتى ان بعض اصحابنا أوجب الصلاة على آله وممن حكاه البندنيجى وسليم الرازى وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسى ونقله امام الحرمين وصاحبه الغزالى قولا عن الشافعى والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه والقول بوجوبه ظهور الحديث والله أعلم والغرض ان الشافعى رحمه الله لقوله بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة سلف وخلف كما تقدم ولله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه فى هذه المسئلة لا قديما ولا حديثا والله أعلم ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذى رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من رواية حيوة بن شريح المصرى عن أبى هانئ حميد بن هانئ عن عمرو ابن مالك ابى على الحسينى عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبى ثم ليدع بعد بما شاء وكذا الحديث الذى رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدى عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على النبى ولا صلاة لمن لم يحب الانصار ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد

وبفتح وسكون وهذه القرا آت كلها بمعنى واحد وانما اختلفت القرا آت باختلاف اللغات وقال أبو عبيدة ان النصب بفتحتين التعب والاعياء وعلى بقية القرا آت الشر والبلاء (وعذاب) أى ألم قال قتادة ومقاتل النصب فى الجسد والعذاب فى المال قال النحاس وفيه بعد كذا قال والاولى تفسير النصب بالمعنى اللغوى وهو التعب والاعياء وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الالم وكلاهما راجع الى البدن وقد أخرج أحمد فى الزهد وابن أبى حاتم وابن عساكر عن ابن عباس خبرا طويلا فى قصة أيوب أوله ان الشيطان عرج الى السماء فقال يارب سلطنى على أيوب قال الله تعالى لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده الحديث بطوله وفيه نكارة شديدة فان الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبى من انبيائه ويسلطه عليه هذا التسليط العظيم وأسند المس الى الشيطان مع ان الله سبحانه هو الذى مسه بذلك اما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب والعذاب فقد قيل انه أعجب بكثرة ماله وقيل استغاثه مظلوم فلم يغثه وقيل انه قال ذلك على طريقة الادب وقيل انه قال ذلك لان الشيطان وسوس الى اتباعه فرفضوه وأخرجوه من ديارهم وقيل المراد به ما كان يوسوسه الشيطان اليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم الصبر على المصيبة وقيل غير ذلك (اركض برجلك) أى قلنا له اركض كذا قال الكسائى والركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة اذا ضربها بها وقال المبرد الركض التحريك قال الاصمعى يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هى لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها فى ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر (هذا مغتسل بارد وشراب) هذا أيضا من مقول القول المقدر وفى الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل الخ وظاهر النظم الكريم ان الاغتسال والشرب كانا من عين واحدة والمغتسل هو الماء الذى يغتسل به والشراب الذى يشرب منه وقيل ان المغتسل هو المكان الذى يغتسل فيه قال قتادة هما عينان بارض الشام فى أرض يقال لها الجابية فاغتسل من احداهما فاذهب الله ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه وكذا قال الحسن وقال مقاتل نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها ماء عذبا باردا (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا عنه بذلك ما به من

ضر

رواه الطبراني من رواية أخيه ابي بن عباس ولكن في ذلك نظر وانما يعرف من رواية عبد المهيمن والله أعلم حديث آخر قال
الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا اسمعيل عن ابي داود الاعمى عن بريدة قال قلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك
فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وآل ابراهيم
انك حميد مجيد أبو داود الاعمى اسمه نفيع بن الحرث متروك حديث آخر موقوف روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هرون
وزيد بن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا (١١٧) رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء

اللهم داحي المدحوات وبارئ
المسموكات وجبار القلوب على
فطرتها شقيها وسعيدها اجعل
شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورأفة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بأمرك بطاعتك مستوفزا في
مرضاتك غير نكل في قدم ولا وهن
في عزم داعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى
قبسا القابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد
خوضات الفتن والاثم وأبهج
موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو
أمينك المأمون وخازن علمك المخزون
وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له
في عدنك واجزه مضاعفات الخير من
فضلك مهنآت له غير مكدرات من
فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك
المعلول اللهم أعل على بناء الناس
بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم
له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة مرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وحجة وبرهان عظيم هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم عليه ابن
قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا ان
في اسناده نظرا قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقد روى الحافظ أبو
القاسم الطبراني هذا الاثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي
الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وذكره موقوف حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا زياد

ضر ووهبنا له أهله قيل أحياهم الله بعد ان أماتهم وقيل جمعهم بعد تفرقهم وقيل غيرهم
مثلهم ثم زاده مثلهم معهم وهو معنى قوله (ومثلهم معهم) فكانوا مثلي ما كانوا من قبل
ابتلائه (رحمة منا وذكرى لأولي الالباب) أي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله
أولوا الالباب فيصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤا الى الله كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من
حسن العاقبة وقد تقدم في سورة الانبياء تفسير هذه الآية مستوفى فلا نعيده (وخذ)
معطوف على اركض أو على وهبنا أو التقدير وقلنا له خذ (بيدك ضغثا) هو عثكال النخل
بشماريخه وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها بيابسها وقيل الحزمة الكبيرة من
القضبان وأصل المادة تدل على جمع المختلطات قال الواحدي الضغث ملء الكف من
الشجر والحشيش والشماريخ وعن ابن عباس قال الضغث هو الاسل وقال أيضا الضغث
القبضة من المرعى الرطب وقال أيضا الحزمة (فاضرب به) أي بذلك الضغث (ولا تحنث)
في يمينك والحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لانهما
سيان فيه وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة واختلف في سبب
ذلك فقال سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها
فحلف ليضربنها وقال يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان أغواها ان تحمل أيوب على ان
يذبح سخلة تقربا اليه فانه اذا فعل ذلك برئ فحلف ليضربنها اذا عوفي مائة جلدة وقيل
باعت ذوائبها برغيفين اذ لم تجد شيأ وكان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا حلف
ليضربنها وأخرج أحمد في الزهد عن ابن عباس قال ان ابليس قعد على الطريق وأخذ
تابوتا يداوي الناس فقالت امرأة أيوب يا عبد الله ان ههنا مبتلى من امره كذا وكذا فهل
لك ان تداويه قال نعم بشرط ان انا شفيته ان يقول انت شفيتني لا اريد منه أجرا غيره
فأتت أيوب فذكرت له ذلك فقال ويحك ذاك الشيطان لله علي ان شفاني الله ان أجلدك
مائة جلدة فلما شفاه الله أمره ان يأخذ ضغثا فيضربها به فأخذ عذقا فيه مائة شمراخ
فضربها به ضربة واحدة وأخرج أحمد والطبراني عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال
حملت وليدة في بني ساعدة من زنا فقيل لها ممن حملك قالت من فلان المقعد فسئل المقعد
فقال صدقت فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال خذوا عثكولا فيه
مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة وله طرق اخرى وقد اختلف العلماء هل هذا خاص

ابن عبد الله حدثنا المسعودى عن عون بن عبد الله عن أبى فاختة عن الاسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اذا
صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل (١١٨) محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وهذا موقوف
وقد روى اسمعيل القاضى عن عبد الله
ابن عمرو أو عمر على الشك من الراوى
قريبا من هذا حديث آخر قال ابن
جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك
ابن اسمعيل حدثنا أبو اسرائيل عن
يونس بن خباب قال خطبنا بفارس
فقال ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فقال أنبأنى من
سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل
فقلنا أو قالوا يارسول الله علمنا
السلام عليك فكيف الصلاة عليك
قال اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد وارحم محمدا
وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد
مجيد فيستدل بهذا الحديث من
ذهب الى جواز الترحم على النبى كما
هو قول الجمهور ويعضده حديث
الاعرابى الذى قال اللهم ارحمنى
ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
حجرت واسعا وحكى القاضى
عياض عن جمهور المالكية منعه
قال وأجازه أبو محمد بن أبى زيد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن
عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة لم تزل
الملائكة تصلى عليه ماصلى على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به حديث آخر قال أبو عيسى
الترمذى حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنى موسى بن يعقوب الزمعى حدثنى عبد الله بن كيسان ان عبد الله بن شداد
أخبره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة تفرد بروايته

بايوب او عام للناس كلهم وان من حلف خرج من يمينه بمثل ذلك قال الشافعى اذا حلف
ليضربن فلانا مائة جلدة اوضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو بقلبه فيكفيه مثل هذا
الضرب المذكور فى الآية حكاه ابن المنذر عنه وعن ابى ثور واصحاب الرأى وقال عطاء
هو خاص بايوب ورواه ابن القاسم عن مالك ثم اثنى الله سبحانه على أيوب فقال (انا وجدناه)
اى علمناه (صابرا) على البلاء الذى ابتليناه به فانه ابتلى بالداء العظيم فى جسده وذهاب ماله
وولده واهله فصبر وليس فى شكواه الى الله اخلال بذلك فانه ليس جزعا كتمنى العافية
وطلب الشفاء والشكاية المذمومة انما هى اذا كانت للمخلوقين قال ابن مسعود ايوب
رأس الصابرين يوم القيامة (نعم العبد) اى ايوب (انه اواب) اى رجاع الى الله تعالى
بالاستغفار والتوبة (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) اى اذكر صبرهم على
ما اصابهم تتأس بهم قرأ الجمهور عبادنا بالجمع وقرئ بالافراد فعلى قراءة الجمهور يكون
اسحق وابراهيم ويعقوب عطف بيان وعلى القراءة الاخرى يكون ابراهيم عطف بيان
ومابعده عطف على عبدنا الا على ابراهيم وقد يقال لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز ابدال
الجماعة منه وقيل ان ابراهيم ومابعده بدل او النصب باضمار أعنى وعطف البيان أظهر
وقراءة الجمهور أبين وقد اختارها ابو حاتم وابو عبيد (أولى الايدى والابصار) الايدى جمع
اليد اما الجارحة فكنى بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما زاول باليد وقيل جمع اليد
التى بمعنى القوة والقدرة قال قتادة اعطوا قوة فى العبادة ونصرا فى الدين قال الواحدى وبه
قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون قال النحاس أما الابصار فتتفق على انها البصائر فى
الدين والعلم واما الايدى فمختلف فى تأويلها فأهل التفسير يقولون انها القوة فى الدين وقوم
يقولون الايدى جمع يد وهى النعمة اى هم اصحاب النعم الذين انعم الله عز وجل عليهم وقيل
هم اصحاب النعم على الناس والاحسان اليهم لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا واختاره هذا
ابن جرير قرأ الجمهور الايدى باثبات الياء وقرئ بغير ياء فقيل معناها معنى الاولى وانما
حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها وقيل الايد القوة الا ان الزمخشرى قال وتفسيره
بالايد من التأييد قلق غير متمكن انتهى وكأنه انما قلق عنده لعطف الابصار عليه فهو
غير مناسب للايد من التأييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل أحد كذلك انما
المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكر ببصيرته فلم يقلق حينئذ اذ لم يرد حقيقة الابصار
وكأنه

الترمذى رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب حديث آخر قال اسمعيل القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن
يعقوب بن زيد بن طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى آت من ربى فقال لى ما من عبد يصلى عليك صلاة الا صلى الله
عليه بها عشرا فقام اليه رجل فقال يا رسول الله الا أجعل نصف دعائى لك قال ان شئت قال ألا أجعل ثلثى دعائى لك قال ان شئت
قال الا أجعل دعائى لك كله قال اذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عمن أسنده قال
لا أدرى حديث آخر قال اسمعيل القاضى حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد
ابن عقيل عن الطفيل بن ابى بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج فى جوف الليل فيقول جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال أبى يا رسول الله انى أصلى من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر قال أفأجعل لك شطر صلاتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلثان قال أفأجعل لك صلاتى كلها قال اذن يغفر الله لك ذنبك كله وقد رواه الترمذى بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل ابن ابى بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبى قلت يا رسول الله انى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت فان زدت فهو خير لك
قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتى كلها قال اذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك ثم قال هذا حديث
حسن وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى عن أبيه قال قال رجل
يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتى كلها عليك قال اذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك حديث آخر قال الامام أحمد
حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعى ويونس هو ابن محمد قالا حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبى عمرو عن أبى الحويرث
عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال

وكأنه قيل أولى القوة والتفكر بالبصيرة وقد نحا الزمخشرى الى شئ من هذا قبل ذلك قاله
السمين قال ابن عباس القوة فى العبادة والابصار الفقه فى الدين وعنه قال الايدى النعمة
وقيل أولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال وبالابصار عن
المعارف لانها أقوى مباديها (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) تعليل لما وصفوا به من
شرف العبودية وعلو الرتبة فى العلم والعمل قرأ الجمهور بخالصة بالتنوين وعدم الاضافة
على انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكرى منصوبا به أو بمعنى الخلوص فيكون
ذكرى مرفوعا به أو يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى بدل منها أو بيان لها
أو منصوبة باضمار اعنى أو مرفوعة على اضمار مبتدا والدار مفعول به بذكرى أو ظرف
اما على الاتساع أو على اسقاط الخافض وعلى كل تقدير فخالصة صفة لموصوف محذوف
والباء للسببية أى بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى على ان
الاضافة للبيان لان الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى كما فى قوله شهاب قبس لان
الشهاب يكون قبسا وغيره أو على ان خالصة مصدر مضاف الى مفعوله والفاعل محذوف
أى بان أخلصوا ذكر الدار وتناسوا عند ذكرها ذكر الدنيا أو مصدر بمعنى الخلوص مضاف
الى فاعله قال مجاهد معنى الآية استصفيناهم بذكر الآخرة فأخلصناهم بذكرها وقال
قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله وقال السدى أخلصوا بخوف الآخرة قال
الواحدى فمن قرأ بالتنوين فى خالصة كان المعنى جعلناهم لنا خالصين بان خلصت لهم
ذكرى الدار والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكر أى خلص لهم تذكر
الدار وهو انهم يذكرون التأهب لها ويزهدون فى الدنيا وذلك من شأن الانبياء واما من
أضاف فالمعنى أخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف الى الفاعل
والذكرى على هذا المعنى الذكر قال ابن عباس اخلصوا بذكر دار الآخرة ان يعملوا لها
وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا
بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا قاله النسفى وفيه بعد وقال ابن
جزى معناه انا جعلناهم خالصين لنا أو خصصناهم دون غيرهم وأما الباء على الاول فهى
للتعليل وعلى الثانى هى لتعدية الفعل انتهى (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار)
الاصطفاء الاختيار والاخيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كأموات فى جمع ميت مشددا

السجود حتى خفت أو خشيت ان يكون الله قد توفاه أو قبضه قال فجئت انظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكرت ذلك
له فقال ان جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك ان الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه طريق
اخرى قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبى عمرو عن عبد الواحد بن محمد بن عبد
الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر
ساجدا فأطال السجود حتى ظننت ان الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال من هذا قلت عبد
الرحمن قال ماشأنك قلت يارسول
الله سجدت سجدة خشيت ان الله
قبض روحك فيها فقال ان جبريل
أتانى فبشرنى ان الله عز وجل
يقول لك من صلى عليك صليت عليه
ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت
لله عز وجل شكرا ورواه اسمعيل
ابن اسحق القاضى فى كتابه عن يحيى
ابن عبد الحميد عن الدراوردى عن
عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن
عبد الرحمن بن عوف به ورواه من
وجه آخر عن عبد الرحمن حديث
آخر قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا
محمد بن عبد الرحيم بن مجير بمصر
حدثنا عمرو بن الربيع بن طارق حدثنا
يحيى بن أيوب حدثنى عبيد الله بن
عمر عن الحكم بن عتيبة عن ابراهيم
النخعى عن الاسود بن يزيد عن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة
فلم يجد أحدا يتبعه ففزع عمر
فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبى
صلى الله عليه وسلم ساجدا فى مشربة
فتنحى عنه من خلفه حتى رفع
النبى صلى الله عليه وسلم رأسه فقال
أحسنت يا عمر حين وجدتنى ساجدا
فتنحيت عنى ان جبريل أتانى فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات فيها
وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج على الصحيحين وقد رواه اسمعيل القاضى عن القعنبى عن سلمة
ابن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن
الحدثان عن عمر بن الخطاب بنحوه حديث آخر قال الامام احمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى
الحسن بن على عن عبد الله بن ابى طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يارسول

ومخففا والمعنى انهم عندنا لمن المختارين من أبناء جنسهم من الاخيار (واذكر اسمعيل)
قيل وجه ذكره مفردا بعد ذكر أبيه وأخيه وابن أخيه للاشعار بانه عريق فى الصبر الذى
هو المقصود بالتذكير هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى
اسرائيل ثم استنبئ (وذا الكفل) اختلف فى نبوته ولقبه وهو ابن عم اليسع أو هو بشر بن
أيوب بعثه الله بعد أبيه وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وعمره خمس
وسبعون سنة وقد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه فى الانعام وتقدم ذكر ذى الكفل
والكلام فيه فى سورة الانبياء والمراد من ذكر هؤلاء انهم من جملة من صبر من الانبياء
وتحمل الشدائد فى دين الله أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يذكرهم ليسلك
مسلكهم فى الصبر (وكل) أى كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) الذين
اختارهم الله سبحانه لنبوته واصطفاهم من خلقه (هذا ذكر) اشارة الى ما تقدم من ذكر
أوصافهم الناطقة بمحاسنهم أى هذا ذكر جميل فى الدنيا وشرف يذكرون به أبدا جملة جئ
بها ايذانا بان القصة قد تمت وأخذ فى أخرى (وان للمتقين) مع هذا الذكر الجميل (لحسن
مآب) فى الآخرة والمآب المرجع وهذا شروع فى بيان أجرهم الجزيل الآجل بعد بيان
ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمعنى انهم يرجعون فى
الآخرة الى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته ثم بين حسن المرجع فقال (جنات عدن)
قرئ بالنصب بدلا أو عطف بيان لحسن مآب وهو فى الاصل الاقامة يقال عدن بالمكان
اذا أقام فيه وقيل هو اسم لقصر فى الجنة وقرئ برفع جنات على انها خبر مبتدا محذوف أى
هى جنات عدن (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات والعامل فيها ما فى المتقين من معنى
الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول كقوله وفتحت أبوابها والرابط بين الحال وصاحبها
ضمير مقدر أى منها أو الالف واللام لقيامه مقام الضمير اذ الاصل أبوابها وقيل ارتفاع
الابواب على البدل من الضمير فى مفتحة العائد على جنات وبه قال أبو على الفارسى أى
مفتحة هى الابواب قال الفراء المعنى مفتحة لهم أبوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا
من الاضافة وقال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها قال الحسن ان الابواب يقال لها
انفتحى فتنفتح انغلقى فتنغلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب حال كونهم (متكئين

الله انا لنرى السرور فى وجهك فقال انه أتانى الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلى عليك احد من امتك
الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى ورواه النسائى من حديث حماد بن سلمة به وقد
رواه اسمعيل القاضى عن اسمعيل بن ابى اويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبى طلحة
بنحوه طريق اخرى قال أحمد حدثنا سريج حدثنا أبو معشر عن ابى اسحق بن كعب بن عجرة عن ابى طلحة الانصارى قال اصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس يرى فى وجهه البشر قالوا يا رسول الله اصبحت اليوم طيب النفس
يرى فى وجهك البشر قال أجل
أتانى آت من ربى عز وجل فقال
من صلى عليك من امتك صلاة
كتب الله له بها عشر حسنات ومحا
عنه عشر سيآت ورفع له عشر
درجات ورد عليه مثلها وهذا ايضا
اسناد جيد ولم يخرجوه حديث آخر
روى مسلم وابو داود والترمذى
والنسائى من حديث اسمعيل بن
جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن
ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى على واحدة صلى الله
عليه بها عشرا قال الترمذى هذا
حديث حسن صحيح وفى الباب عن
عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة
وعمار وابى طلحة وانس وابى بن
كعب وقال الامام احمد حدثنا
حسين بن محمد حدثنا شريك عن
ليث عن كعب عن ابى هريرة عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال صلوا
على فانها زكاة لكم وسلوا الله لى
الوسيلة فانها درجة فى اعلى الجنة
ولا ينالها الا رجل وأرجو ان اكون
أنا هو تفرد به احمد وقد رواه البزار من
طريق مجاهد عن ابى هريرة بنحوه
فقال حدثنا محمد بن اسحق البكائى حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علية عن ليث عن مجاهد
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فانها زكاة لكم وسلوا الله لى الدرجة الوسيلة من الجنة فسألناه
أو أخبرنا فقال هى درجة فى أعلى الجنة وهى لرجل وانا أرجو ان اكون ذلك الرجل فى اسناده بعض من تكلم به حديث آخر قال
الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن مريج الخولانى سمعت ابا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت
عبد الله بن عمرو يقول من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد

فيها) أى فى الجنات (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) أى بألوان متنوعة متكثرة من الفواكه
(وشراب) كثير فحذف كثير لدلالة الاول عليه والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان
مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى قيل الجملة مستأنفة لبيان حالهم فيها أو
حال مما ذكر (وعندهم قاصرات الطرف) أى قاصرات طرفهن على أزواجهن وحابسات
العين لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى بيانه فى سورة الصافات (أتراب) أى متحدات فى
السن والشباب أو متساويات فى الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى انهن متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل لدات لهم أى
متقارنات فى الولادة لان التحاب بين الاقران أثبت أو بعضهن لبعض أو (١) نصف
لا عجوز فيهن ولا صبية قال الشهاب لدات جمع لدة كعدة أصلها ولد وهو كالترب من يولد
معك فى وقت واحد كأنهما وقعا على التراب فى زمن واحد والاتراب جمع ترب واشتقاقه
من التراب لانه يمسهن فى وقت واحد لاتحاد مولدهن والمعانى متقاربة (هذا ما توعدون
ليوم الحساب) أى هذا الجزاء الذى وعدتم به لاجل يوم الحساب فان الحساب علة
للوصول الى الجزاء والمعنى فى يوم الحساب قرأ الجمهور توعدون على الخطاب التفاتا
وقرئ بالتحتية على الخبر واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله وان للمتقين فانه خبر
(ان هذا) المذكور من النعم والكرامات والجنات وأوصافها (لرزقنا) الذى انعمنا به
عليكم وأعطيناكموه (ماله من نفاد) أى لا ينقطع ولا يفنى أبدا ومثله قوله عطاء غير مجذوذ
فنعم الجنة لا تنقطع عن أهلها (هذا) اى الامر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر فيوقف
على هذا قال ابن الانبارى وهذا وقف حسن قال ابن الاثير هذا فى هذا المقام من الفصل
الذى هو خير من الوصل وهى علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام آخر أى خذ
هذا كيت وكيت وفيه بحث اذ يلزم حينئذ عطف الاخبار على الانشاء ولذا لم يذكر
الزمخشرى هذا التقدير ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشر بعد ان ذكر ما لاهل الخير فقال (وان
للطاغين) الذين طغوا على الله وكذبوا رسله (لشر مآب) أى لشر منقلب ينقلبون اليه ثم
بين ذلك فقال (جهنم) بدل أو عطف بيان (يصلونها) أى يصلون جهنم ويدخلونها
(فبئس المهاد) أى بئس ما مهدوا لانفسهم وهو الفراش مأخوذ من مهد الصبى أو المراد
بالمهاد الموضع والمخصوص بالذم محذوف أى بئس المهاد هى كما فى قوله لهم من جهنم مهاد

(١) النصف بالتحريك المرأة بين الحدثة والمسنة اه صحاح اه منه دام ظله

من ذلك اوليكثر وسمعت عبدالله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا محمد النبي الامي قاله
ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوزني وعوفيت
وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه حديث آخر قال ابو
داود الطيالسي حدثنا ابو سلمة الخراساني حدثنا ابو اسحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فليصل
علي ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابي داود الطيالسي
عن ابي سلمة وهو المغيرة بن سلمة
الخراساني عن ابي اسحق عمرو بن
عبد الله السبيعي عن انس به
حديث آخر عن انس قال الامام
احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو عن يونس بن ابي
اسحق عن يزيد بن أبي مريم عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى علي صلاة
واحدة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيآت حديث
آخر قال الامام احمد حدثنا عبد
الملك بن عمرو وابو سعيد حدثنا
سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية
عن عبد الله بن علي بن الحسين عن
ابيه علي بن الحسين عن أبيه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل
علي وقال أبو سعيد فلم يصل علي
ورواه الترمذي من حديث سليمان
ابن بلال ثم قال هذا حديث حسن
غريب صحيح ومن الرواة من جعله
من مسند الحسين بن علي ومنهم من
جعله من مسند علي نفسه حديث
آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا
حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة
عن معبد بن بلال المغربي حدثنا
رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي حديث آخر مرسل قال اسمعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير
ابن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من البخل ان أذكر عنده فلا يصلي علي حديث آخر
قال الترمذي حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان

شبه الله سبحانه ما تحتهم من نار جهنم بالمهاد (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أي هذا حميم
وغساق فليذوقوه قاله الفراء والزجاج أي يقال لهم في ذلك اليوم هذه المقالة والحميم الماء
الحار الذي قد انتهى حره والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح ومن الصديد من
قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب قال النحاس ويجوز أن يكون
المعنى الامر هذا وارتفاع حميم وغساق على انهما خبران لمبتدا محذوف أي هو حميم
وغساق ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره ما بعده أي ليذوقوا
هذا فليذوقوه ويجوز أن يكون حميم مرتفعا على الابتداء وخبره مقدر قبله أي منه حميم
ومنه غساق وقيل الغساق ما قتل برده ومنه قيل لليل غاسق لانه أبرد من النهار وقيل هو
الزمهرير وقيل الغساق المنتن وقيل هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية وعقرب
وقال قتادة هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم وقال
محمد بن كعب هو عصارة أهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل من دموع أهل النار
يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى
برده وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضا بمقابلة الحميم قرأ
أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من غساق وقرئ بالتشديد
وهما لغتان بمعنى واحد كما قال الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم مثل
عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل للمبالغة نحو ضراب وقتال وقال
ابن عباس غساق الزمهرير وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لو ان دلوا من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا قال الترمذي بعد
اخراجه لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قلت ورشدين فيه مقال معروف
(وآخر من شكله) قرأ الجمهور وآخر مفردا مذكرا وقرئ أخر بضم الهمزة على انه جمع
وأنكر الاولى لقوله (أزواج) وأنكر عاصم والجحدري الثانية وقال لو كانت أخر لقال
من شكلها وارتفاع آخر على انه مبتدأ وخبره أزواج ويجوز أن يكون من شكله خبرا
مقدما وأزواج مبتدأ مؤخرا والجملة خبر آخر ويجوز أن يكون خبر آخر مقدرا أي ولهم
آخر ومن شكله ازواج جملة مستقلة ومعنى الآية على الاولى وعذاب آخر او مذوق
آخر

ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ثم قال حسن غريب قلت وقد رواه البخاري في الادب
عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه ورويناه من حديث
محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق
هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وهو مذهب طائفة من (١٢٣) العلماء منهم الطحاوي والحليمي ويتقوى
بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة جنادة ضعيف ولكن رواه اسمعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم وذهب آخرون الى انه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل يستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الامام أحمد عن
حجاج ويزيد بن هرون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن
وقد روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد رواه اسمعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان
عن أبي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم يوم القيامة حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكي عن بعضهم انه انما تجب الصلاة عليه عليه السلام في العمر مرة واحدة امتثالا لامر
الآية ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعد ما حكى الاجماع على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه

آخر ونوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الاول والشكل المثل وعلى
الثانية ومذوقات أخر وأنواع أخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم وافراد الضمير
في شكله على تأويل المذكور اي من شكل المذكور ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه
وحاصل معنى الآية ان لاهل النار حميما وغساقا وأنواعا من العذاب من مثل الحميم
والغساق قال الواحدي قال المفسرون هو الزمهرير ولا يتم هذا الذي حكاه عن المفسرين
الا على تقدير ان الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج أو على
تقدير ان لكل فرد من أهل النار زمهريرا وجملة (هذا فوج) حكاية لقول الملائكة هم
خزنة النار وذلك ان القادة والرؤساء اذا دخلوا النار ودخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة
للقادة هذا فوج يعنون الاتباع (مقتحم معكم) أي داخل معكم الى النار بشدة والاقتحام
الالقاء في الشيء بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من
تلك المقامع وقيل الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها وفي المختار قحم في الامر رمى بنفسه
فيه من غير روية وبابه خضع وأقحم فرسه النهر فانقحم أي ادخله فدخل واقتحم الفرس
النهر دخله وقوله (لا مرحبا بهم) من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا
لا مرحبا بهم أي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم وهذا
اخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار وان المودة التي كانت بينهم تصير عداوة
وجملة لا مرحبا بهم دعائية لا محل لها من الاعراب وقال السمين في مرحبا وجهان
أظهرهما أنه مفعول بفعل مقدر أي لا أتيتم مرحبا أو لا سمعتم مرحبا والثاني انه منصوب
على المصدر قال أبو البقاء أي لا رحبتكم داركم مرحبا بل ضيقا والجملة المنفية اما
مستأنفة سيقت للدعاء عليهم بضيق المكان وقوله بهم بيان للمدعو عليهم واما حالية وقد
يعترض عليه بانه دعاء والدعاء لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول اي مقولا في حقهم
لا مرحبا بهم وقيل انها من تمام قول الخزنة والاول أولى كما يدل عليه جواب الاتباع
الآتي (انهم صالوا النار) تعليل من جهة القائلين لا مرحبا بهم أي انهم صالوا النار كما
صليناها ومستحقون لها كما استحققناها (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) مستأنفة جواب
سؤال مقدر أي قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم بل أنتم أحق بما قلتم لنا ثم عللوا
ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) أي العذاب أو الصلي لنا واوقعتمونا فيه ودعوتمونا اليه

وسلم فى الجملة قال وقد حكى الطبرى ان محمل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة وما زاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله قلت وهذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه فى أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمن سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة طريق اخرى قال اسمعيل القاضى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمرو بن على عن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة حديث آخر قال اسمعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الاحبار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة قال فاما حدثنا واما سألناه قال الوسيلة أعلى درجة فى الجنة لا ينالها الا رجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل ثم رواه عن محمد بن أبى بكر عن معتمر عن ليث وهو ابن أبى سليم به وكذا الحديث الآخر قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمى عن رويفع بن ثابت الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى وهذا اسناد لا بأس به ولم يخرجوه أثر حسن آخر قال اسمعيل القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنى معمر عن ابن طاوس عن ابيه سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وأعطه سؤله فى الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى عليهما السلام اسناد جيد قوى صحيح ومن ذلك عند دخول المسجد

بما كنتم تقولون لنا من ان الحق ما أنتم عليه وان الانبياء غير صادقين فيما جاؤا به (فبئس القرار) أى بئس المقر جهنم لنا ولكم ثم حكى عن الاتباع أيضا انهم أردفوا هذا القول بقول آخر وهو (قالوا ربنا من قدّم لنا هذا) أى من دعانا اليه وسوّغه لنا قال الفراء المعنى من سوغ لنا هذا وسنه وقيل معناه من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى الكفر (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى عذابا بكفره وعذابا بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفا ومثله قوله سبحانه ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب والضعف ان يزيد عليه مثله وقيل المراد بالضعف هنا الحيات والعقارب قال ابن مسعود أى أفاعى وحيات (وقالوا) اى كفار مكة كأبى جهل وامية بن خلف وأصحاب القليب وهم فى النار (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) أى الاراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى وقيل انما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم قيل هو من قول الرؤساء وقيل من قول الطاغين المذكورين سابقا قال الكلبى ينظرون فى النار فلا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها فعند ذلك قالوا هذا القول وقيل يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسالم وسلمان وقيل أرادوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم على العموم (أتخذناهم سخريا) فى الدنيا فأخطأنا (أم زاغت عنهم الابصار) فلم نعلم مكانهم قاله مجاهد والانكار المفهوم من الاستفهام متوجه الى كل واحد من الامرين قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب قرئ بحذف همزة اتخذناهم فى الوصل وعلى هذا يحتمل أن يكون الكلام خبرا محضا وتكون الجملة فى محل نصب صفة ثانية لرجالا وان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها فتكون ام على الوجه الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة أى بل أزاغت عنهم الابصار على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وعلى الثانى أم هى المتصلة وقرئ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل ولا محل للجملة حينئذ وفيه التوبيخ لانفسهم على الامرين جميعا لان أم على هذه القراءة هى للتسوية وقرئ سخريا بضم السين وبكسرها قال أبو عبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله من التسخير (ان ذلك) أى ما تقدم من حكاية حالهم (لحق) أى لواقع ثابت فى الدار الآخرة

لا

والخروج منه الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا ليث بن أبى سليم عن عبد الله بن الحسن عن امه
فاطمة بنت الحسين عن جدته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى
على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
أبواب فضلك وقال اسمعيل القاضى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمى عن سليمان الضبى عن على بن الحسين
قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم واما الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقد
قدمنا الكلام عليها فى التشهد
الاخير ومن ذهب الى ذلك من العلماء
مع الشافعى رحمه الله وأكرمه واما
التشهد الاول فلا يجب فيه قولا
واحدا وهل تستحب على قولين
للشافعى ومن ذلك الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة
فان السنة ان يقرأ فى التكبيرة
الاولى فاتحة الكتاب وفى الثانية
ان يصلى على النبى صلى الله عليه
وسلم وفى الثالثة يدعو للميت وفى
الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره
ولا تفتنا بعده قال الشافعى رحمه
الله حدثنا مطرف بن مازن عن
معمر عن الزهرى أخبرنى ابو امامة
ابن سهل بن حنيف انه أخبره رجل
من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
ان السنة فى الصلاة على الجنازة ان
يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب
بعد التكبيرة الاولى سرا فى نفسه ثم
يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
ويخلص الدعاء للجنازة وفى التكبيرات
لا يقرأ فى شئ منها ثم يسلم سرا فى
نفسه ورواه النسائى عن أبى امامة
نفسه انه قال من السنة فذكره
وهذا من الصحابى فى حكم المرفوع على الصحيح ورواه اسمعيل القاضى عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن
أبى امامة بن سهل عن سعيد بن المسيب انه قال السنة فى الصلاة على الجنازة فذكره وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عمر والشعبى
ومن ذلك فى صلاة العيد قال اسمعيل القاضى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائى حدثنا حماد بن أبى سليمان عن
ابراهيم عن علقمة ان ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد يوما فقال لهم ان هذا العيد قد دنا
فكيف التكبير فيه قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم تدعو

لا يتخلف البتة (تخاصم أهل النار) خبر مبتدا محذوف ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر
وهذا على قراءة الجمهور برفع تخاصم والمعنى ان ذلك الذى حكاه الله عنهم لحق لا بد أن
يتكلموا به وهو تخاصم أهل النار فيها وما قالته الرؤساء للاتباع وما قالته الاتباع لهم
والجملة بيان لاسم الاشارة وفى الابهام أولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له قرأ ابن أبى عبلة
بنصب تخاصم على انه بدل من ذلك أو باضمار أعنى وقرئ تخاصم بصيغة الماضى فتكون
جملة مستأنفة وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع
للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم أن يقول قولا جامعا بين التخويف والارشاد الى التوحيد فقال (قل انما أنا منذر)
أى مخوف لكم من عذاب الله وعقابه لا ساحر ولا شاعر كما ادعيتم ومبشر وانما اقتصر على
الانذار لان كلامه معهم وهم انما يناسبهم الانذار (وما من اله) يستحق العبادة (الا الله
الواحد) الذى لا شريك له (القهار) لكل شئ سواه (رب السموات والارض وما بينهما)
من المخلوقات (العزيز) الذى لا يغالبه مغالب (الغفار) لمن أطاعه وقيل معنى العزيز
المنيع الذى لا مثل له ومعنى الغفار الستار لذنوب خلقه ثم أمره الله سبحانه أن يبالغ فى
انذارهم ويبين لهم عظم الامر وجلالته فقال (قل هو نبأ عظيم) أى ما أنذرتكم به من
العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خبر عظيم ونبأ جليل من شأنه العناية به والتعظيم
له والاعتناء به أمرا وائتمارا وعدم الاستخفاف به ومثل هذه الآية قوله عم يتساءلون عن
النبا العظيم وقال مجاهد وقتادة ومقاتل هو القرآن فانه نبأ عظيم لانه كلام الله قال
الزجاج قل النبأ الذى أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم يعنى ما أنبأهم به من قصص الاولين
وذلك دليل على صدقه ونبوته لانه لم يعلم ذلك الا بوحى من الله (أنتم عنه معرضون) صفة
ثانية للنبا أو جملة مستأنفة وهذا توبيخ لهم وتقريع لكونهم اعرضوا عنه ولم يتفكروا
فيه فيعلموا صدقه ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث (ما كان لى من علم بالملا الاعلى)
استئناف مسوق لتقرير انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى يذكر نبأ من أنبائه على التفصيل
من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على
ان ذلك بطريق الوحى من عند الله تعالى وان سائر أنبائه أيضا كذلك وان الانبياء
لا يعلمون الغيب أصلا الا ما يوحى اليهم من جهته سبحانه وتعالى والملأ الاعلى هم

وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر تفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ثم تقوم
فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق
أبو عبد الرحمن اسناد صحيح ومن ذلك انه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم   قال الترمذي حدثنا أبو داود حدثنا
النضر بن شميل عن أبي فروة الاسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب   قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد
منه شيء حتى تصلي على نبيك وهكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قوله
ورواه معاذ بن الحرث عن أبي قرة
عن سعيد بن المسيب عن عمر
مرفوعا وكذا رواه رزين بن
معاوية في كتابه مرفوعا عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الدعاء
موقوف بين السماء والارض
لا يصعد حتى يصلي علي فلا تجعلوني
كغمر الراكب صلوا علي أول
الدعاء وآخره وأوسطه وهذه الزيادة
انما تروى من رواية جابر بن عبد
الله في مسند الامام عبد بن حميد
الكشي حيث قال حدثنا جعفر
ابن عون أخبرنا موسى بن عبيدة
عن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم عن
أبيه قال قال جابر قال لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب اذا علق تعالقه
أخذ قدحه فملأه من الماء فان كان
له حاجة في الوضوء توضأ وان كان له
حاجة في الشرب شرب والا اهرق
ما فيه اجعلوني في أول الدعاء وفي
وسط الدعاء وفي آخر الدعاء وهذا
حديث غريب وموسى بن عبيدة
ضعيف الحديث ومن آكد ذلك دعاء
القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن
وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من
حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في   فقال
الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي
ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه بعد هذا وصلى الله على
النبي ومن ذلك أنه يستحب الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة   قال الامام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

الملائكة وزاد أبو السعود وآدم عليه السلام وابليس عليه اللعنة (اذ يختصمون) أي
ما كان لي فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم والضمير
راجع الى الملأ الاعلى والخصومة الكائنة بينهم هي في أمر آدم قال ابن عباس قال
الملائكة حين شوروا في خلق آدم فاختصموا فيه وقالوا لا تجعل في الارض خليفة وعنه
قال هي الخصومة في شأن آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وأخرج عبد
الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن نصر في كتاب الصلاة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاني الليلة ربي في أحسن صورة أحسبه قال في المنام قال
يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين
ثديي أو في نحري فعلمت ما في السموات والارض ثم قال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم
الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي
على الاقدام الى الجماعات وابلاغ الوضوء في المكاره الحديث وأخرج الترمذي وصححه
ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه من حديث معاذ بن جبل نحوه باطول منه
وقال واسباغ الوضوء في السبرات وأخرج الطبراني وابن مردويه من حديث جابر بن
سمرة نحوه باخصر منه وأخرجا أيضا من حديث أبي هريرة نحوه وفي الباب أحاديث
وقيل الضمير لقريش اي يختصمون فيهم بعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك
والاول أولى (ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين) جملة معترضة بين اختصامهم المجمل وبين
تفصيله بقوله اذ قال ربك للملائكة والمعنى ما يوحى الي الا أني نذير أبين لكم ما تأتون
من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية قاله الفراء وقال كأنك قلت
ما يوحى الي الا الانذار قرأ الجمهور بفتح همزة أنما على انها وما في حيزها في محل رفع لقيامها
مقام الفاعل أي ما يوحى الي الا الانذار أو الا كوني نذيرا مبينا أو في محل نصب أو جر بعد
اسقاط لام العلة والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور وقرأ أبو جعفر بكسر الهمزة
لان في الوحي معنى القول وهي القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كأنه قيل ما يوحى
الي الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين والقصر هنا
اضافي أي لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم وخصه بالذكر لان الكلام مع المشركين وحاله معهم
مقصور على الانذار ولما ذكر سبحانه خصومة الملائكة اجمالا فيما تقدم ذكرها هنا تفصيلا

وسلم من أفضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعنى وقد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث حسين بن على الجعفى وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى والنووى فى الاذكار حديث آخر قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصرى حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لا يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء فنبى الله حى يرزق هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسى وأبى الدرداء فانه لم يدركه والله أعلم وقد روى البيهقى من حديث أبى امامة وابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن فى اسنادهما ضعف والله أعلم وروى مرسلا عن الحسن البصرى فقال اسمعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير ابن حازم سمعت الحسن البصرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتأكل الارض جسد من كلمه روح القدس مرسل حسن وقال الشافعى أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة على هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فى الخطبتين ولا تصح الخطبتان الا بذلك لانها عبادة وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالاذان والصلاة هذا مذهب الشافعى وأحمد رحمهما الله ومن ذلك انه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد حدثنا المقرى حدثنا حيوة عن أبى صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام تفرد به أبو داود وصححه النووى فى الاذكار

فقال (اذ قال ربك للملائكة) اذ هذه بدل من اذ يختصمون لاشتمال مافى حيز هذه على الخصومة وقيل هى منصوبة باضمار اذكر والاول اولى اذا كانت خصومة الملائكة فى شأن من يستخلف فى الارض واما اذا كانت فى غير ذلك مما تقدم ذكره فالثانى اولى (انى خالق) اى فيما سيأتى من الزمن (بشرا) اى جسما من جنس البشر وهو آدم عليه السلام ماخوذ من مباشرته للارض او من كونه بادى البشرة اى ظاهر الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر وقوله (من طين) متعلق بمحذوف هو صفة لبشرا أو بخالق ومعنى (فاذا سويته) صورته على صورة البشر وصارت أجزاؤه مستوية واتممته (ونفخت) اى أجريت (فيه من روحى) اى من الروح الذى املكه ولا يملكه غيرى وقيل هو تمثيل ولا نفخ ولا منفوخ فيه والمراد جعله حيا بعد ان كان جمادا لا حياة فيه ويأباه ظاهر النظم الكريم فالاول اولى وقدم الكلام عليه فى سورة النساء والنفخ اجراء الروح الى تجويف جسم صالح لامساكها واضافة الروح اليه تشريف لآدم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه وبه قال جمهور المتكلمين قاله الكرخى وقال النووى فى شرح مسلم انه الاصح عند أصحابنا وهو مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهى الحياة التى صار البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق للبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه ووافقهم على ذلك الغزالى والراغب واحتج للاول بوصفها فى الأخبار بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ اه وقيل جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء أو كسريان النار فى الفحم ذكره الخازن وأقول علم الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه ولا يعلمه أحد من خلقه كائنا من كان والخوض فى معرفته من فضول الاعمال ولغو الكلام وقد قال الله عز وجل قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا (فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع والسجود هنا هو سجود التحية لا سجود العبادة وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له ساجدين وقد مضى تحقيقه فى سورة البقرة (فسجد الملائكة) فى الكلام حذف تدل عليه الفاء والتقدير فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة (كلهم) يفيد انهم سجدوا جميعا ولم

ثم قال أبو داود حدثنا احمد بن صالح قال قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم تفرد به أبو داود أيضا وقد رواه الامام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووي أيضا وقد روي من وجه آخر عن علي رضي الله عنه قال القاضي اسمعيل بن اسحق في كتابه فضل الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا اسمعيل بن أبي أويس حدثنا جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن آخر من أهل بيته عن علي بن الحسين بن

علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا قال أحب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن ابي قال نعم فقال له علي بن الحسين اخبرني ابي عن جدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم في اسناده رجل مبهم لم يسم وقد روي من وجه آخر مرسلا قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن ابن علي قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني فلعله رآهم يسيؤن الادب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم وقد روي انه رأى رجلا ينتاب القبر فقال ياهذا ما انت ورجل بالاندلس منه الاسواء اي الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وقال الطبراني في معجمه الكبير حدثنا احمد بن رشد المصري حدثنا سعيد بن ابي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الاصبهاني حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هرون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال قال رسول الله صلى

يبق منهم احد وقوله (أجمعون) يفيد أنهم اجتمعوا على السجود في وقت واحد فالاول لقصد الاحاطة والثاني لقصد الاجتماع قال في الكشاف فأفاد امعا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد أنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات وقيل انه أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم وكان هذا السجود قبل دخول آدم الجنة أو بعده قولان (الا ابليس) الاستثناء متصل على تقدير انه كان متصفا بصفات الملائكة داخلا في عدادهم فغلبوا عليه أو منقطع على ما هو الظاهر من عدم دخوله فيهم أي لكن ابليس (استكبر) أي انف من السجود جهلا منه بانه طاعة لله (و) كان استكباره استكبار كفر فلذلك (كان من الكافرين) أي صار منهم لمخالفته لامر الله واستكباره عن طاعته أو كان من الكافرين في علم الله سبحانه وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في سورة البقرة والاعراف وبني اسرائيل والكهف وطه ثم ان الله سبحانه سأله عن سبب تركه للسجود الذي أمره به فـ(قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقرئ بالافراد أي ما صرفك وصدك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة أب وأم وأضاف خلقه الى نفسه تكريما له وتشريفا مع انه سبحانه خالق كل شئ كما أضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد قال مجاهد اليد هنا بمعنى التأكيد والصلة مجازا كقوله ويبقى وجه ربك وقيل أراد باليد القدرة يقال مالي بهذا الامر يد ومالي به يدان أي قدرة وقيل التثنية في اليد للدلالة على انها ليست بمعنى القوة والقدرة بل للدلالة على انهما صفتان من صفات ذاته سبحانه وهو الاولى وقيل التثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ وما في قوله لما خلقت هي المصدرية أو الموصولة وقرئ لما بالتشديد مع فتح اللام على انها ظرف بمعنى حين كما قال أبو علي الفارسي وعن عبد الله بن عمر قال خلق الله أربعا بيده العرش وجنة عدن والقلم وآدم أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي وعن عبد الله بن الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الاسماء والصفات (أستكبرت) قرئ بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وتقريع فتكون أم في قوله (أم كنت) متصلة أي أتركت السجود لاستكبارك

الله عليه وسلم أرأيت قول الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال ان هذا من المكتوم ولولا انكم سألتموني عنه ما أخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لا اذكر عند عبد مسلم فيصلي على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا يصلي على أحد الا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين غريب جدا واسناده به ضعف شديد وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب فاما الحديث الآخر من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد بلغته ففي اسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا قال أصحابنا ويستحب للمحرم اذا لبى وفرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال وقال اسمعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الاجدع قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك اسناد جيد حسن قوي وقالوا ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا أذكر الا ذكرت معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي

لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر وقرئ بألف الوصل فتكون أم منقطعة والمعنى استكبرت عن السجود الذي أمرت به بل أكنت (من العالين) أي المستحقين للترفع عن طاعة أمر الله المتعالين عن ذلك وجملة (قال أنا خير منه) مستأنفة جواب سؤال مقدر ادعى اللعين لنفسه انه خير من آدم أي ولو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان أسجد له فكيف وأنا خير منه وفي ضمن كلامه هذا ان سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) وفي زعمه ان عنصر النار أشرف من عنصر الطين وأفضل منه لان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعدها منه وأيضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية وهما خير منهما وذهب عنه ان النار انما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين ان احتيج اليها استدعيت كما يستدعى الخادم وان استغنى عنها طردت وأيضا فالطين يستولي على النار فيطفيها وأيضا فهي لا توجد الا بما أصله من عنصر الارض وان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام نابت كالانسان والشجرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا يوازيها شيء من شرف العناصر وذلك ان الله تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر بالسجود له والجواهر في أنفسها متجانسة وانما تشرف بعارض من عوارضها (قال فاخرج منها) مستأنفة كالتي قبلها أي فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وقيل من الخلقة التي كنت عليها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وهذا يدل على أنه لم يكن كافرا حين كان بين الملائكة ولان الله تعالى لم يحك عنه الا الاستكبار عن السجود فهذا دليل على أنه صار كافرا حين لم يسجد ذكره الطيبي ثم علل أمره بالخروج بقوله (فانك رجيم) أي مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير ملعون بترك أمره (وان عليك لعنتي الى يوم الدين) أي طردي لك عن الرحمة وابعادي لك منها الى يوم الجزاء فاخبر الله سبحانه وتعالى ان تلك اللعنة مستمرة له دائمة عليه ما دامت الدنيا ثم في الآخرة يلقى من أنواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق وليس المراد أن اللعنة تزول عنه في الآخرة بل هو ملعون أبدا ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسى عنده اللعنة ويذهل

هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني في اسناده ضعف فان وهما عمرو بن هرون
وشيخه والله أعلم وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين
الاذن ان صح الخبر في ذلك على ان الامام ابابكر محمد بن اسحق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن
محمد بن عبيد الله عن علي بن ابي رافع عن ابيه عن ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طنت اذن احدكم فليذكرني
وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير (١٣٠) اسناده غريب وفي ثبوته نظر والله اعلم * (مسئلة) * وقد استحب اهل الكتابة ان
يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم كلما كتبه وقد ورد
في الحديث من طريق كادح بن
رحمة عن نهشل عن الضحاك عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمي
في ذلك الكتاب وليس هذا الحديث
بصحيح من وجوه كثيرة وقد روي
من حديث ابي هريرة ولا يصح
ايضا قال الحافظ ابو عبد الله الذهبي
شيخنا حسبه موضوعا وقد روي
نحوه عن ابي بكر وابن عباس ولا
يصح من ذلك شيء والله اعلم وقد ذكر
الخطيب البغدادي في كتابه الجامع
لآداب الراوي والسامع
قال رايت بخط الامام احمد بن
حنبل رحمه الله كثيرا مايكتب اسم
النبي صلى الله عليه وسلم من غير
ذكر الصلاة عليه كتابة قال وبلغني
انه كان يصلي عليه لفظا (فصل) واما
الصلاة على غير الانبياء فان
كانت على سبيل التبعية كما تقدم في
الحديث اللهم صل على محمد وآله
وازواجه وذريته فهذا جائز
بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا
افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم وبقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وبحديث
عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم
صل على آل ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وبحديث جابر ان امرأته قالت يارسول الله صل علي وعلى زوجي فقال صلى الله عليك وعلى
زوجك قال الجمهور من العلماء لايجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا

عند الوقوع فيه منها صارت كأنها لم تكن بجنب مايكون فيه (قال رب فانظرني)
مستأنفة كما تقدم فيما قبلها أي أمهلني وأخرني ولا تعاجلني (الى يوم يبعثون) يعني
آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره (قال
فانك من المنظرين) أي الممهلين (الى يوم الوقت المعلوم) الذي قدره الله لفناء الخلائق
وهو عند النفخة الآخرة وقيل هو النفخة الاولى قيل انما طلب ابليس الانظار الى يوم
البعث ليتخلص من الموت لانه اذا أنظر الى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء
البعث لايموت فحينئذ يتخلص من الموت فاجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده
وهو الانظار الى يوم الوقت المعلوم وهو الذي يعلمه الله ولا يعلمه غيره فلما سمع اللعين انظار الله
له الى ذلك الوقت (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) فاقسم بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين
الشهوات والمعاصي لهم وادخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا ولا ينافيه قوله
تعالى فيما أغويتني فان اغواءه تعالى اياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من
أحكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعا فحكى تارة
قسمه باحداهما وأخرى باخرى ثم لما علم ان كيده لاينجع الا في أتباعه وأحزابه من أهل
الكفر والمعاصي استثنى من لايقدر على اضلاله ولا يجد السبيل الى اغوائه فقال (الا
عبادك منهم المخلصين) أي الذين أخلصتهم لطاعتك وعصمتهم مني وقد تقدم تفسير هذه
الآيات في سورة الحجر وغيرها (قال فالحق والحق أقول) مستأنفة كالجمل التي قبلها
قرأ الجمهور بنصب الحق في الموضعين على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب
أو هما منصوبان على الاغراء أي الزموا الحق أو مصدران مؤكدان لمضمون قوله
(لاملأن جهنم) وقرئ برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول على أنه مبتدأ وخبره مقدر
أي فالحق مني أو فالحق أنا أو خبره لاملأن أو هو خبر مبتدا محذوف وأما نصب الثاني
فبالفعل المذكور بعده أي وأنا أقول الحق وأجاز الفراء وأبو عبيد أن يكون منصوبا بمعنى
حقا لاملأن جهنم واعترض عليهما بأن مابعد اللام مقطوع عما قبلها وروي عن
الفراء وسيبويه أيضا أن المعنى فالحق أن أملأ جهنم وروي عن ابن عباس ومجاهد
أنهما قرآ برفعهما فرفع الاول على ماتقدم ورفع الثاني بالابتداء وخبره الجملة المذكورة
بعده

يقال قال ابو بكر صلى الله عليه او قال على صلى الله عليه وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عزوجل وان كان عزيزا جليلا
لان هذا من شعار ذكر الله عزوجل وحملوا ما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل ابى اوفى ولا لجابر
وامرأته وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار أهل الاهواء يصلون على من
يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم فى ذلك والله أعلم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف
الاولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووى فى كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذى عليه
الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه
لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن
شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه
نهى مقصود قال أصحابنا والمعتمد فى
ذلك ان الصلاة صارت مخصوصة فى
لسان السلف بالانبياء كما ان قولنا
عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما
لا يقال محمد عزوجل وان كان
عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو على
صلى الله عليه هذا لفظه بحروفه
قال وأما السلام فقال الشيخ أبو
محمد الجوينى من أصحابنا هو فى
معنى الصلاة فلا يستعمل فى
الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا
يقال على عليه السلام وسواء فى
هذا الاحياء والاموات وأما
الحاضر فيخاطب به فيقال سلام
عليك وسلام عليكم أو السلام
عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه
انتهى ما ذكره قلت وقد غلب
هذا فى عبارة كثير من النساخ
للكتب ان يفرد على رضى الله عنه
بان يقال عليه السلام من دون سائر
الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا
وان كان معناه صحيحا لكن ينبغى
أن يسوى بين الصحابة فى ذلك فان
هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال اسمعيل القاضى حدثنا
عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنى عثمان بن حكيم بن عبادة بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال
لا تصلح الصلاة على أحد الا على النبى صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبى
شيبة حدثنا حسين بن على عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا
بعمل الآخرة وان ناسا من القصاص قد أحدثوا فى الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فاذا

بعده والعائد محذوف وقرئ بخفضهما على تقدير حرف القسم قال الفراء كما يقول الله
عزوجل لافعلن كذا وغلطه أبو العباس ثعلب وقال لا يجوز الخفض بحذف مضمر
وقيل جملة لاملأن جواب القسم على قراءة الجمهور وجملة والحق أقول معترضة بين
القسم وجوابه (منك) أى من جنسك من الشياطين (وممن تبعك منهم) أى من ذرية آدم
فأطاعوك اذ دعوتهم الى الضلال والغواية و (أجمعين) تأكيد للمعطوف والمعطوف
عليه وجوز الزمخشرى أن يكون تأكيدا للضمير فى منهم خاصة أى لاملأن جهنم من
الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس ثم أمر الله سبحانه
رسوله أن يخبرهم بأنه انما يريد بالدعوة الى الله امتثال أمره لا عرض الدنيا الزائل فقال
(قل ما أسألكم عليه من أجر) الضمير فى عليه راجع الى تبليغ الوحى ولم يتقدم له ذكر
ولكنه مفهوم من السياق وقيل هو عائد الى ما تقدم من قوله أأنزل عليه الذكر من بيننا
وقيل الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الدعاء الى الله على العموم فيشمل القرآن وغيره
من الوحى ومن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ما أطلب منكم من جعل
تعطونيه عليه قال ابن عباس قل يا محمد ما أسألكم على ما أدعوكم اليه من أجر عرض دنيا
(وما أنا من المتكلفين) أى المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول
القرآن من تلقاء نفسى وأقول ما لا أعلم أو أدعوكم الى غير ما أمرنى الله بالدعوة اليه
والتكلف التصنع وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن مسروق قال بينما رجل يحدث فى
المسجد فقال فيما يقول يوم تأتى السماء بدخان مبين قال دخان يكون يوم القيامة يأخذ
باسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام قال فقمنا حتى دخلنا على عبد الله
وهو فى بيته وكان متكئا فاستوى قاعدا فقال يا أيها الناس من علم منكم علما فليقل به
ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول العالم بما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى
لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وأخرج
البخارى عن عمر قال نهينا عن التكلف وأخرج الطبرانى والحاكم والبيهقى عن سلمان
قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نتكلف للضيف (ان هو الا ذكر للعالمين) أى
ما هذا القرآن أو الوحى أو ما أدعوكم اليه الا ذكر من الله عزوجل للجن والانس العقلاء

جامع كتابي هذا فرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوى ذلك أثر حسن قال اسمعيل القاضي
حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه بن وهب ان كعبا
دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب مامن فجر يطلع الانزل سبعون الفا من الملائكة
حتى يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت
عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة (١٣٢) يزفونه *(فرع)* قال النووي اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع
بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على احدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فالاولى ان يقال صلى الله عليه وسلم تسليما (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) يقول تعالى متهددا ومتوعدا من أذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره واصراره على ذلك وايذاء رسوله بعيب او بنقص عياذا بالله من ذلك قال عكرمة في قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله نزلت في المصورين وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر أقلب ليله ونهاره ومعنى هذا ان الجاهلية كانوا
يقولون ياخيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون افعال الله تعالى الى الدهر ويسبونه وانما الفاعل لذلك هو الله عزوجل اى
فنهى عن ذلك هكذا قرره الشافعي وابو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يؤذون الله
ورسوله نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب والظاهر ان الآية عامة في كل من
آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما ان من اطاعه فقد اطاع الله كما قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ابراهيم بن سعد عن عبيدة
ابن أبي رائطة الحذاء التميمي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي

دون الملائكة لان المراد بالذكر الموعظة والتخويف وتذكير العواقب وهذا انما يناسب المكلفين وهم الثقلان فقط تأمل (ولتعلمن) أيها الكفار (نبأه) أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو ما أخبر به من الدعاء الى الله وتوحيده والترغيب الى الجنة والتحذير من النار (بعد حين) قال قتادة والزجاج والفراء بعد الموت وقال عكرمة وابن زيد يوم القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك لما ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال السدي وذلك يوم بدر وقيل عند ظهور الاسلام وفشوه وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وفيه من التهديد ما لا يخفى

(سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف هي اثنتان وسبعون آية وقيل خمس وسبعون آية وهي مكية)

في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال نزلت بمكة سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الثلاث الآيات وقال آخرون الاسبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين الى آخر السبع وأخرج النسائي عن عائشة قالت كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نقول ما يريد ان يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر وأخرجه الترمذي عنها بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب) ارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف هو اسم اشارة أي هذا تنزيل وقال أبو حيان ان المبتدأ المقدر لفظ هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كأنه قيل وهذا الذكر ماهو فقيل هو تنزيل الخ وقيل ارتفاعه على انه مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده أي تنزيل كائن من الله العزيز والى هذا ذهب الزجاج والفراء وأجاز الفراء والكسائي النصب على أنه مفعول به لفعل مقدر أي اتبعوا أو اقرؤا تنزيل الكتاب وقال الفراء يجوز نصبه على الاغراء اى الزموا والكتاب هو القرآن (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف أو متعلق بمحذوف على أنه حال عمل فيه اسم الاشارة المقدر (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق)

لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقد رواه الترمذى من حديث عبيدة بن أبى رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
المغفل به ثم قال وهذا حديث غريب لانعرفه الامن هذا الوجه وقوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا
أى ينسبون اليهم ماهم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وهذا هو البهت البين ان يحكى أو ينقل عن
المؤمنين والمؤمنات مالم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ومن اكثر من يدخل فى هذا الوعيد الكفرة بالله
ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون
الصحابة ويعيبونهم بماقد برأهم
الله منه ويصفونهم بنقيض ما اخبر
الله عنهم فان الله عزوجل قد اخبره
انه قد رضى عن المهاجرين والانصار
ومدحهم وهؤلاء الجهلة الاغبياء
يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون
عنهم مالم يكن ولافعلوه ابدا فهم فى
الحقيقة منكسو القلوب يذمون
الممدوحين ويمدحون المذمومين
وقال ابوداود حدثنا القعنبى حدثنا
عبد العزيز يعنى ابن محمد عن العلاء
عن ابيه عن ابى هريرة انه قيل
يارسول الله ما الغيبة قال ذكرك
اخاك بما يكره قيل افرأيت ان كان
فى اخى ما اقول قال ان كان فيه
ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه
ماتقول فقد بهته وهكذا رواه
الترمذى عن قتيبة عن الدراوردى
به ثم قال حسن صحيح وقد قال ابن
ابى حاتم حدثنا احمد بن سلمة حدثنا
ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام
عن عمار بن انس عن ابن ابى مليكة
عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه اى الربا
اربى عند الله قالوا الله ورسوله أعلم
قال أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا (ياأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا
رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الاقليلا ملعونين أينما
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم
تسليما ان يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بان يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية

اى أنزلناه بسبب الحق واثباته واظهاره أو متلبسين بالحق أو متلبسا او بداعية الحق
واقتضائه للانزال والمراد كل مافيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع
التكاليف قال مقاتل يقول لم ننزله باطلا لغير شئ وهذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان
للكتاب والثانى لبيان مافى الكتاب أو المراد بالثانى هو الاول واظهاره لتعظيمه ومزيد
الاعتناء بشأنه (فاعبد الله مخلصا له الدين) الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها أى ممحضا له
الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه
الله سبحانه والدين العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وانه لاشريك له وفى الآية دليل
على وجوب النية واخلاصها عن الشوائب لان الاخلاص من الامور القلبية التى
لاتكون الا باعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة ان ملاك الامر فى الاقوال والافعال
النية كما فى حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لاقول ولا عمل الا بالنية (ألا لله
الدين الخالص) مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص أى أن الدين الخالص
من شوائب الشرك وغيره هو لله وماسواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذى
أمر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقد أخرج ابن مردويه عن يزيد
الرقاشى ان رجلا قال يارسول الله انا نعطى اموالنا التماس الذكر فهل لنا فى ذلك من أجر
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا قال يارسول الله انما نعطى التماس الاجر والذكر
فهل لنا أجر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لايقبل الا ما أخلص له ثم تلا
هذه الآية وقال الحسن الدين الاسلام ولما أمر سبحانه بعبادته على وجه
الاخلاص وان الدين الخالص له لا لغيره بين بطلان الشرك الذى هو مخالف للاخلاص
وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الموصول عبارة من المشركين ومحله الرفع على
الابتداء وخبره قوله ان الله يحكم بينهم وجملة (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فى محل
نصب على الحال بتقدير القول والاستثناء مفرغ من أعم العلل والمعنى والذين لم يخلصوا
العبادة لله بل شابوها بعبادة غيره قائلين مانعبدهم لشئ من الاشياء الا ليقربونا الى الله
تقريبا فالزلفى اسم أقيم مقام المصدر والضمير فى نعبدهم راجع الى الاشياء التى كانوا
يعبدونها من الملائكة وعيسى والاصنام وهم المرادون بالاولياء والمراد بالزلفى الشفاعة
كما حكاه الواحدى عن المفسرين قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن

وسمات الاماء والجلباب هو الرداء فوق الخمار قاله ابن مسعود وعبيدة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وابراهيم النخعى وعطاء الخراسانى وغير واحد وهو بمنزلة الازار اليوم قال الجوهرى الجلباب الملحفة قالت امرأة من هذيل ترثى قتيلا لها تمشى النسور اليه وهى لاهية * مشى العذارى عليهن الجلابيب قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب و يبدين عينا واحدة وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن قول الله عز وجل يدنين عليهن من جلابيبهن فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطى ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهرانى فيما كتب الى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن ام سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الانصار كأن على رؤسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنى الليث حدثنا يونس بن يزيد قال وسألناه يعنى الزهرى هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة قال عليها الخمار ان كانت متزوجة وتنهى عن الجلباب لانه يكره لهن ان يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وروى عن سفيان الثورى انه قال لا بأس بالنظر الى زينة نساء أهل الذمة وانما نهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله تعالى ونساء المؤمنين وقوله ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين أى اذا فعلن ذلك عرفن انهن حرائر لسن باماء ولا عواهر قال السدى فى قوله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام الى طريق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فاذا كان الليل خرج النساء الى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن فاذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها واذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها وقال مجاهد يتجلببن فيعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق باذى ولا ريبة وقوله

خلق السموات والارض ومن انزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم مامعنى عبادتكم للاصنام قالوا ليقربونا الى الله زلفى و يشفعوا لنا عنده قال الكلبى جواب هذا الكلام قوله فى سورة الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (ان الله يحكم بينهم) أى بين أهل الاديان يوم القيامة فيجازى كلا بما يستحقه فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار وقيل بين المخلصين للدين و بين الذين لم يخلصوا وحذف الاول لدلالة الحال عليه وقيل بين المتنازعين من الفريقين (فيما هم فيه يختلفون) أى فى الذى اختلفوا فيه من الدين بالتوحيد والشرك فان كل طائفة تدعى أن الحق معها (ان الله لا يهدى) أى لا يرشد لدينه ولا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب) فى زعمه ان الآلهة تقربه الى الله (كفار) أى كفر باتخاذها آلهة وجعلها شركاء لله لانه فاقد للبصيرة غير قابل للاهتداء لتغييره الفطرة بالتمرن فى الضلال والتمادى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه والكفار صيغة المبالغة تدل على ان كفر هؤلاء قد بلغ الى الغاية وقرأ الحسن والاعرج كذاب على صيغة المبالغة ككفار ورويت هذه عن أنس (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) هذا مقرر لما سبق من ابطال قول المشركين بان الملائكة بنات الله لتضمنه استحالة الولد فى حقه سبحانه على الاطلاق فلو أراد أن يتخذ ولدا لامتنع اتخاذ الولد حقيقة ولم يتأت ذلك الا بان يصطفى (مما يخلق) أى يختار من جملة خلقه (ما يشاء) أن يصطفيه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له ولا يصح أن يكون المخلوق ولدا للخالق لعدم المجانسة بينهما فلم يبق الا أن يصطفيه عبدا كما يفيده التعبير بالاصطفاء مكان الاتخاذ فمعنى الآية لو أراد أن يتخذ ولدا لوقع منه شىء ليس هو من اتخاذ الولد بل انما هو من الاصطفاء لبعض مخلوقاته ولهذا نزه سبحانه نفسه عن اتخاذ الولد على الاطلاق فقال (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وجملة (هو الله الواحد) مبينة لتنزهه بحسب الصفات بعد تنزهه بحسب الذات أى هو المستجمع لصفات الكمال المتوحد فى ذاته فلا مماثل له (القهار) لكل مخلوقاته ومن كان متصفا بهذه الصفات استحال وجود الولد فى حقه لان الولد مماثل لوالده ولا مماثل له سبحانه ومثل هذه الآية قوله سبحانه لو اردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا والآية اشارة الى قياس استثنائى حذفت صغراه ونتيجته تقريرهما لكنه لم

يصطفى أى لم يتخذ ولدا غير من قالوا فى شأنه انه ابن الله وهذا النفى باعترافهم شامل لسائر الخلائق فلم يرد اتخاذ الولد تأمل ثم لما ذكر سبحانه كونه منزها عن الولد بكونه الها واحدا قهارا ذكر ما يدل على ذلك من صفاته فقال (خلق السموات والارض بالحق) أى لم يخلقهما باطلا لغير شئ ومن كان هذا الخالق العظيم خلقه استحال أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد ثم بين كيفية تصرفه فى السموات والارض فقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) التكوير فى اللغة طرح الشئ بعضه على بعض يقال كور المتاع اذا ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة فمعنى تكوير الليل على النهار تغشيته اياه حتى يذهب ضوؤه ومعنى تكوير النهار على الليل تغشيته اياه حتى تذهب ظلمته وهو معنى قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا هكذا قال قتادة وغيره وقال الضحاك أى يلقى هذا على هذا وهذا على هذا وهو مقارب للقول الاول وقيل معنى الآية ان ما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل وهو معنى قوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل المعنى ان هذا يكر على هذا وهذا يكر على هذا كرورا متتابعا قال الراغب تكوير الشئ ادارته وضم بعضه على بعض ككور العمامة اهـ وقيل التكوير اللف واللى وقال ابن عباس يكور يحمل والاشارة بهذا التكوير المذكور فى الآية الى جريان الشمس فى مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما قال الرازى ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفى كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا ثم ذكر تسخيره لسلطان النهار وسلطان الليل وهما الشمس والقمر فقال (وسخر الشمس والقمر) أى جعلهما منقادين لامره بالطلوع والغروب لمنافع العباد ثم بين كيفية هذا التسخير فقال (كل يجرى لاجل مسمى) أى يجرى فى فلكه الى أن تنصرم الدنيا وذلك يوم القيامة وقد تقدم الكلام على الاجل المسمى لجريهما مستوفى فى سورة يس (الا هو العزيز الغفار) الا حرف تنبيه وتصدير الجملة بها لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والمعنى تنبهوا أيها العباد فالله هو الغالب الساتر لذنوب خلقه بالمغفرة ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته وبديع صنعته فقال (خلقكم من نفس واحدة) وهى نفس آدم (ثم جعل منها زوجها) جاء بثم للدلالة على ترتب خلق حواء

تعالى وكان الله غفورا رحيما أى لما سلف فى أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر والذين فى قلوبهم مرض قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا والمرجفون فى المدينة يعنى الذين يقولون جاء الاعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا الى الحق لنغرينك بهم قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى لنسلطنك عليهم وقال قتادة لنحرشنك بهم وقال السدى لنعلمنك بهم ثم لا يجاورونك فيها أى فى المدينة الا قليلا ملعونين حال منهم فى مدة اقامتهم فى المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين

أينما ثقفوا أى وجدوا أخذوا لذلتهم وقلتهم وقتلوا تقتيلا ثم قال تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل أى هذه سنته فى المنافقين اذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه ان أهل الايمان يسلطون عليهم ويقهرونهم ولن تجد لسنة الله تبديلا أى وسنة الله فى ذلك لا تبدل ولا تغير (يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) يقول تعالى مخبرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه انه لا علم له بالساعة وان سأله الناس عن ذلك وأرشده ان يرد علمها الى الله عز وجل كما قال الله تعالى فى سورة الاعراف وهى مكية وهذه مدنية فاستمر الحال فى رد علمها الى الذى يقيمها لكن أخبره انها قريبة بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقال اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه ثم قال ان الله لعن الكافرين أى أبعدهم من رحمته وأعد لهم سعيرا أى فى الدار الآخرة خالدين فيها أى ماكثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها لا يجدون وليا ولا نصيرا أى وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه ثم قال يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا أى يسحبون فى النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون لو كانوا فى الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم فى حال

العرصات بقوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن
الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا أخبر عنهم في حالتهم
هذه انهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وقال
طاوس سادتنا يعني الاشراف وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الامراء والكبراء من المشيخة وخالفنا
الرسل واعتقدنا أن عندهم شيأ وانهم على شيء فاذا هم ليسوا على شيء ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي بكفرهم

واغوائهم ايانا والعنهم لعنا كبيرا
قرأ بعض القراء بالباء الموحدة وقرأ
آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبا
المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو
ان أبا بكر قال يا رسول الله علمني
دعاء أدعو به في صلاتي قال قل اللهم
اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر
الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من
عندك وارحمني انك أنت الغفور
الرحيم أخرجاه في الصحيحين يروى
كثيرا وكبيرا وكلاهما بمعنى صحيح
واستحب بعضهم أن يجمع الداعي
بين اللفظين في دعائه وفي ذلك نظر
بل الاولى أن يقول هذا تارة وهذا
تارة كما ان القارئ مخير بين
القراءتين أيهما قرأ أحسن وليس
له الجمع بينهما والله أعلم وقال أبو
القاسم الطبراني حدثنا محمد بن
عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن
صرد حدثنا علي بن هشام عن عبيد
الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية
من شهد مع علي رضي الله عنه
الحجاج بن عمرو ابن غزية وهو الذي
كان يقول عند اللقاء يا معشر
الانصار أتريدون ان تقولوا لربنا
اذا لقيناه ربنا انا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان الرحم
عند الله وجيها) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد
وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا وذلك قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها هكذا أورد هذا الحديث ههنا مختصرا جدا وقد رواه
في أحاديث الانبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام كان رجلا حييا

على خلق آدم وتراخيه عنه لانها خلقت منه والعطف اما على مقدر وهو صفة لنفس قال
الفراء والزجاج التقدير خلقكم من نفس خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها ويجوز ان
يكون العطف على معنى واحدة أي من نفس انفردت بالايجاد ثم جعل الخ والتعبير
بالجعل دون الخلق مع العطف بثم للدلالة على ان خلق حواء من ضلع آدم أدخل في كونه
آية باهرة دالة على كمال القدرة لان خلق آدم هو على عادة الله المستمرة في خلقه وخلقها على
الصفة المذكورة لم تجر به عادة لكونه لم يخلق سبحانه انثى من ضلع رجل غيرها وقد تقدم
تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الاعراف ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته الباهرة
وافعاله الدالة على ما ذكر فقال (وأنزل لكم من الانعام) عبر بالانزال لما روى انه خلقها في
الجنة ثم أنزلها فيكون الانزال حقيقة كما قيل في قوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم
لما أهبط الى الارض أنزل معه الحديد ويحتمل أن يكون مجازا لانها لم تعش الا بالنبات
والنبات انما يعيش بالماء والماء منزل من السماء كانت الانعام كأنها منزلة لان سبب سببها
منزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد أنزلنا عليكم لباسا وقيل ان أنزل بمعنى
أنشأ وجعل أو بمعنى أعطى وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق انما يكون بأمر ينزل من
السماء (ثمانية أزواج) هي ما في قوله من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين
ومن المعز اثنين ويعني بالاثنين في الاربعة المواضع الذكر والانثى والزوج ما معه آخر من
جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل فيطلق لفظ الزوج على المفرد اذا كان معه آخر من
جنسه لا ينفك عنه ويحصل منهما النسل وكذا يطلق على الاثنين فهو مشترك والمراد هنا
الاطلاق الاول وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الانعام ثم بين سبحانه نوعا آخر من
قدرته البديعة فقال (يخلقكم في بطون امهاتكم) قرأ حمزة بكسر الهمزة والميم وقرأ
الكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم وانما قال في بطون
امهاتكم مع ان الانسان والحيوان مشترك في هذا الخلق لتغليب من يعقل ولشرف
الانسان على سائر الخلق (خلقا) كائنا (من بعد خلق) الجملة استئنافية لبيان ما تضمنته
من الاطوار المختلفة في خلقهم وخلقا مصدر مؤكد للفعل المذكور ومن بعد خلق صفة له
قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما وقال ابن زيد خلقكم خلقا في
بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم (في ظلمات ثلاث) هي ظلمة البطن وظلمة

الرحم وظلمة المشيمة قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل وقال أبو عبيدة ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الاعرابى يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحذف الياء ومشايم ويقال لها من غيره السلى والاشارة بقوله (ذلكم الله ربكم) اليه سبحانه باعتبار افعاله السابقة والاسم الشريف خبره وربكم خبر آخر (له الملك) الحقيقى فى الدنيا والآخرة لاشركة لغيره فيه وهو خبر ثالث وقوله (لا اله الا هو) خبر رابع (فانى تصرفون) أى فكيف تصرفون عن عبادته وتنقلبون عنها الى عبادة غيره أو تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ولما ذكر سبحانه النعم التى أنعم بها على عباده وبين لهم من بديع صنعه وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل ان يؤمن به عقبه بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) أى غير محتاج اليكم ولا الى ايمانكم ولا الى عبادتكم له فانه الغنى المطلق (و) مع كون كفر الكافر لا يضره كما انه لا ينفعه ايمان المؤمن فهو أيضا (لا يرضى لعباده الكفر) أى لا يرضى لاحد من عباده الكفر ولا يحبه ولا يأمر به ولا يفعل فعل الراضى بان يأذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ لا يخرج شئ عنها قال أبو السعود عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به انتهى ومثل هذه الآية قوله ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ومثلها ما ثبت فى صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب أفجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ وقد اختلف المفسرون فى هذه الآية هل هى على عمومها وان الكفر غير مرضى لله سبحانه على كل حال كما هو الظاهر أو هى خاصة والمعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وقد ذهب الى التخصيص حبر الامة ابن عباس رضى الله تعالى عنه وتابعه على ذلك عكرمة والسدى وغيرهما ثم اختلفوا فى الآية اختلافا آخر فقال قوم انه يريد كفر الكافر ولا يرضاه وقال الآخرون انه لا يريده ولا يرضاه والكلام فى تحقيق مثل هذا يطول جدا وقد استدل القائلون بتخصيص هذه الآية والمثبتون للارادة مع عدم الرضا بما ثبت فى آيات كثيرة من الكتاب

ستيرا لا يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر الا من عيب فى جلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله عز وجل أراد ان يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عز وجل وابرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا قال فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخارى دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم وخلاس ومحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شئ استحياء منه ثم ساق الحديث كما رواه البخارى مطولا ورواه عبد فى تفسيره عن روح عن عوف به ورواه ابن جرير من حديث الثورى عن جابر الجعفى عن عامر الشعبى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو هذا وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث عن ابن عباس فى قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قال قومه له انك آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بنى اسرائيل قال فرأوه وليس بآدر فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما سواء وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الادمى قالا حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن على ابن زيد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان موسى عليه السلام رجلا حييا وانه أتى أحسبه قال الماء ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبدو عورته فقال بنو اسرائيل ان موسى آدر أو به آفة يعنون انه لا يضع ثيابه فاحتملت الصخرة

ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بنى اسرائيل فنظروا الى موسى كأحسن الرجال أو كما قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وكان عند
الله وجيها وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس عن على بن أبي طالب رضى الله عنهم فى قوله فبرأه الله مما قالوا قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون
عليه السلام فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فآذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته
فمروا به على مجالس بنى اسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره الا الرخم وان الله جعله أصم ابكم وهكذا رواه ابن
جرير عن على بن موسى الطوسى
عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز
أن يكون هذا هو المراد بالاذى
وجائز أن يكون الاول هو المراد فلا
قول أولى من قول الله عز وجل
(قلت) يحتمل أن يكون الكل مرادا
وأن يكون معه غيره والله أعلم قال
الامام أحمد حدثنا أبو معاوية
حدثنا الاعمش عن شقيق عن
عبد الله قال قسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم قسما فقال
رجل من الانصار ان هذه لقسمة
ما أريد بها وجه الله قال فقلت
يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما قلت فذكرت
ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاحمر
وجهه ثم قال رحمة الله على موسى
لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر
أخرجاه فى الصحيحين من حديث
سليمان بن مهران الاعمش به طريق
أخرى حدثنا حجاج سمعت اسرائيل
ابن يونس عن الوليد بن أبى هشام
مولى همدان عن زيد بن زائد
عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه لا يبلغنى أحد من أصحابى
عن أحد شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال
فقسمه قال فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالا
ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انك قلت لنا لا يبلغنى أحد عن أصحابى شيأ وانى مررت بفلان وفلان
وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر
وقد رواه أبو داود فى الادب عن محمد بن يحيى الذهلى عن محمد بن يوسف الفريابى عن اسرائيل عن الوليد بن أبى هشام به مختصرا

العزيز انه سبحانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء وما تشاؤن الا أن يشاء الله ونحو هذا مما
يؤدى معناه كثير فى الكتاب العزيز قال ابن عباس فى قوله ان تكفروا الخ يعنى الكفار
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فيقولون لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم
عباده المخلصون الذين قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة ان لا اله الا
الله وحببها اليهم أخرجه ابن جرير فيكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب
بها عباد الله يريد بعض العباد وقال عكرمة لا يرضى لعباده المسلمين الكفر وعن قتادة قال
والله مارضى الله لعبد ضلالته ولا أمره بها ولا دعاه اليها ولكن رضى لكم طاعته وأمركم
بها ونهاكم عن معصيته ثم لما ذكر سبحانه انه لا يرضى لعباده الكفر بين انه يرضى لهم
الشكر فقال (وان تشكروا يرضه لكم) أى يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله وان
تشكروا اى يثبكم عليه وانما رضى لهم سبحانه الشكر لانه سبب سعادتهم فى الدنيا والآخرة
كما قال سبحانه ولئن شكرتم لأزيدنكم لا لانتفاعه به قرئ باسكان الهاء من يرضه وباشباع
الضمة على الهاء واختلاس الباقون والقرآت كلها سبعية (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى
لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره أصلا
وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما
كنتم تعملون) من خير وشر وفيه تهديد شديد (انه عليم بذات الصدور) أى بما تضمره
القلوب وتستره فكيف بما تظهره وتبديه وهذا تعليل للتنبيه بالاعمال (واذا مس
الانسان ضر) أى ضر كان فى جسمه أو ماله أو أهله أو ولده من بلاء ومرض أو فقر
أو خوف أو شدة لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده والمس فى الأعراض مجاز وجواب اذا
قوله (دعا ربه منيبا اليه) أى راجعا اليه مستغيثا به فى دفع ما نزل به تاركا لما كان يدعوه
و يستغيث به من ميت أو حى أو صنم أو غير ذلك فى حال الرخاء لعلمه بانها بمعزل عن القدرة
على كشف ضره (ثم اذا خوله نعمة منه) أى أعطاه وملكه يقال خوله الشئ أى ملكه اياه
ولا يستعمل فى الجزاء بل فى ابتداء العطية (نسى ما كان يدعوا اليه من قبل) أى نسى الضر
الذى كان يدعو الله الى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله وقيل نسى الدعاء الذى كان
يتضرع به وتركه أو نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه ثم جاوز ذلك الى الشرك بالله وهو
معنى

لا يبلغني أحد عن أحد شيأ اني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي سواء الا أنه قال زيد بن زائدة ورواه أيضا عن محمد بن اسمعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن اسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصرا أيضا فزاد في اسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى وكان عند الله وجيها أي له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيأ الا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله انه شفع في أخيه هرون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وان يعبدوه عبادة من كانه يراه وان يقولوا قولا سديدا اي مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم انهم اذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بان يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للاعمال الصالحة وان يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وذلك انه يجار من نار الجحيم ويصير الى النعيم المقيم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد عن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أومأ الينا بيده فجلسنا فقال ان الله تعالى أمرني أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا ثم أتى النساء فقال ان الله أمرني أن آمركن أن تتقين الله وتقلن قولا سديدا وقال ابن ابي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر الا سمعته يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا الآية غريب جدا وروى عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله قال عكرمة القول السديد لا اله الا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين

معنى قوله (وجعل لله أندادا) أي شركاء من الاصنام أو غيرها يستغيث بها أو يعبدها وقال السدي يعني أندادا من الرجال يعتمد عليهم في جميع اموره (ليضل عن سبيله) أي ليضل الناس عن طريق الله التي هي الاسلام والتوحيد قرأ الجمهور بضم الياء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان واللام للعاقبة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يهدد من كان متصفا بتلك الصفة فقال (قل تمتع بكفرك قليلا) أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فمتاع الدنيا قليل قال الزجاج لفظه لفظ الامر ومعناه التهديد والوعيد وفيه اشعار بان الكفر نوع تشهه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من أصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة أي مصيرك اليها عن قريب وانك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من التهديد أمر عظيم قيل نزلت في عتبة ابن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر وهو الاوفق بقواعد الشريعة ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند اندفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين فقال (أمن هو قانت) هذا الى آخره من تمام الكلام المأمور به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أذلك الكافر أحسن حالا ومآلا أمن هو قائم بطاعات الله في السراء والضراء في ساعات الليل مستمر على ذلك غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضرر به قرئ أمن بالتشديد وبالتخفيف فعلى القراءة الاولى ام داخلة على من الموصولة وأدغمت الميم في الميم وأم هي المتصلة ومعادلها محذوف أي الكافر خير ام الذي هو قانت وقيل هي المنقطعة مقدرة ببل والهمزة أي بل أمن هو قانت كالكافر وعلى الثانية الهمزة للاستفهام والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف أي أمن هو قانت كمن كفر وقال الفراء ان الهمزة في هذه القراءة للنداء ومن منادى وهي عبارة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المأمور بقوله قل تمتع بكفرك قليلا والتقدير يا من هو قانت قل كيت وكيت وقيل التقدير يا من هو قانت انك من أصحاب الجنة ومن القائلين بان الهمزة للنداء الفراء وضعف ذلك أبو حيان وقال هو أجنبي عما قبله وعما بعده وقد سبقه الى هذا التضعيف أبو علي الفارسي واعترض على هذه القراءة من أصلها أبو حاتم والاخفش ولا وجه لذلك فانها اذا ثبتت الرواية بطلت الدراية وقد اختلف في تفسير القانت هنا فقيل المطيع وقيل الخاشع أو القائم في صلاته وقيل الداعي لربه قال النحاس أصل القنوت

والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) قال العوفى عن ابن عباس يعنى بالامانة الطاعة عرضها عليهم قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم انى قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها قال يارب ومافيها قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض والجبال ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعنى غرا بأمر الله وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان اطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلت فما كان الامقدار ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وانقطاع بين الضحاك وبينه والله أعلم وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصرى وغير واحد ان الامانة هى الفرائض وقال آخرون هى الطاعة وقال الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال أبى بن كعب من الامانة ان المرأة اؤتمنت على فرجها وقال قتادة الامانة الدين والفرائض والحدود وقال بعضهم الغسل من الجنابة وقال مالك عن زيد بن أسلم قال الامانة ثلاثة الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة وكل هذه الاقوال لا تنافى بينها بل هى متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهى بشرطها وهو انه ان قام بذلك أثيب وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الا من وفق الله وبالله المستعان قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصرى حدثنا حماد بن واقد يعنى أبا عمر الصفار سمعت أبا معمر يعنى عون بن معمر يحدث عن الحسن يعنى البصرى انه تلا هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قال عرضها على السبع الطباق الطرائق التى زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقيل لها هل تحملين الامانة ومافيها

الطاعة فكل ماقيل فيه فهو داخل فى الطاعة (آناء الليل) جمع انى بكسر الهمزة والقصر كمعى وامعاء وقيل واحدها أنو يقال مضى من الليل أنيان وأنوان والمراد بآناء الليل ساعاته وأوقاته وقيل جوفه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل أوله وأوسطه وآخره (ساجدا وقائما) منصوبان على الحال أى جامعا بين السجود والقيام فى الصلاة وقدم السجود على القيام لكونه ادخل فى العبادة والآية دلت على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر قال ابن عباس من أحب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل ذكره القرطبى (يحذر الآخرة) أى يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل (ويرجو رحمة ربه) فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتمعا فى قلب رجل الا فاز قيل وفى الكلام حذف تقديره كمن لا يفعل شيأ من ذلك كما يدل عليه السياق قيل الرحمة هنا المغفرة وقيل الجنة وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى وعن ابن عمر انه تلا هذه الآية وقال ذاك عثمان بن عفان وفى لفظ نزلت فى عثمان بن عفان وعن ابن عباس قال نزلت فى عمار بن ياسر وأخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذى يرجو وأمنه الذى يخاف أخرجوه من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال الترمذى غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرسلا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم قولا آخر يتبين به الحق من الباطل فقال (قل هل يستوى الذين يعلمون) ان ما وعد الله به من البعث والثواب والعقاب حق (والذين لا يعلمون) ذلك أو الذين يعلمون ما أنزل الله على رسله والذين لا يعلمون ذلك أو المراد العلماء والجهال ومعلوم عند كل من له عقل انه لا استواء بين العلم والجهل ولا بين العالم والجاهل قال الزجاج أى كما لا يستوى الذين يعلمون والذين

لا

قالت ومافيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارضين السبع الشداد التى شدت
بالاوتاد وذللت بالمهاد قال فقيل لها هل تحملين الامانة ومافيها قالت ومافيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت
عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الامانة ومافيها قالت ومافيها
قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا وقال مقاتل بن حيان ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الانس
والجن والسموات والارض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الامانة (١٤١) وهى الطاعة فقال لهن أتحملن هذه الامانة
ولكن على الفضل والكرامة
والثواب فى الجنة فقلن يارب انا
لانستطيع هذا الامر وليس بنا
قوة ولكنا لك مطيعين ثم عرض
الامانة على الارضين فقال لهن
أتحملن هذه الامانة وتقبلنها منى
وأعطيكن الفضل والكرامة فقلن
لاصبر لنا على هذا يارب ولانطيق
ولكنا لك سامعين مطيعين لانعصيك
فى شئ أمرتنا به ثم قرب آدم فقال له
أتحمل هذه الامانة وترعاها حق
رعايتها فقال عند ذلك آدم مالى
عندك قال يا آدم ان أحسنت
وأطعت ورعيت الامانة فلك
عندى الكرامة والفضل وحسن
الثواب فى الجنة وان عصيت ولم
ترعها حق رعايتها وأسأت فانى
معذبك ومعاقبك وأنزلك النار
قال رضيت يارب وتحملها فقال الله
عزوجل عند ذلك قد حملتكها
فذلك قوله تعالى وحملها الانسان
رواه ابن أبى حاتم وعن مجاهد أنه
قال عرضها على السموات فقالت
يارب حملتنى الكواكب وسكان
السماء وماذكر وماأريد ثوابا ولا
أحمل فريضة قال وعرضها على
الارض فقالت يارب غرست فى الاشجار وأجريت فى الانهار وسكان الارض وماذكر وماأريد ثوابا ولا أحمل فريضة وقالت
الجبال مثل ذلك قال الله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فى عاقبة أمره وهكذا قال ابن جريج وعن ابن أشوع
أنه قال لما عرض الله عليهن حمل الامانة ضججن الى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لاطاقة لنا بالعمل ولانريد الثواب ثم قال
ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هارون بن زيد بن أبى الزرقاء الموصلى حدثنا أبى حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فى هذه الآية
انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية قال الانسان بين أذنى وعاتقى فقال الله عزوجل انى معينك عليها انى معينك
على عينيك بطبقتين فاذا نازعاك الى ماأكره فأطبق ومعينك على لسانك بطبقتين فاذا نازعك الى ماأكره فأطبق ومعينك على فرجك

لايعلمون كذلك لايستوى المطيع والعاصى وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم
فانهم المنتفعون به لان من لم يعمل بمنزلة من لم يعلم وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها
بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل
للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر أولو الالباب) أى انما يتعظ بوعظ الله ويتدبر
ويتفكر فيه أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم المؤمنون لا الكفار فانهم وان
زعموا ان لهم عقولا فهى كالعدم وهذه الجملة ليست من جملة الكلام المأمور به بل من
جهة الله سبحانه بعد الامر بماذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم
تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال عقولهم (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) لما نفى
سبحانه المساواة بين من يعلم و بين من لايعلم و بين انه انما يتذكر أولو الالباب أمر رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم بان يأمر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والايمان به والمعنى
ياأيها الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وامتثال أوامره
واخلاص الايمان له ونفى الشركاء عنه والمراد قل لهم قولى هذا بعينه ثم لما أمر الله
سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم مافى هذه التقوى من الفوائد فقال (للذين أحسنوا)
أى عملوا الاعمال الحسنة (فى هذه الدنيا) على وجه الاخلاص (حسنة) عظيمة وهى الجنة
وقوله فى هذه الدنيا متعلق بأحسنوا وقيل بحسنة على انه بيان لمكانها فيكون المعنى
للذين أحسنوا فى العمل حسنة فى الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة والاول أولى ثم
لما كان بعض العباد قد يتعسر عليه فعل الطاعات والاحسان فى وطنه أرشد الله سبحانه
من كان كذلك الى الهجرة فقال (وأرض الله واسعة) و بلاده كثيرة فليهاجر الى حيث
تمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به والترك لما نهى عنه كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه
لاعذر له فى التفريط أصلا ومثل ذلك قوله سبحانه ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
وقد مضى الكلام فى الهجرة مستوفى فى سورة النساء وقيل المراد بالارض الواسعة هنا
أرض الجنة رغبهم فى سعتها وسعة نعيمها كما فى قوله جنة عرضها السموات والارض
والجنة قد تسمى أرضا قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء والاول أولى وقيل ارتحلوا من مكة وتحولوا الى بلاد أخر
واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم

وطاعة الى طاعتهم وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من أمر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه ثم لما بين سبحانه ما للمحسنين اذا أحسنوا وكان لابد فى ذلك من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات أشار الى فضيلة الصبر وعظيم مقداره فقال (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم) فى مقابلة صبرهم وما كابدوه من العسر (بغير حساب) أى بما لا يقدر على حصره حاصر ولا يستطيع حسبانه حاسب وان كان معلوما محصى عند الله قال عطاء بما لا يهتدى اليه عقل ولا وصف وقال مقاتل أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب وقيل قوله انما يوفى الصابرون ترغيب فى التقوى المأمور بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة فى تحمل مشاق الهجرة والحاصل ان الآية تدل على ان ثواب الصابرين وأجرهم لا نهاية له لان كل شئ يدخل تحت الحساب فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضى من كل راغب فى ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير أن يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده فان الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيرا قد سلب ولا يدفع مكروها قد وقع واذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الاجر العظيم وظفر بهذا الخير الخطير وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى ومع ذلك فاته من الاجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه فضم الى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع وما أحسن قول من قال

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب * فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب
هنالك يحق الصبر والصبر واجب * وما كان منه للضرورة أوجب

قال على بن أبى طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا لو أن اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم أولا بما أمر به

من

لباس فلا تكشفه الى ما أكره ثم روى عن أبى حازم نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية قال ان الله تعالى عرض عليهن الامانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال وعرضها الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين أذنى وعاتقى قال ابن زيد فقال الله تعالى له اما اذا تحملت هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما أحللت لك وقال ابن جرير حدثنى سعيد بن عمرو السكونى حدثنا بقية حدثنا عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبى حبيب عن الحكم ابن عمير رضى الله عنه وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به فمنهم رسول ومنهم نبى رسول ونزل القرآن وهو كلام الله وأنزلت العجمية والعربية فعلموا من القرآن وعلموا من السنن بألسنتهم ولم يدع الله تعالى شيأ من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهى الحجج عليهم الا بينه لهم فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن والقبيح ثم الامانة أول شئ يرفع ويبقى أثرها فى جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل الى والى أمتى ولا يهلك على الله الا هالك ولا يغفله الا تارك فالحذر أيها الناس واياكم والوسواس الخناس فانما يبلوكم أيكم أحسن عملا هذا حديث غريب جدا وله شواهد من وجوه أخر ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن خلف العسقلانى حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفى حدثنا أبو العوام القطان حدثنا قتادة وأبان بن أبى عياش عن خليد العصرى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك الا مؤمن وأدى الامانة قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الامانة قال رضى الله عنه الغسل من الجنابة فان الله تعالى لم يأمن

(١) قوله خمس الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا ولم يذكر الخمس كلها هنا فلعله اختصر الحديث اه مصححه

ابن آدم على شيء من دينه غيره وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري عن أبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن
أبي العوام عمران بن داود القطان به وقال ابن جرير أيضا حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحق عن شريك عن الأعمش عن عبد الله
ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها
أو قال يكفر كل شيء الا الامانة يؤتى بصاحب الامانة فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا فيقال له أد أمانتك فيقول
أنى يارب وقد ذهبت الدنيا فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا فيقول اذهبوا به الى أمه الهاوية
فيذهب به الى الهاوية فيهوى فيها
حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هنالك
كهيئتها فيحملها فيضعها على
عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم
حتى اذا رأى انه قد خرج زلت قدمه
فهوى في أثرها أبد الآبدين قال
والامانة في الصلاة والامانة في
الصوم والامانة في الوضوء والامانة
في الحديث وأشد ذلك الودائع
فلقيت البراء فقلت ألا تسمع
ما يقول أخوك عبد الله فقال
صدق وقال شريك وحدثنا عياش
العامري عن زاذان عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر
الامانة في الصلاة وفي كل شيء اسناده
جيد ولم يخرجوه ومما يتعلق بالامانة
الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا
أبو معاوية حدثنا الاعمش حدثنا زيد
ابن وهب عن حذيفة رضي الله
عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثين قد رأيت
أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا
ان الامانة نزلت في جذر قلوب
الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من
القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا
عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا
وليس فيه شيء قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني
فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من ايمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم
بايعت ان كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه فاما اليوم فما كنت أبايع منكم الا فلانا وفلانا
وأخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن عبد
الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق

من التوحيد والاخلاص فقال (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي أعبده
عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلى
الله عليه وآله وسلم ما يحملك على الذي أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادات
قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها فأنزل الله الآية وقد تقدم بيان معنى الآية في
أول هذه السورة ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم ثانيا بأنه مأمور بأن
يكون أول من أطاع وانقاد وأسلم فقال (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) من هذه الامة
وكذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم فانه أول من خالف دين آبائه ودعا الى التوحيد
ومعنى الاولية السبق بحسب الزمان فالمراد بالسبق السبق بحسب الدعوة فان الافضل
ان من يدعو الغير الى خلق كريم أن يدعو نفسه اليه أولا ويتخلق به حتى يؤثر في الغير كسنة
الانبياء والصالحين لا الملوك والمتجبرين واللام للتعليل أي وأمرت بما أمرت به لأجل أن
أكون وقيل انها مزيدة للتوكيد والاول أولى ثم أمره ثالثا أن يخبرهم بخوفه من
العذاب على تقدير العصيان فقال (قل اني أخاف ان عصيت ربي) بترك اخلاص العبادة
له وتوحيده والدعاء الى ترك الشرك وتضليل أهله (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة
قال أكثر المفسرين المعنى اني أخاف ان عصيت ربي باجابة المشركين الى ما دعوني اليه
من عبادة غير الله قال أبو حمزة اليماني وابن المسيب هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفي هذه الآية دليل على ان الامر للوجوب لان قبله انما
أمرت أن أعبد الله فالمراد عصيان هذا الامر وفيه زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة
قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره
أولى بذلك ثم أمره رابعا أن يخبرهم بانه امتثل الامر وانقاد وعبد الله وأخلص له الدين على
أبلغ وجه وآكده اظهارا للتصلب في الدين وحسما لأطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم
فقال (قل الله أعبد) التقديم مشعر بالاختصاص أي لا أعبد غيره لا استقلالا ولا على
جهة الشركة ومعنى (مخلصا له ديني) انه خالص لله غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيرهما
وقد تقدم تحقيقه في أول السورة قال الرازي فان قيل ما معنى التكرير في قوله اني
أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلنا ليس هذا بتكرير

حديث وحسن خليقة وعفة طعمة هكذا رواه الامام أحمد فى مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وقد قال الطبرانى فى مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصرى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمه فزاد فى الاسناد ابن حجيرة وجعله من مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النهى عن الحلف بالامانة قال عبد الله (١٤٤) بن المبارك فى كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبى اسحق الشيبانى عن خناس ابن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت فى كلامى لا والامانة فجعل زياد يبكى ويبكى فظننت انى أتيت أمرا عظيما فقلت له أكان يكره هذا قال نعم كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالامانة أشد النهى وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائى عن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالامانة فليس منا تفرد به أبو داود رحمه الله وقوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أى انما حمل ابن آدم الامانة وهى التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لاهله والمشركين والمشركات وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أى وليرحم المؤمنين من الخلق بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته وكان الله غفورا رحيما

(تفسير سورة سبأ وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق فى الدنيا والآخرة لانه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة المالك لجميع ذلك الحاكم فى جميع ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولهذا قال تعالى ههنا الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض أى الجميع ملكه وعبيده وتحت

لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالايمان والعبادة والثانى اخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحدا غير الله (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) هذا الامر للتهديد والتقريع والتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وفيه ايذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى وقيل ان الامر على حقيقته وهو منسوخ بآية السيف والاول أولى (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران هم (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليد الانفس فى النار وبعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا والان من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله وأهلى جمع أهل وأصله أهلون أو أهلين والمراد بأهليهم أهل الآخرة وقيل أزواجهم وخدمهم وقيل أهلهم فى الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده قال الزجاج وهذا يعنى به الكفار فانهم خسروا أنفسهم بالتخليد فى النار وخسروا أهليهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة قال ابن عباس فى الآية هم الكفار الذين خلقهم للنار زالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة وعنه قال أهليهم من أهل الجنة كانوا أعدوا لهم لو أطاعوا الله فغبنوهم (ألا ذلك هو الخسران المبين) مستأنفة لتأكيد ما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه للاشعار بان هذا الخسران الذى حل بهم قد بلغ من العظم الى غاية ليس فوقها غاية وكذلك تعريف الخسران ووصفه بكونه مبينا فانه يدل على انه الفرد الكامل من افراد الخسران وانه لا خسران يساويه ولا عقوبة تدانيه ثم بين سبحانه هذا الخسران الذى حل بهم والبلاء النازل عليهم بعد تهويله بطريق الابهام فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار) الظلل عبارة عن أطباق النار أى لهم من فوقهم أطباق وسرادقات وقطع كبار من النار تلتهب عليهم واطلاق الظلل عليها تهكم والا فهى محرقة والظلة تقى من الحر (ومن تحتهم ظلل) أى أطباق من النار وفراش ومهاد وسمى ما تحتهم ظللا لانها من اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر أو ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة أو لانها تظل من تحتها من أهل النار لان طبقات النار صارت فى كل طبقة منها طائفة من طوائف الكفار ومثل هذه الآية قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم (ذلك) أى ما تقدم ذكره من

وصف

تصرفه وقهره كما قال تعالى وان لنا للآخرة والاولى ثم قال عزوجل وله الحمد فى الآخرة فهو المعبود أبدا المحمود على طول المدى وقوله
تعالى وهو الحكيم أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره الخبير الذى لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شئ وقال مالك عن الزهرى
خبير بخلقه حكيم بأمره ولهذا قال عزوجل يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها أى يعلم عدد القطر النازل فى أجزاء الارض والحب
المبذور والكامن فيها ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته وما ينزل من السماء أى من قطر ورزق وما يعرج فيها أى من
الاعمال الصالحة وغير ذلك وهو الرحيم الغفور أى الرحيم بعباده (١٤٥) فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب
التائبين اليه المتوكلين عليه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) هذه احدى الآيات الثلاث التى لا رابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من اهل الكفر والعناد فاحداهن فى سورة يونس عليه السلام وهى قوله تعالى ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين والثانية هذه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم والثالثة فى سورة التغابن وهى قوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى
وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فقوله تعالى قل بلى وربى
لتأتينكم ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من
ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أى الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه
شئ فالعظام وان تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شئ عليم ثم بين
حكمته فى اعادة الابدان وقيام الساعة بقوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا
فى آياتنا معاجزين اى سعوا فى الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله أولئك لهم عذاب من رجز أليم أى لينعم السعداء من

وصف عذابهم فى النار وهو مبتدأ وخبره قوله (يخوف الله به عباده) المؤمنين أى يحذرهم
بما توعد به الكفار من العذاب ليخافوه فيتقوه وهو معنى (يا عباد فاتقون) أى اتقوا
هذه المعاصى الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين ان
الغالب فى القرآن اطلاق لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصى وقيل هو
عام للمسلمين والكفار (والذين اجتنبوا الطاغوت) هو بناء مبالغة فى المصدر كالرحموت
والعظموت وهو الاوثان والشيطان وقال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك
والسدى هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل هو اسم أعجمى مثل طالوت وجالوت
وقيل انه اسم عربى مشتق من الطغيان الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين وفيها
مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة وهو
للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز أن
يكون واحده مؤنثا والمعنى أعرضوا عن عبادته وخصوا عبادتهم بالله عزوجل وقوله
(ان يعبدوها) فى محل نصب على البدل من الطاغوت بدل اشتمال كأنه قال اجتنبوا عبادة
الطاغوت وقد تقدم الكلام على تفسير الطاغوت مستوفى فى سورة البقرة (وأنابوا الى
الله) معطوف على اجتنبوا والمعنى رجعوا اليه بالكلية وأقبلوا الى عبادته معرضين
عما سواه (لهم البشرى) بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى اما على ألسنة الرسل
أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت أو عند البعث أو من الله تعالى لقوله تحيتهم يوم
يلقونه سلام ولا مانع أن يكون من الله ومن الملائكة فان فضل الله واسع وقيل لهم
البشرى فى الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الوضع فى القبر وفى الآخرة عند الخروج
من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى
الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة
والروح والريحان (فبشر عباد) المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون بالاجتناب
والانابة اليه دخولا أوليا وقيل المراد بهم هم الموصوفون باجتناب الاوثان والانابة الى الله
فالمقام للضمير وانما أتى به ظاهرا توصلا لوصفهم بما ذكر (الذين يستمعون القول)
الحق من كتاب الله وسنة رسوله (فيتبعون أحسنه) اى محكمه ويعملون به قال السدى
يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه وقيل هو الرجل يسمع الحسن والقبيح

المؤمنين ويعذب الاشقياء من الكافرين كما قال عزوجل لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال
تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ويرى الذين أوتوا العلم
الذى أنزل اليك من ربك هو الحق هذه حكمة أخرى معطوفة على التى قبلها وهى ان المؤمنين بما أنزل على الرسل اذا شاهدوا قيام
الساعة ومجازاة الابرار والفجار بالذى كانوا قد علموه من كتب الله تعالى فى الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضا لقد
جاءت رسل ربنا بالحق ويقال أيضا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم
البعث ويرى الذين أوتوا العلم الذى
أنزل اليك من ربك هو الحق
ويهدى الى صراط العزيز الحميد
العزيز هو المنيع الجناب الذى
لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شئ
وغلبه الحميد فى جميع أقواله وأفعاله
وشرعه وقدره وهو المحمود فى ذلك
كله جل وعلا (وقال الذين كفروا
هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا
مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد
أفترى على الله كذبا أم به جنة بل
الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب
والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين
أيديهم وما خلفهم من السماء
والارض ان نشأ نخسف بهم الارض
أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان
فى ذلك لآية لكل عبد منيب) هذا
اخبار من الله عزوجل عن استبعاد
الكفرة الملحدين قيام الساعة
واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه
وسلم فى اخباره بذلك وقال الذين
كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم
اذا مزقتم كل ممزق اى تفرقت
أجسادكم فى الارض وذهبت فيها
كل مذهب وتمزقت كل ممزق انكم
اى بعد هذا الحال لفى خلق جديد
أى تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو فى هذا الاخبار لا يخلو أمره من قسمين اما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى انه قد أوحى اليه ذلك أو انه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون ولهذا قالوا أفترى على الله كذبا أم به
جنة قال الله عزوجل رادا عليهم بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أى ليس الامر كما زعموا ولا كما ذهبوا
اليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذى جاء بالحق وهم الكذبة الجهلة الاغبياء فى العذاب أى الكفر المفضى
بهم الى عذاب الله تعالى والضلال البعيد من الحق فى الدنيا ثم قال تعالى منبها لهم على قدرته فى خلق السموات والارض فقال

فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون
القرآن وقيل يستمعون الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص وقيل
يأخذون بالعفو ويتركون العقوبة وعن ابن عمر قال كان سعيد بن زيد وأبو ذر وسلمان
يتبعون فى الجاهلية أحسن القول والكلام لا اله الا الله قالوا بها فأنزل الله على نبيه
يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية ثم أثنى الله سبحانه على هؤلاء المذكورين فقال
(أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) أى هم الذين أوصلهم الى الحق وهم
أصحاب العقول الصحيحة لانهم الذين انتفعوا بعقولهم ولم ينتفع من عداهم بعقولهم
وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد قال لما نزلت فبشر عبادى الذين الآية أرسل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناديا فنادى من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة
فاستقبل عمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرده فقال يا رسول الله خشيت أن يتكل
الناس فلا يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يعلم الناس قدر رحمة ربى
لاتكلوا ولو يعلمون قدر سخط ربى وعقابه لاستصغروا أعمالهم وهذا الحديث أصله فى
الصحيح من حديث أبى هريرة وفى الآية اشارة الى ايثار الاتباع وترك التقليد لان الله
قد أثنى على المتبعين بكونهم مهديين وسماهم أولى الالباب ولم يثن على التقليد ولا على أهله
فى موضع من القرآن الكريم بل ذمه وذمهم فى غير موضع كما تقدم مرارا ثم ذكر سبحانه
من سبقت له الشقاوة وحرم السعادة فقال (أفمن حق عليه كلمة العذاب) من هذه
موصولة فى محل رفع على الابتداء وخبرها محذوف أى كمن يخاف أو فأنت تخلصه أو
تتأسف عليه أو شرطية وجوابه قوله (أفأنت تنقذ من فى النار) فالفاء فاء الجواب دخلت
على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة الانكارية لتأكيد معنى الانكار وقال سيبويه انه كرر
الاستفهام لطول الكلام وقال الفراء المعنى أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب
والمراد بها قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله لمن تبعك
منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى ومعنى الآية
التسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان حريصا على ايمان قومه فأعلمه الله
أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أن ينقذه من النار بان يجعله مؤمنا قال عطاء يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة
النبى

تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض أى حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة عليهم والارض تحتهم كما
قال عز وجل والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون قال عبد بن حميد اخبرنا عبد الرزاق عن معمر
عن قتادة أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض قال انك ان نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو
من خلفك رأيت السماء والارض وقوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أى لو شئنا لفعلنا بهم
ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا ثم قال ان فى ذلك (١٤٧) لآية لكل عبد منيب قال معمر عن قتادة
منيب تائب وقال سفيان عن قتادة
المنيب المقبل الى الله تعالى أى ان فى
النظر الى خلق السماء والارض
لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع
الى الله على قدرة الله على بعث
الاجساد ووقوع المعاد لان من
قدر على خلق هذه السموات فى
ارتفاعها واتساعها وهذه
الارضين فى انخفاضها وأطوالها
وأعراضها انه لقادر على اعادة
الاجسام ونشر الرميم من العظام
كما قال تعالى أوليس الذى خلق
السموات والارض بقادر على أن
يخلق مثلهم بلى وقال تعالى لخلق
السموات والارض أكبر من خلق
الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون
(ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال
أوبى معه والطير وألنا له الحديد
أن اعمل سابغات وقدر فى السرد
واعملوا صالحا انى بما تعملون
بصير) يخبر تعالى عما أنعم به على عبده
ورسوله داود عليه الصلاة والسلام
مما آتاه من الفضل المبين وجمع له
بين النبوة والملك المتمكن والجنود
ذوى العدد والعدد وما أعطاه
ومنحه من الصوت العظيم الذى
كان اذا سبح به تسبح معه الجبال
الراسيات الصم الشامخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات وفى الصحيح أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد أوتى
هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال أبو عثمان النهدى ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أبى موسى الاشعرى
رضى الله عنه ومعنى قوله تعالى أوبى أى سبحى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة انه بمعنى سبحى بلسان الحبشة وفى
هذا نظر فان التأويب فى اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق

النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان وفى الآية مجاز باطلاق المسبب وارادة السبب
وتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وان اجتهاده فى دعائهم الى
الايمان سعى فى انقاذهم من النار وأصل الكلام أفأنت تهدى من هو منغمس فى الضلال
فوضع النار موضع الضلال ووضعا للمسبب موضع السبب لقوة أمره ثم عقب المجاز بما
يناسبه من قوله تنقذ بدل تهدى فهو ترشيح ولما ذكر سبحانه فيما سبق ان لاهل الشقاوة
ظللا من فوقهم من النار ومن تحتهم ظللا استدرك عنهم من كان من أهل السعادة فقال
(لكن الذين اتقوا ربهم) وهم الذين خوطبوا بقوله يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من
الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم
الآية وقيل لكن ليست للاستدراك لانه لم يأت قبله نفى بل هو اضراب عن قصة الى قصة
مخالفة للاولى (لهم غرف من فوقها غرف) أى منازل فى الجنة رفيعة فوقها منازل هى
أرفع منها وذلك لان الجنة درجات بعضها فوق بعض وقوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله
بذلك وعدا لا يخلفه وانها (مبنية) بناء المنازل فى احكام أساسها وقوة بنائها وان كانت
منازل الدنيا ليست بشىء بالنسبة اليها (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف
الفوقانية والتحتانية وفى ذلك كمال لبهجتها وزيادة لرونقها وانتصاب (وعد الله) على
المصدرية المؤكدة لمضمون الجملة لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك وجملة
(لا يخلف الله الميعاد) مقررة للوعد أى لا يخلف الله ما وعد به الفريقين من الخير والشر عن
أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أهل الجنة
يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو
المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى
والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين متفق عليه ولما ذكر سبحانه الجنة
ووصفها بوصف يوجب الرغبة والشوق اليها أتبعه بذكر الدنيا ووصفها بوصف يوجب
الرغبة عنها والنفرة منها فذكر تمثيلا لها فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها مع ما فى ذلك من
ذكر نوع من أنواع قدرته الباهرة وصنعه البديع فقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء)
أى من السحاب مطرا (فسلكه) اى فادخله واسكنه (ينابيع) أى عيونا ومسالك ومجارى

الزجاجي في كتابه الجمل في باب النداء منه ياجبال أوبي معه أي سيري معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله والسرى سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جدا لم أره لغيره وان كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب ان المعنى في قوله تعالى أوبي معه أي رجعي مسبحة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى وألنا له الحديد قال الحسن البصري وقتادة والاعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى أن اعمل سابغات وهي الدروع قال قتادة وهو أول من عملها (١٤٨) من الخلق وانما كانت قبل ذلك صفائح وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا ابن سماعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شوذب قال كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولاهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني اسرائيل خبز الحوارى وقدر في السرد هذا ارشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع قال مجاهد في قوله تعالى وقدر في السرد لا تدق المسمار فيقلقل في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه فيقصم ولا تدقه فيقلقل وهكذا روى عن قتادة وغير واحد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السرد حلق الحديد وقال بعضهم يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق واستشهد بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما
داود أو صنع السوابغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق اسحق بن بشر وفيه كلام عن أبي الياس عن وهب بن منبه ما مضمونه ان داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا الا أثنى عليه خيرا في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكا في صورة رجل فلقيه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولامته الا ان فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال ماهي قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام الى ربه عز وجل في الدعاء ان يعلمه عملا بيده يستغني به ويغني به عياله فألان الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدرع وهو أول من عملها فقال الله تعالى أن اعمل

مرض

وركايا (في الارض) كالعروق في الجسد والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع والينبوع عين الماء والامكنة التي ينبع منها الماء من خلال الارض او نفس الماء الجاري والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الارض وجعله فيها عيونا جارية او جعله في ينابيع اى في امكنة ينبع منها الماء فهو على الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض قال مقاتل فجعله ركايا وعيونا في الارض وقال ابن عباس ما في الارض ماء الا نزل من السماء ولكن عروق في الارض تغيره فذلك قوله فسلكه ينابيع في الارض فمن سره ان يعود الملح عذبا فليصعده (ثم يخرج به) أي بذلك الماء من الارض وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (زرعا مختلفا ألوانه) من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر أومن بر وشعير وغيرهما اذا كان المراد بالالوان الاصناف وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى المقاث (ثم يهيج) أي يجف وييبس يقال هاج النبت يهيج هيجا اذا تم جفافه وحان له أن ينتشر عن منبته قال الجوهري يقال هاج النبت هياجا اذا يبس وأرض هايجة يبس بقلها أو اصفر وأهاجت الريح النبت أيبسته قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا أدبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت (فتراه) بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه (مصفرا) قد ذهبت خضرته وزالت نضارته (ثم يجعله حطاما) أي متفتتا متكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس ويقال للدابة اذا أسنت حطمة ويتعدى بالحركة فيقال حطمته حطما من باب ضرب فانحطم وحطمته بالتشديد مبالغة قرأ الجمهور ثم يجعله بالرفع عطفا على ماقبله وقرئ بالنصب باضمار ان ولا وجه لذلك (ان في ذلك) المذكور من الافعال الخمسة التي أولها أنزل (لذكرى لاولي الالباب) أى لتذكيرا لأهل العقول الصحيحة فانهم الذين يتعقلون الاشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون ويعلمون بان الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضي وذهاب بهجتها وزوال رونقها ونضارتها فاذا أنتج لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها والميل اليها وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة ولم يبق معهم شك في ان الله قادر على البعث والحشر لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقيل هو مثل ضربه الله للقرآن ولصدور من في الارض والمعنى أنزل من السماء قرآنا فسلكه في قلوب المؤمنين ثم يخرج به دينا بعضه أفضل من بعض فأما المؤمن فيزداد ايمانا ويقينا وأما الذي في قلبه

سابغات وقدر في السرد يعني مسامير الحلق قال وكان يعمل الدرع فاذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلثها واشترى بثلثها
مايكفيه وعياله وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم الى ان يعمل غيرها وقال ان الله تعالى أعطى داود شيأ لم يعطه غيره من حسن
الصوت انه كان اذا قرأ الزبور يجتمع الوحش اليه حتى يؤخذ بأعناقها وماتنفر وماصنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج
الاعلى أصناف صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد وكان اذا افتتح الزبور بالقراءة كانما ينفخ في المزامير وكان قد أعطى سبعين
مزمارا في حلقه وقوله تعالى واعملوا صالحا أي في الذي أعطاكم الله (١٤٩) تعالى من النعم اني بما تعملون بصير أي مراقب
لكم بصير باعمالكم وأقوالكم
لايخفى علي من ذلك شئ (ولسليمان
الريح غدوها شهر ورواحها شهر
وأسلنا له عين القطر ومن الجن من
يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ
منهم عن أمرنا نذقه من عذاب
السعير يعملون له مايشاء من
محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات اعملوا آل داود
شكرا وقليل من عبادي الشكور)
لماذكر تعالى ماأنعم به على داود
عطف بذكر ماأعطى ابنه سليمان
عليهما الصلاة والسلام من تسخير
الريح له تحمل بساطه غدوها شهر
ورواحها شهر قال الحسن البصري
كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل
باصطخر يتغدى بها ويذهب رائحا
من اصطخر فيبيت بكابل وبين دمشق
واصطخر شهر كامل للمسرع
وبين اصطخر وكابل شهر كامل
للمسرع وقوله تعالى وأسلنا له
عين القطر قال ابن عباس رضي
الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء
الخراساني وقتادة والسدي ومالك
عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن
أسلم وغير واحد القطر النحاس قال
قتادة وكانت باليمن فكل مايصنع
الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام قال السدي وانما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه باذن ربه أي القدور وتسخيره لهم بمشيئته مايشاء من البنايات وغير ذلك ومن يزغ
منهم عن أمرنا أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة نذقه من عذاب السعير وهو الحريق وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا
غريبا فقال حدثنا أبي حدثنا صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب

مرض فانه يهيج كما يهيج الزرع وهذا بالتغيير أشبه منه بالتفسير ثم لماذكر سبحانه ان في
ذلك لذكرى لأولي الألباب ذكر شرح الصدر للاسلام لأن الانتفاع الكامل لايحصل الابه
فقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام) أي وسعه لقبول الحق وفتحه للاهتداء الى سبيل الخير
قال السدي وسع صدره للاسلام للفرح به والطمأنينة اليه وشرح الصدر للاسلام عبارة
عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس
القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لانشراح القلب والكلام في الهمزة والفاء كما تقدم
في أفمن حق ومن الخ مبتدأ وخبرها محذوف تقديره كمن قسى قلبه وطبع الله عليه وحرج
صدره فلم يهتد ودل على هذا الخبر المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم والمعنى أفمن وسع
الله صدره للاسلام فقبله واهتدى بهديه (فهو) بسبب ذلك الشرح (على نور) أي على
بيان وبصيرة ويقين وهداية (من ربه) يفيض عليه كمن قسى قلبه لسوء اختياره فصار في
ظلمات الضلالة وبليات الجهالة قال قتادة النور كتاب الله به يؤخذ واليه ينتهى قال
الزجاج تقدير الآية أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته قال ابن
عباس من شرح الله صدره للاسلام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأخرج ابن
مردويه عن ابن مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قلنا يانبي الله كيف
انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يارسول الله
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت
وأخرج ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي مرفوعا مرسلا وأخرج الحكيم
الترمذي في نوادر الاصول عن ابن عمر أن رجلا قال يانبي الله أي المؤمنين أكيس قال
أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم له استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع
فقالوا ماآية ذلك يانبي الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت وأخرجه عن أبي جعفر عبد الله بن المسور عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بنحوه وزاد فيه ثم قرأ أفمن شرح الله صدره للاسلام (فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله) قال الفراء والزجاج أي عن ذكر الله كما تقول اتخمت عن طعام أكلته
ومن طعام أكلته والمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله والقسوة جمود وصلابة
تحصل في القلب يقال قسى القلب اذا صلب وقلب قاس أي صلب لايرق ولايلين وقيل

وصنف يحلون ويظعنون رفعه غريب جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بحير عن ابن أنعم أنه قال الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب وصنف طيارون فيما بين السماء والارض وصنف حيات وكلاب قال بكر بن مضر ولا أعلم الا أنه قال حدثني أن الانس ثلاثة أصناف صنف يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة وصنف كالانعام بل هم أضل سبيلا وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا على بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن اسمعيل عن الحسن قال الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وقوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شئ في المسكن وصدره وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي المساكن وأما التماثيل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثيل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقي تفهق

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كالجواب أي كالجوبة من الارض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم والقدور الراسيات أي الثابتات في أماكنهم لاتتحرك ولاتتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أثافيها منها وقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا أي وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا وشكرا مصدر من غير الفعل أو انه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على ان الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

المعنى من أجل ذكره الذي من حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب والمعنى انه اذا ذكر الله اشمأزوا والاول أولى ويؤيده قراءة من قرأ عن ذكر الله أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وماغضب الله تعالى على قوم الانزع منهم الرحمة وأخرج الترمذي وابن مردويه وابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي والاشارة بقوله (أولئك) الى القاسية قلوبهم (في ضلال مبين) أي غواية ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف كتابه العزيز فقال (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن الذي فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وسماه حديثا لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه وفيه بيان ان أحسن القول المذكور سابقا هو القرآن وفي ايقاع الاسم الشريف مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لشأن أحسن الحديث والوصف بهذا الوجهين أحدهما من جهة اللفظ لان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه والثاني من جهة المعنى لانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وغير ذلك (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابها) صفة لكتاب أي يشبه بعضه بعضا في الحسن والاحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه الى أعلى درجات البلاغة والدلالة على المنافع العامة وقال قتادة يشبه بعضه بعضا في الآي والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه عن ابن عباس قال قالوا يارسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية (مثاني) صفة أخرى لكتاب وهو جمع مثنى أو مثنى وانه من التثنية بمعنى التكرير أي تثنى فيه القصص وتتكرر فيه المواعظ والاحكام وقيل يثنى في التلاوة فلا

قال أبو عبد الرحمن السلمى الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظى قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعنى ابن سليمان عن ثابت البنانى قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتى عليهم ساعة من الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلى فغمرتهم هذه الآية اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وأحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثرا غريبا مطولا جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد فيض بن اسحق الرقى قال قال فضيل فى قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك قال الآن شكرتنى حين علمت ان النعمة منى وقوله تعالى وقليل من عبادى الشكور اخبارا عن الواقع (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له فى الاعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحوا من سنة فلما أكلتها دابة الارض وهى الارضة ضعفت وسقط الى الارض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والانس أيضا ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع غريب وفى صحته نظر قال ابن جرير

يمل سامعه ولا يسأم قارئه قرأ الجمهور مثانى بفتح الياء وقرئ بسكونها تخفيفا واستثقالا لتحريكها أو على انها خبر مبتدا محذوف أى هو مثانى قال ابن عباس القرآن كله مثانى وعنه قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه الى بعض وعنه قال كتاب الله مثانى ثنى فيه الامر مرارا ووصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أحكام وأقاصيص ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عروق وعظام وأعصاب أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه قال الرازى فى تبيين معنى مثانى ان أكثر الاشياء المذكورة فى القرآن متكررة زوجين زوجين مثل الامر والنهى والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات والارض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسى والوعد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من ذلك البيان ان كل شئ ماسوى الحق زوج وان الفرد الاحد الحق هو الله ولا يخفى مافى كلامه هذا من التكلف والبعد عن مقصود التنزيل (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تضطرب وتتحرك وتشمئز صفة لكتاب أو حال منه لانه وان كان نكرة فقد تخصص بالصفة أو مستأنفة لبيان مايحصل عند سماعه من التأثر لسامعيه والاقشعرار التقبض يقال اقشعر جلده اذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره ومنه القشعريرة والمعنى انها تأخذهم منه قشعريرة قال الزجاج اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد بالجلود القلوب والاول أولى لذكرها فيما بعد قال الواحدى وهذا قول جميع المفسرين وقيل المعنى ان القرآن لما كان فى غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه اعظاما له وتحيرا من حسنه وبلاغته عن عبد الله بن الزبير قال قلت لجدتى أسماء كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرؤا القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قلت فان ناسا ههنا اذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) عدى تلين بالى لتضمينه فعلا يتعدى بها كأنه قيل سكنت واطمأنت الى ذكر الله

حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نبى الله سليمان عليه السلام اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاى شئ أنت فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاى شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الارضة فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرأها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفى رفعه غرابة ونكارة والاقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى له غرابات وفى بعض حديثه نكارة وقال السدى فى حديث ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحنث فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى توفى فيها فكان بدء ذلك انه لم يكن يوم يصبح فيه الا ينبت الله بيت المقدس فيه شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وان كانت نبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد ان يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت فخرجت من ذلك

يلقى

لينة غير منقبضة ومفعول ذكر الله محذوف والتقدير الى ذكر الله رحمته وثوابه وجنته وحذف للعلم به قال بعض العارفين اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت أولياء الله نعتهم بأنها تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان وروى ان ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وعنه قال ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) الكتاب الموصوف بتلك الصفات (هدى الله يهدى به من يشاء) أن يهديه من عباده وقيل الاشارة الى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه ورجاء ثوابه (ومن يضلل الله) أى يجعل قلبه مظلما قاسيا غير قابل للحق (فماله من هاد) يهديه الى الحق ويخلصه من الضلال قرأ الجمهور من هاد بغير ياء وقرئ بالياء ثم لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم فى الدنيا وهو الضلال حكم عليهم فى الآخرة بحكم آخر وهو العذاب فقال (أفمن يتقى بوجهه) الاستفهام للانكار وقد تقدم الكلام فيه وفى هذه الفاء الداخلة على من فى قوله أفمن حق عليه الخ ومن مبتدأ والخبر محذوف لدلالة المقام عليه والمعنى أفمن شأنه أن يقى نفسه بوجهه الذى هو أشرف أعضائه (سوء العذاب يوم القيامة) لكون يده قد صارت مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه شئ من ذلك ولا يحتاج الى الاتقاء قال الزجاج المعنى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة قال عطاء وابن زيد يرمى به مكتوفا فى النار فأول شئ تمس النار منه وجهه وقال ابن عباس ينطلق به الى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها فأول ما يمس وجهه النار وقال مجاهد يجر على وجهه فى النار قال الاخفش المعنى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب أفضل أم من سعد مثل قوله تعالى أفمن

يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ثم أخبر سبحانه عما يقوله الخزنة للكفار فقال (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) وهو معطوف على يتقى أى و يقال لهم وجاء بصيغة الماضى للدلالة على التحقيق و وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله ذوقوا قال عطاء أى جزاء ما كنتم تعملون ومثل هذه الآية قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد تقدم الكلام على معنى الذوق فى غير موضع ثم أخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار فقال (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم كذبوا رسلهم (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من جهة لا يحتسبون اتيان العذاب منها وذلك عند أمنهم وغفلتهم عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم (فاذاقهم الله الخزى) أى الذل والهوان (فى الحياة الدنيا) بالمسخ والخسف والقتل والاسر والجلاء وغير ذلك (ولعذاب الآخرة أكبر) لكونه فى غاية الشدة مع دوامه (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا ممن يعلم الاشياء و يتفكر فيها و يعمل بمقتضى علمه لآمنوا وما كذبوا قال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شئ قد ذاقته اى وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الى الذائق لهما قال والخزى المكروه (ولقد) اللام موطئة للقسم (ضربنا للناس فى هذا القرآن) اى جعلنا واوجدنا و بينا (من كل مثل) قد قدمنا تحقيق المثل وكيفية ضربه فى غير موضع ومعنى من كل مثل ما يحتاجون اليه فى امر دينهم وليس المراد ما هو أعم من ذلك فهو هنا كما فى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ أى من شئ يحتاجون اليه فى أمر دينهم وقيل المعنى ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء (لعلهم يتذكرون) يتعظون فيعتبرون (قرآنا عربيا) حال مؤكدة من هذا وتسمى هذه حالا موطئة لان الحال فى الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطئة له نحو جاءنى زيد رجلا صالحا كذا قال الاخفش و يجوز ان ينتصب على المدح قال الزجاج عربيا منتصب على الحال وقرآنا توكيد (غير ذى عوج) أى لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه قال الضحاك أى غير مختلف قال النحاس أحسن ما قيل فى معناه قول الضحاك وقيل غير متضاد وقيل غير ذى لبس وقيل غير ذى لحن وقيل غير ذى شك كما قال الشاعر

الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام فى المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع فى البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك ان الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين يقول تبين أمرهم للناس انهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين قال فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال ألم تر الى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها وهذا الاثر والله أعلم انما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهى وقف لا يصدق منه الا ما وافق الحق ولا يكذب منها الا ما خالف الحق والباقى لا يصدق ولا يكذب وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم فى قوله تبارك وتعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته قال قال سليمان عليه السلام لملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه و ينظرون اليه يحسبون انه حى قال فبعث الله عز وجل دابة الارض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فاكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته قال أصبغ بلغني عن غيره انها قامت سنة تأكل منها قبل ان يخر وقد ذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا والله أعلم (لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور) كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم و بلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم (١٥٤) وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى اليهم الرسل تأمرهم ان يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ماشاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بارسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبا شذر مذر كما سيأتي ان شاء الله تعالى تفصيله و بيانه قريبا وبه الثقة قال الامام احمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا ماهو أرجل أم امرأة أم أرض قال صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشأم منهم أربعة فاما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وأنمار وحمير واما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان ورواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا اسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب القصد والامم بمعرفة أصول انساب العرب والعجم من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه وقد روي نحوه من وجه آخر وقال الامام احمد أيضا وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابو جناب يحيي بن أبي حية الكلبي عن يحيي بن هرون عن عروة عن فروة بن مسيك رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اقاتل بمقبل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم فلما وليت دعاني فقال لا تقاتلهم حتى تدعوهم الى الاسلام فقلت يارسول الله أرأيت سبأ أواد هو أو جبل أو ماهو قال صلى الله عليه وسلم لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشاءم أربعة تيامن الازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخثعم

وقد أتاك يقين غير ذي عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وقال ابن عباس غير مخلوق وقيل معناه صحيح مستقيم يفهم ولا يلتبس بخلافه من الباطل (لعلهم يتقون) علة اخرى بعد العلة الاولى وهي لعلهم يتذكرون أي لكي يتقوا الكفر والكذب وقيل علة لقوله لعلهم يتذكرون فالاول سبب في الثاني ثم ذكر سبحانه مثلا من الامثال القرآنية للتذكير والايقاظ فقال (ضرب الله مثلا) أي تمثيل حالة عجيبة باخرى مثلها ثم بين المثل فقال (رجلا فيه شركاء متشاكسون) قال الكسائي نصب رجلا لانه تفسير للمثل وقيل منصوب بنزع الخافض أي ضرب الله مثلا برجل وقيل ان رجلا هو المفعول الاول ومثلا هو المفعول الثاني وأخر المفعول الاول ليتصل بما هو من تمامه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة يس وجملة فيه شركاء في محل نصب صفة لرجل والتشاكس التخالف وأصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر ويقال التشاخس بالخاء المعجمة قال الفراء أي مختلفون وقيل متنازعون وقال المبرد متعاسرون من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر وشكس بكسر الكاف هو القياس قال الجوهري التشاكس الاختلاف قال ويقال رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق وهذا مثل من أشرك بالله وعبد آلهة كثيرة ثم قال (ورجلا سلما لرجل) أي خالصا له وهذا مثل من يعبد الله وحده قرأ الجمهور سلما بفتح السين واللام وقرئ بكسر السين وسكون اللام وقرأ ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن كثير ويعقوب سالما اسم فاعل من سلم له فهو سالم واختارها أبو عبيد قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب ههنا وأجيب عنه بان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الا على أولاهما فالسلم وان كان ضد الحرب فله معنى آخر بمعنى سالم من سلم له كذا اذا خلص له وأيضا يلزمه في سالم ما الزم به لانه يقال شيء سالم أي لا عاهة به واختار أبو حاتم القراءة الاولى والحاصل ان قراءة الجمهور هي على الوصف بالمصدر للمبالغة أو على حذف مضاف أي ذا سلم ومثلها قراءة سعيد بن جبير ومن معه قال ابن عباس رجلا سلما أي ليس لاحد فيه شيء ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال (هل يستويان مثلا) وهذا الاستفهام للانكار والاستبعاد والمعنى هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة يستخدمه كل واحد منهم فيتعب

وتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان وهذا أيضا اسناد حسن وان كان فيه أبو جناب الكلبى وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن
أبى كريب عن العبقرى عن اسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادى عن عمه أو عن أبيه شك اسباط قال قدم فروة بن مسيك رضى
الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره طريق أخرى لهذا الحديث قال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن
وهب حدثنى ابن لهيعة عن توبة بن نمر عن عبد العزيز بن يحيى انه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بافريقية فقال يوما
ما اظنّ قوما بأرض الا وهم من أهلها فقال على بن رباح كلا قد حدثنى فلان ان فروة بن مسيك الغطيفى رضى الله
عنه قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان سبأ
قوم كان لهم عز فى الجاهلية وانى
أخشى ان يرتدوا عن الاسلام
أفأقاتلهم فقال صلى الله عليه وسلم
ما امرت فيهم بشئ بعد فأنزلت
هذه الآية لقد كان لسبا فى مسكنهم
آية الآيات فقال له رجل يا رسول الله
ماسبا فذكر مثل الحديث الذى قبله
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن سبا ماهو أبلد أم رجل أم
امرأة قال صلى الله عليه وسلم بل
رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم
ستة والشام أربعة اما اليمانيون
فمذحج وكندة والازد والاشعريون
والانمار وحمير غيرما حلها واما الشام
فلخم وجذام وغسان وعاملة فيه
غرابة من حيث ذكر نزول الآية
بالمدينة والسورة مكية كلها والله
سبحانه وتعالى أعلم طريق اخرى
قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا
أبو اسامة حدثنا الحسن بن الحكم
حدثنا أبو سبرة النخعى عن فروة بن
مسيك الغطيفى رضى الله عنه قال
قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن
سبا ماهو أرض أم امرأة قال صلى
الله عليه وسلم ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام
وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل ما أنمار قال صلى الله عليه وسلم
الذين منهم خثعم وبجيلة ورواه الترمذى فى جامعه عن أبى كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو اسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال
هذا حديث حسن غريب وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد
الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن على عن يزيد بن حصين عن تميم الدارى

وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته وهذا الذى يخدم واحدا لا ينازعه
غيره اذا أطاعه رضى عنه واذا عصاه عفا عنه فان بين هذين من الاختلاف الظاهر
الواضح مالا يقدر عاقل ان يتفوّه باستوائهما لان احدهما فى أعلى المنازل والآخر فى
أدناها وانتصاب مثلا على التميز المحول عن الفاعل لان الاصل هل يستوى مثلهما
أى حالهما وصفتهما وأفردا لتميز ولم يثنه لان الاصل فى التميز الافراد لكونه مبينا
للجنس وقال السمين وأفرد التميز لانه مقتصر عليه أولا فى قوله ضرب الله مثلا وقرئ
مثلين فطابق حالى الرجلين وجملة (الحمد لله) مقررة لما قبلها من نفى الاستواء بطريق
الاعتراض وللايذان للموحدين بما فى توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة
لتخصيص الحمد به أى الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين وقيل الجملة اعتراضية فان
قوله (بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب انتقالى من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور
الى بيان ان أكثر الناس وهم المشركون فانهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه
فيقعون فى ورطة الشرك والضلال قال الواحدى والبغوى والمراد بالاكثر الكل والظاهر
خلاف ما قالاه فان المؤمنين بالله يعلمون مافى التوحيد من رفعة شأنه وعلو مكانه وان
الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه ولا يساويه فى وصف من الاوصاف ويعلمون ان الله
سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة وان الحمد مختص به ثم أخبر سبحانه رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم بان الموت يدركه ويدركهم لا محالة فقال (انك ميت وانهم ميتون) وذلك
انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت فاخبران الموت يعمهم
جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وهذا تمهيد لما يعقبه من الخصام يوم
القيامة قرأ الجمهور ميت وميتون بالتشديد وقرئ مائت ومائتون وبها قرأ عبد الله بن
الزبير وقد استحسن هذه القراءة بعض المفسرين لكون موته وموتهم مستقبلا ولا وجه
للاستحسان فان قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى قال الفراء والكسائى الميت بالتشديد من
لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من قد مات وفارقته الروح قال الخليل أنشد أبو عمرو

وتسألنى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

وقال السمين ولا خلاف بين القراء فى تثقيل مثل هذا قال قتادة نعيت الى النبى صلى الله

رضى الله عنه قال ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبا فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن قال علماء النسب منهم محمد بن اسحق اسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سمى سبا لانه أول من سبأ فى العرب وكان يقال له الرائش لانه أول من غنم فى الغزو فأعطى قومه فسمى الرائش والعرب تسمى المال ريشا ورياشا وذكروا انه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه المتقدم وقال فى ذلك شعرا

سيملك بعدنا ملكا عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
ويملك بعده منهم ملوك * يدينوه القياد بكل دامى
ويملك بعدهم منا ملوك
يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبى
تقى مخبت خير الانام
يسمى أحمدا ياليت أنى
أعمر بعد مبعثه بعام
فاعضده وأحبوه بنصرى
بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه
ومن يلقاه يبلغه سلامى

ذكر ذلك الهمدانى فى كتاب الاكليل واختلفوا فى قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) انه من سلالة ارم بن سام بن نوح واختلفوا فى كيفية اتصال نسبه به على ثلاثة طرائق والثانى انه من سلالة عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام واختلفوا أيضا فى كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا والثالث انه من سلالة اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام واختلفوا فى كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا وقد ذكر ذلك مستقصى الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمرى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه المسمى بالانباه على ذكر اصول القبائل الرواة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم كان رجلا من العرب يعنى العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم ولكن فى صحيح البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أسلم ينتضلون فقال ارموا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا فأسلم قبيلة من الانصار والانصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبا نزلوا بيثرب لما تفرقت سبا فى البلاد حين بعث الله عزوجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام وانما قيل لهم غسان

عليه وآله وسلم نفسه ونعيت اليهم أنفسهم ووجه هذا الاخبار الاعلام للصحابة بانه يموت فقد كان بعضهم يعتقد انه لا يموت مع كونه توطئة وتمهيد لما بعده أخرج النسائى وغيره عن ابن عمر قال لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا (ثم انكم) أيها الناس جميعا مؤمنكم وكافركم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فيما بينكم من المظالم قيل يعنى المحق والمبطل وقيل تخاصمهم يا محمد وتحتج عليهم بانك قد بلغتهم وأنذرتهم وهم يخاصمونك أو يخاصم المؤمن الكافر والظالم المظلوم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه رواه البخارى وعنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار أخرجه مسلم وعن ابن عمر قال نزلت علينا هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذى وعدنا ربنا ان نختصم فيه أخرجه ابن جرير وأخرج النسائى وغيره عنه قال لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وعن الزبير بن العوام قال لما نزلت انك ميت الى قوله تختصمون قلت يا رسول الله أيكرر علينا ما يكون بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم ذلك حتى يؤدى الى كل ذى حق حقه قال الزبير فوالله ان الامر لشديد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم لما نزلت هذه الآية قالوا كيف نختصم ونحن أخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا ثم بين سبحانه حال كل فريق من المختصمين فقال

بماء نزلوا عليه قيل باليمن وقيل انه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه
اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ولد له عشرة من العرب أى كان من
نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه و بينه الابوان والثلاثة
والاقل والاكثر كما هو مقرر مبين فى مواضعه من كتب النسب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة
أى بعدما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزع عنها الى غيرها وكان من أمر
السد أنه كان الماء يأتيهم من بين
جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول
أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم
الاقادم فبنوا بينهما سدا عظيما
محكما حتى ارتفع الماء وحكم على
حافات ذينك الجبلين فغرسوا
الاشجار واستغلوا الثمار فى غاية
ما يكون من الكثرة والحسن كما
ذكره غير واحد من السلف منهم
قتادة ان المرأة كانت تمشى تحت
الاشجار وعلى رأسها مكتل أو
زنبيل وهو الذى تخترف فيه الثمار
فيتساقط من الاشجار فى ذلك ما يملؤه
من غير أن يحتاج الى كلفة ولا
قطاف لكثرته ونضجه واستوائه
وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها
وبين صنعاء ثلاثة مراحل و يعرف
بسد مأرب وذكر آخرون انه لم يكن
ببلدهم شئ من الذباب ولا البعوض
ولا البراغيث ولا شئ من الهوام
وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج
وعناية الله بهم ليوحدوه و يعبدوه
كما قال تبارك وتعالى لقد كان لسبا
فى مسكنهم آية ثم فسرها بقوله عز
وجل جنتان عن يمين وشمال أى
من ناحيتى الجبلين والبلدة بين
ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أى غفور لكم ان استمريتم على التوحيد وقوله تعالى فاعرضوا أى عن
توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا الى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة
والسلام وجئتك من سبا بنبا يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه بعث
الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا وقال السدى أرسل الله عز وجل اليهم اثنى عشر الف نبى والله أعلم وقوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل

فقال (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا أو صاحبة
(وكذب بالصدق اذ جاءه) وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الناس
الى التوحيد وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع ونهيهم عن محرماته واخبارهم بالبعث
والنشور وما أعد الله للمطيع والعاصى وقوله اذ جاء ظرف لكذب بالصدق أى كذب
بالقرآن فى وقت مجيئه أى فاجأه بالتكذيب لما سمعه من غير وقفة ولا اعمال روية بتمييز
بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون ثم استفهم سبحانه استفهاما تقريريا
فقال (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى أليس لهؤلاء المفترين المكذبين بالصدق
والمثوى المقام وهو مشتق من ثوى بالمكان اذا أقام به يثوى ثواء وثويا مثل مضى مضاء
ومضيا وحكى أبو عبيد انه يقال أثوى وأنكر ذلك الاصمعى وقال لا نعرف أثوى ثم ذكر
سبحانه فريق المؤمنين المصدقين فقال (والذى جاء بالصدق وصدق به) الموصول فى موضع
رفع بالابتداء وهو عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن تابعه وقيل الذى جاء
بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى صدق به أبو بكر قاله على بن أبى طالب
وعن أبى هريرة مثله وقال مجاهد الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والذى صدق به على بن أبى طالب وقال السدى الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال قتادة ومقاتل وابن زيد الذى جاء بالصدق النبى
صلى الله عليه وآله وسلم والذى صدق به المؤمنون وقال النخعى الذى جاء بالصدق وصدق
به هم المؤمنون الذين يجيؤن بالقرآن يوم القيامة وقيل ان ذلك عام فى كل من دعا الى
توحيد الله وأرشد الى ما شرعه لعباده واختار هذا ابن جرير وهو الذى اختاره من هذه
الاقوال و يؤيده قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ صدق به
بالتخفيف أى صدق به الناس قال ابن عباس الذى جاء بالصدق يعنى بلا اله الا الله وصدق
به يعنى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل جاء
بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به
الاتباع والكل صحيح قالوا والوجه فى العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان
التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز واضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد
ولفظ الذى كما وقع فى قراءة الجمهور وان كان مفردا فمعناه الجمع لانه يراد به الجنس كما

العرم قيل المراد بالعرم المياه وقيل الوادى وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز حكى ذلك السهيلي وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك ان الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بارسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الارض يقال لها الجرذ نقبت قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون فى كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير وولجت الى السد فنقبته فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد نقب أسافله حتى اذا ضعف ووهى وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء فى أسفل الوادى وخرب ما بين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التى فى الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الاشجار المثمرة الانيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراسانى والحسن وقتادة والسدى وهو الاراك وأكله البربر وأثل قال العوفى عن ابن عباس هو الطرفاء وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر والله أعلم وقوله تعالى وشئ من سدر قليل لما كان أجود هذه الاشجار المبدل بها هو السدر قال وشئ من سدر قليل فهذا الذى صار أمر تينك الجنتين اليه بعد الثمار النضجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدلت الى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذى الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل ولهذا قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور أى عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب الا الكفور وقال الحسن البصرى صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله الا الكفور وقال طاوس لا يناقش الا الكفور وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو الوليد عن هاشم بن صالح التغلبى عن أبى خيرة وكان من أصحاب على رضى الله عنه قال جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والتعسر فى اللذة قيل وما التعسر فى اللذة قال لا يصادف لذة حلالا الا جاءه من ينغصه اياها (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة

يفيده قوله (أولئك هم المتقون) أى المتصفون بالتقوى التى هى عنوان النجاة قال ابن عباس يعنى اتقوا الشرك ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدقين فى الآخرة فقال (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى لهم كل ما يشاؤنه من رفع الدرجات ودفع المضرات وتكفير السيآت وجلب المنافع وفى هذا ترغيب عظيم وتشويق بالغ (ذلك) أى ما تقدم ذكره من جزائهم وهو مبتدأ وخبره (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا فى أعمالهم وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم بين سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم فقال (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) فان ذلك هو أعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم لان الله سبحانه اذا غفر لهم ما هو الأسوء من أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقة الاولى واللام متعلقة بيشاؤن أو بالمحسنين أو بمحذوف قرأ الجمهور أسوأ على انه أفعل تفضيل وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سيئ الذى عملوا وبهذا الاعتبار عم الاسوأ جميع معاصيهم وقرئ أسواء بألف بين الهمزة والواو بزنة أجمال جمع سوء ولما ذكر الله سبحانه ما يدل على دفع المضار عنهم ذكر ما يدل على جلب أعظم المنافع اليهم فقال (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) اضافة الاحسن الى ما بعده ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشئ الى بعضه قصدا الى التوضيح من غير اعتبار تفضيل قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى وعم الاحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التأويل لاقتضى النظم انه يكفر عنهم أقبح السيآت فقط ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط (أليس الله بكاف عبده) قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع فعلى الاولى المراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم او الجنس ويدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخولا أوليا وعلى الثانية المراد الانبياء أو المؤمنون أو الجميع واختار أبو عبيد الاولى لقوله عقبه ويخوفونك والاستفهام للانكار لعدم كفايته سبحانه على أبلغ وجه كأنها بمكان من الظهور لا يتيسر لاحد أن ينكره وقيل المراد بالعبد والعباد ما يعم المسلم والكافر قال الجرجانى ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب وقرئ بكافى عباده بالاضافة ويكافى بصيغة المضارع وقوله (ويخوفونك) يجوز أن يكون فى محل نصب على الحال

وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان
فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهنىء الرغيد والبلاد المرضية والاماكن
الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث ان مسافرهم لا يحتاج الى حمل
زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد ماء وثمرا ويقيل فى قرية ويبيت فى أخرى بمقدار ما يحتاجون اليه فى سيرهم ولهذا قال تعالى وجعلنا
بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قال وهب بن منبه هى قرى بصنعاء وكذا قال أبو مالك وقال مجاهد والحسن
وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن
أسلم وقتادة والضحاك والسدى
وابن زيد وغيرهم يعنى قرى الشام
يعنون انهم كانوا يسيرون من اليمن
الى الشام فى قرى ظاهرة متواصلة
وقال العوفى عن ابن عباس القرى
التى باركنا فيها بيت المقدس وقال
العوفى عنه أيضا هى قرى عربية
بين المدينة والشام قرى ظاهرة
أى بينة واضحة يعرفها المسافرون
يقيلون فى واحدة ويبيتون فى
أخرى ولهذا قال تعالى وقدرنا فيها
السير أى جعلناها بحسب ما يحتاج
المسافرون اليه سيروا فيها ليالى
وأياما آمنين أى الامن حاصل لهم
فى سيرهم ليلا ونهارا فقالوا ربنا
باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم
وقرأ آخرون بعد بين أسفارنا وذلك
انهم بطروا هذه النعمة كما قاله
ابن عباس ومجاهد والحسن وغير
واحد وأحبوا مفاوز ومهامه
يحتاجون فى قطعها الى الزاد
والرواحل والسير فى الحرور
والمخاوف كما طلب بنو اسرائيل
من موسى أن يخرج الله لهم مما
تنبت الارض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها مع انهم كانوا فى عيش رغيد فى من وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا قال
لهم أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله
وقال عز وجل وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها وقال تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال تعالى فى حق هؤلاء فقالوا ربنا باعد بين
أسفارنا وظلموا أنفسهم أى بكفرهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق أى جعلناهم حديثا للناس وسمرا يتحدثون به من خبرهم

الحال اذ المعنى أليس كافيك حال تخويفهم اياك (بالذين من دونه) هى المعبودات التى
يعبدونها قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كأن المعنى انه
كافيك فى كل حال حتى فى هذه الحال ويجوز أن تكون مستأنفة (ومن يضلل الله) أى من
حق عليه القضاء بضلاله حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر
(فما له من هاد) يهديه الى الرشد ويخلصه من الضلالة (ومن يهدى الله فما له من مضل)
يخرجه من الهداية ويوقعه فى الضلالة (أليس الله بعزيز) أى غالب لكل شئ قاهر له
(ذى انتقام) ينتقم من عصاته بما يصبه عليهم من عذابه وما ينزله بهم من سوط عقابه واظهار
الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة (ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله) ذكر سبحانه اعترافهم اذا سئلوا عن الخالق بانه
الله سبحانه لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية مع عبادتهم للاصنام والاوثان
واتخاذهم الآلهة من دون الله وفى هذا أعظم دليل على انهم كانوا فى غفلة شديدة وجهالة
عظيمة لانهم اذا علموا أن الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف
استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع خالقه فى العبادة وقد كانوا
يذكرون بحسن العقول وكمال الادراك والفطنة التامة ولكنهم لما قلدوا اسلافهم
واحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم أمر الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال (قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) أى اخبرونى عن
آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراده الله بى من الضر والضر هو الشدة والبلاء
(أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) عنى بحيث لا تصل الى والرحمة النعمة والرخاء
قرأ الجمهور كاشفات وممسكات فى الموضعين بالاضافة وقرأهما أبو عمرو بالتنوين واختار
أبو عبيد وأبو حاتم قراءة أبى عمرو لان كاشفات اسم فاعل فى معنى الاستقبال وما كان
كذلك فتنوينه اجود وبها قرأ الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الآية سألهم
النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيأ من قدر الله ولكنها
تشفع فنزل (قل حسبى الله) فى جميع أمورى فى جلب النفع ودفع الضر (عليه يتوكل

وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والالفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد ههنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم اذا
تفرقوا تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا وتفرقوا شذر مذر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا
ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبا قال لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان
عن يمين وشمال الى قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فاخبروا الكهنة
بشيء من أخبار السماء فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وانه خبران زوال أمرهم قد دنا وان العذاب
قد أظلهم فلم يدر كيف يصنع لانه
كان له مال كثير من عقار فقال
لرجل من بنيه وهو أعزهم اخوالا
يا بني اذا كان غدا وأمرتك بامر فلا
تفعله فاذا انتهرتك فانتهرني فاذا
لطمتك فالطمني قال يا أبت لا تفعل
ان هذا أمر عظيم وأمر شديد قال
يا بني قد حدث أمر لابد منه فلم يزل به
حتى واتاه على ذلك فلما أصبحوا
واجتمع الناس قال يا بني افعل
كذا وكذا فأبى فانتهره أبوه فأجابه
فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه
فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال
ابني يلطمني علي بالشفرة قالوا
ما تصنع بالشفرة قال اذبحه قالوا
تذبح ابنك الطمه أو اصنع ما بدا لك
قال فأبى قال فارسلوا الى أخواله
فاعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا
خذ منا ما بدا لك فأبى الا أن يذبحه
قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه قال
فاذا كان الحديث هكذا فاني لا أرى
أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني
فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني
أرضي فلم يزل حتى باع دوره
وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في
يده واحرزه قال أي قوم ان العذاب
قد أظلكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وجملا شديدا وسفرا بعيدا فليلحق بعمان ومن
أراد منكم الخمر والخمير والعصير وكلمة قال ابراهيم لم أحفظها فليلحق ببصرى ومن أراد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل
المعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات نخل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان الى عمان وخرجت غسان الى بصرى وخرجت الاوس
والخزرج وبنو عثمان الى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان هذا مكان صالح لا نبتغي به بدلا فأقاموا به فسموا
لذلك خزاعة لانهم انخزعوا من أصحابهم واستقامت الاوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان الى عمان وتوجهت

المتوكلون) أي عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون ثم أمره الله سبحانه أن يهددهم
ويتوعدهم فقال (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على حالتكم التي أنتم عليها
وتمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث
للزمان وهما للمكان (اني عامل) على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها وحذف ذلك للعلم
به مما قبله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويذله في الدنيا فيظهر عند
ذلك انه المبطل وخصمه المحق والمراد به هذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل
والاسر والقهر والذلة ثم ذكر عذاب الآخرة فقال (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم
مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار وهو مجاز في الطرف أو في الاسناد وأصله مقيم
فيه صاحبه ثم لما كان يعظم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصرارهم على الكفر
أخبره بانه لم يكلف الا بالبيان لا بان يهدي من ضل فقال (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس)
أي لاجلهم ولبيان ما كلفوا به فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم فهو للناس كافة
لان رسالتك كذلك (بالحق) حال من الفاعل أو المفعول أي محقين أو متلبسا بالحق (فمن
اهتدى) طريق الحق وسلكها (فلنفسه ومن ضل عنها فانما يضل عليها) أي على نفسه
فضرر ذلك عليه لا يتعدى الى غيره (وما أنت عليهم بوكيل) أي مكلف بهدايتهم مخاطب
بها بل ليس عليك الا البلاغ وقد فعلت وهذه الآيات منسوخة بآية السيف فقد امر الله
سبحانه رسوله بعد هذه ان يقاتلهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويعملوا باحكام الاسلام ثم ذكر
سبحانه نوعا من أنواع قدرته البالغة وصنعته العجيبة فقال (الله يتوفى الانفس حين موتها)
أي يقبض الارواح عند حضور آجالها ويخرجها من الابدان (و) يتوفى الانفس (التي لم
تمت في منامها) أي لم يحضر أجلها في منامها وقد اختلف في هذا فقيل يقبضها عن
التصرف مع بقاء الروح في الجسد وقال الفراء المعنى ويقبض التي لم تمت عند انقضاء
أجلها قال وقد يكون توفيها نومها فيكون التقدير على هذا والتي لم تمت وفاتها نومها قال
الزجاج لكل انسان نفسان أحدهما نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام فلا يعقل
والاخرى نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس قال القشيري في هذا بعد
اذ المفهوم من الآية ان النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد ولهذا قال (فيمسك التي

قضى

قضى عليها الموت) فلا يردها الى البدن قرأ الجمهور قضى مبنيا للفاعل أى قضى الله عليها
الموت وقرئ على البناء للمفعول واختار أبو عبيد وأبو حاتم الاولى لموافقتها لقوله الله يتوفى
الانفس (ويرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) وهو
الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وقد قال بمثل قول الزجاج ابن الانبارى
وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا
فتتعارف ماشاء الله ان تتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها
والاولى ان يقال ان توفى الانفس حال النوم بازالة الاحساس وحصول الآفة به فى محل
الحس فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها الى الجسد الذى كانت فيه ويرسل الاخرى
بان يعيد عليها احساسها قيل ومعنى يتوفى الانفس عند موتها هو على حذف مضاف
أى عند موت أجسادها وعن ابن عباس قال نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس
فيتوفى الله النفس فى منامه ويدع الروح فى جوفه يتقلب و يعيش فان بدا له أن يقبضه
قبض الروح فمات وان أخر أجله رد النفس الى مكانها من جوفه أخرجه ابن المنذر وابن
أبى حاتم وعنه قال تلتقى أرواح الاحياء وأرواح الاموات فى المنام فيتساءلون بينهم ماشاء
الله ثم يمسك الله أرواح الاموات ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى أجل مسمى
لا يغلط بشئ منها أخرجه عبد بن حميد وغيره وعنه أيضا فى الآية قال كل نفس لها سبب
تجرى فيه فاذا قضى عليه الموت نامت حتى ينقطع السبب والتى لم تمت فى منامها
تترك وأخرج البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اذا اوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لا يدرى ما خلفه عليه ثم ليقل
باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه ان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين وقد اختلف العقلاء فى النفس والروح هل هما شئ واحد
أو شيآن والكلام فى ذلك يطول جدا وهو معروف فى الكتب الموضوعة لهذا الشأن
والاظهر أنهما شئ واحد وهو الذى تدل عليه الآثار الصحاح (ان فى ذلك) أى فيما تقدم
من التوفى والامساك والارسال للنفوس (لآيات) عجيبة بديعة دالة على القدرة الباهرة
ولكن ليس كون ذلك آيات يفهمه كل أحد بل (لقوم يتفكرون) فى ذلك ويتدبرونه
و يستدلون به على توحيد الله وكمال قدرته فان فى هذا التوفى والامساك والارسال موعظة

غسان الى بصرى هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبا وكهانهم وقد ذكر محمد بن
اسحق بن يسار فى أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذى كان أول من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره بارسال العرم
عليهم فقال وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثنى به ابو زيد الانصارى انه رأى جرذا يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس
عنهم الماء فيصرفونه حيث شاؤا من ارضهم فعلم انه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فامر أصغر ولده اذا
اغلظ له ولطمه ان يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو (١٦١) لا اقيم ببلد لطم وجهى فيها اصغر ولدى وعرض
أمواله فقال اشراف من اشراف
اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا
منه امواله وانتقل فى ولده وولد ولده
وقالت الاسد لا نتخلف عن عمرو
ابن عامر فباعوا اموالهم وخرجوا
معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك
مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم
عك وكان حربهم سجالا ففى ذلك
يقول عباس بن مرداس الاسلمى
رضى الله عنه

وعك بن عدنان الذين تغلبوا
بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت فى قصيدة له قال ثم
ارتحلوا عنهم فتفرقوا فى البلدان
فتفرق آل جفنة بن عمرو بن عامر
الشام ونزلت الاوس والخزرج
يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت ازد
السراة السراة ونزلت ازد عمان عمان
ثم أرسل الله تعالى على السد السيل
فهدمه وفى ذلك أنزل الله عزوجل
هذه الآيات وقد ذكر السدى قصة
عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن
اسحق الا انه قال فامر ابن أخيه
مكان ابنه الى قوله فباع ماله
وارتحل باهله فتفرقوا رواه ابن أبى
حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد

أخبرنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون ان عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى فى كهانته
ان قومه سيمزقون و يباعد بين أسفارهم فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد
فليلحق بكاس أو كرود قال فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دعن فليلحق بارض شن فكانت عوف بن عمرو
وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا آنيا وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان منكم يريد الراسيات
فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج وهما هذان الحيان من الانصار ومن كان

منكم يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قال هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهانتها ذلك فالله أعلم أي ذلك كان وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي اما غسان فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام واما الانصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الازد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال محمد ابن اسحق حدثني أبو عبيدة قال قال الاعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس

وفي ذاك للمؤتسي أسوة
ومأرب قفى عليها العرم

رخام بنته لهم حمير
اذا ما نأى ماؤهم لم يرم

فأروى الزروع وأعنابها
على ساعة ماؤهم اذ قسم

فصاروا أيادي ما يقدرو
ن منه على شرب طفل فطم

وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي ان في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى قالا اخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن ان أصابه خير حمد ربه وشكر وان أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى في امرأته وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي اسحق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن وجهه له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عجبا للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور قال كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك

للمتعظين وتذكرة للمتذكرين (ام) هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أي بل أ(اتخذوا من دون الله) آلهة (شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على محذوف مقدر أي ايشفعون ولو كانوا الخ وجواب لو محذوف أي وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم والمعنى انهم غير مالكين لشئ من الاشياء وتدخل الشفاعة في ذلك دخولا أوليا (ولا يعقلون) شيأ من الاشياء لانها جمادات لا عقل لها وجمعهم بالواو والنون لاعتقاد الكفار فيهم انهم يعقلون ثم أمره سبحانه بان يخبرهم ان الشفاعة لله وحده فقال (قل لله الشفاعة جميعا) فليس لاحد منها شئ الا أن تكون باذنه لمن ارتضى كما في قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانتصاب جميعا على الحال وانما أكد الشفاعة بما يؤكد به الاثنان فصاعدا لانها مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة ثم وصفه بسعة الملك فقال (له ملك السموات والارض) أي يملكهما ويملك ما فيهما ويتصرف في ذلك كيف يشاء ويفعل ما يريد فهو مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم دون اذنه ورضاه (ثم اليه) لا الى غيره (ترجعون) بعد البعث (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انتصاب وحده على الحال عند يونس وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه والاشمئزاز في اللغة النفور قال أبو عبيدة اشمأزت نفرت وقال المبرد انقبضت وبالاول قال قتادة وبالثاني قال مجاهد والمعنى متقارب وقال المؤرج أنكرت وقال أبو زيد اشمأز الرجل ذعر من الفزع والمناسب للمقام تفسير اشمأزت بانقبضت وهو في الاصل الازورار وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله انقبضوا كما حكاه الله عنهم في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا قال ابن عباس في الآية اشمأزت قست ونفرت قلوب هؤلاء الاربعة الذين لا يؤمنون بالآخرة أبو جهل بن هشام والوليد بن عقبة وصفوان وأبي بن خلف (واذا ذكر الذين من دونه) اللات والعزى وغيرهما من الاصنام (اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بذلك ويبتهجون به والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الله الفعل الذي بعدها وهو اشمأزت والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الذين الخ الفعل العامل في اذا الفجائية والتقدير فاجؤا الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه وذلك لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة

وربك على كل شئ حفيظ) لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم فى اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن
اتبع ابليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره هذه الآية
كقوله تعالى اخبارا عن ابليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى
الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم
شاكرين والآيات فى هذا كثيرة وقال الحسن البصرى لما أهبط الله آدم (١٦٣) عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء
هبط ابليس فرحا بما أصاب منهما
وقال اذا أصبت من الابوين
ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف
وكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله
عزوجل ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
فقال عند ذلك ابليس لا أفارق
ابن آدم مادام فيه الروح أعده
وأمنيه وأخدعه فقال الله تعالى
وعزتى لا أحجب عنه التوبة
مالم يغرغر بالموت ولا يدعونى الا
أجبته ولا يسألنى الا أعطيته ولا
يستغفرنى الا غفرت له رواه ابن أبى
حاتم وقوله تبارك وتعالى وما كان له
عليهم من سلطان قال ابن عباس
رضى الله عنهما أى من حجة وقال
الحسن البصرى والله ما ضربهم
بعصا ولا أكرههم على شئ وما كان
الا غرورا وأمانى دعاهم اليها
فأجابوه وقوله عزوجل الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك
أى انما سلطناه عليهم ليظهر أمر
من هو مؤمن بالآخرة وقيامها
والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة
ربه عزوجل فى الدنيا ممن هو منها فى
شك وقوله تعالى وربك على كل
شئ حفيظ أى ومع حفظه ضل من ضل من اتباع ابليس وبحفظه وكلاءته سلم من أسلم من المؤمنين اتباع الرسل (قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) بين تبارك وتعالى انه الاله الواحد
الاحد الفرد الصمد الذى لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله اى من الآلهة التى عبدت من دونه لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض كما قال تبارك وتعالى

وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غضبا وغما حتى ينقبض أديم وجهه ولما لم يقبل المتمردون
من الكفار ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء الى الخير وصمموا على
كفرهم أمره الله سبحانه أن يرد الامر الى الله سبحانه ويلتجئ اليه تعالى بالدعاء لما
تحير فى أمرهم وعجز فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال
كلها فقال (قل اللهم) أصله يا الله عوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت
لتكون على حرفين كالمعوض عنه ولذا لم يجمع بينهما فلا يقال يا اللهم فى فصيح الكلام
وما سمع من قوله

انى اذا ما حدث ألما * أقول يا اللهم يا اللهما

فضرورة قاله الكرخى (فاطر السموات والارض) أى مبدعهما (عالم الغيب والشهادة)
أى ما غاب وشوهد وهما منصوبان على النداء (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون) من الهدى والضلالة والمعنى تجازى المحسن باحسانه وتعاقب المسئ باساءته
فانه بذلك يظهر من هو المحق ومن هو المبطل ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم
المتخاصمين وقيل هذه محاكمة من النبى للمشركين الى الله تعالى وعن ابن المسيب لا
أعرف آية قرئت فدعى عندها الا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه
أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه
الآية وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه فى حجره ويضع
فاه على فيه وأخرج مسلم وأبو داود والبيهقى فى الاسماء والصفات عن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل
وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من
تشاء الى صراط مستقيم ثم لما حكى عن الكفار ما حكاه من الاشمئزاز عند ذكر الله
والاستبشار عند ذكر الاصنام ذكر ما يدل على شدة عذابهم وعظم عقوبتهم فقال (ولو أن
للذين ظلموا ما فى الارض جميعا) أى جميع ما فى الدنيا من الاموال والذخائر (ومثله معه)
أى منضما اليه (لافتدوا به) أى بالمذكور من الامرين أى لجعلوه فدية لانفسهم (من سوء
العذاب يوم القيامة) أى من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى تفسير هذا فى آل عمران

والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير وقوله تعالى وما لهم فيهما من شرك أى لا يملكون شيأ استقلالا ولا على سبيل الشركة
وماله منهم من ظهير أى وليس لله من هذه الانداد من ظهير يستظهر به فى الامور بل الخلق كلهم فقراء اليه عبيد لديه قال قتادة
فى قوله عز وجل وماله منهم من ظهير من عون يعينه بشئ ثم قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له أى لعظمته وجلاله
وكبريائه لا يجترى أحد أن يشفع عنده تعالى فى شئ الا بعد اذنه له فى الشفاعة كما قال عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
وقال جل وعلا وكم من ملك فى السموات (١٦٤) لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من
خشيته مشفقون ولهذا ثبت فى
الصحيحين من غير وجه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد
آدم وأكبر شفيع عند الله تعالى
انه حين يقوم المقام المحمود ليشفع فى
الخلق كلهم ان يأتى ربهم لفصل
القضاء قال فأسجد لله تعالى
فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ويفتح
على بمحامد لا أحصيها الآن ثم يقال
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل
تعطه واشفع تشفع الحديث بتمامه
وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهذا أيضا مقام رفيع فى العظمة
وهو أنه تعالى اذا تكلم بالوحى فسمع
أهل السموات كلامه أرعدوا من
الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشى
قاله ابن مسعود رضى الله عنه
ومسروق وغيرهما فاذا فزع عن
قلوبهم اى زال الفزع عنها قال ابن
عباس وابن عمر رضى الله عنهم وأبو
عبد الرحمن السلمى والشعبى
وابراهيم النخعى والضحاك والحسن
وقتادة فى قوله عز وجل حتى اذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الحق يقول جلى عن قلوبهم
وقرأ بعض السلف وجاء مرفوعا اذا فرغ بالغين المعجمة ويرجع الى الاول فاذا كان كذلك سأل بعضهم بعضا ماذا
قال ربكم فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم حتى ينتهى الخبر الى أهل السماء الدنيا ولهذا قال تعالى قالوا
الحق أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان وهو العلى الكبير وقال آخرون بل معنى قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم
يعنى المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة اذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة فى الدنيا ورجعت اليهم عقولهم يوم القيامة قالوا
ماذا قال ربكم فقيل لهم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين فى الدنيا قال ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى اذا فزع عن قلوبهم كشف

(وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم من فنون عقوبات الله وسخطه وشدة
عذابه ما لم يكن فى حسابهم ولا يحدثون به فى نفوسهم وفى هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ
غاية لا غاية وراءها وقال مجاهد عملوا أعمالا توهموا أنها حسنات فاذا هى سيآت وكذا
قال السدى وقال سفيان الثورى ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء هذه
آيتهم وقصتهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا فقيل له
ما هذا الجزع قال أخاف آية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا
أخشى أن يبدو لى ما لم أكن أحتسب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم
من الشرك وظلم أولياء الله وما تحتمل أن تكون مصدرية أى سيآت كسبهم وان تكون
موصولة أى سيآت الذى كسبوه حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم
أو عقاب ذلك (وحاق بهم) أى أحاط بهم ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) من الانذار
الذى كان ينذرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذا مس الانسان) المراد هنا بالانسان
الجنس باعتبار بعض افراده أو غالبها وقيل المراد به الكفار فقط والاول أولى ولا يمنع من
حمله على الجنس خصوص سببه لان الاعتبار بعموم اللفظ وفاء بحق النظم القرآنى ووفاء
بمدلوله والمعنى ان شأن غالب نوع الانسان انه اذا مسه (ضر) من مرض أو فقر أو غيرهما
(دعانا) وتضرع الينا فى رفعه ودفعه (ثم اذا خولناه نعمة منا) أى أعطيناه نعمة كائنة من
عندنا (قال انما أوتيته على علم) منى بوجوه المكاسب أو على خير عندى أو على علم من الله
بفضلى وقيل ان كان ذلك سعادة فى المال أو عافية فى النفس يقول انما حصل ذلك بجدى
واجتهادى وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلانى وان حصل مالا يقول
حصل بكسبى وهذا تناقض أيضا لانه لما كان عاجزا محتاجا أضاف الكل الى الله تعالى وفى
حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى وأسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح
وقال الحسن على علم علمنى الله اياه وقيل قد علمت أنى اذا أوتيت هذا فى الدنيا أن لى عند
الله منزلة وجاء فى أوتيته بالضمير مذكرا مع كونه راجعا الى النعمة لانها بمعنى الانعام وقيل
ان الضمير عائد الى ما وهى موصولة والاول أولى (بل هى فتنة) هذا رد لما قاله أى ليس ذلك
الذى أعطيناك لما ذكرت بل هو محنة لك واختبار لحالك أتشكر أم تكفر قال الفراء
أنث الضمير فى قوله هى لتأنيث الفتنة ولو قال بل هو فتنة لجاز وقيل تأنيث الضمير باعتبار
لفظ

عنها الغطاء يوم القيامة وقال الحسن حتى اذا فزع عن قلوبهم يعنى مافيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى اذا فزع عن قلوبهم يعنى مافيها من الشك قال فزع الشيطان عن قلوبهم وما ربهم وامانيهم وما كان يضلهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال وهذا فى بنى آدم هذا عند الموت اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير القول الاول ان الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذى لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والآثار ولنذكر منها طرفا يدل على غيره قال البخارى عند تفسير هذه الآية الكريمة فى صحيحه حدثنا (١٦٥) الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله تعالى الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء انفرد باخراجه البخارى دون مسلم من هذا الوجه وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قالا حدثنا معمر أخبرنا الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا فى الجاهلية قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم قلت للزهرى أكان يرمى بها فى الجاهلية قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين

لفظ الفتنة وتذكير الاول فى قوله أوتيته باعتبار معناها وقال النحاس بل عطية فتنة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر (قد قالها الذين من قبلهم) أى قال هذه الكلمة التى قالوها وهى قوله انما أوتيته على علم الذين من قبلهم كقارون وقومه فان قارون قال انما أوتيته على علم عندى وانما نسب اليهم قوله باعتبار رضاهم به (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما نافية اى لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيأ او استفهامية أى أى شئ أغنى عنهم ذلك (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو أصابهم سيآت هى جزاء كسبهم وسمى الجزاء سيآت لوقوعه فى مقابلة سيآتهم فيكون ذلك من باب الازدواج والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه رمز الى أن جميع أعمالهم كذلك ثم أوعد سبحانه الكفار فى عصره فقال (والذين ظلموا من هؤلاء) الموجودين من الكفار (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) كما أصاب من قبلهم وقد أصابهم فى الدنيا ما أصابهم من القحط والقتل والاسر والقهر والسين للتأكيد (وما هم بمعجزين) اى بفائتين على الله بل مرجعهم اليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة (أولم يعلموا) الضمير للقائلين انما أوتيته على علم فالمعنى أقالوها ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (ان الله يبسط) اى يوسع (الرزق لمن يشاء) ان يوسعه له وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا (ويقدر) أى يقبضه على من يشاء ان يقبضه ويضيقه عليه وان كان قويا شديد الحيلة ابتلاء وقيل يجعله على قدر قوت قال مقاتل وعظهم الله ليعتبروا فى توحيده وذلك حين مطروا بعد سبع سنين فقال أولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك أنا نرى الناس مختلفين فى سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله فانا نرى العاقل القادر فى أشد الضيق والجاهل الضعيف فى أعظم السعة (ان فى ذلك) المذكور من التوسيع والتضييق (لآيات) أى لدلالات عظيمة وعلامات جليلة (لقوم يؤمنون) بالله وانما خص المؤمنين لانهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر سعة رحمته وعظيم معرفته وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبشرهم بذلك فقال

يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر كل أهل سماء سماء حتى ينتهى الخبر الى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون هكذا رواه الامام أحمد وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث صالح بن كيسان والاوزاعى ويونس ومعقل بن عبيد الله أربعتهم عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الانصار به وقال يونس عن رجال من الانصار رضى الله عنهم وكذا رواه النسائى فى التفسير من حديث الزبيدى عن الزهرى به ورواه الترمذى فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الانصار رضى الله عنه والله أعلم حديث آخر قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادى والسياق لمحمد بن عوف قالا حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبى زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحى فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضى به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلها من سماء الى سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول عليه السلام قال الحق وهو العلى الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهى جبريل بالوحى الى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصرى عن نعيم بن حماد به وقال ابن أبى حاتم سمعت أبى يقول ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبى حاتم من حديث العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بابتداء ايحاء الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التى كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ولا شك ان هذا أولى ما دخل فى هذه الآية (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرمنا

فقد

(قل يا عبادى) قرئ باثبات الياء وصلا ووقفا وبغير الياء وهما سبعيتان (الذين أسرفوا) أى أفرطوا (على أنفسهم) فى الكفر أو المعاصى واستكثروا منها (لا تقنطوا) بفتح النون وبكسرها أى لا تيأسوا (من رحمة الله) أى من مغفرته وفى هذه الآية من أنواع المعانى والبيان أشياء حسنة منها اقباله تعالى عليهم ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه فى قوله الآتى ان الله قاله السمين وقال عبد الله وغيره هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة فانه أولا اضاف العباد الى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ثم وصفهم بالاسراف فى المعاصى والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهى عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الاولى وبفحوى الخطاب قيل وهذه عامة فى كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب فتمحو توبته ذنبه والمراد منها التنبيه على انه لا ينبغى للعاصى ان يظن انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى اذ لا أحد من العصاة الا وانه متى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة والحق ان الآية غير مقيدة بالتوبة بل هى على اطلاقها ولما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط وجاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال (ان الله يغفر الذنوب) فالالف واللام قد صيرت الجمع الذى دخلت عليه للجنس الذى يستلزم استغراق افراده فهو فى قوة ان الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان الا ما أخرجه النص القرآنى وهو الشرك ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله (جميعا) فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين فى رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين اليه فى طلب العفو الملتجئين به فى مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل به سبحانه هذا الكلام قائلا (انه هو الغفور الرحيم) أى كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فابرز الجملة مؤكدة بان والفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة فمن أبى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن ان تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به

ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل ارونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم) يقول تعالى مقررا تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالالهية أيضا فكما كانوا يعترفون بانهم لا يرزقهم من السموات والارض أى بما ينزل من المطر وينبت من الزرع الا الله فكذلك فليعلموا أنه لا اله غيره وقوله تعالى وانا أوايا كم لعلى هدى أو فى ضلال مبين هذا من باب اللف والنشر أى واحد من الفريقين مبطل والآخر محق لا سبيل الى ان تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال وانا أوايا كم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن وايا كم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقال عكرمة وزياد بن أبى مريم معناها انا نحن لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين وقوله تعالى قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون معناه التبرى منهم أى لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله تعالى والى توحيده وافراد العبادة له فان أجبتم فانتم منا ونحن منكم وان كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال تعالى فان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون وقال عز وجل قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين وقوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا أى يوم القيامة يجمع بين الخلائق فى صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أى يحكم بيننا بالعدل فيجزى كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الابدية كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ولهذا قال عز وجل وهو الفتاح العليم أى الحاكم العادل العالم بحقائق الامور وقوله تبارك وتعالى قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء أى أرونى هذه الآلهة التى جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا كلا أى ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل ولهذا قال تعالى بل هو الله أى الواحد الاحد الذى لا شريك له العزيز الحكيم اى ذو العزة الذى قد قهر بها كل شىء وغلبت كل شىء الحكيم فى

فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط فان التبشير وعدم التقنيط هو الذى جاءت به مواعيد الله فى كتابه العزيز والمسلك الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صح عنه من قوله يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا واذا تقرر لك هذا فاعلم ان الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هو أن كل ذنب كائنا ما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله ان يغفر له على انه يمكن ان يقال ان اخباره لنا بانه يغفر الذنوب جميعا يدل على انه يشاء غفرانها جميعا وذلك يستلزم انه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية واما ما يزعمه جماعة من المفسرين من تقييد هذه الآية بالتوبة وانها لا تغفر الا ذنوب التائبين وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات فهو جمع بين الضب والنون وبين الملاح والحادى وعلى نفسها براقش تجنى ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها كثير موقع فان التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك باجماع المسلمين ولذا قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كانت التوبة قيدا فى المغفرة لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة وقد قال سبحانه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الواحدى المفسرون كلهم قالوا ان هذه الآية فى قوم خافوا ان أسلموا ان لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبى صلى الله عليه وآله وسلم قلت هب انها فى هؤلاء القوم فكان ماذا فان الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم ولو كانت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية مقيدة باسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الامة ان لم ترتفع كلها واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وفى السنة المطهرة من الاحاديث الثابتة فى الصحيحين وغيرهما فى هذا الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقيقة ما حررناه قاله الشوكانى وعن ابن عمر قال كنا نقول ليس لمفتتن توبة وما الله بقابل منه شيأ عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم وكانوا يقولونه لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أنزل الله فيهم قل يا عبادى الذين أسرفوا الآيات قال ابن عمر فكتبتها بيدى ثم بعثت بها الى هشام بن العاصى وعن أبى سعيد قال لما أسلم وحشى أنزل الله والذين

افعاله واقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا والله اعلم (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اى الا الى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا أى تبشر من اطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون كقوله عزوجل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله قال محمد بن كعب فى قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس يعنى الى الناس عامة وقال قتادة فى هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب والعجم فاكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عزوجل وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص عن عمر العدنى حدثنا الحكم يعنى ابن ابان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الانبياء قالوا يا ابن عباس فبم فضله الله على الانبياء قال رضى الله عنه ان الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة للناس فأرسله الله تعالى الى الجن والانس وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين رفعه عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وفى الصحيح أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاسود والاحمر قال مجاهد يعنى الجن والانس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح ثم قال عزوجل مخبرا عن الكفار فى استبعادهم قيام الساعة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذه الآية كقوله عزوجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق

لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق قال وحشى وأصحابه قد ارتكبنا هذا كله فأنزل الله قل يا عبادى الذين أسرفوا الآية وأخرج البخارى فى الادب المفرد عن أبى هريرة قال خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم انصرف وأبكى القوم وأوحى الله اليه يا محمد لم تقنط عبادى فرجع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابشروا وسددوا وقاربوا وعن عمر بن الخطاب انها نزلت فيمن أفتن وعن ابن عباس انها نزلت فى مشركى مكة لما قالوا ان الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل النفس وغير ذلك وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن ثوبان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما أحب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال رجل ومن أشرك فسكت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وعن ابن مسعود أنه مر على قاص يذكر الناس فقال يا مذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرأ يا عبادى الآية وعن ابن سيرين قال قال على أى آية أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن من يعمل سوأ أو يظلم نفسه الآية ونحوها فقال على ما فى القرآن أوسع من يا عبادى الآية وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى الآية قال قد دعا الله الى مغفرته من زعم ان المسيح بن الله ومن زعم ان عزير بن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا الى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيرى قال ابن عباس ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وحديث ابى سعيد الخدرى فى رجل قتل تسعة وتسعين انسانا فى الصحيحين بطوله وكذا حديث رجل قال وذرونى فى الريح فيهما بطوله عن أبى هريرة وعنه فى سنن أبى داود حديث رجلين متحابين وعن أنس قال

سمعت

الآية ثم قال تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون أى لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزاد ولا ينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال عزوجل وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين (١٦٩) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن تمادى الكفار فى طغيانهم وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان بالقرآن وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه قال الله عزوجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه فى حال تخاصمهم وتحاجهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا منهم وهم قادتهم وسادتهم لولا أنتم لكنا مؤمنين أى لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤنا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم أى نحن ما فعلنا بكم اكثر من انا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الادلة والبراهين والحجج التى جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عزوجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا ابالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا ابالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى والعنان السحاب والقراب بضم القاف هو ما يقارب ملءها (وانيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالطاعة لما بشرهم سبحانه بانه يغفر الذنوب جميعا أمرهم بالرجوع اليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصى وليس فى هذا ما يدل على تقييد الآية الاولى بالتوبة لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام بل غاية ما فيها انه بشرهم بتلك البشارة العظمى ثم دعاهم الى الخير وخوفهم من الشر على انه يمكن ان يقال ان هذه الجملة مستأنفة خطابا للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله (وأسلموا له) جاء بها التحذير للكفار وانذارهم بعد ترغيب المسلمين بالآية الاولى وتبشيرهم وهذا وان كان بعيدا ولكنه يمكن ان يقال به والمعنى على ما هو الظاهر أن الله جمع لعباده بين التبشير العظيم والامر بالانابة اليه والاخلاص له والاستسلام لامره والخضوع لحكمه وقوله (من قبل أن يأتيكم العذاب) أى عذاب الدنيا كما يفيده النظم فليس فى ذلك ما يدل على ما زعمه الزاعمون وتمسك به القانطون المقنطون والحمد لله رب العالمين (ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون من العذاب ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن يقول أحلوا حلاله وحرموا حرامه والقرآن كله حسن قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معاصيه وقال السدى الاحسن ما أمر الله به فى كتابه وقال ابن زيد يعنى المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل الناسخ دون المنسوخ وقيل العفو دون الانتقام بما يحق فيه الانتقام وقيل أحسن ما انزل اليكم من أخبار الامم الماضية ومثله قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل القرآن او المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص ولعله ما هو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أى من قبل أن يفاجئكم العذاب وأنتم غافلون عنه لا تشعرون به وقيل اراد أنهم يموتون بغتة فيقعون فى العذاب والاول أولى لان الذى يأتيهم بغتة هو العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر والخوف والقهر والجدب لا عذاب الآخرة ولا الموت لانه لم يسند الاتيان اليه (أن تقول نفس) قال البصريون

قالوا بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار أى بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغروننا وتمنوننا وتخبروننا انا على هدى وأنا على شئ فاذا جميع ذلك باطل وكذب ومين قال قتادة وابن زيد بل مكر الليل والنهار يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا أى نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شبها وأشياء من المحال تضلوننا بها وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أى الجميع من السادة والاتباع كل ندم على ما سلف منه وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا وهى السلاسل التى تجمع أيديهم مع أعناقهم هل

يجزون الا ما كانوا يعملون أي انما نجازيكم باعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم وللاتباع بحسبهم قال لكل ضعف ولكن
لاتعلمون قال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الاصبهاني عن أبي سنان ضرار بن صرد عن
عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جهنم لما سيق اليها أهلها تلقاهم لهبها
ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم الا سقط على العرقوب وحدثنا ابى حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن

ابن يحيى الخشني قال مافي جهنم دار ولامغار ولاغل ولاقيد ولاسلسلة الا اسم صاحبها عليها مكتوب قال
فحدثته أباسليمان يعني الداراني
رحمة الله عليه فبكى ثم قال ويحك
فكيف به لوجمع هذا كله عليه
فجعل القيد في رجليه والغل في يديه
والسلسلة في عنقه ثم أدخل النار
وأدخل المغار اللهم سلم (وما أرسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها انا
بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن
أكثر أموالا وأولادا ومانحن
بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر
الناس لايعلمون وما أموالكم ولا
أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا
من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم
جزاء الضعف بما عملوا وهم في
الغرفات آمنون والذين يسعون في
آياتنا معاجزين أولئك في العذاب
محضرون قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له وما
أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير
الرازقين) يقول تعالى مسليا لنبيه
صلى الله عليه وسلم وآمرا له بالتأسي
بمن قبله من الرسل ومخبره بانه مابعث
نبيا في قرية الا كذبه مترفوها واتبعه
ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه
الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك
الارذلون وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وقال الكبراء من قوم صالح للذين استضعفوا لمن آمن منهم
أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون وقال عز وجل وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر
مجرميها ليمكروا فيها وقال جل وعلا واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقال جل
وعلا ههنا وما أرسلنا في قرية من نذير أي نبي أو رسول الا قال مترفوها وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرآسة قال قتادة هم

أي حذرا أن تقول وقال الكوفيون أي لئلا تقول قال المبرد بادروا خوف أن تقول
أو حذرا من أن تقول وقدره الزمخشري كراهة أن تقول وابن عطية وأنيبوا من أجل أن
تقول وأبو البقاء والحوفي أنذرناكم مخافة أن تقول قال الحلبي عقب نقل بعض هذه
التقادير ولا حاجة الى اضمار هذا العامل مع وجود أنيبوا ونكر نفس لان المراد بها بعض
الانفس وهي النفس الكافرة المتميزة باللجاج الشديد في الكفر أو بالعذاب الاليم وقيل
المراد به التكثير كما في قوله علمت نفس ما أحضرت أي نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة
المؤمنون وقال الزجاج خوف أن تصيروا الى حال تقولون فيها (ياحسرتى) قرأ الجمهور
ياحسرتا بالالف بدلا من الياء المضاف اليها وقرأ ابن كثير ياحسرتاه بهاء السكت وقفا
وقرأ أبو جعفر ياحسرتي بالياء على الاصل والحسرة الندامة والاغتمام والحزن على مافات
(على مافرطت) أي على تفريطي وتقصيري فما مصدرية (في جنب الله) أي طاعته قاله
الحسن والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشئ المحسوسة واطلاق الجنب على
الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه فالطاعة لها تعلق
بالله كما أن الجهة لها تعلق بصاحبها وقال الضحاك في ذكر الله ويعني به القرآن والعمل به
وقال أبو عبيدة في ثواب الله وقيل في حق الله أو في أمر الله أو في ذات الله وقال الفراء
الجنب القرب والجوار أي في قرب الله وجواره ومنه قوله والصاحب بالجنب والمعنى على
هذا القول على مافرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنة وبه قال ابن الاعرابي وقال
الزجاج أي في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والاقرار بنبوة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدي الى
رضا الله يقال انا في جنب فلان وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي
جانبه يريدون في حقه وهذا من باب الكناية قال ابن عباس في الآية أخبر الله ما العباد
قائلون قبل أن يقولوا وعلمهم قبل ان يعملوا (وان كنت لمن الساخرين) أي وما كنت
الا من المستهزئين بدين الله في الدنيا وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قال قتادة لم يكفه أن
ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها والجملة حالية أي فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن
الله هداني لكنت من المتقين) اي لو أن الله أرشدني الى دينه لكنت ممن يتقي الشرك
والمعاصي وهذا من جملة مايحتج به المشركون من الحجج الزائفة ويتعللون به من العلل
الباطلة

جبابرتهم وقادتهم ورؤسهم فى الشر انا بما أرسلتم به كافرون أى لانؤمن به ولا نتبعه قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا
هرون بن اسحق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما الى
الساحل وبقى الآخر فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى صاحبه يسأله مافعل فكتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش انما
اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلنى عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال الام تدعو فقال أدعو الى كذا وكذا قال أشهد (١٧١) انك رسول الله قال صلى الله عليه وسلم
وماعلمك بذلك قال انه لم يبعث نبى
الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم
قال فنزلت هذه الآية وما أرسلنا
فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا
بما ارسلتم به كافرون الآية قال
فأرسل اليه النبى صلى الله عليه
وسلم ان الله عزوجل قد أنزل تصديق
ماقلت وهكذا قال هرقل لأبى
سفيان حين سأله عن تلك المسائل
قال فيها وسألتك عن اضعاف الناس
اتبعه ام اشرافهم فزعمت بل ضعفاؤهم
وهم اتباع الرسل وقوله تبارك
وتعالى اخبارا عن المترفين المكذبين
وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
ومانحن بمعذبين أى افتخروا بكثرة
الاموال والاولاد واعتقدوا ان ذلك
دليل على محبة الله تعالى لهم
واعتنائه بهم وانه ما كان ليعطيهم
هذا فى الدنيا ثم يعذبهم فى الآخرة
وهيهات لهم ذلك قال الله تعالى
أيحسبون أنما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل
لايشعرون وقال تبارك وتعالى فلا
تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما
يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا
وتذهق أنفسهم وهم كافرون وقال
عزوجل ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا
سأرهقه صعودا وقد أخبر الله عزوجل عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذا مال وثمر وولد ثم لم يغن عنه شيأ بل سلبه ذلك كله فى الدنيا
قبل الآخرة ولهذا قال عزوجل ههنا قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى يعطى المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء
ويغنى من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة ولكن أكثر الناس لايعلمون ثم قال تعالى وما أموالكم ولا
أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى أى ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا

الباطلة كما فى قوله سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فهى كلمة حق
يريدون بها باطلا قال أبو المنصور هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك
الكفرة الذين قالوا الاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم ولكن علم منا اختيار الضلالة
والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا
ثم ذكر سبحانه مقالة أخرى مما قالوه فقال (أو تقول حين ترى العذاب) والتعبير
بأو للدلالة على ان النفس لاتخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لاطائل تحته
فأو للتنويع لما تقوله النفس فى ذلك اليوم ويصح أن تكون مانعة خلو فتجوز الجمع (لو ان
لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) المؤمنين بالله الموحدين له المحسنين فى
أعمالهم ثم ذكر سبحانه جوابه على هذه النفس المتمنية المتعللة بغير علة فقال (بلى) أى
فيقال له من قبل الله بلى الخ كانه قال ماهدانى الله فيقال بلى (قد جاءتك آياتى) مرشدة
لك والمراد بالآيات هى الآيات التنزيلية وهو القرآن (فكذبت بها) وهو قوله انها ليست
من عند الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت) مع ذلك التكذيب
والاستكبار (من الكافرين) بالله وجاء سبحانه بخطاب المذكر فى قوله جاءتك وكذبت
واستكبرت وكنت لان النفس تطلق على المذكر والمؤنث قال المبرد تقول العرب نفس
واحد أى انسان واحد والتذكير باعتبار كونها شخصا كافرا قرأ الجمهور بفتح التاء فى
هذه المواضع وقرئ بكسرها فى جميعها وهى قراءة أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه وبنته عائشة وأم سلمة ورويت عن ابن كثير (ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله) بان له شريكا وصاحبة وولدا (وجوههم مسودة) لما أحاط بهم من العذاب
ولما شاهدوه من غضب الله ونقمته والجملة فى محل النصب على الحال قال الاخفش ترى
غير عامل فى وجوههم مسودة انما هو مبتدأ وخبر والاولى ان ترى ان كانت من الرؤية
البصرية فجملة وجوههم مسودة حالية وان كانت قلبية فهى مفعول ثان لترى (أليس
فى جهنم مثوى للمتكبرين) الاستفهام لتقرير اسوداد وجههم وتعليل له كانه قال لان
لهم فى جهنم مقرا ومقاما والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما ثبت فى الحديث الصحيح
(وينجى الله الذين اتقوا) الشرك ومعاصى الله من جهنم متلبسين (بمفازتهم) أى بمكان

جعفر حدثنا يزيد بن الاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم
وأموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ولهذا
قال الله تعالى الا من آمن وعمل صالحا أي انما يقربكم عندنا زلفى الايمان والعمل الصالح فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أي
تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف وهم في الغرفات آمنون أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس
وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه قال (١٧٢) ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي حدثنا القاسم
وعلي بن مسهر عن عبد الرحمن بن
اسحق عن النعمان بن سعد عن
علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
لغرفا ترى ظهورها من بطونها
وبطونها من ظهورها فقال اعرابي
لمن هي قال صلى الله عليه وسلم لمن
طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام
الصيام وصلى بالليل والناس نيام
والذين يسعون في آياتنا معاجزين
أي يسعون في الصد عن سبيل الله
واتباع رسله والتصديق بآياته
فأولئك في العذاب محضرون أي
جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها
بحسبهم وقوله تعالى قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له أي بحسب ماله في ذلك
من الحكمة يبسط على هذا من
المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر
على هذا رزقه جدا وله في ذلك من
الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال
تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر
تفضيلا أي كما هم متفاوتون في الدنيا
هذا فقير مدقع وهذا غني موسع
عليه فكذلك هم في الآخرة هذا
في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في الغمرات في أسفل الدركات وأطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم الاول
قد أفلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه اي مهما انفقتم من شيء فيما امركم به واباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في
الحديث يقول الله تعالى انفق انفق عليك وفي الحديث ان ملكين يصيحان كل يوم يقول احدهما اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول
الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال ابن ابي حاتم

فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه قرأ الجمهور بالافراد على انه مصدر ميمي والفوز الظفر
بالخير والنجاة من الشر قال المبرد المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وان جمع فحسن
كقولك السعادة والسعادات والمعنى ينجيهم الله بفوزهم أي بنجاتهم من النار وفوزهم
بالجنة وقرئ بمفازاتهم جمع مفازة وجمعها مع كونها مصدرا لاختلاف الانواع وقيل ثم
مضاف محذوف والتقدير بدواعي مفازتهم أو باسبابها والمفازة المنجاة وقيل لا حاجة لذلك
اذ المراد بالمفازة الفلاح وجملة (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) مفسرة لمفازتهم كأنه قيل
وما مفازتهم فقيل لا يمسهم الخ أو منصوبة على الحال من الذين اتقوا وقيل الباء للسببية
أي بسبب فوزهم مع انتفاء مساس السوء لهم وعدم وصول الحزن الى قلوبهم لانهم
رضوا بثواب الله وأمنوا من عقابه (الله خالق كل شيء) من الاشياء الموجودة في الدنيا
والآخرة كائنا ما كان من غير فرق بين شيء وشيء وفيه رد على المعتزلة والثنوية (وهو
على كل شيء وكيل) أي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير
مشارك له (له مقاليد السموات والارض) جملة مستأنفة والمقاليد واحدها مقليد ومقلاد
أولا واحد له من لفظه كأساطير ويقال أيضا اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية على
ما قيل انه جمع اقليد معرب اكليد والكلام من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبرها هو
الذي يملك مفاتيحها فهو كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء مخزون في السموات
أو في الارض والحمل على الظاهر أولى وهي هنا مفاتيح الرزق والرحمة قاله مقاتل وقتادة
وغيرهما قال ابن عباس أي مفاتيحها وقال الليث المقلاد الخزانة ومعنى الآية له
خزائن السموات والارض وبه قال الضحاك والسدي وقيل خزائن السموات المطر
وخزائن الارض النبات وقيل هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها والاول أولى قال
الجوهري الاقليد المفتاح ثم قال والجمع المقاليد وقيل هي لا اله الا الله والله أكبر وسبحان
الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأخرج أبو يعلى ويوسف القاضي في
سننه وأبو الحسن القطان وابن السني وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان
ابن عفان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله له مقاليد السموات
والارض فقال لي يا عثمان لقد سألتني عن مسئلة لم يسألني عنها أحد قبلك مقاليد السموات
والارض لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وأستغفر الله الذي لا اله الا هو

حدثنا أبى عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغنى عن حذيفة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده حذار الانفاق ثم تلا هذه الآية
وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن
حكيم عن مكحول قال بلغنى عن حذيفة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن بعد زمانكم هذا زمان
عضوض يعض الموسر على ما فى يده حذار الانفاق قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين

وفى الحديث شرار الناس يبايعون
كل مضطر ألا ان بيع المضطرين
حرام ألا ان بيع المضطرين حرام
المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
ان كان عندك معروف فعد به على
أخيك والا فلا تزده هلا كا الى هلاكه
هذا حديث غريب من هذا الوجه
وفى اسناده ضعف وقال سفيان
الثورى عن أبى يونس الحسن بن
يزيد قال قال مجاهد لا يتأولن
أحدكم هذه الآية وما أنفقتم من
شئ فهو يخلفه اذا كان عند أحدكم
ما يقيمه فليقصد فيه فان الرزق مقسوم
(ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون) يخبر تعالى انه
يقرع المشركين يوم القيامة على
رؤس الخلائق فيسأل الملائكة
الذين كان المشركون يزعمون انهم
يعبدون الانداد التى هى على صورهم
ليقربوهم الى الله زلفى فيقول
للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اى انتم امرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى فى سورة الفرقان أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم
هم ضلوا السبيل وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى
ان اقول ما ليس لى بحق وهكذا تقول الملائكة سبحانك اى تعاليت وتقدست عن ان يكون معك اله انت ولينا من دونهم اى
نحن عبيدك ونبرأ اليك من هؤلاء بل كانوا يعبدون الجن يعنون الشياطين لانهم هم الذين زينوا لهم عبادة الاوثان وأضلوهم اكثرهم
بهم مؤمنون كما قال تبارك وتعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله قال الله عز وجل فاليوم لا يملك

الاول والآخر والظاهر والباطن يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ
قدير ثم ذكر فضل هذه الكلمات وله طرق عن عثمان وقيل غير ذلك والمعنى على هذا ان لله
هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه
(والذين كفروا بآيات الله) أى بالقرآن وسائر الآيات الدالة على الله سبحانه وتوحيده
(أولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران لانهم صاروا بهذا الكفر الى النار
متصل بقوله وينجى الله الخ أى معطوف عليه وما بينهما اعتراض وان كان المعطوف جملة
اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية فهذا لا يمنع صحة العطف غايته انه خال عن حسنه
(قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) الاستفهام للانكار التوبيخى والفاء
للعطف على مقدر كنظائره والاصل أفتأمرونى أى بعد مشاهدة الآيات الدالة على
انفراده وتوحيده أن أعبد غير الله قاله الكسائى وغيره وقيل أفتلزمونى عبادة
غير الله أو أعبد غير الله امره الله سبحانه أن يقول هذا للكفار لما دعوه الى ما هم
عليه من عبادة الاصنام وقالوا هو دين آبائك وعن ابن عباس ان قريشا دعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه
ما أراد من النساء ويطؤن عقبه فقالوا له هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا
تذكرها بسوء قال حتى أنظر ما يأتينى من ربى فجاء بالوحى قل يا أيها الكافرون الى آخر
السورة وأنزل الله عليه قل أفغير الله تأمرونى الى قوله من الخاسرين (ولقد) هذه اللام
دالة على قسم مقدر أى والله لقد (أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الرسل (لئن) جواب
القسم وهذه اللام أيضا دالة على قسم مقدر أى والله لئن (أشركت) يا محمد فرضا
(ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وكل من هاتين اللامين واقعة فى جواب القسم
الثانى والثانى وجوابه جواب الاول وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه
وهذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لان الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك ووجه
ايراده على هذا الوجه التحذير والانذار للعباد من الشرك لانه اذا كان موجبا لاحباط
عمل الانبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الاولى قيل
وفى الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولقد أوحى اليك لئن أشركت الخ وأوحى الى الذين من

بعضكم لبعض نفعا ولاضرا أى لايقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الانداد والاوثان التى ادخرتم عبادتها لشدائدكم
وكربكم اليوم لايملكون لكم نفعا ولاضرا ونقول للذين ظلموا وهم المشركون ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون أى يقال لهم
ذلك تقريعا وتوبيخا (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا الا افك
مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الاسحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب
الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم (١٧٤) فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون
منه العقوبة والاليم من العذاب
لانهم كانوا اذا تتلى عليهم آياته
بينات يسمعونها غضة طرية من
لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
قالوا ماهذا الارجل يريد أن يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم يعنون ان
دين آبائهم هو الحق وان ماجاءهم به
الرسول عندهم باطل عليهم وعلى
آبائهم لعائن الله تعالى وقالوا
ماهذا الا افك مفترى يعنون القرآن
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا الاسحر مبين قال الله تعالى
وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما
أرسلنا اليهم قبلك من نذير أى ما أنزل
الله على العرب من كتاب قبل القرآن
وما أرسل اليهم نبيا قبل محمد صلى
الله عليه وسلم وقد كانوا يودون ذلك
ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا
كتاب لكنا أهدى من غيرنا فلما من
الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه
وعاندوه ثم قال تعالى وكذب الذين
من قبلهم أى من الامم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم قال ابن عباس
رضى الله عنهما اى من القوة فى
الدنيا وكذا قال قتادة والسدى وابن
زيد كما قال تعالى ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة أى وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولارده بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال فكذبوا رسلى فكيف كان نكير أى
فكيف كان عقابى ونكالى وانتصارى لرسلى (قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد) يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين انك مجنون انما أعظكم بواحدة

قبلك كذلك قال مقاتل أى أوحى اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف
ثم قال لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خاصة
وقيل افراد الخطاب فى لئن أشركت باعتبار كل واحد من الانبياء كأنه قيل أوحى اليك
والى كل واحد من الانبياء هذا الكلام لئن أشركت وهذه الآية مقيدة بالموت على
الشرك كما فى الآية الاخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم وقيل هذا خاص بالانبياء لان الشرك منهم أعظم ذنبا من الشرك من غيرهم
والاول أولى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده فقال (بل الله
فاعبد) وفى هذا رد على المشركين حيث أمروه بعبادة الاصنام ووجه الرد ما يفيده
التقديم من القصر قال الزجاج لفظ اسم الله منصوب باعبد قال ولا اختلاف فى هذا بين
البصريين والكوفيين وقال الفراء هو منصوب باضمار فعل وعن الكسائى مثله والاول
أولى قال الزجاج والفاء فى فاعبد للمجازاة وقال الاخفش زائدة قال عطاء ومقاتل معنى
فاعبد وحد لان عبادته لاتصح الا بتوحيده (وكن من الشاكرين) لانعامه عليك بما
هداك اليه من التوحيد والدعاء الى دينه واختصك به من الرسالة (وما قدروا الله حق
قدره) أى ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد أى ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به
غيره من قولك فلان عظيم القدر وانما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وأمروا رسوله
بان يكون مثلهم فى الشرك وقرئ قدروا بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة)
القبضة فى اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك فأخبر سبحانه عن عظيم قدرته بان الارض
كلها مع عظمتها وكثافتها فى مقدوره كالشئ الذى يقبض عليه القابض بكفه كما يقولون
هو فى يد فلان وفى قبضته للشئ الذى يهون عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه والمراد
بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله الآتى والسموات لان هذا
التأكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة
والمعنى الارضون جميعا ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة وقدم الارض على السموات
لمباشرتهم بها ومعرفتهم بحقيقتها أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال جاء
حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد انا نجد أن الله يحمل
السموات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر
الخلق

اى انما آمركم بواحدة وهى ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة أى تقوموا قياما خالصا لله عزوجل من غير
هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا ثم تتفكروا أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد
صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه ان أشكل عليه ويتفكر فى ذلك ولهذا قال تعالى ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم
تتفكروا ما بصاحبكم من جنة هذا معنى ماذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما
الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة
عن على بن يزيد عن القاسم عن
أبى امامة رضى الله عنه قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد
من قبلى ولا فخر أحلت لى الغنائم
ولم تحل لمن قبلى كانوا قبلى يجمعون
غنائمهم فيحرقونها وبعثت الى كل
أحمر وأسود وكان كل نبى يبعث الى
قومه خاصة وجعلت لى الارض
مسجدا وطهورا أتيمم بالصعيد
وأصلى فيها حيث أدركتنى الصلاة
قال الله تعالى ان تقوموا لله مثنى
وفرادا وأعنت بالرعب مسيرة شهر
بين يدى فهو حديث ضعيف
الاسناد وتفسير الآية بالقيام فى
الصلاة فى جماعة وفرادى بعيد
ولعله مقحم فى الحديث من بعض
الرواة فان أصله ثابت فى الصحاح
وغيرها والله أعلم وقوله تعالى ان
هو الا نذير لكم بين يدى عذاب
شديد قال البخارى عندها حدثنا
على بن عبد الله حدثنا محمد بن خازم
حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه قال صعد النبى صلى
الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال
يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرأيتم لو أخبرتكم ان العدو يصبحكم أو يمسيكم اما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال
صلى الله عليه وسلم فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ألهذا جمعتنا فأنزل الله عزوجل تبت يدا أبى لهب وتب
وقد تقدم عند قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثنى عبد الله بن
بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال أيها الناس تدرون
ما مثلى ومثلكم قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا أن يأتيهم فبعثوا رجلا

الخلائق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وماقدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة وانما خص يوم القيامة بالذكر وان كانت
قدرته عامة وشاملة لدار الدنيا أيضا لان الدعاوى تنقطع فى ذلك اليوم كما قال والامر يومئذ
لله وقال مالك يوم الدين ولذلك قال فى الحديث ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض
(والسموات مطويات بيمينه) ذكر اليمين للمبالغة فى كمال القدرة كما يطوى الواحد منا
الشئ المقدور له طيه بيمينه والطى ضد النشر واليمين فى كلام العرب قد يكون بمعنى القدرة
والملك قال الاخفش بيمينه يقول فى قدرته نحو قوله أو ما ملكت أيمانكم أى ما كانت
لكم قدرة عليه وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه لأخذنا منه
باليمين أى بالقوة والقدرة وليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك الفناء
والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره وانطوى عنا وهو بمعنى المضى والذهاب
قال الخازن اليمين ليس عندنا بمعنى الجارحة وانما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها
على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة
وهذا مذهب أهل السنة والجماعة قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه
فتفسيره تلاوته والسكوت عنه انتهى ومعنى الآية ما عظموه حق تعظيمه والحال انه
متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة والمقصود الاشارة الى ان المتولى لابقاء
السموات والارض فى هذه الدار هو المتولى لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته
التامة على الايجاد والاعدام وانه غنى على الاطلاق فانه اذا حاول تخريب الارض
يقبضها ويزيلها وتخريب السموات يجمعها كالسجل المطوى أخرج البخارى ومسلم
وغيرهما من حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقبض
الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وعن
ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يطوى الله السموات يوم القيامة ثم
يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون أين ملوك الارض
أخرجه الشيخان وفى الباب أحاديث وآثار تقتضى حمل الآية على ظاهرها من دون
تكلف لتأويل ولا تعسف بقال وقيل ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما

يتراءى لهم فبينما هو كذلك أبصر العدو فاقبل لينذرهم وخشى أن يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أوتيتم أيها الناس اوتيتم ثلاث مرات وبهذا الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقنى تفرد به الامام احمد فى مسنده (قل ماسألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب) يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين ماسألتكم من اجر فهو لكم اى

لا اريد منكم جعلا ولا عطاء على اداء رسالة الله عزوجل اليكم ونصحى اياكم وأمركم بعبادة الله ان اجرى الا على الله اى انما اطلب ثواب ذلك من عند الله وهو على كل شئ شهيد اى عالم بجميع الامور بما انا عليه من اخبارى عنه بارساله اياى اليكم وما انتم عليه وقوله عزوجل قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب كقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده اى يرسل الملك الى من يشاء من عباده من اهل الارض وهو علام الغيوب فلا يخفى عليه خافية فى السموات ولا فى الارض وقوله تبارك وتعالى قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد اى جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وحده عند هذه بعد الآية كلهم من حديث الثورى عن ابن ابى نجيح عن مجاهد عن ابى معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضى الله عنه به اى لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة وزعم قتادة والسدى ان المراد بالباطل ههنا ابليس اى انه لا يخلق احدا ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وان كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله اعلم وقوله تبارك وتعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى اى الخير كله من عند الله وفيما انزله الله عزوجل من الوحى والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد

يشركون) به من المعبودات التى يجعلونها شركاء له مع هذه القدرة العظيمة والحكمة الباهرة (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض) هذه هى النفخة الاولى والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وقد تقدم غير مرة وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان صاحبى الصور بايديهما أوفى أيديهما قرنان يلاحظان النظر حتى يؤمران أخرجه ابن ماجه وفى أبى داود عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل ذكره القرطبى ومعنى صعق زالت عقولهم فخروا مغشيا عليهم وقيل ماتوا قال الواحدى قال المفسرون مات من الفزع وشدة الصوت أهل السموات والارض قرأ الجمهور الصور بسكون الواو وقرئ بفتحها جمع صورة (الا من شاء الله) والاستثناء متصل والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل رضوان وحملة العرش وخزنة الجنة والحور العين والنار وقيل البارى تعالى وحده قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله من فى السموات ومن فى الارض فانه لا يتحيز فعلى هذا يتعين ان يكون منقطعا وقيل الزبانية وقيل عقارب أهل النار وحياتها أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه وقال أتقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قال الله ونفخ فى الصور الى قوله ينظرون فأكون أول من يرفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله وعنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة الحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطنى فى الافراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من قول أبى هريرة وعن أنس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله الا من شاء الله فقال جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل وحملة العرش أخرجه الفريابى وابن جرير وأبو نصر السجزى فى الابانة وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن جابر قال هو موسى لأنه كان صعق قبل وههنا اشكال أورده بعض السلف وهو أن نص القرآن يدل على ان هذا الاستثناء

ومن ضل فانما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة فى المفوضة أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فنى ومن الشيطان والله ورسوله بريآن منه وقوله تعالى انه سميع قريب اى سميع لاقوال عباده قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه وقد روى النسائى ههنا حديث ابى موسى الذى فى الصحيحين انكم لاتدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا مجيبا (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب) يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد اذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أى فلا مفر لهم ولا وزر لهم ولا ملجأ وأخذوا من مكان قريب اى لم يمكنوا ان يمتنعوا من الهرب بل أخذوا من أول وهلة قال الحسن البصرى حين خرجوا من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفى وقتادة من تحت أقدامهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك يعنى عذابهم فى الدنيا وقال عبد الرحمن ابن زيد يعنى قتلهم يوم بدر والصحيح ان المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى وان كان ماذكر متصلا بذلك وحكى ابن جرير عن بعضهم قال ان المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة فى أيام بنى العباس رضى الله عنهم ثم أورد فى ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه وقالوا آمنا به اى يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولهذا قال تعالى وانى لهم التناوش من مكان بعيد اى وكيف لهم تعاطى الايمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا الى الدار الآخرة وهى دار الجزاء لادار الابتلاء فلو كانوا آمنوا فى الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم الى الدار الآخرة لاسبيل لهم الى قبول الايمان كما لاسبيل الى حصول الشئ لمن يتناوله من بعيد قال مجاهد وأنى لهم التناوش قال التناول لذلك وقال الزهرى التناوش تناولهم الايمان وهم فى الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا وقال الحسن البصرى لما انهم طلبوا الامر من حيث لا ينال تعاطوا الايمان من مكان بعيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما طلبوا

بعد نفخة الصعق وهى النفخة الاولى التى مات فيها من بقى على وجه الارض والحديث المتقدم يدل على انها نفخة البعث وماقيل انه يحتمل ان موسى ممن لم يمت من الانبياء باطل لصحة موته وقال القاضى عياض يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق الارض والسموات فتتوافق الآيات والاحاديث قال القرطبى ويرده مامر فى الحديث من أخذ موسى بقائمة العرش فانه انما هو عند نفخة البعث وايضا تكون النفخات أربعا ولم ينقله الثقات قال الشهاب فمن حمل الصعق على غشى يكون من نفخة بعد نفخة البعث للارهاب والارعاب فكلامه مردود بما عرفت ومن الغريب ان بعضهم جعلها بحديث أبى هريرة خمسا وقد سمعنا من زاد فى الطنبور نغمة ولم نسمع بمن زاد فى الصور نفخة قال القرطبى والذى يزيح الاشكال ماقاله بعض مشايخنا ان الموت ليس بعدم محض بالنسبة الى الانبياء والشهداء فانهم موجودون أحياء وان لم نرهم فاذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من فى السموات والارض وصعق غير الانبياء موت وصعقهم غشى فاذا كانت نفخة البعث حى من مات وأفاق من غشى عليه ولذا وقع فى الصحيحين فاكون أول من يفيق والاحاديث الواردة فى كيفية نفخ الصور كثيرة وقد ذكر سليمان الجمل فى هذا المقام عن ابن الوردى وغيره ماجاء فى صورة الصور وهيئته وتعداد نفخاته ولا تعلق له بالتفسير (ثم نفخ فيه) نفخة (اخرى فاذا هم) يعنى الخلق كلهم (قيام) على أرجلهم (ينظرون) مايقال لهم أو ينتظرون ذلك والاستثناء ملاحظ فى هذا أيضا لان من لم يمت كالحور فلا يقال له ذلك عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مابين النفختين اربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عزوجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الايبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة أخرجه الشيخان ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (واشرقت الارض) الاشراق الاضاءة يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت وأراد بالارض عرصات القيامة أى الارض الجديدة التى يوجدها الله فى ذلك الوقت ليحشر الناس عليها وليس المراد بها أرض الدنيا (بنور ربها) أى بعدل ربها قاله

الرجعة الى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة وكذا قال محمد بن كعب القرظى رحمه الله وقوله تعالى وقد كفروا به
من قبل أى كيف يحصل لهم الايمان فى الآخرة وقد كفروا بالحق فى الدنيا وكذبوا الرسل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال
مالك عن زيد بن أسلم ويقذفون بالغيب قال بالظن قلت كما قال تعالى رجما بالغيب فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة
يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون الى غير ذلك من الاقوال الباطلة ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ويقولون ان نظن الا ظنا
ومانحن بمستيقنين قال قتادة ومجاهد يرجون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى وحيل بينهم وبين
مايشتهون قال الحسن البصرى
والضحاك وغيرهما يعنى الايمان
وقال السدى وحيل بينهم وبين
مايشتهون وهى التوبة وهذا
اختيار ابن جرير رحمه الله وقال
مجاهد وحيل بينهم وبين مايشتهون
من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل
وروى نحوه عن ابن عمر وابن
عباس والربيع بن أنس رضى الله
عنهم وهو قول البخارى وجماعة
والصحيح انه لا منافاة بين القولين
فانه قد حيل بينهم وبين شهواتهم فى
الدنيا وبين ماطلبوه فى الدنيا فمنعوا
منه وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا أثرا
غريبا عجيبا جدا فلنذكره بطوله فانه
قال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر
ابن حجر الشامى حدثنا على بن منصور
الانبارى عن الرقى بن قطامى عن
سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن
عباس رضى الله عنهما فى قول الله
عز وجل وحيل بينهم وبين
مايشتهون الى آخر الآية قال كان
رجل من بنى اسرائيل فاتحا ان فتح
الله تعالى له مالا فمات فورثه ابن له
تافه اى فاسد فكان يعمل فى مال
الله تعالى بمعاصى الله تعالى عز
وجل فلما رأى ذلك اخوان أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا
ثجاجة فزرع فيها ماله وابتنى قصرا فبينما هو ذات يوم جالس اذ حملت عليه ريح بامرأة من احسن الناس وجها واطيبهم أرجا أى
ريحا فقالت من انت يا عبد الله فقال انا امرؤ من بنى اسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال فقال نعم قالت فهل لك من زوجة
قال لا قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك قال قد كان ذلك قال فهل لك من بعل قالت لا قال فهل لك الى ان أتزوجك قالت
انى امرأة منك على مسيرة ميل فاذا كان غد فتزود زاد يوم وائتنى وان رأيت فى طريقك هولا فلا يهولنك فلما كان من الغد تزود زاد

الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى ان الارض أضاءت وأنارت بما أقامه
الله من العدل بين أهلها وماقضى به من الحق فيهم فالعدل نور والظلم ظلمات وقيل
ذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون فى نوره كما
لا يضارون فى الشمس فى يوم الصحو وقيل ان الله سبحانه يخلق نورا يوم القيامة يلبسه
وجه الارض فتشرق به غير نور الشمس والقمر ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقى فان
الله سبحانه هو نور السموات والارض قرأ الجمهور أشرقت مبنيا للفاعل وقرئ على البناء
للمفعول (ووضع الكتاب) قيل هو اللوح المحفوظ وقال قتادة يعنى الكتب والصحف التى
فيها أعمال بنى آدم فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وكذا قال مقاتل وقيل هو من وضع
المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أى وضع الكتاب للحساب (وجىء بالنبيين) الى الموقف
فسئلوا عما أجابتهم به أممهم (والشهداء) الذين يشهدون على الامم من أمة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم كما فى قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل
المراد بالشهداء الذين استشهدوا فى سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله
قاله السدى وقيل هم الحفظة كما قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قاله ابن
زيد قال ابن عباس النبيون الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان
ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الامم اياهم ولما بين سبحانه أنه يوصل لكل ذى
حق حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات أولاها قوله (وقضى بينهم بالحق) أى قضى بين
العباد بالعدل والصدق والثانية (وهم لا يظلمون) أى والحال انهم لا ينقصون من ثوابهم
ولا يزاد على مايستحقونه من عقابهم ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها باثبات العدل والثالثة
(ووفيت كل نفس ماعملت) من خير وشر أى جزاءه والرابعة (وهو أعلم بما يفعلون) فى
الدنيا لا يحتاج الى كاتب ولا حاسب ولا شاهد لانه عالم بمقادير أفعالهم وبكيفياتها فامتنع
دخول الخطا عليه قاله الكرخى وقال القرطبى ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما
للحجة انتهى يعنى انما وضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة وقطع المعذرة
ثم ذكر سبحانه تفصيل ماذكره من توفية كل نفس ما كسبت فقال (وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا) أى سيق الكافرون سوقا عنيفا الى النار حال كونهم جماعات متفرقة
بعضها يتلو بعضا قال أبو عبيدة والاخفش زمرا جماعات متفرقة بعضها اثر بعض
واحدتها

يوم وانطلق فانتهى الى قصر فقرع رتاجه فخرج اليه شاب من احسن الناس وجها واطيبهم أرجا اى ريحا فقال من انت يا عبد الله فقال انا الاسرائيلى قال فما حاجتك قال دعتنى صاحبة هذا القصر الى نفسها قال صدقت قال فهل رأيت فى الطريق هولا قال نعم ولولا انها اخبرتنى ان لا بأس على لهالنى الذى رأيت قال ما رأيت قال أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا انا بكلبة فاتحة فاها ففزعت فوثبت فاذا أنا من ورائها واذا جراؤها ينبحن فى بطنها فقال الشاب لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة فى مجالسهم ويسرهم حديثه قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا بمائة عنز حفل واذا فيها جدى يمصها فاذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيأ فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن انه لم يترك شيأ فتح فاه يلتمس الزيادة قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا بشجر فاعجبنى غصن من شجرة منها ناضرة فاردت قطعه فنادتنى شجرة أخرى يا عبد الله منى فخذ حتى نادانى الشجر أجمع يا عبد الله منى فخذ فقال لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى ان الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون الى أنفسهن قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل فاذا أنا برجل قائم على عين يغرف لكل انسان من الماء فاذا تصدعوا عنه صب فى جرته فلم تعلق جرته من الماء بشئ قال لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى معاصى الله تعالى قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا بعنز واذا بقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل قد أخذ بقرنيها واذا رجل قد أخذ بذنبها واذا راكب قد ركبها واذا رجل يحتلبها فقال اما العنز فهى الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها وأما الذى قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقا وأما الذى أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه وأما الذى قد ركبها فقد تركها وأما الذى يحلبها فبخ بخ ذهب ذلك بها قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا برجل يمتح على قليب كلما أخرج دلوه صبه فى الحوض فانساب الماء راجعا الى القليب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا برجل يبذر بذرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له قال ثم أقبلت حتى

واحدتها زمرة واشتقاقه من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه غالبا (حتى) هى التى تحكى الجمل بعدها (اذا جاؤها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب وكانت قبل ذلك مغلقة وقد مضى بيان ذلك فى سورة الحجر (وقال لهم خزنتها) جمع خازن نحو سدنة وسادن (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم) التى أنزلها عليكم (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم لقاء هذا اليوم الذى صرتم فيه والمراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعه قال الزمخشرى وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا فى أوقات الشدة قالوا لهم هذا القول تقريعا وتوبيخا فأجابوا بالاعتراف ولم يقدروا على الجدل الذى كانوا يتعللون به فى الدنيا لانكشاف الامر وظهوره ولهذا (قالوا بلى) أى قد أتتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا باستلقاء (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين جىء بالظاهر مقام المضمر لبيان سبب استحقاقهم العذاب وهو كفرهم فلما اعترفوا هذا الاعتراف (قيل) لهم من قبل الملائكة الموكلين لعذابهم (ادخلوا ابواب جهنم) التى قد فتحت لكم لتدخلوها (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها فبئس مثوى المتكبرين) جهنم واللام فيه للجنس وجىء بالظاهر لبيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب وقد تقدم تحقيق المثوى فى غير موضع ولما ذكر فيما تقدم حال الذين كفروا وسوقهم الى جهنم زمرا ذكر هنا حال المتقين وسوقهم الى الجنة فقال (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) أى ساقتهم الملائكة سوق اعزاز وتشريف وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك والمراد بالسوق المتقدم طردهم الى العذاب بالهوان كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل فشتان ما بين السوقين وهذا من بدائع أنواع البديع وهو أن يأتى سبحانه وتعالى بكلمة فى حق الكفار فتدل على هوانهم وعقابهم ويأتى بتلك الكلمة بعينها وهيئتها فى حق المؤمنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من أنزله معجز المبانى متمكن المعانى عذب الموارد والمثانى قيل الكلام على حذف مضاف أى سيقت مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين وقد سبق معنى الزمر أى جماعات اهل الصلاة على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) جواب اذا محذوف قال المبرد

اذا انفرج لى السبيل اذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله ادن منى فخذ بيدى واقعدنى فوالله ماقعدت منذ خلقنى الله تعالى فاخذت بيده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمر الابعد نفدوأنا ملك الموت وأنا المرأة التى أتيتك أمرنى الله تعالى بقبض روح الابعد فى هذا المكان ثم أصيره الى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآية هذا أثر غريب وفى صحته نظر وتنزيل الآية عليه وفى حقه يعنى ان الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهى وقوله تعالى كما فعل بأشياعهم من قبل أى كما جرى للامم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا ان لو آمنوا فلم يقبل منهم فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون وقوله تبارك وتعالى انهم كانوا فى شك مريب أى كانوا فى الدنيا فى شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الايمان عند معاينة العذاب قال قتادة اياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه آخر تفسير سورة سبا والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(تفسير سورة فاطر وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير) قال سفيان الثورى عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت لا أدرى ما فاطر السموات والارض حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما لصاحبه انا فطرتها اى بدأتها وقال ابن عباس رضى الله عنهما من أيضا فاطر السموات والارض اى بديع السموات والارض وقال الضحاك كل شئ فى القرآن فاطر السموات والارض فهو خالق السموات والارض وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اى بينه وبين انبيائه أولى اجنحة اى يطيرون بها ليبلغوا ما امروا به سريعا مثنى وثلاث ورباع أى منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له اربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب

تقديره سعدوا وفتحت وقال الزجاج القول عندى ان الجواب محذوف على تقدير حتى اذا جاؤها وكانت هذه الاشياء التى ذكرت دخلوها فالجواب دخلوها وحذف لان فى الكلام دليلا عليه وقال الاخفش والكوفيون الجواب فتحت والواو زائدة وهو خطأ عند البصريين لان الواو من حروف المعانى فلا تزاد وقيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان يأتوا لكرامتهم على الله والتقدير حتى اذا جاؤها وأبوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو فى قصة أهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا وترويعا ذكر معناه النحاس منسوبا الى بعض أهل العلم قال ولا أعلم أنه سبقه اليه أحد وعلى هذا القول تكون الواو واو الحال بتقدير قد أى جاؤها وقد فتحت لهم الابواب وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم كانوا يقولون فى العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وقد مضى القول فى هذا فى سورة براءة مستوفى وفى سورة الكهف أيضا وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درى فى السماء اضاءة وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله الا الصائمون وقد ورد فى كون أبواب الجنة ثمانية أحاديث فى الصحيحين وغيرهما وكتابنا مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام هو أحسن ما جمع فى احوال الجنة فليرجع اليه وليعول عليه ثم اخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين فقال (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى سلامة لكم من كل آفة لا يعتريكم بعده مكروه (طبتم) وطهرتم فى الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصى قال مجاهد طبتم بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح والمعنى واحد وقيل طاب لكم المقام وقيل طابت حالكم وحسنت وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها قال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم الآية وقد أخرج البخارى حديث القنطرة هذا فى جامعه

ولهذا قال جل وعلا يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير قال السدى يزيد فى الاجنحة وخلقهم مايشاء وقال الزهرى وابن جريج فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء يعنى حسن الصوت رواه عن السدى البخارى عن الزهرى فى الادب وابن أبى حاتم فى تفسيره وقرئ فى الشاذ يزيد فى الحلق بالحاء المهملة والله أعلم (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى انه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع قال الامام أحمد حدثنا على بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة (١٨١) قال ان معاوية كتب الى المغيرة بن شعبة اكتب لى بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى المغيرة فكتبت اليه انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا انصرف من الصلاة لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وسمعته ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وعن وأد البنات وعقوق الامهات ومنع وهات وأخرجاه من طرق عن وراد به وثبت فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والارض وملء ماشئت من شئ بعد اللهم أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ولها نظائر كثيرة وقال الامام مالك رحمة الله عليه كان أبو هريرة رضى الله عنه اذا مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ورواه ابن أبى حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه (ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الا هو فأنى تؤفكون) ينبه تعالى عباده ويرشدهم الى الاستدلال على توحيده فى افراد العبادة له كما انه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولايشرك به غيره من الاصنام والأنداد والاوثان ولهذا قال تعالى لااله الا هو فأنى تؤفكون أى فكيف تؤفكون

من حديث أبى سعيد الخدرى وهو طويل جدا (فادخلوها) أى الجنة (خالدين) أى مقدرين الخلود (وقالوا) أى فعند ذلك قال أهل الجنة (الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب بالجنة فى قوله تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا (واورثنا الارض) أى أرض الجنة قاله قتادة وأبو العالية كأنها صارت من غيرهم اليهم فملكوها وتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما يرثه ففى الكلام تجوز وقيل انهم ورثوا الارض التى كانت لاهل النار لو كانوا مؤمنين قاله أكثر المفسرين وقيل انها أرض الدنيا وفى الكلام تقديم وتأخير (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى نتخذ فيها من المنازل مانشاء حيث نشاء فلا يختار أحد مكان غيره وقيل يتخير كل واحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أين ينزل تكرمة له وان كان لايختار الا ماقسم له وأما بقية الامم فيدخلون بعد أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينزلون فيما فضل عنهم وفى الكرخى الجنة نوعان الجنات الجسمانية وهى لاتحتمل المشاركة والجنات الروحانية وحصولها لواحد لايمنع من حصوله لآخرين (فنعم اجر العاملين) فى الدنيا أى الجنة وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه (وترى) يامحمد (الملائكة حافين) أى محيطين ومحدقين قائمين بجميع ماعليهم من الحقوق (من حول العرش) أى جوانبه التى يمكن الحفوف بها فيسمع لحفوفهم صوت التسبيح والتمجيد والتقديس وادخال من يفهم انهم مع كثرتهم الى حد لايحصيه الا الله لايملؤن حوله وهذا أولى من قول البيضاوى ان من مزيدة وبه قال الاخفش أو للابتداء أى ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله والمعنى ان الرائى يراهم بهذه الصفة فى ذلك اليوم والحافين جمع حاف قاله الاخفش وهو المحدق بالشئ من حففت بالشئ اذا أحطت به وهو مأخوذ من الحفاف وهو الجانب وقال الفراء وتبعه الزمخشرى لاواحد له من لفظه اذ لايقع لهم هذا الاسم الا مجتمعين (يسبحون بحمد ربهم) أى حال كونهم مسبحين لله متلبسين بحمده أى يقولون سبحان الله وبحمده وقيل معنى يسبحون يصلون حول العرش شكرا لربهم وهذا تسبيح تلذذ لاتسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم وذلك يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح وأفهم ان منتهى درجات العليين ولذاتهم الاستغراق فى صفاته تعالى اللهم ارزقنا (وقضى بينهم) أى بين جميع العباد والخلائق (بالحق) أى بالعدل بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار وقيل بين النبيين

بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الانداد والاوثان والله أعلم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) يقول تبارك وتعالى وان يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما
جئتهم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاؤا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم
وخالفوهم والى الله ترجع الامور أى (١٨٢) وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ثم قال تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق أى
المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم الحياة
الدنيا أى العيشة الدنيئة بالنسبة
الى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله
من الخير العظيم فلا تلهوا عن ذلك
الباقى بهذه الزهرة الفانية ولا
يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان
قاله ابن عباس رضى الله عنهما أى
لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم
عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته
فانه غرار كذاب أفاك وهذه الآية
كالآية التى فى آخر لقمان فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
وقال مالك عن زيد بن أسلم هو
الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين
يوم القيامة حين يضرب بينهم بسور
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب ينادونهم ألم نكن
معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم
أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الامانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله
الغرور ثم بين تعالى عداوة ابليس
لابن آدم فقال ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا أى هو مبارز
لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد
العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم
به انما يدعو حزبه ليكونوا من
أصحاب السعير أى انما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه الى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين نسأل
الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وان يرزقنا اتباع كتابه والاقتفاء بطريق رسوله انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير
وهذه كقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء
من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير افمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) لما

الذين جىء بهم مع الشهداء وبين أممهم وقيل بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على
حسب درجاتهم والاول أولى (وقيل الحمد لله رب العالمين) القائلون هم المؤمنون
حمدوا الله على قضائه بينهم وبين اهل النار بالحق كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين وقيل القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله فى الحكم وقضائه بين عباده
بالحق وبدأ سبحانه هذه الآية بالحمد وختمها بالحمد للتنبيه على تحميده فى بداية كل أمر
ونهايته والحمد الاول على صدق الوعد وايراث الجنة وهذا على القضاء بالحق فلا تكرار فيه
وروى من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على المنبر آخر الزمر
فتحرك المنبر مرتين

(سورة غافر وهى سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وهى خمس وثمانون آية)

وقيل اثنتان وثمانون آية قاله القرطبى وهى مكية فى قول عطاء وجابر وعكرمة قال الحسن
الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين
نزلتا بالمدينة وهما ان الذين يجادلون فى آيات الله والتى بعدها وكذا نص عليه السيوطى
فى الاتقان وفى لب الاصول فى اسباب النزول قال ابن عباس انزلت حم المؤمن بمكة وعن
سمرة بن جندب قال نزلت الحواميم جميعا بمكة واخرج محمد بن نصر وابن مردويه عن
أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله اعطانى السبع
الحواميم مكان التوراة وأعطانى الرا آت الى الطواسين مكان الانجيل واعطانى مابين
الطواسين الى الحواميم مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ماقرأهن نبى قبلى وقال ابن
عباس ان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن حم وقال ابن مسعود الحواميم ديباج القرآن
وعنه قال اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات دمثات أتأنق فيهن وعن سعد بن ابراهيم
قال الحواميم تسمى العرائس رواه الدارمى فى مسنده وقال الجوهرى آل حم سور فى
القرآن فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وبه قال الحريرى فى درة الغواص
وقال ابو عبيدة الحواميم على غير قياس والاولى ان تجمع بذوات حم انتهى فتلخص من
مجموع هذه الاخبار أن هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات
حم فلها جموع ثلاثة خلافا لمن أنكر الاول منها وأخرج البيهقى فى الشعب عن خليل بن
مرة

ذكر تعالى ان اتباع ابليس مصيرهم الى السعير ذكر بعد ذلك ان الذين كفروا لهم عذاب شديد لانهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وان الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم مغفرة أى لما كان منهم من ذنب وأجر كبير على ما عملوا من خير ثم قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعنى كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم فى ذلك يعتقدون ويحسبون انهم يحسنون صنعا أى أفمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة لا حيلة لك فيه فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء أى بقدره كان ذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أى لا تأسف على ذلك فان الله حكيم فى قدره انما يضل من يضل ويهدى من يهدى لما له فى ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى ان الله عليم بما يصنعون وقال ابن أبى حاتم عند هذه الآية حدثنا ابى حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا محمد ابن كثير عن الاوزاعى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى أو ربيعة عن عبد الله بن الديلى قال أتيت عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما وهو فى حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه منه ضل فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزوينى حدثنا حسان بن حسان البصرى حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشى عن سعد بن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذى يهدى من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب وهذا أيضا حديث غريب جدا (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير) كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد باحيائه الارض بعد موتها كما فى أول الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها فاذا ارسل اليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج كذلك

مرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحواميم سبع وأبواب النار سبع يجئ كل حم منها يقف على باب من هذه الابواب يقول اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بى ويقرأنى

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قرأ الجمهور بفتح الحاء مشبعا وقرئ بامالته امالة محضة وبامالته بين بين وقرأ الجمهور بسكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرأ الزهرى بضمها على انها خبر مبتدا مضمر أو مبتدا والخبر ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الثقفى بفتحها وهى تحتمل وجهين أحدهما انها منصوبة بفعل مقدر أى اقرأ حم وانما منعت من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس فى الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثانى انها حركة بناء تخفيفا كأين وكيف وقرأ ابن أبى اسحق وأبو السمال بكسرها لالتقاء الساكنين أو بتقدير القسم وقرأ الجمهور بوصل الحاء بالميم وقرأ أبو جعفر بقطعها وقد اختلف فى معناه فقيل هو اسم من اسماء الله قاله ابو أمامة وقيل اسم من اسماء القرآن قاله قتادة وقال الضحاك والكسائى معناه قضى وجعلاه بمعنى حم اى وقع وقضى وقيل مفاتيح خزائنه وقيل اسم الله الاعظم وقيل بدء اسماء الله تعالى كحميد وحليم وحكيم وحنان وكالك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومؤمن ومهيمن وقيل معناه حم امر الله اى قرب نصره لاوليائه وانتقامه من اعدائه وهذا كله تكلف لا موجب له وتعسف لا ملجئ اليه والحق ان هذه الفاتحة لهذه السورة وأمثالها من المتشابه الذى استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه فى فاتحة سورة البقرة واخرج الترمذى والحاكم وصححه وابو داود وغيرهم عن المهلب بن ابى صفرة قال حدثنى من سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليلة الخندق ان أبيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انكم تلقون عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون اخرجه النسائى والحاكم وابن ابى شيبة (تنزيل الكتاب) هو خبر لحم على تقدير أنه مبتدأ أو خبر لمبتدا مضمر أى هذا تنزيل أو هو مبتدأ وخبره (من الله) قال الرازى المراد بالتنزيل المنزل والمعنى ان القرآن منزل من عند الله ليس بكذب عليه (العزيز) المنيع بسلطانه الغالب القاهر فى ملكه (العليم) الكثير العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أى ذنب المؤمنين وعن

الاجساد اذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يعم الارض جميعا وتنبت الاجساد في قبورها كما تنبت الحبة
في الارض ولهذا جاء في الصحيح كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب ولهذا قال تعالى كذلك النشور وتقدم في الحج
حديث أبي رزين قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال صلى الله عليه وسلم يا أبا رزين اما مررت بوادي
قومك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت بلى قال صلى الله عليه وسلم فكذلك يحيي الله الموتى وقوله تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا أي من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فانه يحصل له مقصوده لان
الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله
العزة جميعا كما قال تعالى الذين
يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان
العزة لله جميعا وقال عز وجل ولا
يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا
وقال جل جلاله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
قال مجاهد من كان يريد العزة بعبادة
الاوثان فان العزة لله جميعا وقال
قتادة من كان يريد العزة فان العزة
لله جميعا أي فليتعزز بطاعة الله عز
وجل وقيل من كان يريد علم العزة
لمن هي فان العزة لله جميعا وحكاه
ابن جرير وقوله تبارك وتعالى
اليه يصعد الكلم الطيب يعني
الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير
واحد من السلف وقال ابن جرير
حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي
أخبرني جعفر بن عون عن عبد
الرحمن بن عبد الله المسعودي عن
عبد الله بن المخارق عن أبيه
المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله
هو ابن مسعود رضي الله عنه اذا
حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق
ذلك من كتاب الله تعالى ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلهن
حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وحدثني يعقوب بن
ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد بن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الاحبار ان لسبحان الله ولا اله الا الله والله
أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن وهذا اسناد صحيح الى كعب

ابن عمر قال ساتر الذنب لمن يقول لا اله الا الله (وقابل التوب) أي توبة الراجعين أو عمن
يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والأوب اخوات في معنى الرجوع مصادر وقال
الاخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة وادخال الواو في هذا الوصف لافادة الجمع للمذنب
التائب بين قبول توبته ومحو حوبته قاله العمادي أو لتغاير الوصفين اذ ربما يتوهم
الاتحاد قاله البيضاوي (شديد العقاب) أي مشدده لمن لا يقول لا اله الا الله أو على
المخالفين والكافرين وقيل قابل التوب لاوليائه وشديد العقاب لاعدائه وقيل قابل
التوب من الشرك وشديد العقاب لمن لا يوحده (ذي الطول) أي ذي الفضل على العارفين
أو الغنى عن كل العالمين وأصل الطول الانعام والتفضل أي ذي الانعام على عباده
والتفضل عليهم وقال مجاهد وابن عباس ذي الغنى والسعة ومنه قوله ومن لم يستطع منكم
طولا أي غنى وسعة وقال عكرمة ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه
طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي التفضل قال الماوردي
والفرق بين المن والتفضل ان المن عفو عن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والله
سبحانه موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة
وقال السمين فيها ثلاثة أوجه أحدها انها كلها صفات للجلالة الثاني ان الكل ابدال لان
اضافتها غير محضة الثالث ان غافر وقابل نعتان وشديد العقاب بدل انتهى ثم ذكر ما يدل
على توحيده وانه الحقيق بالعبادة فقال (لا اله الا هو) استئناف أو حال لازمة وقال أبو
البقاء صفة قال ابن عادل وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف
ويمكن ان يريد أنه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة (اليه) لا الى غيره
(المصير) أي مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله
فيدخل النار وذلك في اليوم الآخر قال الكرخي حال من الجملة قبله أخرج أبو عبيد وابن
سعد ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسي
حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ثم لما ذكر
الله سبحانه أن القرآن كتاب الله أنزله ليهتدى به في الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد
ابطاله فقال (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) اى ما يخاصم في دفع آيات الله
وتكذيبها

الاحبار رحمة الله عليه وقد روى مرفوعا قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى يعنى ابن ابى مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن ألا يحب أحدكم ان لا يزال له عند الله شىء يذكر به هكذا رواه ابن ماجه عن أبى بشر بن بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن أبى مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه به وقوله تعالى والعمل الصالح يرفعه قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به الى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى فى أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به الى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفعه الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وابراهيم النخعى والضحاك والسدى والربيع بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال اياس بن معاوية القاضى لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول الا بعمل وقوله تعالى والذين يمكرون السيآت قال مجاهد وسعيد ابن جبير وشهر بن حوشب هم المراؤن باعمالهم يعنى يمكرون بالناس يوهمون انهم فى طاعة الله تعالى وهم بغضاء الى الله عز وجل يراؤن باعمالهم ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون والصحيح انها عامة والمشركون داخلون بطريق الاولى ولهذا قال تعالى لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور أى يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لاولى البصائر والنهى فانهم ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه وما أسر أحد سريرة الا كساه الله تعالى رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر فالمرائى لا يروج أمره ويستمر الا على غبى أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية وقوله تبارك وتعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة أى ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

وتكذيبها بالطعن فيها الا الكفار والمراد الجدال بالباطل والقصد الى دحض الحق كما فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال لاستيضاح الحق وايضاح الملتبس وحل المشكل وتكذيبها وكشف المعضل واستنباط المعانى ورد اهل الزيغ بها ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال الى المحكم فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون وأفضل ما يجاهد فى سبيله المجاهدون وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب فقال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن فتلخص ان الجدال نوعان جدال فى تقرير الحق وجدال فى تقرير الباطل أما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح يا نوح قد جادلتنا واما الثانى فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية فجدالهم فى آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة شعر ومرة هو قول الكهنة ومرة أساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر وأشباه هذا قاله الكرخى واخرج عبد بن حميد وأبو داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان جدالا فى القرآن كفر وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المراء فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب اخرجه مسلم قال ابو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن هذه الآية وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ولما حكم سبحانه على المجادلين فى آيات الله بالكفر نهى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ان يغتر بشىء من حظوظهم الدنيوية فقال (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) أى فلا يغررك ما يفعلونه من التجارة النافقة فى البلاد كالشام واليمن وما يحصلونه من المكاسب والارباح وما يجمعونه من الاموال سالمين غانمين فانهم معاقبون عما قليل وان أمهلوا فانهم لا يهملون قال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وهذا تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد لهم والفاء

ثم جعلكم أزواجا أى ذكرا وأنثى لطفا منه ورحمة ان جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا اليها   وقوله عز وجل وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه أى هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شئ بل ما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقد تقدم الكلام على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال   وقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب أى ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده

فى الكتاب الاول وما ينقص من عمره الضمير عائد على الجنس لا على العين لان الطويل العمر فى الكتاب وفى علم الله تعالى لا ينقص من عمره وانما عاد الضمير على الجنس (١) قال ابن جرير وهذا كقولهم عندى ثوب ونصفه أى ونصف ثوب آخر وروى من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة الا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فانما ينتهى الى الكتاب الذى قدرت لا يزاد عليه وليس احد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهى الى الكتاب الذى كتبت له فذلك قوله تعالى ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير يقول كل ذلك فى كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولا ينقص من عمره الا فى كتاب قال ما لفظت الارحام من الاولاد من غير تمام وقال عبد الرحمن فى تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الانسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا وقال قتادة والذى ينقص من عمره فالذى يموت قبل ستين سنة   وقال مجاهد وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب اى فى بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو انقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ وقال بعضهم بل معناه وما يعمر من معمر أى ما يكتب من الاجل ولا ينقص من عمره وهو ذهابه قليلا قليلا الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر وجمعة بعد جمعة ويوما بعد يوم وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى فى كتابه نقله ابن جرير عن أبى مالك واليه ذهب السدى وعطاء الخراسانى واختار ابن جرير

(١) قوله وانما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير الخ كذا فى النسخ وحرر العبارة من أولها الى آخرها اه مصححه

لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شئ أمقت منه عند الله ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة قرأ الجمهور لا يغررك بفك الادغام وقرئ بالادغام وهو جواب لشرط مقدر أى اذا تقرر عندك ان المجادلين فى آيات الله كفار فلا يغررك الخ ثم بين حال من كان قبلهم وأن هؤلاء سلكوا سبيل أولئك فى التكذيب فقال (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى وكذبت الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود وغيرهما (وهمت كل أمة) من تلك الامم المكذبة (برسولهم) الذى أرسل اليهم (ليأخذوه) أى ليتمكنوا منه فيحبسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا   وقال قتادة والسدى ليقتلوه والاخذ قد يرد بمعنى الاهلاك كقوله فأخذتهم فكيف كان نكير والعرب تسمى الاسير الأخيذ والاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا) أى خاصموا رسولهم (بالباطل) من القول (ليدحضوا) أى ليزيلوا (به الحق) ومنه مكان دحض أى مزلقة ومزلة أقدام والباطل داحض لانه يزلق ويزول فلا يستقر قال يحيى ابن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم) أى فأخذت هؤلاء المجادلين بالباطل (فكيف كان عقاب) الذى عاقبتهم به وحذف ياء المتكلم اجتزاء بالكسرة عنها وصلا ووقفا لانها رأس آية   (وكذلك حقت كلمة ربك) أى وجبت وثبتت ولزمت يقال حق الشئ اذا لزم وثبت والمعنى وكما حقت على الامم المكذبة لرسلهم كلمة العذاب حقت كلمة ربك أى وعيده (على الذين كفروا) بك وجادلوك بالباطل وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التى من جملتها نصرته على أعدائه وتعذيبهم قاله أبو السعود وقرأ الجمهور كلمة بالتوحيد وقرئ كلمات بالجمع   وجملة (أنهم أصحاب النار) للتعليل أى لاجل انهم مستحقون للنار قال الاخفش أى لانهم أو بأنهم وقال المحلى بدل من كلمة أى بدل الكل أو الاشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى ثم ذكر أحوال حملة العرش ومن حوله فقال   (الذين يحملون العرش ومن حوله) الموصول مبتدأ وخبره قوله (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا)   والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ان هذا الجنس من الملائكة

الذين

الاول وهو كما قال   وقال النسائى عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبى زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثنى يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه وقد رواه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الايلى به   وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله بن مرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبى مشجعة بن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير اى سهل عليه يسير لديه علمه بذلك وبتفصله فى جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شئ منها (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة فى خلقه الاشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الانهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة اليها فى الاقاليم والامصار والعمران والبرارى والقفار وهى عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك وهذا ملح أجاج اى مر وهو البحر الساكن الذى تسير فيه السفن الكبار وانما تكون مالحة زعاقا مرة ولهذا قال وهذا ملح أجاج اى مر ثم قال تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا يعنى السمك وتستخرجون حلية تلبسونها كما قال عز وجل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله جل وعلا وترى الفلك فيه مواخر أى تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنم الذى يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره   وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا يمخر الريح من السفن الا العظام   وقوله جل وعلا ولتبتغوا من فضله أى باسفاركم بالتجارة من قطر الى قطر واقليم الى اقليم ولعلكم تشكرون أى تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شئ منه بل بقدرته قد سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض الجميع من فضله ورحمته (يولج الليل فى

الذين هم أعلى طبقاتهم وأولهم وجودا يضمون الى تسبيحهم لله والايمان به الاستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا وفيه دليل على أن الاشتراك فى الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس وشطت الاماكن والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به مهللين مكبرين وهم الكروبيون وهو فى محل رفع عطفا على الذين الخ وهذا هو الظاهر وقيل يجوز أن يكون فى محل نصب عطفا على العرش والاول أولى والمعنى ان الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله متلبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله بصائرهم ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به وأخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك وهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال والعرش فوق ظهورهم ذكره القشيرى واخرجه الترمذى من حديث ابن عباس واستفيد منه ان حملة الملائكة للعرش على ظهورها وقد وردت فى بيان مسافة اظلافهم الى ركبهم وأرجلهم وأقدامهم وما بين شحمة أذنهم الى عاتقهم والفاظ تسبيحهم أخبار وآثار وكذا فى صفة العرش وبعد ما بين السماء السابعة وبين العرش والمعول عليه منها ما ورد فى الصحيح ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال حاكيا عنهم (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسع رحمتك كل شئ وعلمك كل شئ وتقديم الرحمة على العلم لانها المقصودة بالذات ههنا قاله البيضاوى وأبو السعود لان المقام مقام الاستغفار والا فالعلم متقدم ذاتا (فاغفر للذين تابوا) أى أوقعوا التوبة عن الذنوب أو عن الشرك وان كان عليهم ذنوب (واتبعوا سبيلك) وهو دين الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) أى احفظهم منه واجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز أن تفعل ما تشاء وان الخلق عبيدك (ربنا وأدخلهم جنات عدن) أى اقامة معطوف على قوله قهم ووسط الجملة الندائية لقصد المبالغة بالتكرير ووصف جنات عدن بانها هى (التى وعدتهم) اياها (و) أدخل (من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم)

النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم فى تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من طول هذا فيزيده فى قصر هذا فيعتدلان ثم يأخذ من هذا فى هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء وسخر الشمس والقمر اى والنجوم السيارات والثوابت باقيات باضوائهن اجرام السموات الجميع يسيرون (١٨٨) بمقدار معين وعلى منهاج مقنن محرر تقديرا من عزيز عليم الى أجل مسمى أى الى يوم القيامة ذلكم الله ربكم أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا اله غيره والذين تدعون من دونه أى من الاصنام والانداد التى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين مايملكون من قطمير قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفى والحسن وقتادة وغيرهم القطمير هو اللفافة التى تكون على نواة التمر أى لايملكون من السموات والارض شيأ ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم يعنى الآلهة التى تدعونها من دون الله لاتسمع دعاءكم لانها جماد لاأرواح فيها ولوسمعوا مااستجابوا لكم أى لايقدرون على شئ مما تطلبون منها ويوم القيامة يكفرون بشرككم أى يتبرؤن منكم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير أى ولا يخبرك بعواقب الامور ومآلها وماتصير اليه مثل خبير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقع لامحالة (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز ولاتزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير) يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبافتقار المخلوقات كلها اليه وتذللها بين يديه فقال تعالى ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله أى هم محتاجون

المراد بالصلاح هنا الايمان بالله والعمل بما شرعه الله فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة ويجوز عطف ومن صلح على الضمير فى وعدتهم أى و وعدت من صلح والاولى عطفه على الضمير الاول فى وأدخلهم لان الدعاء لهم بالادخال عليه صريح وعلى الثانى ضمنى والمعنى ساو بينهم ليتم سرورهم قرأ الجمهور بفتح اللام من صلح وذرياتهم على الجمع وقرأ ابن أبى عبلة بضم اللام وقرأ عيسى بن عمر على الافراد (انك أنت العزيز الحكيم) أى الغالب القاهر الكثير الحكمة الباهرة (وقهم السيئات) يقال وقاه يقيه وقاية أى حفظه والمعنى احفظهم عن العقوبات أو جزاء السيئات على تقدير مضاف محذوف قال قتادة وقهم مايسوءهم من العذاب وهذا دعاء يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال وقوله وقهم عذاب الجحيم مقصور على ازالة عذاب النار فيكون تعميما بعد تخصيص أو الاول دعاء للاصول والثانى للفروع والضمير راجع للمعطوف وهو الآباء والازواج والذرية أفاده أبو السعود (ومن تق السيئات يومئذ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن جملة غير موجودة فى الكلام بل مقتصيدة من السياق وتقديرها يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار المسببة عن السيئات وهو يوم القيامة وقيل التقدير يوم اذ تؤاخذ بها وجواب من (فقد رحمته) من عذابك وادخلته جنتك (وذلك) أى ماتقدم من ادخالهم الجنات ووقايتهم السيئات (هو الفوز العظيم) أى الظفر الذى لاظفر مثله والنجاة التى لاتساويها نجاة حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لاينقطع وبأفعال حقيرة ملكا لاتصل العقول الى كنه جلالته قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق لهم هم الشياطين ثم لما ذكر سبحانه أصحاب النار وانها حقت عليهم كلمة العذاب ذكر أحوالهم بعد دخول النار فقال (ان الذين كفروا ينادون) قال الواحدى قال المفسرون انهم لما رأوا أعمالهم ونظروا فى كتابهم وادخلوا النار ومقتوا أنفسهم بسوء صنيعهم ناداهم حين عاينوا عذاب الله مناد (لمقت الله) اياكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم) اليوم أو من مقت بعضكم بعضا اليوم قال الاخفش هذه اللام هى لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والنداء قول قال الكلبى يقول كل انسان من أهل النار لنفسه مقتك يانفسى فتقول الملائكة لهم وهم فى النار لمقت الله اياكم اذ أنتم فى الدنيا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الى

سيئاتهم

اليه فى جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغنى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل والله هو الغنى الحميد أى هو المنفرد بالغنى وحده لاشريك له وهو الحميد فى جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أى لوشاء لاذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وماهذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال تعالى وماذلك على الله بعزيز وقوله تعالى ولاتزر وازرة وزر أخرى أى يوم القيامة وان تدع مثقلة الى حملها أى وان تدع نفس مثقلة باوزارها الى أن تساعد على حمل ماعليها من الاوزار أو بعضه لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى أى وان كان قريبا اليها حتى ولو كان أباها أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله قال عكرمة فى قوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دونى وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يامؤمن ان لى عندك يدا قد عرفت كيف كنت لك فى الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده الى منزل دون منزله وهو فى النار وان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يابنى أى والد كنت لك فيثنى خيرا فيقول له يابنى انى قد احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده ياأبت ماأيسر ماطلبت ولكنى أتخوف مثل ماتتخوف فلا أستطيع ان أعطيك شيأ ثم يتعلق بزوجته فيقول يافلانة أو ياهذه أى زوج كنت لك فتثنى خيرا فيقول لها انى أطلب اليك حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو بها مما ترين قال فتقول ماأيسر ماطلبت ولكنى لاأطيق أن أعطيك شيأ انى اتخوف مثل الذى تتخوف يقول الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الآية ويقول تبارك وتعالى لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيأ ويقول تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه رواه ابن أبى حاتم رحمه الله عن أبى عبد الله الظهرانى عن حفص بن عمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة به ثم قال تبارك وتعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة أى انما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهى الخائفون من ربهم الفاعلون ماأمرهم به ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أى ومن عمل صالحا فانما يعود نفعه على نفسه والى الله المصير أى واليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزى كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (وما

سيئاتهم مقتوا أنفسهم فينادون لمقت الله اياكم فى الدنيا (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اذ عاينتم النار والظرف منصوب بمقدر محذوف دل عليه المذكور أى مقته تعالى اياكم وقت دعائكم وقيل هواذكروا وقيل بالمقت المذكور أولا والمقت أشد البغض والمراد به هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم قاله أبو السعود وقال الكرخى المراد منه هنا أشد الانكار والزجر (فتكفرون) أى فتصرون على الكفر اتباعا لانفسكم الأمارة ومسارعة الى هواها واقتداء باخلائكم المضلين وتقليد الاسلاف كم المتقدمين واستحبابا لآرائهم ثم أخبر سبحانه عما يقولون فى النار فقال (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) نعتان لمصدر محذوف أى أمتنا اماتتين اثنتين وأحييتنا احياءتين اثنتين والمراد بالاماتتين انهم كانوا نطفا لاحياة لها فى أصلاب آبائهم ثم أماتهم بعد أن صاروا أحياء فى الدنيا والمراد بالاحياءتين انه أحياهم الحياة الاولى فى الدنيا ثم أحياهم عند البعث ومثل هذه الآية قوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قاله ابن مسعود أى كانوا أمواتا فى صلب آبائهم ثم أخرجهم فاحياهم ثم أماتهم ثم يحييهم بعد الموت وقيل معنى الآية انهم أميتوا فى الدنيا عند انقضاء آجالهم ثم أحياهم الله فى قبورهم للسؤال ثم أميتوا ثم أحياهم الله فى الآخرة ووجه هذا القول ان الموت سلب الحياة ولاحياة للنطفة ووجه القول الاول ان الموت قد يطلق على عادم الحياة من الاصل وقد ذهب الى التفسير الاول جمهور السلف وقال ابن زيد المراد بالآية انه خلقهم فى ظهر آدم واستخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم الميثاق ثم أماتهم ثم أحياهم فى الدنيا ثم أماتهم وقال ابن عباس قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى فهما موتتان وحياتان كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد أن صاروا فى النار بما كذبوا به فى الدنيا فقال حاكيا عنهم (فاعترفنا بذنوبنا) التى أسلفناها فى الدنيا من تكذيب الرسل والاشراك بالله وترك توحيده فاعترفوا حيث لاينفعهم الاعتراف وندموا حيث لاينفعهم الندم والمعنى لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكرر اعليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم (فهل الى خروج) لنا عن النار

يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما
أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) يقول تعالى كما لا تستوي هذه
الاشياء المتباينة المختلفة كالاعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
كذلك لا تستوي الاحياء ولا الاموات وهذا (١٩٠) مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الاحياء وللكافرين وهم الاموات
كقوله تعالى أومن كان ميتا
فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها وقال عز وجل مثل
الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلا
فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي
على صراط مستقيم في الدنيا
والآخرة حتى يستقر به الحال في
الجنات ذات الظلال والعيون
والكافر أعمى وأصم في ظلمات
يمشي لا خروج له منها بل هو
يتيه في غيه وضلاله في الدنيا
والآخرة حتى يفضي به ذلك الى
الحرور والسموم والحميم وظل من
يحموم لا بارد ولا كريم وقوله
تعالى ان الله يسمع من يشاء أي
يهديهم الى سماع الحجة وقبولها
والانقياد لها وما أنت بمسمع من
في القبور أي كما لا ينتفع الاموات
بعد موتهم وصيرورتهم الى قبورهم
وهم كفار بالهداية والدعوة اليها
كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب
عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا
تستطيع هدايتهم ان أنت الا نذير
أي انما عليك البلاغ والانذار والله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين
وان من أمة الا خلا فيها نذير أي وما من أمة خلت من بني آدم الا وقد بعث الله تعالى اليهم النذر وأزاح عنهم العلل كما قال تعالى انما
أنت منذر ولكل قوم هاد وكما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم
من حقت عليه الضلالة الآية والآيات في هذا كثيرة وقوله تبارك وتعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات وهي المعجزات الباهرات والادلة القاطعات وبالزبر وهي الكتب وبالكتاب المنير أي الواضح البين ثم أخذت الذين كفروا

ورجوع لنا الى الدنيا لنطيع ربنا (من سبيل) أي من طريق لنتخلص منها أم اليأس واقع
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك
تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم فهل الى
مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية
ثم أجاب الله سبحانه عن قولهم هذا بقوله (ذلكم) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف
أي الامر ذلكم أو مبتدأ خبره محذوف أي ذلكم العذاب الذي أنتم فيه (بأنه) أي بسبب
انه (اذا دعي الله) في الدنيا (وحده) دون غيره (كفرتم به) وتركتم توحيده (وان يشرك
به) غيره من الاصنام أو غيرها (تؤمنوا) بالاشراك وتصدقوا به وتجيبوا الداعي اليه فبين
سبحانه لهم السبب الباعث على عدم اجابتهم الى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من
اشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدعاء وترك توحيد الله (فالحكم لله) وحده دون غيره
وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها فتعذيبه لكم عدل نافذ
(العلي) المتعالي سلطانه عن أن يكون له مماثل في ذاته وصفاته فلا يرد قضاؤه (الكبير)
الذي كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك فلا يحد جزاؤه وقيل كان
الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال
علي من هؤلاء قيل المحكمون أي يقولون لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق أريد بها
الباطل (هو الذي يريكم آياته) أي دلائل توحيده وعلامات قدرته من الريح والسحاب
والرعد والبرق ونحوها (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني مطرا فانه سبب الارزاق
جمع سبحانه بين اظهار الآيات وانزال الارزاق لان باظهار الآيات قوام الاديان وبالارزاق
قوام الابدان وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وأرضه وما
فيهما وما بينهما قرأ الجمهور ينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف وصيغة المضارعة في الفعلين
للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما (وما يتذكر الا من ينيب) أي ما يتعظ
بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد الا من يرجع الى
طاعة الله بما يستفيده من النظر في آيات الله ويتوب من الشرك ويرجع اليه في جميع
أموره فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الادلة على التوحيد أمر
عباده بدعائه واخلاص الدين له فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي اذا كان الامر كما
ذكر

أى ومع هـذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤهـم به فأخذتهـم أى بالعقاب والنكال فكيف كان نكير أى فكيف رأيت كان انكارى عليهم عظيما شديدا بليغا والله أعلم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جـدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) يقول تعالى منبها على كمال قدرته فى خلقه الاشياء المتنوعة المختلفة من الشئ الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض (١٩١) الى غير ذلك من الوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى فى الآية الاخرى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تبارك وتعالى ومن الجبال جـدد بيض وحمر مختلف ألوانها أى وخلق الجبال كذلك مختلفة الالوان كما هو المشاهـد أيضا من بيض وحمر وفى بعضها طرائق وهى الجدد جمع جدة مختلفة الالوان أيضا قال ابن عباس رضى الله عنهما الجـدد الطرائق وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدى ومنها غرابيب سود قال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراسانى وقتادة وقال ابن جرير والعرب اذا وصفوا الاسود بكثرة السواد قالوا أسود غربيب ولهـذا قال بعض المفسرين فى هذه الآية هذا من المقـدم والمؤخر فى قوله تعالى وغرابيب سود أى سود غرابيب وفيما قاله نظر وقوله تعالى ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك أى كذلك الحيوانات من الناس والدواب وهو كل ما دب على القوائم والانعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هى مختلفـة أيضا فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم فى غاية السواد وصقالبـة وروم فى غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى فى الآية الاخرى واختـلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين وكذلك الدواب والانعام مختلفة الالوان حتى فى الجنس الواحد بل النوع الواحد منهن مختلف الالوان بل الحيوان الواحد يلوّن بلون أبلق فيه من هذا اللون وهـذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده

ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التى أمركم بها (ولو كره الكافرون) ذلك فلا تلتفتوا الى كراهتهم ودعوهـم يموتوا بغيظهـم ويهلكوا بحسرتهـم (رفيع الدرجات) مرفوع على انه خبر آخر عن المبتدا المقدم أى هو الذى يريكم آياته وهو رفيـع الدرجات وكذلك (ذو العرش) خـبر ثالث ويجوز أن يكون رفيـع مبتدأ وخـبره ذو العرش ويجوز أن يكونا خـبرين لمبتـدا محذوف ورفيـع صفة مشبهة والمعنى رفيـع الصفات عظيمها أو رفيـع درجات ملائكته أى معارجهم أو رفيـع درجات أنبيائه وأوليائه فى الجنة وقال الكلبى وسعيـد بن جبير رفيـع السموات السبـع وعلى هذا الوجه يكون رفيـع بمعنى رافع وقيل هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه ومعـنى ذو العرش مالكه وخالقه والمتصرف فيه خلقه مطافا للملائكة وجعله فوق سمواته وذلك يقتضى علوّ شأنه وعظم سلطانه ومن كان كذلك فهو الذى تحق له العبادة ويجب له الاخلاص وجملة (يلقى الروح) فى محل رفع على انها خبر آخر للمبتـدا المتقدم أو للمقدر أى ينزل الوحى وسمى الوحى روحا لان الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيا الابدان بالارواح ومثل هـذه الآية قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقيـل الروح جبريل كما فى قوله نزل به الروح الامين على قلبـك وقوله نزله روح القـدس من ربك بالحق وقوله (من أمره) متعلق بيلقى ومن لابتداء الغاية ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح أو المعنى من أجل أمره أو بامره أو من قضائه (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (لينـذر يوم التلاق) قرأ الجمهور مبنيا للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله سبحانه أو الرسول أو من يشاء والمنـذر به محذوف أى لينذر العـذاب يوم التلاق وقرئ لتنذر بالفوقيـة على ان الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول أو ضمير يرجع الى الروح لانه يجوز تأنيثها وقرئ على البناء للمفعول ورفع يوم على النيابة والتلاق بحذف الياء واثباتها وقفا ووصـلا وتوجيه ذلك ذكره الفاسى فى شرح الشاطبية فليراجع والمعنى يوم يلتقى أهـل السموات والارض فى المحشر وبه قال قتادة وقال أبو العاليـة ومقاتل يوم يلتقى العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل الأوّلون والآخرون وقيل جزاء الاعمال والعاملون قال ابن عباس يوم التلاق يوم القيامة يلتقى

حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أيصبغ ربك قال صلى الله عليه وسلم نعم صبغا لا ينقص أحمر وأصفر وأبيض وروى مرسلا وموقوفا والله أعلم ولهذا قال تعالى بعد هذا انما يخشى الله من عباده العلماء أى انما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لانه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفة الكمال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به اكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين يعلمون أن الله على كل شئ قدير وقال ابن لهيعة عن ابن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيأ وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن انه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال سعيد بن جبير الخشية هى التى تحول بينك وبين معصية الله عز وجل وقال الحسن البصرى العالم من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وقال أحمد بن صالح المصرى عن ابن وهب عن مالك قال ان العلم ليس بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله فى القلب قال أحمد بن صالح المصرى معناه ان الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وانما العلم الذى فرض الله عز وجل ان يتبع فانما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك الا بالرواية ويكون تأويل قوله تعالى نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه وقال سفيان الثورى عن أبى حيان التيمى عن رجل قال كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بامر الله وعالم بالله ليس بعالم بامر الله وعالم بامر الله ليس بعالم بالله فالعالم بالله وبامر الله الذى يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض والعالم بالله ليس بعالم بامر الله الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض والعالم بامر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم

فيه آدم وآخر ولده وعنه قال هو يوم الآزفة ونحو هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذر عباده منه (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا ثياب عليهم وانما هم عراة مكشوفون كما فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وهو بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويوم ظرف مستقبل كاذا مضاف الى الجملة الاسمية على طريقة الاخفش وحركة يوم حركة اعراب على المشهور وقيل حركة بناء كما ذهب اليه الكوفيون ويكتب هنا وفى الذاريات منفصلا وهو الاصل أفاده السمين ونحوه فى شرح الجزرية لشيخ الاسلام لان هم مرفوع بالابتداء فالمناسب القطع وما عداهما نحو يومهم الذى يوعدون وحتى يلاقوا يومهم موصول لان هم فيهما مجرور فالمناسب الوصل وجملة (لا يخفى على الله منهم شئ) مستأنفة مبينة لبروزهم أى لا يخفى عليه سبحانه شئ من ذواتهم وأحوالهم وأعمالهم التى عملوها فى الدنيا أو حال من ضمير بارزون أو خبر ثان للمبتدا وقوله (لمن) خبر مقدم وقوله (الملك اليوم) مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل فماذا يقال عند بروز الخلائق فى ذلك اليوم فقيل يقال لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا هلك كل من فى السموات والارض فيقول الرب تبارك وتعالى هذا القول فلا يجيبه أحد فيجيب تعالى نفسه فيقول (لله الواحد القهار) خبر مبتدا محذوف قال الحسن هو السائل وهو المجيب حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه وقيل انه سبحانه يأمر مناديا ينادى بذلك فيقول أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار قال النحاس وهذا أصح ما قيل فيه وقيل الاول ظاهر جدا وقيل انه يجيب المنادى بهذا الجواب أهل الجنة دون أهل النار أفاده الزمخشرى وقيل هو حكاية لما ينطق به لسان الحال فى ذلك اليوم لانقطاع دعاوى المبطلين كما فى قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله وقال القرطبى وذلك عند فناء الخلق وقيل بقوله تعالى بين النفختين ويجيب نفسه بعد أربعين سنة (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) هذا من تمام الجواب على القول بان المجيب هو الله سبحانه وأما على القول بان المجيب هم العباد كلهم أو بعضهم فهو مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم أى اليوم تجزى كل نفس بما عملت فى الدنيا من خير وشر (لا ظلم اليوم) على أحد منهم بنقص من ثوابه أو بزيادة فى

عقابه

ويزيدهم من فضله انه غفور شكور) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من اقام الصلاة والانفاق مما رزقهم الله تعالى فى الاوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور أى يرجون ثوابا عند الله ولابد من حصوله كما قدمنا فى أول التفسير عند فضائل القرآن انه يقول لصاحبه ان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أى ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم انه غفور أى لذنوبهم شكور للقليل من أعمالهم قال قتادة كان مطرف رحمه

الله اذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان انه سمع دراجا أبا السمح يحدث عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا رضى عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله غريب جدا (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير) يقول تعالى والذى أوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق مصدقا لما بين يديه أى من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هى له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين ان الله بعباده لخبير بصير أى هو خبير بهم بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ومنهم مقتصد وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض

عقابه (ان الله سريع الحساب) أى سريع حسابه لانه سبحانه لا يحتاج الى تفكر فى ذلك كما يحتاجه غيره لاحاطة علمه بكل شئ فلا يعزب عنه مثقال ذرة قيل يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لانه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق فى وقت واحد لحديث ورد بذلك وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال يجمع الله الخلق كلهم يوم القيامة بصعيد واحد بارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم أن ينادى مناد لمن الملك اليوم الى قوله لحساب أخرجه عبد بن حميد قال ما يبدأ به من الخصومات الدماء وقال ابن عباس ينادى مناد بين يدى الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات وينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الآية وأخرج ابن أبى الدنيا فى البعث والديلمى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مثله ثم أمر الله سبحانه رسوله بانذار عباده فقال (وأنذرهم يوم الآزفة) أى يوم القيامة سميت بذلك لقربها يقال أزف فلان أى قرب يأزف أزفا من باب تعب وأزوفا دنا وقرب ومنه قوله تعالى أزفت الآزفة أى قربت الساعة ودنت القيامة وقيل ان يوم الآزفة هو يوم حضور الموت والاول أولى قال الزجاج وقيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس أمرها وما هو كائن فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن مواضعها وترتفع عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحنجرة وتلصق بحلوقهم فلا تعود فيستريحوا بالنفس ولا تخرج فيستريحوا بالموت كقوله وبلغت القلوب الحناجر وهى جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى أو جمع حنجرة وهى الحلقوم و(كاظمين) بمعنى مغمومين مكروبين ممتلئين غما قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر فى حال كظمهم قال قتادة وقعت قلوبهم فى الحناجر من المخافة فهى لا تخرج ولا تعود فى أمكنتها وقيل هو اخبار عن نهاية الجزع وانما قال كاظمين باعتبار أهل القلوب لان المعنى اذ قلوب الناس لدى حناجرهم فيكون حالا منهم وقيل حالا من القلوب وجمع الحال منها جمع العقلاء لانه أسند اليها ما يسند الى العقلاء فجمعت جمعه ثم بين سبحانه انه لا ينفع الكافرين فى ذلك اليوم أحد فقال (ما للظالمين من حميم) أى قريب ومحب ينفعهم وحميمك قريبك الذى تهتم لأمره (ولا شفيع يطاع) فى شفاعته لهم قال الكرخى حقيقة الاطاعة لا تتأتى هنا لان المطاع يكون فوق المطيع رتبة

المباحات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال هم أمة محمد صلى الله
عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب
وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العتبي قالا حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا
موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي قال ابن (١٩٤) عباس رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد
يدخل الجنة برحمة الله والظالم
لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون
الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه
وسلم وكذا روي عن غير واحد من
السلف أن الظالم لنفسه من هذه
الأمة من المصطفين على ما فيه من
عوج وتقصير وقال آخرون بل
الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة
ولا من المصطفين الوارثين للكتاب
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا
علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن
عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي
الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه قال هو
الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه
قال عكرمة أيضا فيما رواه ابن
جرير وقال ابن أبي نجيح عن
مجاهد في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه
قال هم أصحاب المشأمة وقال
مالك عن زيد بن أسلم والحسن
وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن
عباس والحسن وقتادة وهذه
الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة
المذكورة في أول سورة الواقعة
وآخرها والصحيح أن الظالم لنفسه
من هذه الأمة وهذا اختيار ابن
جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به
الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يشد بعضها بعضا ونحن إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر الحديث الأول بها
قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا
الوجه وفي إسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به بنحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في أنهم من هذه

فمقتضاه أن الشافع يكون فوق المشفوع عنده وهذا محال هنا لأن الله تعالى لا شيء فوقه
فحينئذ هو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع أي يؤذن له في الشفاعة أو تقبل شفاعته وقال
المحلي لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلا أي لا مطاع ولا غيره ثم وصف سبحانه شمول
علمه بكل شيء وإن كان في غاية الخفاء فقال (يعلم خائنة الأعين) وهي مسارقة النظر إلى
ما لا يحل له النظر إليه والخائنة مصدر كالعافية والكاذبة أي يعلم خيانة الأعين والجملة
خبر آخر لقوله هو الذي يريكم أو خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر برفيع وما بعده عنه
والأول هو الظاهر وقيل غير ذلك قال المؤرج فيه تقديم وتأخير أي يعلم الأعين الخائنة
وقيل الإضافة على معنى من أي الخائنة من الأعين قال قتادة خائنة الأعين الهمز بالعين
فيما لا يحب الله وقال الضحاك هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى
وقال السدي إنه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وبه قال الفراء والأول
أولى وبه قال مجاهد قال ابن عباس في الآية الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم
أنه يغض بصره عنها وإذا غفلوا نظر إليها وإذا نظروا غض بصره عنها وقد اطلع الله من
قلبه أنه ود أن ينظر إلى عورتها أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن
أبي حاتم وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عنه في الآية
قال إذا نظر إليها يريد الخيانة أم لا (وما تخفي الصدور) قال إذا قدر عليها أيزني بها أم لا
ألا أخبركم بالتي تليها والله يقضي بالحق قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة
السيئة وأخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة أمن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال اقتلوهم وإن
وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاختبأ عند عثمان
ابن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى البيعة جاء به فقال
يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى بيعته ثم بايعه ثم أقبل على
أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته
فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك فقال إنه لا ينبغي
لنبي أن تكون له خائنة الأعين (وما تخفي الصدور) أي القلوب من الضمائر وتستره
وتكنه وتضمره من معاصي الله أو من أمانة وخيانة أو النظرة الأولى أو هل يزني بها لو خلا

الامة وانهم من أهل الجنة وان كان بينهم فرق فى المنازل فى الجنة الحديث الثانى قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق بن يونس بن عياض الليثى أبو ضمرة عن موسى بن عقبة عن على بن عبد الله الازدى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فاولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب طريق أخرى قال ابن ابى حاتم حدثنا أسيد بن عاصم بن الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الاعمش عن رجل عن أبى ثابت عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثورى عن الاعمش قال ذكر أبو ثابت انه دخل المسجد فجلس الى جنب أبى الدرداء رضى الله عنه فقال اللهم آنس وحشتى وارحم غربتى ويسر لى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضى الله عنه لئن كنت صادقا لانا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحديث الثالث قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازى حدثنا عمرو بن قيس عن أبى ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة الحديث الرابع قال ابن أبى حاتم

بها أولا (والله يقضى بالحق) فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر (والذين يدعون من دونه) أى يعبدونهم من دون الله قرأ الجمهور بالتحتية يعنى الظالمين وقرئ بالفوقية على الخطاب لهم وهما سبعيتان (لا يقضون بشئ) لانهم لا يعلمون شيأ ولا يقدرون على شئ فكيف يكونون شركاء لله وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة كالجماد لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى (ان الله هو السميع البصير) فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ولقضائه بالحق ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر ولما خوفهم سبحانه بأحوال الآخرة اردفه ببيان تخويفهم باحوال الدنيا فقال (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) لان العاقل من اعتبر بحال غيره أى أغفلوا ولم يسيروا فى الارض فيعتبروا بمن قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم والعاقبة بمعنى الصفة أو بمعنى المآل أرشدهم الله سبحانه الى الاعتبار بغيرهم فان الذين مضوا من الكفار (كانوا هم أشد منهم قوة) أى من هؤلاء الحاضرين من الكفار وهذا بيان للتفاوت بين حال هؤلاء وأولئك وفى قراءة منكم أى التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقع ضمير الفصل هنا بين معرفة ونكرة مع انه لا يقع الا بين معرفتين لكون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث امتناع دخول أل عليها الان أفعل التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل (وآثارا فى الارض) بما عمروا فيها من الحصون المتينة والمصانع الحصينة والقصور المشيدة وبما لهم من العدد والعدة (فاخذهم الله بذنوبهم) أى عاقبهم وأهلكهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسلهم (وما كان لهم من الله من واق) أى دافع يدفع عنهم العذاب ويقيهم وقدم تفسير هذه الآية فى مواضع (ذلك) أى ما تقدم من الاخذ (بانهم) أى بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الواضحة والمعجزات الظاهرة (فكفروا) بما جاؤهم به (فاخذهم الله انه قوى) يفعل كل ما يريده لا يعجزه شئ (شديد العقاب) لمن عصاه ولم يرجع اليه ثم ذكر سبحانه قصة موسى ليعتبروا فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى متلبسا بها وهى التسع التى تقدم ذكرها فى غير موضع (وسلطان مبين) أى حجة بينة واضحة وهى

حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتى ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يمحصون ويكشفون ثم تأتى الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا اله الا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا اله الا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا اله الا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهى التى قال الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وتصديقها فى التى فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم ثلاثة أفواج (١٩٦) وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذى يمحص ويكشف غريب جدا أثر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ابن جرير حدثنى ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضى الله عنه عن يزيد بن الحرث عن شقيق أبى وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان هذه الامة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيؤن بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام الا انهم لم يشركوا بك شيأ فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى وتلا عبد الله رضى الله عنه هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية أثر آخر قال أبو داود الطيالسى عن الصلت بن دينار بن الاشعث عن عقبة بن صهبان الهنائى قال سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لى يا بنى هؤلاء فى الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلكم قال فجعلت نفسها رضى الله عنها معنا وهذا منها رضى الله عنها من باب الهضم والتواضع والا فهى من أكبر السابقين بالخيرات لان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فى قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هى لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا اهل الجهاد رواه ابن ابى حاتم وقال عوف

مجلد

التوراة وقيل المراد به اما الآيات نفسها والعطف لتغاير العنوانين واما بعضها أى المشهور منها كاليد والعصا وأفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات اعتناء بها (الى فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذكر لان مدار التدبير فى عداوة موسى كان عليهم لانهم رؤساء المكذبين بموسى ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال والكنوز (فقالوا ساحر كذاب) فيما جاءهم به والقائل فرعون وقومه وأما قارون فلم يقل ذلك ففى الكلام تغليب وكذا يقال فى قوله قالوا اقتلوا وقال الخطيب كان هذا قول قارون وان لم يقله بالفعل فانه طبع على الكفر ففعله آخرا (فلما جاءهم) موسى (بالحق من عندنا) وهى معجزاته الظاهرة الواضحة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قال قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون قد كان أمسك وكف عن قتل الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث الله موسى وأحس بانه قد وقع ما وقع أعاد القتل على بنى اسرائيل غيظا وحنقا فكان يأمر بقتل الذكور وترك الاناث ومثل هذا قول فرعون سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم والمعنى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا زعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى (واستحيوا) أى استبقوا (نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) أى فى خسران وضياع ووبال لانه يذهب باطلا ولا يغنى عنهم شيأ ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا بل ينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتم واللام اما للعهد والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جىء بها فى تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما أظهروه واضمحلاله بالمرة (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى) أى اتركونى أن أقتله والظاهر من حال اللعين انه قد استيقن انه نبى وان ما جاء به حق ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وانما قال ذلك تمويها وايهاما انهم هم المانعون له من قتله ولولاهم لقتله مع انه ما منعه الا ما فى نفسه من الفزع الهائل وقوله (وليدع ربه)

الاعرابى حدثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل حدثنا كعب الاحبار رحمة الله عليه قال ان الظالم لنفسه من هذه الامة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله تعالى قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها الى قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم قال فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به ثم قال حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن ابيه قال ان ابن عباس رضى الله عنهما سأل كعبا عن (١٩٧) قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله باذن الله قال تماست مناكبهم ورب كعب ثم اعطوا الفضل باعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم ابن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبى اسحق السبيعى فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال ابو اسحق اما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه قال انها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنان عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله ورواه الثورى عن اسمعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه بنحوه وقال ابو الجارود سألت محمد بن على يعنى الباقر رضى الله عنهما عن قول الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه فقال هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهذا ما تيسر من ايراد الاحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام واذا تقرر هذا فان الآية عامة فى جميع الاقسام الثلاثة فى هذه الامة فالعلماء اغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فانهم كما قال الامام احمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة الى ابى الدرداء رضى الله عنه وهو بدمشق فقال ما أقدمك أى أخى قال حديث بلغنى انك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما قدمت لتجارة قال لا قال أما قدمت لحاجة قال لا قال أما قدمت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال رضى الله عنه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وانه ليستغفر للعالم من فى السموات والارض حتى

تجلد منه واظهار لعدم المبالاة ولكنه أخوف الناس منه وفى منعه من قتله وجوه ذكرها الخطيب أى ليدع الذى يزعم انه أرسله الينا فليمنعه من القتل ان قدر على ذلك أى لا يهولنكم ذلك فانه لا رب له حقيقة بل أنا ربكم الاعلى ثم ذكر العلة التى لاجلها أراد أن يقتله فقال (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه من عبادة غير الله ويدخلكم فى دينه الذى هو عبادة الله وحده (أو أن يظهر فى الارض الفساد) أى يوقع بين الناس الخلاف والفتنة جعل اللعين ظهور ما دعا اليه موسى وانتشاره فى الارض واهتداء الناس اليه فسادا وليس الفساد الا ما هو عليه هو ومن تابعه والمعنى انه لا بد من وقوع أحد الامرين أو وقوع الامرين جميعا (وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) لما هدده فرعون بالقتل لم يأت فى دفع شدة اللعين الا بأن استعاذ بالله عز وجل من كل متعظم عن الايمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور واعتمد عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية ويدخل فرعون فى هذا العموم دخولا أوليا ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قال الحسن ومقاتل والسدى كان قبطيا وهو ابن عم فرعون وهو الذى نجا مع موسى وهو المراد بقوله وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وقيل كان من بنى اسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما فى الآية وقد تمحل لذلك بأن فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير وقال رجل من بنى اسرائيل يكتم ايمانه من آل فرعون قال القشيرى ومن جعله اسرائيليا ففيه بعد لانه يقال كتمه أمر كذا ولا يقال كتم منه كما قال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وأيضا ما كان فرعون يحتمل من بنى اسرائيل مثل هذا القول وقد اختلف فى اسم هذا الرجل فقيل حبيب وقيل شمعون وهو الاصح كما فى مبهمات القرآن وقيل حزقيل وبه قال ابن عباس وأكثر العلماء وقال وهب كان اسمه جبريل وقيل غير ذلك قال ابن عباس لم يكن فى آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى أنذر موسى الذى قال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك قال ابن المنذر أخبرت انه حزقيل وعن أبى اسحق قال اسمه حبيب قرأ الجمهور رجل بضم الجيم وقرئ بسكونها وهى لغة تميم ونجد والاولى هى الفصيحة وقرئ بكسر الجيم (أتقتلون

الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء هم ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر وأخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبى الدرداء رضى الله عنه وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة وقد تقدم فى أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء انى لم أضع علمى وحكمتى فيكم (١٩٨) الا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالى (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) يخبر تعالى ان مأوى هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة جنات عدن أى جنات الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا كما ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ولباسهم فيها حرير ولهذا كان محظورا عليهم فى الدنيا فأباحه الله تعالى لهم فى الآخرة وثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وقال هى لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحى أخبرنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان أبا امامة رضى الله عنه حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهم اكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وهو الخوف من المحذور أزاحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون

رجلا) الاستفهام للانكار (أن يقول) أى لان يقول أو كراهة ان يقول وقال الزمخشرى أى وقت ان يقول ورد ذلك لنص النحاة على خلافه وقال الامام تاج الدين بن مكتوم أجاز ابن جنى ذلك والاول أولى (ربى الله) وهو ربكم أيضا لا رب وحده وهو اشارة الى التوحيد وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة من غير روية وتأمل فى أمره واطلاع على سبب يوجب قتله وما لكم علة فى ارتكابه الا كلمة الحق وهو قوله ربى الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أى والحال ان قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته والمعنى انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسبت اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به أخرج البخارى وغيره من طريق عروة قال قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنا بأشد شئ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأخرج البزار وأبو نعيم فى فضائل الصحابة عن على ابن أبى طالب انه قال يا أيها الناس أخبرونى من أشجع الناس قالوا أنت قال أما انى ما بارزت أحدا الا انتصفت منه ولكن أخبرونى عن أشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذته قريش فهذا يجبئه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويجئ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ثم رفع بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبون فوالله لساعة من أبى بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه ثم تلطف الرجل المؤمن لهم فى الدفع عن موسى واحتج عليهم بطريق التقسيم فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى ضرر كذبه (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) هذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى الترديد كونه كاذبا وانما خوفهم به اقتصارا على ما هو

أظهر

التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن رواه ابن أبى حاتم من حديثه وقال الطبرانى حدثنا جعفر بن محمد
الفريابى حدثنا موسى بن يحيى المروزى حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفى عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى الموت ولا فى القبور ولا فى النشور وكأنى أنظر اليهم عند
الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور قال ابن عباس رضى الله عنهما
وغيره غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات   الذى أحلنا دار المقامة من فضله يقولون
الذى أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام
من فضله ومنه ورحمته لم تكن
أعمالنا تساوى ذلك كما ثبت فى
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لن يدخل أحدا منكم عمله
الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله
قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله تعالى
برحمة منه وفضل لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب أى لا يمسنا فيها
عناء ولا اعياء والنصب واللغوب كل
منهما يستعمل فى التعب وكأن
المراد بنفى هذا وهذا عنهم انهم
لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم
والله أعلم فمن ذلك انهم كانوا يدئبون
أنفسهم فى العبادة فى الدنيا فسقط
عنهم التكليف بدخولها وصاروا
فى راحة دائمة مستمرة قال الله
تبارك وتعالى كلوا واشربوا هنيئا
بما أسلفتم فى الايام الخالية (والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
كذلك نجزى كل كفور وهم
يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل
صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير) لما
ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع فى بيان مال الاشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا كما قال تعالى
لا يموت فيها ولا يحيى وثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون
وقال عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون فهم فى حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل الى ذلك
قال الله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال عز وجل ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون وقال جل وعلا كلما خبت زدناهم سعيرا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ثم قال تعالى كذلك نجزى كل كفور

أظهر احتمالا عندهم ولم يكن قوله هذا لشك منه فانه كان مؤمنا كما وصفه الله ولا يشك
المؤمن والمعنى اذا لم يصبكم كله فلا أقل من ان يصيبكم بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء
وقال أبو عبيدة وأبو الهيثم بعض هنا بمعنى كل أى يصيبكم كل الذى يعدكم والبعض قد
يستعمل فى لغة العرب بمعنى الكل قال النسفى وتفسير البعض بالكل مزيف انتهى ثم
ولا ضرورة تلجى الى حمل ما فى الآية على ذلك لانه أراد التنزل معهم وايهامهم انه لا يعتقد
صحة نبوته كما يفيده قوله يكتم ايمانه قال أهل المعانى وهذا على المظاهرة فى الحجاج كأنه قال
لهم أقل ما يكون فى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفى بعض ذلك هلاككم فكأن
الحاصل بالبعض هو الحاصل بالكل وقال الليث بعض ههنا صلة تريد يصيبكم الذى يعدكم
وقيل يصيبكم هذا العذاب الذى يقوله فى الدنيا وهو بعض ما يتوعدكم به من العذاب
وقيل انه وعدهم بالثواب والعقاب فاذا كفروا أصابهم العذاب وهو بعض ما وعدهم به
وحذفت النون من يكن فى الموضعين تخفيفا لكثرة الاستعمال كما قال سيبويه (ان الله
لا يهدى من هو مسرف كذاب) هذا من تمام كلام الرجل المؤمن وهو احتجاج آخر
ذو وجهين أحدهما انه لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولا أيده
بالمعجزات وثانيهما انه اذا كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله والمسرف
المقيم على المعاصى المستكثر منها والكذاب المفترى (ياقوم لكم الملك اليوم) ذكرهم ذلك
الرجل المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله ولا يتمادوا فى كفرهم ومعنى (ظاهرين)
الظهور على الناس والغلبة لهم والاستعلاء عليهم (فى الارض) أى أرض مصر (فمن
ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى من يمنعنا من عذابه ويحول بيننا وبينه عند مجيئه وفى
هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وانزال عذابه عليهم وانما نسب ما يسرهم من الملك
والظهور فى الارض لهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تطييبا
لقلوبهم وايذانا بأنه مناصح ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم ليتأثروا بنصحه فلما
سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح الصحيح جاء بمراوغة يوهم بها قومه انه لهم من
النصيحة والرعاية بمكان مكين وانه لا يسلك بهم الا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع
الضر عنهم ولهذا (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم الا بما أرى لنفسى
قاله ابن زيد وهذا تفسير لمآل المعنى والتفسير المطابق لجوهر اللفظ ما قال الضحاك

أى هذا جزاء من كفر به وكذب الحق وقوله جلت عظمته وهم يصطرخون فيها أى ينادون فيها يجأرون الى الله عزوجل
بأصواتهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أى يسألون الرجعة الى الدنيا ليعملوا غير عملهم الاول وقد علم الرب جل جلاله
انه لو ردهم الى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فلهذا لا يجيبهم الى سؤالهم كما قال تعالى مخبرا عنهم فى قولهم فهل الى
مرد من سبيل ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا أى لا يجيبكم الى ذلك لانكم كنتم كذلك ولو رددتم لعدتم
الى ما نهيتم عنه ولذا قال ههنا أولم نعمركم (٢٠٠) ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير أى أوما عشتم فى الدنيا أعمارا لو كنتم
ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به فى مدة
عمركم وقد اختلف المفسرون
فى مقدار العمر المراد ههنا فروى
عن على بن الحسين زين العابدين
رضى الله عنهما انه قال مقدار سبع
عشرة سنة وقال قتادة اعلموا ان طول
العمر حجة فنعوذ بالله ان نعتر
بطول العمر قد نزلت هذه الآية
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وان فيهم لابن ثمانى عشرة سنة وكذا
قال أبو غالب الشيبانى وقال عبد الله
ابن المبارك عن معمر عن رجل
عن وهب بن منبه فى قوله تعالى أولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال
عشرين سنة وقال هشيم عن
منصور عن زاذان عن الحسن فى
قوله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر قال أربعين سنة وقال
هشيم أيضا عن مجاهد عن الشعبى
عن مسروق انه كان يقول اذا بلغ
أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره
من الله عزوجل فهذه رواية عن
ابن عباس رضى الله عنهما فيما قال
ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى
حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله
ابن عثمان بن خيثم عن مجاهد
قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول العذر الذى اعذر الله تعالى لابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر أربعون سنة هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضى الله عنهما به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من
طريق الثورى وعبد الله بن ادريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال العمر
الذى أعذر الله فيه لابن آدم فى قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضى الله عنهما
وهى الصحيحة فى نفس الامر أيضا لما ثبت فى ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من ان الحديث لم يصح فى ذلك

ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب وهو قتل موسى والرؤية هنا هى القلبية الاعتقادية
لا البصرية العينية فتعدى لمفعولين ثانيهما الا ما أرى (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى
ما أهديكم ولا أدعوكم بهذا الرأى الا الى طريق الحق والهدى قرأ الجهور بتخفيف
الشين وقرأ معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه بتشديدها على انها صيغة مبالغة كضراب قال
النحاس هى لحن ولا وجه لذلك ثم كرر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم وحذرهم أن ينزل بهم
ما نزل بمن قبلهم فقال الله حاكيا عنه (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب) أى مثل يوم عذاب الامم الماضية الذين تحزبوا على أنبيائهم وأفرد اليوم لان
جمع الاحزاب قد أغنى عن جمعه والاحزاب لم ينزل بها العذاب فى يوم واحد بل نزل بها فى
الدنيا فى أيام مختلفة مترتبة ثم فسر الاحزاب فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم) أى مثل حالهم فى العذاب أو مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب أو مثل
جزاء ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب (وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يعذبهم ولا
يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام أو لا يزيد على قدر ما يستحقون من
العذاب أو لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ونفى الارادة للظلم يستلزم نفى الظلم بفحوى
الخطاب وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل
لآخر لا اريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك ثم زاد الرجل المؤمن فى الوعظ والتذكير فقال
(وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) قرأ الجهور بتخفيف الدال وحذف الياء والاصل
التنادى وهو التفاعل من النداء يقال تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضا وقرئ باثبات
الياء على الاصل وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة بتشديد الدال قال بعض أهل اللغة
هو لحن لانه من ند يند اذا مر على وجهه هاربا قال النحاس وهذا غلط والقراءة حسنة
على معنى التنافى قال الضحاك فى معناه انهم اذا سمعوا بزفير جهنم ندوا هربا فلا يأتون
قطرا من أقطار الارض الا وجدوا صفوفا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا
فيه فذلك قوله يوم التناد وعلى قراءة الجهور المعنى يوم ينادى بعضهم بعضا أو ينادى
أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار أو يوم ينادى فيه كل أناس بامامهم ولا مانع
من الحمل على جميع هذه المعانى وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى أصحاب
الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل

ينادى

لان فى اسناده من يجب التثبت فى أمره وقد روى أصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه انه قال العمر الذى عمرهم الله به فى قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا دحيم حدثنا ابن أبى فديك حدثنى ابراهيم بن الفضل المخزومى عن ابن أبى حسين المكى انه حدثه عن عطاء هو ابن أبى رباح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله تعالى فيه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وكذا رواه ابن جرير عن على بن شعيب عن اسمعيل بن أبى فديك (٢٠١) به وكذا رواه الطبرانى من طريق ابن أبى فديك به وهذا الحديث فيه نظر لحال ابراهيم بن الفضل والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بنى غفار عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أعذر الله تعالى الى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أعذر الله تعالى اليه لقد أعذر الله تعالى اليه وهكذا رواه الامام البخارى فى كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن على عن معن بن محمد الغفارى عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذر الله عزوجل الى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة ثم قال البخارى تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح النزارى حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عبد القادر أى الاسكندرى حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله تعالى ستين سنة فقد اعذر اليه فى العمر وقد رواه الامام أحمد والنسائى فى الرقاق جميعا عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ورواه البزار قال حدثنا هشام بن يونس حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن ابيه عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العمر الذى اعذر الله تعالى فيه الى ابن آدم ستون سنة يعنى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبى حاتم حدثنا

ينادى مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وألا ان فلانا شقى شقاوة فلا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر باليتنى لم أوت كتابيه (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين عنها غير معجزين قال قتادة ومقاتل المعنى الى النار بعد الحساب (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذاب الله ويمنعكم منه (ومن يضلل الله فما له من هاد) يهديه الى طريق الرشاد قرئ هادى باثبات الياء وحذفها فى الوقف وبحذفها فى الوصل مع حذفها خطا (ولقد جاءكم يوسف) هذا من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبياء وقيل ان هذا من قول موسى عليه السلام والاول أولى (من قبل) أى قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب فى قول عمر الى زمن موسى قاله المحلى أى عاش واستمر يوسف بن يعقوب الى زمن موسى الكليم قال سليمان الجمل وهذا القول لم يقله غيره (١) من المفسرين وانما غاية ما وجد بعد التفتيش ما نقله الشهاب بقوله وفى بعض التواريخ ان وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة قال القارى والصحيح ان المعمر هو فرعون موسى أدرك يوسف وعاش الى ان أرسل اليه موسى وعمر أربعمائة سنة وأربعين سنة انتهى وقال السيوطى فى التحبير وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبين يوسف وموسى أربعمائة سنة انتهى وقيل هو فرعون آخر (بالبينات) أى انه جاءهم بالمعجزات الظاهرات والآيات الواضحات من قبل مجئ موسى اليهم أى جاء الى آبائكم فجعل المجئ الى الآباء مجيئا الى الابناء وقال ابن جريج المراد بالبينات رؤيا يوسف وقيل المراد بها قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل المراد بيوسف يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وكان أقام فيهم أى فى القبط نبيا عشرين سنة وحكى النقاش عن الضحاك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف قال الشوكانى رحمه الله والاول أولى (فما زلتم) أى ما زال اسلافكم (فى شك مما جاءكم به) من البينات ولم تؤمنوا به (حتى اذا هلك) يوسف (قلتم) أى قال أسلافكم (لن يبعث الله من بعده رسولا) فكفروا به فى حياته وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته وظنوا أن الله لا يجدد عليهم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان ليكون لهم أساس فى تكذيب الرسل الذين يأتون بعده وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل

(١) فيه أن الناقل لهذا القول جماعة سوى الجلال المحلى كالخازن والنسفى وابى السعود كما يظهر عند المراجعة الى تفاسير هؤلاء فقوله لم يقله غيره من المفسرين فيه نظر ظاهر اه منه

ابو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا ابو عبد الرحمن المقرى حدثنا سعيد بن ابى ايوب حدثنا محمد بن عجلان
عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل
اليه فى العمر وكذا رواه الامام أحمد عن أبى عبد الرحمن هو المقرى به ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبى معشر عن أبى سعيد المقبرى
طريق أخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ابن جرير حدثنى أحمد بن الفرج ابو عتبة الحمصى حدثنا بقية بن الوليد حدثنا
المطرف بن مازن الكنانى حدثنى معمر بن (٢٠٢) راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارى يقول سمعت أبا هريرة رضى
الله عنه يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد أعذر الله عز
وجل فى العمر الى صاحب الستين
سنة والسبعين فقد صح هذا
الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن
الا الطريق التى ارتضاها أبو عبد الله
البخارى شيخ هذه الصناعة لكفت
وقول ابن جرير ان فى رجاله بعض من
يجب التثبت فى أمره لا يلتفت اليه
مع تصحيح البخارى والله أعلم وذكر
بعضهم ان العمر الطبيعى عند
الاطباء مائة وعشرون سنة فالانسان
لا يزال فى ازدياد الى كمال الستين ثم
يشرع بعد هذا فى النقص والهرم
كما قال الشاعر

اذا بلغ الفتى ستين عاما
فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذى
يعذر الله تعالى الى عباده به
ويزيح به عنهم العلل كان هو
الغالب على أعمار هذه الامة
كما ورد بذلك الحديث قال الحسن
ابن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن
ابن محمد المحاربى حدثنا محمد بن عمرو
عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه جميعا
فى كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا عجب من الترمذى
فانه قد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا من وجه آخر وطريق اخرى عن أبى هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن
كامل بن أبى العلاء عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتى ما بين الستين الى
السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد رواه الترمذى فى كتاب الزهد أيضا عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى عن محمد بن ربيعة به ثم قال
هذا حديث حسن غريب من حديث أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه وقد روى من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه فى

هو ضم منهم الى الشك فى رسالته والتكذيب برسالة من بعده أفاده الخطيب والخازن
(كذلك) الضلال الواضح (يضل الله من هو مسرف) فى معاصى الله مستكثر منها أو
مشرك (مرتاب) فى دين الله شاك فى وحدانيته ووعده ووعيده وقوله (الذين يجادلون
فى آيات الله) بدل من والجمع باعتبار معناها وافراد الضمير باعتبار اللفظ أو بيان لها
أو صفة أو فى محل نصب باضمار أعنى أو خبر مبتدا محذوف أى هم الذين أو مبتدأ وخبره
يطبع والاول أولى قال ابن جريج الذين يجادلون يهود وقيل هذا من كلام الرجل المؤمن
أيضا وقيل انه ابتداء كلام من الله سبحانه (بغير سلطان) أى بغير حجة واضحة وبرهان
ساطع (أتاهم) صفة لسلطان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) يحتمل ان يراد به
التعجب والاستعظام وان يراد به الذم كبئس وفاعل كبر ضمير يعود الى الجدال المفهوم من
يجادلون قال المحلى كبر خبر المبتدا انتهى وهذا أولى وأحسن الاعاريب العشرة التى
ذكرها السمين واليه نحا أبو حيان (كذلك) الطبع المحكم البليغ (يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار) مستأنف قرأ الجمهور باضافة قلب الى متكبر واختارها أبو حاتم وأبو عبيد
وفى الكلام حذف والتقدير كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فحذف كل الثانية
لدلالة الاولى عليها والمعنى انه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين وقرئ
بتنوين قلب على ان متكبرا صفة له فيكون القلب مرادا به الجملة لان القلب هو محل
التكبر وسائر الاعضاء تبع له فى ذلك وهما سبعيتان وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر
وتقديره عند الزمخشرى على كل ذى قلب متكبر قال الشيخ ولا ضرورة تدعو الى اعتبار
الحذف قلت بل ثم ضرورة الى ذلك وهى توافق القراءتين ثم لما سمع فرعون هذا رجع الى
تكبره وتجبره معرضا عن الموعظة نافرا عن قبولها (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا)
أى قصرا مشيدا كما تقدم بيان تفسيره فى سورة القصص وقيل صرحا أى بناء ظاهرا
لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشئ اذا ظهر وفى المصباح الصرح
بيت واحد يبنى مفردا طولا ضخما وفى السمين الصرح القصر أو صحن الدار أو بلاط يتخذ
من زجاج وأصله من التصريح وهو الكشف (لعلى أبلغ الاسباب) أى الطرق من السماء
الى السماء قال قتادة والزهرى والسدى والاخفش هى الابواب أى أبوابها الموصلة
اليها

الموضعين والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الانصارى حدثنا ابن أبى فديك حدثنى ابراهيم بن الفضل مولى بنى مخزوم عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل امتى أبناء سبعين اسناده ضعيف حديث آخر فى معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا ابراهيم بن هانئ حدثنا ابراهيم بن مهدى عن عثمان بن مطر عن أبى مالك عن ربعى عن حذيفة رضى الله عنه انه قال يارسول الله أنبئنا بأعمار أمتك قال صلى الله عليه وسلم ما بين الخمسين الى الستين قالوا يارسول الله فأبناء السبعين قال صلى الله عليه وسلم قل من يبلغها من أمتى رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ الا بهذا الاسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوى وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين سنة والمشهور الاول والله أعلم وقوله تعالى وجاءكم النذير روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة وأبى جعفر الباقر رضى الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة انهم قالوا يعنى الشيب وقال السدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن زيد هذا نذير من النذر الاولى وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه انه قال احتج عليهم بالعمر والرسل وهذا اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أى لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل فأبيتم وخالفتم وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تبارك وتعالى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير وقوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير أى فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للانبياء فى مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والاغلال (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والارض وانه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوى عليه الضمائر

اليها (أسباب السموات) بيان للاسباب لان الشئ اذا أبهم ثم فسر كان أوقع فى النفوس وأفخم للشان أو بدل منها وانشد الاخفش عند تفسير الآية بيت زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم

وقيل أسباب السموات الامور التى يستمسك بها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع الى اله موسى) أى انظر اليه وأطلع على حاله قرأ الاعرج السلمى وعيسى ابن عمر وحفص بالنصب على جواب الامر فى قوله ابن لى وهذا رأى البصريين أو على جواب الترجى كما قال أبو عبيد وغيره وهذا رأى الكوفيين قال النحاس معنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب اطلعت وقرأ الجمهور بالرفع عطفا على أبلغ فهو على هذا داخل فى حيز الترجى ومعناه لعلى أبلغ ولعلى أطلع بعد ذلك وقيل غير ذلك وفى هذا دليل على ان فرعون كان بمكان من الجهل عظيم وبمنزلة من فهم حقائق الاشياء سافلة جدا (وانى لأظنه) اى موسى كاذبا فى ادعائه بان له الها غيرى مستويا على العرش فوق السموات أو فيما يدعيه من الرسالة قيل قال فرعون ذلك تمويها وتلبيسا وتخليطا على قومه والا فهو يعرف و يعتقد حقيقة الاله وانه ليس فى جهة العلو ولكنه أراد التلبيس على قومه توصلا لبقائهم على الكفر فكانه يقول لو كان اله موسى موجودا لكان له محل ومحله اما الارض واما السماء ولم نره فى الارض فيبقى أن يكون فى السماء والسماء لا يتوصل اليها الا بسلم قاله الحفناوى (وكذلك) التزيين (زين لفرعون سوء عمله) من الشرك والتكذيب فتمادى فى الغى واستمر على الطغيان والمزين هو الشيطان (وصد عن السبيل) أى سبيل الرشاد والهدى قرأ الجمهور وصد بفتح الصاد والدال أى صد فرعون الناس عن السبيل وقرأ الكوفيون وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم ولعل وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما أجمعوا عليه فى زين من البناء للمفعول والقراءتان سبعيتان وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة صد بكسر الصاد وضم الدال منونا وقرأ ابن أبى اسحق وعبد الرحمن بن أبى بكر بفتح الصاد وضم الدال منونا وكل من هذين القراءتين على أنه مصدر معطوف على سوء عمله أى زين له الشيطان سوء العمل والصد (وما كيد فرعون) فى ابطال آيات موسى (الا فى تباب) أى خسار وهلاك قال ابن عباس التباب الخسران ومنه تبت يدا أبى لهب ثم ان ذلك

وسيجازي كل عامل بعمله ثم قال عزوجل هو الذي جعلكم خلائف في الارض أي يخلف قوم لآخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم
كما قال تعالى ويجعلكم خلفاء الارض فمن كفر فعليه كفره أي فانما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة
بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب
العالمين (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من (٢٠٤) دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم
آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من
أحد من بعده انه كان حليما غفورا)
يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه
وسلم ان يقول للمشركين أرأيتم
شركاءكم الذين تدعون من دون
الله أي من الاصنام والانداد أروني
ماذا خلقوا من الارض أم لهم
شرك في السموات أي ليس لهم شئ
من ذلك ما يملكون من قطمير
وقوله أم آتيناهم كتابا فهم على بينة
منه أي أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه
من الشرك والكفر ليس الامر
كذلك بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا أي بل انما اتبعوا في
ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم
التي تمنوها لانفسهم وهي غرور
باطل وزور ثم أخبر تعالى عن قدرته
العظيمة التي بها تقوم السماء
والارض عن أمره وما جعل فيها
من القوة الماسكة لهما فقال ان
الله يمسك السموات والارض ان
تزولا أي أن يضطربا عن أماكنهما
كما قال عزوجل ويمسك السماء ان
تقع على الارض الا باذنه وقال تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده أي لا يقدر على دوامهما وابقائهما الا هو وهو مع ذلك حليم غفور أي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم
فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستر آخرين ويغفر ولهذا قال تعالى انه كان حليما غفورا وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا
غريبا بل منكرا فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن
الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه الصلاة

الرجل المؤمن أعاد التذكير والتحذير كما حكى الله عنه بقوله (وقال الذي آمن ياقوم
اتبعون) باثبات الياء وحذفها في الوصل والوقف والقراءتان سبعيتان وهذا بالنظر للفظ
وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير لانها من ياآت الزوائد أي اقتدوا بي في الدين واعملوا
بنصيحتي (أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى والصواب وهو الجنة وهو ضد الغي
وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي وقيل هذا من قول
موسى والاول أولى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع بها أياما ثم تنقطع وتزول
لان التنوين للتقليل فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن ورأس كل بلاء وآفة (وان
الآخرة هي دار القرار) اى الاستقرار والثبات فلا انتقال ولا تحول عنها لكونها دائمة
لا تنقطع ومستمرة لا تزول والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا
فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة
ذهب باق قال ابن عباس الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وأخرج ابن
مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحياة الدنيا متاع
وليس من متاعها شئ أفضل من المرأة الصالحة التي اذا نظرت اليها سرتك واذا غبت عنها
حفظتك في نفسها ومالها (من عمل سيئة) من كلام الرجل المؤمن والمعنى من عمل في دار
الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت (فلا يجزى الا مثلها) ولا يعذب الا بقدرها
والظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة وقيل هي خاصة بالشرك ولا وجه
لذلك (ومن عمل) عملا (صالحا) قيل هو لا اله الا الله (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) اى مع
كونه مؤمنا بما جاءت به رسله (فأولئك) الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (يدخلون
الجنة) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس سبعيتان (يرزقون فيها) رزقا واسعا (بغير حساب)
أي بغير تقدير ومحاسبة قال مقاتل يقول لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير ثم كرر
ذلك الرجل المؤمن دعاءهم الى الله وصرح بايمانه ولم يسلك المسالك المتقدمة من ايهامه
لهم انه منهم وانه انما تصدى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى كما
يقوله الرجل المحب لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه فقال (و
ترك العطف في النداء الثاني لانه تفصيل لاجمال الاول وهنا عطف لانه ليس بتلك المثابة
لانه

والسلام على المنبر قال وقع فى نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عزوجل فأرسل الله تعالى اليه ملكا فأرقه ثلاثا
وأعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وأمره يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما على الاخرى
حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله تعالى له مثلا ان الله عزوجل لوكان ينام لم تستمسك السماء
والارض والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الاسرائيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من ان يجوز
على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عزوجل فى كتابه العزيز بأنه الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى
السموات ومافى الارض وثبت فى
الصحيحين عن أبى موسى الاشعرى
رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل
قبل النهار وعمل النهار قبل الليل
حجابه النور أو النار لوكشفه
لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى
اليه بصره من خلقه وقد قال ابو
جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا
عبد الرحمن حدثنا سفيان عن
الاعمش عن أبى وائل قال جاء رجل
الى عبد الله هو ابن مسعود رضى
الله عنه فقال من أين جئت قال من
الشام قال من لقيت قال لقيت
كعبا قال ما حدثك قال حدثنى ان
السموات تدور على منكب ملك
قال أفصدقته أو كذبته قال
ما صدقته ولا كذبته قال لوددت
انك افتديت من رحلتك اليه
براحلتك ورحلها كذب كعب ان
الله تعالى يقول ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من أحد من
بعده وهذا اسناد صحيح الى كعب
والى ابن مسعود رضى الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلى الى كعب
بالشام فذكر نحوه وقد رأيت فى مصنف للفقيه يحيى بن ابراهيم بن مزين الطليطلى سماه سير الفقهاء أورد هذا الاثر عن محمد بن
عيسى بن الطباع عن وكيع عن الاعمش به ثم قال واخبرنا زونان يعنى عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك انه قال
السماء لا تدور واحتج بهذه الآية وبحديث ان بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه قلت وهذا الحديث
فى الصحيح والله سبحانه وتعالى اعلم (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم

لانه كلام مباين للاول والثانى فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ونحوه قال الزمخشرى
(ياقوم مالى) تكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه
من آل فرعون والمعنى أخبرونى عنكم كيف هذه الحال (أدعوكم الى النجاة) من النار
ودخول الجنة بالايمان بالله واجابة رسله (وتدعوننى الى النار) بما تريدونه منى من الشرك
وقيل المعنى مالكم أدعوكم كما تقول مالى أراك حزينا أى مالك ثم فسر الدعوتين فقال
(تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم) أى مالا علم لى بكونه شريكا لله والمراد
بنفى العلم نفى المعلوم بدل من تدعوننى الاولى على جهة البيان لها وأتى بجملة فعلية لتدل
على ان دعوتهم باطلة لاثبوت لها وفى قوله (وأنا أدعوكم) بجملة اسمية لتدل على ثبوت
دعوته وتقويتها (الى العزيز) الغالب على أمره وفى انتقامه ممن كفر (الغفار) لذنب من
آمن به وتاب (لاجرم) قد تقدم تفسير هذا فى سورة هود وجرم فعل ماض بمعنى حق ولا
الداخلة عليه لنفى ما ادعوه ورد مازعموه وفاعل هذا الفعل هو قوله (انما تدعوننى اليه)
أى حق ووجب بطلان دعوته وما بمعنى الذى فكان حقها ان تكتب مفصولة من النون
كما هو القاعدة لكنها رسمت فى المصحف الامام موصولة بالنون كما أشار له ابن الجزرى
(ليس له دعوة) قال الزجاج معناه ليس له استجابة دعوة تنفع وقيل ليس له دعوة توجب له
الالوهية (فى الدنيا ولا فى الآخرة) وقال الكلبى ليس له شفاعة (وان مردنا الى الله) أى
مرجعنا ومصيرنا اليه بالموت أولا وبالبعث آخرا فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر
(وان المسرفين) أى المستكثرين من معاصى الله قال قتادة وابن سيرين يعنى المشركين
وقال مجاهد والشعبى هم السفهاء السفاكون للدماء بغير حقها وبه قال ابن مسعود وقال
عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله والمعنى حق ان المسرفين
(هم أصحاب النار) أى أهل جهنم ولما بلغ ذلك المؤمن فى باب النصيحة الى هذا الكلام ختم
كلامه بخاتمة لطيفة فقال (فستذكرون ما أقول لكم) اذا نزل بكم العذاب وتعلمون أنى قد
بالغت فى نصحكم وتذكيركم وهو كلام مجمل مبهم وفى هذا الابهام والاجمال من التخويف
والتهديد مالا يخفى (وأفوض أمرى الى الله) مستأنف أى أتوكل عليه وأسلم أمرى اليه
قيل انه قال هذا لما ارادوا الايقاع به قال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فطلبوه فلم

نذير مازادهم الانفورا استكبارا فى الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون الاسنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) يخبر تعالى عن قريش والعرب انهم اقسموا بالله جهد أيمانهم قبل ارسال الرسول اليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم أى من جميع الامم الذين ارسل اليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وكقوله تعالى وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون قال الله تعالى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين مازادهم الانفورا أى ماازدادوا الا كفرا الى كفرهم ثم بين ذلك بقوله استكبارا فى الارض أى استكبروا عن اتباع آيات الله ومكر السيء أى ومكروا بالناس فى صدهم اياهم عن سبيل الله ولا يحيق المكر السيء الا بأهله أى ومايعود وبال ذلك الا عليهم انفسهم دون غيرهم قال ابن أبى حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن أبى زكريا الكوفى عن رجل حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياك ومكر السيء فانه لا يحيق المكر السيء الا بأهله ولهم من الله طالب وقال محمد بن كعب القرظى ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغى أو نكث وتصديقها فى كتاب الله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وقوله عز وجل فهل ينظرون الاسنة الاولين يعنى عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره وان تجد لسنة الله تبديلا اى لا تغير ولا تبدل بل هى جارية كذلك فى كل مكذب ولن تجد لسنة الله تحويلا أى واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين

يقدروا عليه وقيل القائل هو موسى والاول أولى (ان الله بصير بالعباد) يعلم المحق من المبطل (فوقاه الله سيآت مامكروا) أى ما ارادوا به من المكر السيء وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قال قتادة نجاه الله مع بنى اسرائيل من الغرق (وحاق بآل فرعون) أى أحاط بهم ونزل عليهم (سوء العذاب) قال الكسائى يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم قال الكلبى غرقوا فى البحر ودخلوا النار والمراد بآل فرعون فرعون وقومه وترك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه أولى بذلك منهم أو المراد بآل فرعون فرعون نفسه والاول أولى لانهم قد عذبوا فى الدنيا جميعا بالغرق وسيعذبون فى الآخرة بالنار ثم بين سبحانه ما أجمله من سوء العذاب فقال (النار يعرضون) أى تعرض أرواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة (عليها غدوا وعشيا) أى صباحا ومساء فارتفاع النار على انها بدل من سوء العذاب وقيل على انها خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ وخبره يعرضون والاول أولى ورجحه الزجاج وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره يعرضون من حيث المعنى أى يصلون النار يعرضون عليها أو على الاختصاص وأجاز الفراء الخفض على البدل من العذاب وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حين يبعثك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به اى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام واحتج بعض اهل العلم على اثبات عذاب القبر بهذه الآية اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم قال القرطبى ان ارواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها انتهى وقد حققنا ذلك فى كتابنا ثمار التنكيت فى شرح أبيات التثبيت بالفارسية فليعلم ثم ذهب الجمهور الى ان هذا العرض هو فى البرزخ وقيل هو فى الآخرة قال الفراء ويكون فى الآية تقديم وتأخير اى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون

عليها

كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد
والعدد وكثرة الاموال والاولاد فما أغنى ذلك شيأ ولا دفع عنهم من عذاب الله من شئ لما جاء أمر ربك لانه تعالى لا يعجزه شئ اذا أراد
كونه فى السموات والارض انه كان عليما قديرا أى عليم بجميع الكائنات قدير على مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى لو آخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع أهل السموات والارض وما يملكونه من دواب
وأرزاق قال ابن ابى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا (٢٠٧) سفيان الثورى عن أبى اسحق عن أبى
الاحوص عن عبد الله قال كاد
الجعل ان يعذب فى جحره بذنب ابن
آدم ثم قرأ ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من
دابة وقال سعيد بن جبير والسدى
فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها من
دابة أى لما سقاهم المطر فماتت
جميع الدواب ولكن يؤخرهم الى
أجل مسمى أى ولكن ينظرهم الى
يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفى
كل عامل بعمله فيجازى بالثواب أهل
الطاعة وبالعقاب أهل المعصية
ولهذا قال تبارك وتعالى فاذا جاء
أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
آخر تفسير سورة فاطر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة يس وهى مكية)

قال أبو عيسى الترمذى حدثنا
قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا
حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى عن
الحسن بن صالح عن هرون أبى
محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة
عن أنس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس
ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها
قراءة القرآن عشر مرات ثم قال
هذا حديث غريب لا نعرفه الا من
حديث حميد بن عبد الرحمن وهرون أبو محمد شيخ مجهول وفى الباب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا يصح لضعف اسناده
وعن أبى هريرة رضى الله عنه منظور فيه أما حديث الصديق رضى الله عنه فرواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الاصول
وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الحباب حدثنا حميد هو
المكى مولى آل علقمة عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا
وقلب القرآن يس ثم قال لا نعلم رواه الا زيد عن حميد وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق بن أبى اسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن

عليها غدوا وعشيا ولا ملجئ الى هذا التكلف فان قوله (ويوم تقوم الساعة) الخ يدل
دلالة واضحة على ان ذلك العرض هو فى البرزخ (ادخلوا) اى يقال للملائكة ادخلوا
(آل فرعون أشد العذاب) هو عذاب النار فانه أشد مما كانوا فيه وقيل أنواع من
العذاب بعضها أشد من بعض غير التى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا قرأ حمزة والكسائى
ونافع وحفص أدخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء وهو على تقدير القول كما ذكر وقرأ
الباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل أمر لآل فرعون بالدخول بتقدير حرف
النداء أى ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله
وسلم قال ما أحسن محسن مسلم أو كافر الا أثابه الله قلنا يا رسول الله ما اثابة الكافر قال
المال والولد والصحة وأشباه ذلك قلنا وما اثابته فى الآخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اخرجه البزار وابن ابى
حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان (واذ يتحاجون فى النار)
اى اذكر لقومك وقت تخاصمهم فى النار ثم بين سبحانه هذا التخاصم فقال (فيقول الضعفاء
للذين استكبروا) عن الانقياد للانبياء والاتباع لهم وهم رؤساء الكفر (انا كنا لكم تبعا)
فتكبرتم على الناس بنا والتبع جمع تابع كخدم وخادم او مصدر واقع موقع اسم الفاعل
أى تابعين او ذوى تبع قال البصريون التبع يكون واحدا ويكون جمعا وقال الكوفيون
هو جمع لا واحد له (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أى هل تدفعون عنا نصيبا منها أو
تحملونه معنا وجملة (قال الذين استكبروا انا كل فيها) مستأنفة جواب سؤال مقدر قرأ
الجمهور كل بالرفع على الابتداء وخبره فيها والجملة خبر ان قاله الاخفش وقرأ ابن السميفع
وعيسى بن عمر كلا بالنصب قال الكسائى والفراء على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه
عوض عن المضاف اليه وقيل على الحال ورجحه ابن مالك والمعنى انا نحن وأنتم جميعا فى
جهنم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا (ان الله قد حكم بين العباد) أى
قضى بينهم بان فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير فلا يغنى أحد عن أحد شيأ فعند ذلك يحصل
اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما قال (وقال الذين
فى النار) من الامم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعا (لخزنة جهنم) جمع خازن وهم
القوام بتعذيب أهل النار وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا أو لبيان

هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له اسناده جيد وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن اسحق بن ابراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خيثمة حدثنا محمد بن جحادة عن الحسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له وقد قال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر (٢٠٨) عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت الله لا اله الا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة الا غفر له واقرؤها على موتاكم وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الاعلى عن معتمر بن سليمان به ثم قال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤها على موتاكم يعني يس ورواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به الا ان في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة انها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى وكان قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان قال كان المشيخة يقولون اذا قرئت يعني يس عند الميت خفف الله عنه بها وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم ابن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من أمتي يعني يس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق

محلهم فيها فان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين لعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) أي شيأ منه مقدار يوم من ايام الدنيا لانه ليس في الآخرة ليل ولا نهار (قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) مستأنفة جواب سؤال مقدر والاستفهام للتقريع والتوبيخ (قالوا بلى) أي اتونا بها فكذبناهم ولم نؤمن بهم ولا بما جاؤا به من الحجج الواضحة فلما اعترفوا (قالوا) أي قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم تهكما بهم (فادعوا) أي اذا كان الامر كذلك فادعوا أنتم فانا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة ثم أخبروهم بان دعاءهم لا يفيد شيأ فقالوا (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) اي في ضياع وبطلان وخسار وتبار وانعدام وفيه اقناط لهم عن الاجابة وقيل هو من قول الله تعالى اخبارا لنبيه وهو أنسب بما بعده وعليه جرى المحلي والشهاب (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) مستأنفة من جهة الله سبحانه اي نجعلهم الغالبين لاعدائهم القاهرين لهم والموصول في محل نصب عطفا على رسلنا أي لننصر رسلنا وننصر الذين آمنوا معهم (في الحياة الدنيا) بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والاسر وقيل بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام لهم من الاعداء بالاستئصال وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله عز وجل والعاقبة لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا وكما نصر الحسين بن علي الشهيد فانه قتل به سبعين ألفا أيضا أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وأخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة مثله (ويوم يقوم الاشهاد) هو يوم القيامة قال زيد بن أسلم الاشهاد هم الملائكة والنبيون والمؤمنون وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملائكة يشهدون للانبياء بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب وقيل الحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال وكذا الجوارح تشهد عليهم بما فعلوا قال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب قال النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء

القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) * قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن يس بمعنى يا انسان وقال سعيد بن جبير هو كذلك في لغة الحبشة وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى والقرآن الحكيم أى المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انك أى يا محمد لمن المرسلين على صراط مستقيم أى على منهج ودين قويم وشرع مستقيم تنزيل العزيز الرحيم أى هذا الصراط والمنهج والدين الذى جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور وقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون يعنى بهم العرب فانه ما أتاهم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا ينفى من عداهم كما ان ذكر بعض الافراد لا ينفى العموم وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث المتواترة فى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم باذن الله تعالى قد حتم عليهم فى أم الكتاب انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى امام مبين) يقول تعالى انا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم الى الوصول الى الهدى كنسبة من جعل فى عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ولهذا قال تعالى فهم مقمحون والمقمح هو الرافع رأسه كما قالت أم زرع فى كلامها واشرب فأتقمح أى اشرب فاروى وارفع رأسى تهنيئا وترويا واكتفى بذكر الغل فى العنق عن ذكر اليدين وان كانتا مرادتين كما قال الشاعر

فما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذى أنا ابتغيه * ام الشر الذى لا يأتليني

منه مسموعا أدى على ما سمع فهو على هذا جمع شهيد مثل شريف واشراف ومعنى نصرهم يوم القيامة ان الله يجازيهم بأعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته ويجازى الكفار بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار وهو معنى قوله (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) قرأ نافع والكوفيون بالتحتية وقرأ الجمهور تنفع بالفوقية والكل جائز فى اللغة وانما لم تنفعهم المعذرة لانها معذرة باطلة وتعلة داحضة وشبهة زائغة (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) اى النار (ولقد آتينا موسى الهدى) هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريبا من نصره لرسله اى آتيناه التوراة والنبوة كما فى قوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل) اى بعد ما كانوا فيه من الذل (الكتاب) أى التوراة والمعنى ان الله سبحانه لما انزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم وتوارثوها خلفا عن سلف وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على أنبياء بنى اسرائيل بعد موت موسى (هدى وذكرى) اى لاجلهما او هاديا ومذكرا ومرشدا (لاولى الالباب) اى لاهل العقول السليمة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على الاذى فقال (فاصبر) اى اصبر على اذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل قال الكلبى فنسخت آية القتال آية الصبر (ان وعد الله) الذى وعد رسله به (حق) لا خلف فيه ولا شك فى وقوعه كما فى قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ثم امره الله سبحانه بالاستغفار لذنبه فقال (واستغفر لذنبك) قيل المراد ذنب امتك فهو على حذف مضاف وقيل المراد الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وقيل هو مجرد تعبد له صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار لزيادة الثواب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) اى دم على تنزيه الله متلبسا بحمده وقيل المراد الصلوات الخمس والعشى هو من بعد الزوال وفيه اربع صلوات والابكار من الفجر الى الزوال وفيه صلاة واحدة وقيل المراد صل فى الوقتين صلاة العصر وصلاة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هما صلاتان ركعتان غدوة وركعتان عشية وذلك قبل ان تفرض الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون) عام فى كل مجادل وان نزل فى مشركى مكة قاله ابو السعود (فى آيات الله) أى القرآن (بغير سلطان اتاهم) اى بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه وهكذا هذا لما كان الغل انما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى
بذكر العنق عن اليدين قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم
مقمحون قال هو كقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى بذلك ان ايديهم موثقة الى اعناقهم لا يستطيعون ان
يبسطوها بخير وقال مجاهد فهم مقمحون قال رافعى رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير وقوله تعالى
وجعلنا من بين أيديهم سدا قال مجاهد عن الحق ومن خلفهم سدا قال مجاهد عن الحق فهم يترددون وقال
قتادة فى الضلالات وقوله تعالى
فاغشيناهم اى أغشينا أبصارهم
عن الحق فهم لا يبصرون اى
لا ينتفعون بخير ولا يهتدون اليه
قال ابن جرير وروى عن ابن
عباس رضى الله عنهما انه كان يقرأ
فاعشيناهم بالعين المهملة من
العشا وهو داء فى العين وقال عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم جعل الله
تعالى هذا السد بينهم وبين الاسلام
والايمان فهم لا يخلصون اليه وقرأ
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى
يروا العذاب الاليم ثم قال من منعه
الله تعالى لا يستطيع وقال
عكرمة قال أبو جهل لئن رأيت
محمدا لافعلن ولأفعلن فانزلت انا
جعلنا فى أعناقهم اغلالا الى قوله
فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون
هذا محمد فيقول أين هو أين هو
لا يبصره رواه ابن جرير وقال محمد
ابن اسحق حدثنى يزيد بن زياد عن
محمد بن كعب قال قال أبو جهل
وهم جلوس ان محمدا يزعم انكم
ان تابعتموه كنتم ملوكا فاذا متم
بعثتم بعد موتكم وكانت لكم
جنان خير من جنان الاردن وانكم ان خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون وقد
بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفى يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرها
على رؤسهم ويقرأ يس والقرآن الحكيم حتى انتهى الى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال
مالكم قالوا ننتظر محمدا قال قد خرج عليكم فما بقى منكم من رجل الا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل منهم

من جهة الله سبحانه تقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان المتكلم فى أمر
الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين (ان فى صدورهم الا كبر) أى ما فى قلوبهم الا تكبر
عن الحق يحملهم على تكذيبك (ماهم ببالغيه) صفة لكبر قال الزجاج بالغى ارادتهم
فيه فجعله على حذف المضاف وقال غيره بالغى كبرهم وقال ابن قتيبة كبر أى تكبر على
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل المراد بالكبر
الامر الكبير أى يطلبون النبوة ويطلبون أمرا كبيرا يصلون به اليك من القتل
ونحوه ولا يبلغون ذلك وقال مجاهد معناه فى صدورهم عظمة ماهم ببالغيها والمراد
بهذه الآية المشركون وقيل اليهود عن أبى العالية قال ان اليهود اتوا النبى صلى الله
عليه وآله وسلم فقالوا ان الدجال يكون منا فى آخر الزمان ويكون من أمره فعظموا
أمره وقالوا يصنع كذا ويصنع كذا فأنزل الله هذه الآية قال لا يبلغ الذى يقول فاستعذ
بالله فامر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والارض أكبر من خلق
الدجال أخرجه عبد بن حميد وابن أبى حاتم قال السيوطى بسند صحيح وعن كعب
الاحبار قال هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من امر الدجال وقال مجاهد الاكبر أى
عظمة قريش ثم امره الله سبحانه بان يستعيذ بالله من شرورهم فقال (فاستعذ بالله)
أى فالتجئ اليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك (انه هو السميع) لاقوالهم
(البصير) بأفعالهم لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم بين سبحانه عظيم قدرته فقال (لخلق
السموات والارض) ابتداء من غير سبق مادة (أكبر من خلق الناس) أى أعظم فى
النفوس وأجل فى الصدور لعظم اجرامهما واستقرارهما من غير عمد وجريان الافلاك
بالكواكب من غير سبب وأشق بحسب عادة الناس فى مزاولة الافعال من ان علاج
الشئ الكبير اشق من علاج الصغير وان كان بالنسبة الى الله لا تفاوت بين الصغير
والكبير فكيف ينكرون البعث واحياء ماهو دونهما من كل وجه كما فى قوله أوليس
الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم قال أبو العالية المعنى لخلق
السموات والارض أعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو
احتجاج على منكرى البعث اى هما أكبر من اعادة خلق الناس (ولكن أكثر الناس)
أى كفار مكة (لا يعلمون) بعظم قدرة الله وانه لا يعجزه شئ فهم كالاعمى ومن يعلمه كالبصير

ينفض ما على رأسه من التراب قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال أنا أقول ذلك ان لهم مني لذبحا واني لآخذهم   وقوله تبارك وتعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون   أي قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الانذار ولا يتأثرون به   وقد تقدم نظيرها في اول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم   انما تنذر من اتبع الذكر أي انما ينتفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم وخشي الرحمن بالغيب أي حيث لا يراه أحد الا الله تبارك وتعالى يعلم ان الله مطلع عليه وعالم بما يفعل فبشره بمغفرة أي لذنوبه وأجر كريم اي كثير واسع حسن جميل كما قال تبارك وتعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ثم قال عز وجل انا نحن نحيي الموتى أي يوم القيامة وفيه اشارة الى ان الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك الى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون وقوله تعالى ونكتب ما قدموا أي من الاعمال وفي قوله تعالى وآثارهم قولان احدهما نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضا ان خيرا فخير وان شرا فشر كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيأ ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أوزارهم شيأ   رواه مسلم من رواية شعبة عن عون بن ابي جحيفة عن المنذر بن جرير عن ابيه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه   وفيه قصة مجتابي النمار المضريين رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبي المحياة يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية ونكتب ما قدموا وآثارهم   وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره   وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث من علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذكر الدجال وصفته وانذار الرسل منه لأممهم وخروجه في آخر الزمان وما يقع منه ومن يتبعه من اليهود كما حققناه في حجج الكرامة في آثار القيامة وليس هذا موضع ذكرها وبسطها واليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي وموافقيه في انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها والاخبار الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا مشبعا   ثم لما ذكر سبحانه الجدال بالباطل ذكر مثالا للباطل والحق وانهما لا يستويان فقال (وما يستوي الاعمى والبصير) اي الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق أو الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ولا يستوي المحسن بالايمان والعمل الصالح (ولا المسيء) بالكفر والمعاصي وزيادة لا للتأكيد والتقابل يجيء على ثلاث طرق احداها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع   والثالثة أن يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة   وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قليلا ما يتذكرون) بالتحتية على الغيبة لان قبلها وبعدها على الغيبة لا على الخطاب واختارها أبو عبيد وأبو حاتم وبالفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات وفائدته في مقام التوبيخ هي اظهار العنف الشديد والانكار البليغ أفاده الكرخي (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) أي لا شك في مجيئها وحصولها وقيامها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بتلك ولا يصدقونه لقصور أفهامهم وضعف عقولهم عن ادراك الحجة والمراد بأكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث ثم لما بين سبحانه ان قيام الساعة حق وليس بمرتاب فيها ولا شبهة في مجيئها أرشد عباده الى ما هو الوسيلة الى السعادة في دار الخلود فأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحكي عنه ما أمره بابلاغه وهو (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قال أكثر المفسرين المعنى وحدوني واعبدوني

وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت مجاهدا يقول في قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم قال ماأورثوا من الضلالة وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم يعني ما أثروا يقول ماسنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موته فان كان خيرا فله مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيأ وان كانت شرا فعليهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل به شيأ ذكرهما ابن أبي حاتم وهذا القول هو اختيار البغوي والقول الثاني ان المراد بذلك آثار خطاهم الى

الطاعة أو المعصية قال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد ماقدموا أعمالهم وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم وكذا قال الحسن وقتادة وآثارهم يعني خطاهم وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلا شيأ من شأنك ياابن آدم اغفل ماتعفي الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الاثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل وقد أوردت في هذا المعنى أحاديث الحديث الاول قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يارسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يابني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهمس بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضي الله عنه به الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطي حدثنا اسحق الازرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا ان ينتقلوا الى قريب من المسجد فنزلت انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا تفرد باخراجه الترمذي عند تفسير هذه

اتقبل عبادتكم واغفر لكم وأجبكم وأثبكم وقيل هذا الوعد بالاجابة مقيد بالمشيئة أي استجب لكم ان شئت كقوله فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر قيل الاول أولى لان الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة قلت بل الثاني أولى لان معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو الطلب فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز على ان الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة ووعده الحق ومايبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد وعن ابن عباس قال وحدوني أغفر لكم وقال جرير بن عبد الله اعبدوني وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء الاستغفار أخرجه ابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يدع الله يغضب عليه أخرجه أحمد والحاكم وابن أبي شيبة وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وعن ابن عباس قال افضل العبادة الدعاء وقرأ هذه الآية وأخرج البخاري في الادب عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي العبادة افضل فقال دعاء المرء لنفسه ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب هو من عبادته فقال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم) قرأ الجمهور بفتح الياء وضم الخاء وقرئ بالعكس مبنيا للمفعول (داخرين) أي ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله وفيه لطف بعباده عظيم واحسان اليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها اليه وأرشدكم الى التعويل عليه وكفل لكم الاجابة باعطاء الطلبة فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع مايحتاجه من امور الدنيا والدين وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني الى قوله داخرين أخرجه الترمذي

وقال

الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ثم قال حسن غريب من حديث الثورى ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقى عن ابن المبارك عن سفيان الثورى عن طريف وهو ابن شهاب أبو سفيان السعدى عن أبى نضرة به وقد روى من غير طريق الثورى فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال ان بنى سلمة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فأقاموا فى مكانهم وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكمالها مكية فالله أعلم الحديث الثالث قال ابن جرير حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد وأرادوا ان ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فقالوا نثبت مكاننا هكذا رواه ليس فيه شئ مرفوع ورواه الطبرانى عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم عن محمد بن يوسف الفريابى عن اسرائيل عن سماك عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الانصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا ان يتحولوا الى المسجد فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فثبتوا فى منازلهم الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال توفى رجل بالمدينة فصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ياليته مات فى غير مولده فقال رجل من الناس ولم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا توفى فى غير مولده قيس له من مولده الى منقطع أثره فى الجنة ورواه النسائى عن يونس بن عبد الاعلى وابن ماجه عن حرملة كلاهما عن ابن وهب عن حيى بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو تميلة حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضى الله عنه فأسرعت المشى فأخذ بيدى فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشى فقال يا أنس أماشعرت ان الآثار تكتب وهذا القول لاتنافى

وقال حسن صحيح والبخارى فى الادب وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب وأحمد وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبرانى ثم ذكر سبحانه بعض ماأنعم به على عباده فقال (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) من الحركات فى طلب الكسب لكونه جعله مظلما باردا تناسبه الراحة الظاهرية بالسكون والنوم الذى هو الموت الاصغر والراحة الحقيقية بالعبادة التى هى الحياة الدائمة (والنهار مبصرا) أى مضيئا للتبصر وافيه حوائجكم وتتصرفوا فى طلب معايشكم وهو من الاسناد المجازى أى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار (ان الله لذو فضل على الناس) يتفضل عليهم بنعمه التى لاتحصى ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لايشكرون) النعم ولا يعترفون بها اما لجحودهم لها ولكفرهم بها كما هو شأن الكفار أو لاغفالهم للنظر واهمالهم لما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) اى الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) بين سبحانه فى هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده (فانى تؤفكون) أى فكيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده وتصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى مثل ذلك الافك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده ثم ذكر لهم سبحانه نوعا آخر من نعمه التى أنعم بها عليهم مع مافى ذلك من الدلالة على كمال قدرته وتفرده بالالهية فقال (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى موضع قرار مع كونها فى غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرة الله وفيها تحيون وفيها تموتون (والسماء بناء) أى سقفا قائما ثابتا مع كونها أفلاكا دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاظلام والاضاءة ثم بين بعض نعمه المتعلقة بأنفس العباد فقال (وصوركم فأحسن صوركم) أى خلقكم فى أحسن صورة لم يخلق حيوانا أحسن منكم وقيل لم يخلقكم

بينه و بين الاول بل فى هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الاولى والاحرى فانه اذا كانت هذه الآثار تكتب فلان تكتب تلك التى
فيها قدوة بهم من خير اوشر بطريق الاولى والله أعلم وقوله تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين أى وجميع الكائنات مكتوب
فى كتاب مسطور مضبوط فى لوح محفوظ والامام المبين ههنا هو ام الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكذا فى
قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أى بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير اوشر كما قال عزوجل ووضع الكتاب
وجئ بالنبيين والشهداء وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون ياويلتنا مال هذا
الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك احدا (واضرب
لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا
اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا وما انزل الرحمن من شئ ان
انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا
اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ
المبين) يقول تعالى واضرب يامحمد
لقومك الذين كذبوك مثلا أصحاب
القرية اذ جاءها المرسلون قال ابن
اسحق فيما بلغه عن ابن عباس
رضى الله عنهما وكعب الاحبار
ووهب بن منبه انها مدينة
انطاكية وكان بها ملك يقال له
انطيخس بن انطيخس بن انطيخس
وكان يعبد الاصنام فبعث الله
تعالى اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق
وصدوق وشلوم فكذبهم وهكذا
روى عن بريدة بن الحصيب وعكرمة
وقتادة والزهرى انها انطاكية وقد
استشكل بعض الائمة كونها
انطاكية بما سنذكره بعد تمام
القصة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى
اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما أى بادروهما بالتكذيب فعززنا بثالث أى قويناهما وشددنا أزرهما
برسول ثالث قال ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى قال كان اسم الرسولين الاولين شمعون و يحنا واسم الثالث
بولص والقرية انطاكية فقالوا أى لاهل تلك القرية انا اليكم مرسلون أى من ربكم الذى خلقكم يأمركم بعبادته وحده لاشريك
له قاله أبو العالية وزعم قتادة بن دعامة انهم كانوا رسل المسيح عليه السلام الى أهل انطاكية قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا أى فكيف
أوحى اليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم لا أوحى الينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الامم المكذبة كما أخبر

منكوسين كالبهائم قيل خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغيره يتناول بفيه
وقال الزجاج خلقكم أحسن الحيوان كله وقرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرأ الاعمش
وأبو رزين بكسرها قال الجوهرى والصور بكسر الصاد لغة فى الصور بضمها (ورزقكم
من الطيبات) أى المستلذات من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم)
المنعوت بهذه النعوت الجليلة (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أى كثر خيره و بركته
(هو الحى لا اله الا هو) أى الباقى الذى لا يفنى المتفرد بالالوهية وهذا التركيب يفيد
الحصر وفيه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة (فادعوه) أى اعبدوه (مخلصين
له الدين) أى الطاعة والعبادة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبر وفيه
اضمار أمر أى احمدوه عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل اثرها الحمد لله رب
العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وعلى هذا هو من كلام
المأمورين بالعبادة ويجوز أن يكون من كلامه تعالى على انه استئناف لحمد ذاته بذاته ثم
أمر الله سبحانه رسوله ان يخبر المشركين بان الله نهاه عن عبادة غيره وأمره بالتوحيد فقال
(قل) لهم ردا عليهم فيما طلبوه منك وهو عبادة آلهتهم (انى نهيت) نهيا عاما ببراهين
العقول ونهيا خاصا بأدلة النقول (أن أعبد الذين تدعون) اى تعبدون (من دون الله)
وهى الاصنام ثم بين وجه النهى فقال (لما جاءنى البينات من ربى) وهى الادلة العقلية
والنقلية فانها توجب التوحيد (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى أستسلم له بالانقياد
والخضوع أو الاخلاص ثم أردف هذا بذكر دليل من الادلة الدالة على التوحيد فقال (هو
الذى خلقكم) أى خلق أباكم الاول وهو آدم وخلقه (من تراب) يستلزم خلق ذريته
منه (ثم من نطفة ثم من علقة) قد تقدم تفسير هذا فى غير موضع (ثم يخرجكم طفلا) أى
أطفالا وأفرده لكونه اسم جنس أو على معنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا
أشدكم) وهى الحالة التى تجتمع فيها القوة والعقل من الثلاثين سنة الى الاربعين وقد
سبق بيان الاشد مستوفى فى الانعام والتقدير لتكبروا شيأ فشيأ ثم لتبلغوا غاية الكمال (ثم
يبقيكم) (لتكونوا شيوخا) بضم الشين و بكسرها سبعيتان وقرئ شيخا على الافراد كقوله
طفلا والشيخ من جاوز اربعين سنة يعنى انه مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه

ثلاث

الله تعالى عنهم فى قوله عز وجل ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا أى استعجبوا من ذلك وانكروه وقوله
تعالى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين وقوله تعالى حكاية عنهم فى قوله جل
وعلا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله
بشرا رسولا ولهذا قال هؤلاء ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون أى
أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم انا رسله اليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا
وينصرنا عليكم وستعلمون لمن
تكون عاقبة الدار كقوله تعالى قل
كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم
ما فى السموات والارض والذين
آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك
هم الخاسرون وما علينا الا البلاغ
المبين يقولون انما علينا أن نبلغكم
ما أرسلنا به اليكم فاذا أطعتم كانت
لكم السعادة فى الدنيا والاخرى
وان لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك
والله أعلم (قالوا انا تطيرنا بكم لئن
لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا
عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن
ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون)
فعند ذلك قال لهم أهل القرية انا
تطيرنا بكم اى لم نر على وجوهكم خيرا
فى عيشنا وقال قتادة يقولون ان
أصابنا شر فانما هو من أجلكم
وقال مجاهد يقولون لم يدخل
مثلكم الى قرية الا عذب أهلها لئن
لم تنتهوا لنرجمنكم قال قتادة بالحجارة
وقال مجاهد بالشتم وليمسنكم منا
عذاب أليم أى عقوبة شديدة
فقالت لهم رسلهم طائركم معكم أى
مردود عليكم كقوله فى قوم فرعون
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وقال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك
قال طائركم عند الله وقال قتادة ووهب بن منبه أى أعمالكم معكم وقال عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقوله تعالى له أئن ذكرتم بل
أنتم قوم مسرفون أى من أجل انا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا
وتهددتمونا بل أنتم قوم مسرفون وقال قتادة أى ان ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل أنتم قوم مسرفون (وجاء من أقصى المدينة

ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص
بعد ذلك وهى الشيخوخية (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الاشد ومن قبل
الشيخوخة (ولتبلغوا) جميعا (أجلا مسمى) أى وقت الموت أو يوم القيامة واللام هى
لام التعليل أو العاقبة (ولعلكم تعقلون) أى لكى تعقلوا توحيد ربكم وقدرته البالغة
فى خلقكم على هذه الاطوار المختلفة الى الاجل المذكور (هو الذى يحيي ويميت) أى
يقدر على الاحياء والاماتة (فاذا قضى أمرا) من الامور التى يريدها (فانما يقول له كن
فيكون) من غير توقف على شئ من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته فى المقدورات
عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون
هناك آمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص
الاحياء والاماتة به سبحانه وتعالى قاله أبو السعود وقد تقدم تحقيق معناه فى البقرة وفيما
بعدها (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون) تعجيب من أحوالهم الشنيعة
وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب
والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون فى آيات
الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية
الفارغة فلا تكرار فيه أى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة
الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى
الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقيام الادلة الدالة على صحتها وانها فى
أنفسها موجبة للتوحيد قاله أبو السعود وقال النسفى ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة
مواضع فجاز ان يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصنام وللتأكيد انتهى قال ابن زيد هم
المشركون بدليل قوله الآتى الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا قال القرطبى وقال
أكثر المفسرين نزلت فى القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الآية نزلت فى القدرية
فلا أدرى فيمن نزلت ويجاب عن هذا بان الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدل على غير
ما قالوه فقال (الذين كذبوا بالكتاب) وهذا وصف لا يصح أن يطلق على فرقة من فرق
الاسلام والمراد بالكتاب اما القرآن أو جنس الكتب المنزلة من عند الله والموصول اما
فى محل جر على انه نعت للموصول الاول أو بدل منه ويجوز ان يكون فى محل نصب على

رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ومالى لاأعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردنى الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون) قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه ان أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى أى لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير وهو الحبال وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة وقال ابن اسحق عن رجل سماه عن الحكم عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه وقال الثورى عن عاصم الاحول عن أبى مجلز كان اسمه حبيب بن سرى وقال شبيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدى كان قصارا وقال عمر بن الحكم كان اسكافا وقال قتادة كان يتعبد فى غار هناك قال ياقوم اتبعوا المرسلين يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم اتبعوا من لايسألكم أجرا أى على ابلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما يدعونكم اليه من عبادة الله وحده لاشريك له ومالى لاأعبد الذى فطرنى أى ومايمنعنى من اخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لاشريك له واليه ترجعون أى يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر أأتخذ من دونه آلهة استفهام انكار وتوبيخ وتقريع ان يردنى الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون أى هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه لايملكون من الامر شيأ فان الله تعالى لوأرادنى بسوء فلا كاشف له الا هو وهذه الاصنام لاتملك دفع ذلك ولامنعه ولا ينقذونى مما أنا فيه انى اذا لفى ضلال مبين أى ان اتخذتها آلهة من دون الله وقوله تعالى انى آمنت بربكم فاسمعون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه انى آمنت بربكم الذى كفرتم به فاسمعون أى فاسمعوا قولى ويحتمل ان يكون خطابه للرسل بقوله انى آمنت بربكم أى الذى أرسلكم فاسمعون أى فاشهدوا لى بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا

الذم و بما أرسلنا به رسلنا معطوف على قوله بالكتاب ويراد به ما يوحى الى الرسل من غير كتاب ان كانت اللام فى الكتاب للجنس أو سائر الكتب ان كان المراد بالكتاب القرآن (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم ووبال كفرهم وفى هذا وعيد شديد والظرف فى قوله (اذ الاغلال فى أعناقهم) متعلق بيعلمون أى فسوف يعلمون وقت كون الاغلال فى أعناقهم أو اذكر لهم وقت الاغلال ليخافوا ويتزجروا (والسلاسل) جمع سلسلة معروفة قال الراغب تسلسل الشئ اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل متردد فى مقره معطوف على الاغلال والتقدير اذ الاغلال والسلاسل فى أعناقهم و يجوز ان يرتفع السلاسل على انه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة فى أعناقهم عليه و يجوز ان يكون خبره (يسحبون فى الحميم) بحذف العائد أى يسحبون بها فى الحميم وهذا على قراءة الجمهور برفع السلاسل وقرئ بنصبها وقرأوا يسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فتكون السلاسل مفعولا مقدما وقرئ بجر السلاسل قال الفراء وهذه القراءة محمولة على المعنى اذ المعنى أعناقهم فى الاغلال والسلاسل وقال الزجاج المعنى على هذه القراءة وفى السلاسل يسحبون واعترضه ابن الانبارى بان ذلك لايجوز فى العربية والسحب الجر بعنف والسحاب من ذلك لان الريح يجره أو لانه يجر الماء والحميم هو المتناهى فى الحر وقيل الصديد وقيل جهنم وقيل الماء الحار الذى يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا وقد تقدم تفسيره قال ابن عباس يسحبون فى الحميم فينسلخ كل شئ عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير فى عقبه حتى ان لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعا ثم يكسى جلدا آخر ثم يسجر فى الحميم (ثم فى النار يسجرون) يقال سجرت التنور أى أوقدته وسجرته ملأته بالوقود ومنه والبحر المسجور أى المملوء فالمعنى توقد بهم النار أو تملأ بهم والمراد انهم يعذبون بألوان العذاب وينقلون من باب الى باب قال مجاهد ومقاتل توقد بهم النار فصاروا وقودها عن عبد الله بن عمرو قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ الاغلال الى قوله يسجرون فقال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى جمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ أصلها أو قال قعرها أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن

قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى انى آمنت بربكم واتبعتكم وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر فى المعنى والله أعلم
قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب رضى الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد
فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه وقال قتادة جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فلم يزالوا به حتى أقعصوه
وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وما أنزلنا على
قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) قال محمد بن اسحق
عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضى الله عنه انهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك انه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب قال ياليت قومى يعلمون قال قتادة لا تلقى المؤمن الا ناصحا لا تلقاه غاشا لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه وقال ابن عباس نصح قومه فى حياته بقوله ياقوم اتبعوا المرسلين وبعد مماته فى قوله ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين رواه ابن أبى حاتم وقال سفيان الثورى عن عاصم الاحول عن أبى مجلز بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين بايمانى بربى وتصديقى المرسلين ومقصوده انهم لو اطلعوا على ما حصل لى من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك الى
اتباع الرسل فرحمه الله ورضى عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه قال ابن أبى حاتم حدثنا
أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد بن عبد الملك يعنى ابن عمير قال قال عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه للنبى
صلى الله عليه وسلم ابعثنى الى قومى ادعوهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخاف ان يقتلوك فقال لو وجدونى
نائما ما أيقظونى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحنك غدا بما يسوءك فغضبت
ثقيف فقال يامعشر ثقيف ان اللات لا لات وان العزى لا عزى اسلموا تسلموا يامعشر الاحلاف ان العزى لا عزى وان اللات لا لات

وابن مردويه والبيهقى فى البعث والنشور (ثم قيل لهم) أى يقال لهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (أين ما كنتم تشركون) من دون الله هذا توبيخ وتقريع لهم أى أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وهى الاصنام وغيرها وترسم أين مفصولة من ما كما أشار اليه ابن الجزرى (قالوا ضلوا عنا) أى يقولون ذهبوا وغابوا وفقدناهم فلا نراهم ثم أضربوا عن ذلك وانتقلوا الى الاخبار بعدمهم وانه لا وجود لهم فقالوا (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أى لم نكن نعبد شيأ قالوا هذا لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وانهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكارا منهم لوجود الاصنام التى كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كقولك حسبته شيأ فلم يكن كذلك وقال المحلى أنكروا عبادتهم اياها انتهى وهذا المعنى بعيد فى مقام الحساب والعرض على رب العالمين (كذلك) الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث عبدوا هذه الاصنام التى أوصلتهم الى النار (ذلكم) أى ذلك الاضلال المدلول عليه بالفعل أو العذاب (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق) أى تظهرون فى الدنيا من الفرح بمعاصى الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه وقيل بما كنتم تفرحون به من المال والاتباع والصحة وقيل من انكار البعث والعذاب وقيل المراد بالفرح هنا البطر والتكبر (وبما كنتم تمرحون) المراد بالمرح الزيادة فى البطر وقال مجاهد وغيره تبطرون وتأشرون وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وقال مقاتل المرح البطر والخيلاء وقيل المرح أشد من الفرح (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم حال كونكم (خالدين فيها) أى مقدرين الخلود فيها (فبئس مثوى) أى مأوى (المتكبرين) عن قبول الحق جهنم وكان الظاهر ان يقال مدخل وعبر عنه بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود قاله أبو السعود وقال السمين لم يقل مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول أيضا مذموما ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر تسلية له فقال (فاصبر ان وعد الله) أى وعده بالانتقام منهم (حق) كائن لا محالة اما فى الدنيا أو فى الآخرة ولهذا قال (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر

اسلموا اسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا مثله كمثل صاحب يس قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم انه حدث عن كعب الاحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بنى مازن بن النجار الذى كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول له أتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول أتشهد أنى رسول الله فيقول لا أسمع فيقول له مسيلمة لعنه الله أتسمع هذا ولا تسمع ذاك فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات فى يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب وقوله تبارك وتعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين يخبر تعالى انه انتقم من قومه بعد قتلهم اياه غضبا منه تبارك وتعالى عليهم لانهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل انه ما أنزل عليهم وما احتاج فى اهلاكه اياهم الى انزال جند من الملائكة عليهم بل الامر كان أيسر من ذلك قاله ابن مسعود فيما رواه ابن اسحق عن بعض أصحابه انه قال فى قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين أى ما كاثرناهم بالجموع الامر كان أيسر علينا من ذلك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون قال فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهل انطاكية فبادوا عن وجه الارض فلم يبق منهم باقية وقيل وما كنا منزلين أى وما كنا ننزل الملائكة على الامم اذا اهلكناهم بل نبعث عليهم عذابا يدمرهم وقيل المعنى فى قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء أى من رسالة أخرى اليهم قاله مجاهد وقتادة قال قتادة فلا والله ما عاتب الله ومقاتل قومه بعد قتله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون قال ابن جرير والاول أصح لان الرسالة لا تسمى جندا قال المفسرون بعث الله تعالى اليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتى باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون عن آخرهم لم يبق فيهم روح تتردد فى جسد وقد تقدم عن كثير من السلف ان هذه القرية هى انطاكية وان هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخرى المفسرين غيره

والقهر وما زائدة عند المبرد والزجاج والاصل نرك ولحقت بالفعل نون التأكيد (أو نتوفينك) معطوف على نرينك أى قبل انزال العذاب بهم (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنعذبهم أشد العذاب (ولقد أرسلنا رسلا) وأنبياء (من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك) أى أنبأناك بأخبارهم فى القرآن وما لقوه من قومهم وهم خمسة وعشرون (ومنهم من لم نقصص عليك) فيه خبره ولا أوصلنا اليك علم ما كان بينه وبين قومه وعن على بن أبى طالب فى الآية قال بعث الله عبدا حبشيا فهو ممن لم يقصص على محمد صلى الله عليه وسلم عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا أخرجه أحمد وعبر عنه فى الكشاف بقيل (وما كان) أى ما صح وما استقام (لرسول) منهم (ان يأتى بآية) أى معجزة دالة على نبوته (الا باذن الله) لا من قبل نفسه فان المعجزات عطايا قسمها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها لانهم عبيد مربوبون (فاذا جاء أمر الله) أى الوقت المعين لعذابهم فى الدنيا وفى الآخرة (قضى بالحق) فيما بين الرسل ومكذبيها فينجى الله بقضائه الحق عباده المحقين (وخسر هنالك) أى فى ذلك الوقت (المبطلون) الذين يتبعون الباطل ويعملون به وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك ختمه بقوله المبطلون وختم السورة بقوله الكافرون لان الاول متصل بقوله قضى بالحق ونقيض الحق هو الباطل والثانى متصل بايمان غير نافع ونقيض الايمان الكفر أفاده الكرخى ثم امتن الله سبحانه على عباده بنوع من أنواع نعمه التى لا تحصى فقال (الله الذى جعل لكم الانعام) أى خلقها لاجلكم قال الزجاج الانعام هنا الابل خاصة وقيل الازواج الثمانية والاول هو الظاهر لانها هى التى توجد فيها المنافع الآتية كلها وقوله (لتركبوا منها) تفصيل لهذا الاجمال ومن للتبعيض وكذلك فى قوله (ومنها تأكلون) أو لابتداء الغاية فى الموضعين ومعناها ابتداء الركوب وابتداء الاكل والاول أولى والمعنى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أخر غير الركوب والاكل من الوبر والصوف والشعر والزبد والسمن والجبن والدر والنسل وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) قال مجاهد

وفى ذلك نظر من وجوه أحدها ان ظاهر القصة يدل على ان هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال
تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون الى ان قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا
البلاغ المبين ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب انهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ثم لو كانوا رسل المسيح
لما قالوا لهم ان أنتم الا بشر مثلنا الثانى ان أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح اليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت
عند النصارى احدى المدائن الاربعة اللاتى فيهن بتاركة وهن القدس لانها بلد المسيح وانطاكية لانها أول بلدة
آمنت بالمسيح عن آخر أهلها
والاسكندرية لان فيها اصطلحوا على
اتخاذ البتاركة والمطارنة والاساقفة
والقساقسة والشمامسة والرهابين
ثم رومية لانها مدينة الملك
قسطنطين الذى نصر دينهم وأطده
ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا
البترك من رومية اليها كما ذكره غير
واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن
بطريق وغيره من أهل الكتاب
والمسلمين فاذا تقرر أن انطاكية
أول مدينة آمنت فأهل هذه
القرية ذكر الله تعالى انهم كذبوا
رسله وانه أهلكهم بصيحة واحدة
أخمدتهم والله أعلم الثالث ان
قصة انطاكية مع الحواريين أصحاب
المسيح بعد نزول التوراة وقد ذكر
أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه
وغير واحد من السلف ان الله تبارك
وتعالى بعد انزاله التوراة لم يهلك
أمة من الامم عن آخرهم بعذاب
يبعثه عليهم بل أمر المؤمنين بعد
ذلك بقتال المشركين ذكروه عند
قوله تبارك وتعالى ولقد آتينا
موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا
القرون الاولى فعلى هذا يتعين ان
أهل هذه القرية المذكورة فى القرآن قرية أخرى غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا أو تكون انطاكية ان
كان لفظها محفوظا فى هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف انها أهلكت لا فى الملة النصرانية ولا
قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم فأما الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا الحسين بن اسحق التسترى حدثنا
الحسين بن أبى السرى العسقلانى حدثنا حسين الاشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال السبق ثلاثة فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون والسابق الى عيسى عليه

ومقاتل وقتادة تحمل أثقالكم من بلد الى بلد وقد تقدم بيان هذا مستوفى فى سورة
النحل (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر وقيل
المراد بالحمل على الانعام هنا حمل الولدان والنساء فى الهوادج وهو السر فى فصله عن
الركوب وفى الجمع بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر ونظير هذه الآية قوله
تعالى فى سورة النحل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الآية لكن هذه اجمع منها
(ويريكم آياته) أى دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدانيته (فأى) آية من (آيات الله
تنكرون) فانها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها منكر ولا يجحدها جاحد
وفيه تقريع لهم وتوبيخ عظيم وتذكير أى أشهر من تأنيثه فلذلك لم يقل فأية آيات الله لان
التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء الجامدة نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب
لابهامها ونصب أى بتنكرون وانما قدم على العامل فيه لان له صدر الكلام ثم ارشدهم
سبحانه الى الاعتبار والتفكر فى آيات الله فقال (أفلم يسيروا فى الارض) أى فى اطرافها
ونواحيها (فينظروا) بابصارهم وبصائرهم (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم التى
عصت الله وكذبت رسلها فان الآثار الموجودة فى ديارهم تدل على ما نزل بهم من العقوبة
وما صاروا اليه من سوء العاقبة ثم بين سبحانه ان تلك الامم كانوا فوق هؤلاء فى الكثرة
والقوة فقال (كانوا أكثر منهم) عددا (واشد قوة) أى أقوى منهم أجسادا وأوسع منهم
أموالا (و) أظهر منهم (آثارا فى الارض) بالعمائر والمصانع والحصون والصهاريج والحرث
(فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يجوز ان تكون ما الاولى نافية واستفهامية منصوبة
باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به أى لم يغن عنهم او أى شئ أغنى عنهم
مكسوبهم اوكسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الواضحات والمعجزات
الظاهرات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى أظهر الكفار الفرح بما عندهم مما يدعون انه
من العلم من الشبه الداحضة والدعاوى الزائغة والفنون الفاسدة والعلوم الكاسدة وسماه
علما تهكما بهم أو على ما يعتقدونه وقال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل
المراد من العلم علم أحوال الدنيا لا الدين كما فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال
النسفى أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم
الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم

الصلاة والسلام صاحب يس والسابق الى محمد صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فانه حديث منكر لا يعرف الا من طريق حسين الاشقر وهو شيعى متروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون) قال على بن طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى ياحسرة على العباد أى ياويل العباد وقال قتادة ياحسرة على العباد أى ياحسرة العباد على أنفسهم على ماضيعت من أمر الله وفرطت فى جنب الله (٢٢٠) وفى بعض القرآآت ياحسرة العباد على أنفسهم ومعنى هذا ياحسرتهم وندامتهم يوم القيامة اذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله فانهم كانوا فى الدار الدنيا المكذبون منهم ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أى يكذبونه ويستهزؤن به ويجحدون ما أرسل به من الحق ثم قال تعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون أى ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم الى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الامر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم انهم يعودون الى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وقوله عز وجل وان كل لما جميع لدينا محضرون أى وان جميع الامم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدى الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ومعنى هذه كقوله جل وعلا وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم وقد اختلف القراء فى أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ وان كل لما بالتخفيف فعنده ان للاثبات ومنهم من شدد لما وجعل ان نافية ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يقول تبارك وتعالى وآية لهم أى دلالة لهم على وجود الصانع

مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين انتهى وقيل الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم الرسل وذلك انهم لما كذبهم قومهم أعلمهم الله بأنه مهلك الكافرين ومنجى المؤمنين ففرحوا بذلك (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم جزاء استهزائهم (فلما رأوا بأسنا) أى عاينوا عذابنا النازل بهم فى الدنيا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى عند معاينة عذابنا لان ذلك الايمان ليس بالايمان النافع لصاحبه فانه انما ينفع الايمان الاختيارى لا الايمان الاضطرارى والفاآت من قوله فما أغنى الى هنا أربع الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم أى ان عاقبتها خلاف وضد ما كانوا يؤملونه منها وهو نفعها فلم يترتب عليها بل ترتب عدمه كقولك وعظته فلم يتعظ والثانية تشير لتفصيل ما أبهم وأجمل من عدم الاغناء والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله فلما جاءتهم الخ انهم كفروا فكأنه قيل فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختيارى (سنة الله التى قد خلت) أى مضت (فى عباده) المعنى ان الله سبحانه سن هذه السنة فى الامم كلها انه لا ينفعهم الايمان اذا رأوا العذاب وقد مضى بيان هذا مستوفى فى سورة النساء وسورة التوبة وانتصاب سنة على انها مصدر مؤكد لفعل محذوف بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وقيل منصوب على التحذير أى احذروا يا أهل مكة سنة الله فى الامم الماضية والاول أولى (و) قد (خسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم بأس الله ومعاينتهم لعذابه على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا قاله أبو السعود وقال السمين لا يحتاج لهذا بل يصح ابقاؤه على أصله قال الزجاج الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين لهم خسرانهم اذا رأوا العذاب

(سورة حم السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة المصابيح وهى أربع وخمسون آية)

وقيل ثلاث وخمسون قال القرطبى وهى مكية فى قول الجميع قال ابن عباس انها نزلت بمكة

بمكة وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا ائت يا أبا الوليد فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم ان فى قريش ساحرا وان فى قريش كاهنا والله ما تنتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف يا رجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى بلغ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت شيأ أرى انكم تكلمونه به الا كلمته قالوا فهل أجابك قال والذى نصبها بنية ما فهمت شيأ مما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما تدرى ما قال قال لا والله ما فهمت شيأ مما قال غير ذكر الصاعقة وأخرج أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل عن ابن عمر قال لما قرأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على عتبة بن ربيعة حم أتى أصحابه فقال يا قوم أطيعونى فى هذا اليوم واعصونى بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت أذنى قط كلاما مثله وما دريت ما أرد عليه وفى هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وارسالهم عتبة بن ربيعة وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم أول هذه السورة عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم الكلام على اعرابه ومعناه فى السورة التى قبل هذه السورة فلا نعيده والله أعلم بمراده به وكذلك تقدم الكلام على معنى قوله

وقدرته التامة واحيائه الموتى الارض الميتة أى اذا كانت ميتة هامدة لا شئ فيها من النبات فاذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون أى جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون أى جعلنا فيها أنهارا سارحة فى أمكنة يحتاجون اليها ليأكلوا من ثمره لما امتن على خلقه بايجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها وقوله جل وعلا وما عملته أيديهم أى وما ذلك كله الا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة ولهذا قال تعالى أفلا يشكرون أى فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من النعم التى لا تعد ولا تحصى واختار ابن جرير بل جزم به ولم يحك غيره الا احتمالا ان ما فى قوله تعالى وما عملته أيديهم بمعنى الذى تقديره ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أى غرسوه ونصبوه قال وهى كذلك فى قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون ثم قال تبارك وتعالى سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض أى من زروع وثمار ونباتات ومن أنفسهم فجعلهم ذكرا وانثى ومما لا يعلمون أى من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جلت عظمته ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضيائه وجعلهما يتعاقبان يجئ هذا فيذهب هذا ويذهب هذا فيجئ هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ولهذا قال عز وجل ههنا وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أى نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى فاذا هم مظلمون كما جاء فى الحديث اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا وقال انما معنى الايلاج الاخذ من هذا فى هذا وليس هذا مرادا فى هذه الآية وهذا الذى قاله ابن جرير حق وقوله جل جلاله والشمس

تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم فى معنى قوله لمستقر لها قولان أحدهما ان المراد مستقرها المكانى وهو تحت العرش مما يلى الارض من ذلك الجانب وهى أينما كانت فهى تحت العرش هى وجميع المخلوقات لانه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة وانما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلى رؤس الناس فالشمس اذا كانت فى قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب مايكون الى العرش فاذا استدارت فى فلكها الرابع الى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد مايكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع (٢٢٢) كما جاءت بذلك الاحاديث قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أباذر أتدرى أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تبارك وتعالى والشمس تجرى لمستقر لها قال صلى الله عليه وسلم مستقرها تحت العرش هكذا أورده ههنا وقد أخرجه فى أماكن متعددة ورواه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أباذر تدرى أين تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد بين يدى ربها عز وجل فتستأذن قولك
فى الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فترجع الى مطلعها وذلك مستقرها ثم قرأ والشمس تجرى لمستقر لها وقال سفيان الثورى عن الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها

(تنزيل من الرحمن الرحيم) واعرابه وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان الخلق فى هذا العالم كالمرضى المحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان أعظم النفع من الله على هذا العالم انزال القرآن الناشئ عن رحمته ولطفه بخلقه (كتاب فصلت) أى بينت وميزت باعتبار اللفظ والمعنى أو جعلت (آياته) أساليب وتفاصيل مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ وعجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وتهذيب الاخلاق ورياضة النفس وتواريخ الماضين وصفات التنزيه والتقديس وشرح غرائب الملكوت والملك وبالجملة فمن أنصف علم انه ليس فى بدء الخلق وغايته كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما فى القرآن فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين قال قتادة فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب والعقاب ولا مانع من الحمل على الكل وقرئ فصلت بالتخفيف أى فرقت بين الحق والباطل والجملة فى محل رفع صفة للكتاب وانتصاب (قرآنا عربيا) على الاختصاص أو على المدح قاله الاخفش أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته حال كونه قرآنا وقيل على المصدرية أى يقرؤه قرآنا وقيل مفعول ثان لفصلت وقيل على اضمار فعل يدل عليه فصلت أى فصلناه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) معانيه ويفهمونها وهم أهل اللسان العربى وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا يفهمها الا بواسطتهم قال الضحاك أى يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد أى يعلمون انه اله واحد فى التوراة والانجيل واللام متعلقة بمحذوف صفة أخرى لقرآنا أو متعلقة بفصلت والاول أولى وكذلك (بشيرا ونذيرا) صفتان أخريان لقرآنا أو حالان من كتاب والمعنى بشيرا لاولياء الله ونذيرا لاعدائه وقرئا بالرفع على انهما صفة لكتاب أو خبر عن محذوف (فأعرض أكثرهم) أى الكفار عما اشتمل عليه من النذارة (فهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به لاعراضهم عنه (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه) الاكنة جمع كنان وهو الغطاء أى فى أغطية مثل الكنانة التى فيها السهام فهى لا تفقه ما تقول من التوحيد ولا يصل اليها

فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن وهب بن
جابر عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها قال ان الشمس تطلع فتردها ذنوب بنى آدم حتى
اذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى اذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان
المسير بعيد وانى لا يؤذن لى لا أبلغ فتحبس ماشاء الله ان تحبس ثم يقال لها اطلعى من حيث غربت قال فمن يومئذ الى يوم القيامة
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا وقيل المراد بمستقرها
هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف وهو أوجها ثم غاية انخفاضها فى الشتاء وهو الحضيض والقول الثانى ان المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهى هذا العالم الى غايته وهذا هو مستقرها الزمانى قال قتادة لمستقر لها اى لوقتها ولاجل لا تعدوه وقيل المراد انها لا تزال تنتقل فى مطالعها الصيفية الى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل فى مطالع الشتاء الى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم والشمس تجرى لا مستقر لها أى لا قرار لها ولا سكون بل هى سائرة ليلا ونهارا لا تفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين أى لا يفتران ولا يقفان الى يوم القيامة ذلك تقدير العزيز أى الذى لا يخالف ولا يمانع العليم بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس كما قال عز وجل
فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى ذلك تقدير
العزيز العليم ثم قال جل وعلا والقمر قدرناه منازل أى جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به على مضى الشهور كما ان الشمس يعرف بها
الليل والنهار كما قال عز وجل يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وقال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب الآية وقال تبارك وتعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية
النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا فجعل الشمس لها ضوء يخصها والقمر

قولك قال مجاهد الكنان للقلب كالجنة للنبل وقد تقدم بيان هذا فى البقرة (وفى آذاننا
وقر) أى صمم يمنع من استماع قولك وأصل الوقر الثقل قرئ بكسر الواو وقرئ بفتح الواو
والقاف (ومن بيننا وبينك حجاب) أى ستر ومن لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدئ
منا وابتدئ منك فالمسافة المتوسطة بين جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها
ولو قيل بيننا وبينك حجاب ولم تأت لفظة من لكان المعنى ان الحجاب حاصل وسط الجهتين
والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جىء بمن وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
الحق وتقبله واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كأن بها
صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هو عليه
حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) أى استمر على دينك
وهو التوحيد (اننا عاملون) أى مستمرون على ديننا وهو الاشراك وقال الكلبى اعمل
فى هلاكنا فانا عاملون فى هلاكك وقال مقاتل اعمل لالهك الذى أرسلك فانا نعمل لآلهتنا
التى نعبدها وقيل فاعمل لآخرتك فانا عاملون لدنيانا أو فاعمل فى ابطال أمرنا فانا نعمل
فى ابطال أمرك ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عن قولهم هذا فقال (قل انما أنا بشر
مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) أى انما أنا كواحد منكم لولا الوحى ولم أكن من
جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم فى أكنة مما أدعوكم اليه وفى آذانكم وقر ومن بينى
وبينكم حجاب ولم أدعكم الى ما يخالف العقل وانما أدعوكم الى التوحيد قرأ الجمهور
يوحى مبنيا للمفعول وقرأ الاعمش والنخعى مبنيا للفاعل أى يوحى الله الى قيل ومعنى
الآية انى لا أقدر على ان أحملكم على الايمان قسرا فانى بشر مثلكم ولا امتياز لى عنكم
الا انى أوحى الى التوحيد والامر به فعلى البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان أبيتم
هلكتم وقيل المعنى انى لست بملك لا يرى وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم
فصرت بالوحى نبيا ووجب عليكم اتباعى وقال الحسن فى معنى الآية ان الله سبحانه علم
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتواضع (فاستقيموا اليه) عداه بالى لتضمنه معنى
توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) لما

له نور يخصه وفاوت بين سير هذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفا
وشتاء يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهاري وأما القمر
فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزله ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وان
كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص الى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم
قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل العذق (٢٢٤) وقال مجاهد العرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن
عباس رضي الله عنهما أصل
العنقود من الرطب اذا عتق ويبس
وانحنى وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا
يبديه الله تعالى جديدا في أول
الشهر الآخر والعرب تسمي كل
ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار
القمر فيسمون الثلاث الأول غرر
واللواتي بعدها نفل واللواتي بعدها
تسع لان أخراهن التاسعة واللواتي
بعدها عشر لان أولاهن العاشرة
واللواتي بعدها البيض لان ضوء
القمر فيهن الى آخرهن واللواتي
بعدهن درع جمع درعاء لان أولهن
أسود لتأخر القمر في أولهن منه والشاة
الدرعاء وهي التي رأسها أسود وبعدهن
ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس وثلاث
دراري وثلاث محاق لانمحاق القمر
أو الشهر فيهن وكان أبو عبيدة رضي
الله عنه ينكر التسع والعشر كذا
قال في كتاب غريب المصنف وقوله
تبارك وتعالى لا الشمس ينبغي لها أن
تدرك القمر قال مجاهد لكل منهما
حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء
سلطان هذا ذهب هذا واذا ذهب
سلطان هذا جاء سلطان هذا وقال
عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن
في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال ذلك ليلة الهلال وروى ابن أبي حاتم ههنا عن
عبد الله بن المبارك أنه قال ان للريح جناحا وان القمر يأوي الى غلاف من الماء وقال الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح
لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا وقال عكرمة في قوله عز وجل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر يعني ان لكل منهما
سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل وقوله تعالى ولا الليل سابق النهار يقول لا ينبغي اذا كان الليل ان يكون ليل آخر حتى
يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا

فرط منكم من الذنوب والشرك وما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هدد
المشركين وتوعدهم فقال (وويل للمشركين) ثم وصفهم بقوله (الذين لا يؤتون الزكاة)
أي يمنعونها ولا يخرجونها الى الفقراء وقال الحسن وقتادة لا يقرون بوجوبها وقال
الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وقيل معنى الآية لا يشهدون ان
لا اله الا الله لانها زكاة الانفس وتطهيرها قاله ابن عباس وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم
وكان يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الفراء كان
المشركون ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر
بالآخرة لان أحب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك
أقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيته ونصوح طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم
الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الا بمنع الزكاة فتعصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث
للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف
المشركين وقرن بالكفر بالآخرة (وهم بالآخرة هم كافرون) معطوف على لا يؤتون
الزكاة داخل معه في حيز الصلة أي منكرون للآخرة جاحدون لها والمجيء بضمير الفصل
لقصد الحصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع
عنهم يقال مننت الحبل اذا قطعته وقيل الممنون المنقوص قاله ابن عباس وقطرب قال
الجوهري المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم أجر غير ممنون وقيل غير
محسوب وقيل معنى الآية لا يمن عليهم به لانه انما يمن بالتفضل فأما الأجر فحق أداؤه وقال
السدي نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر مثل
ما كانوا يعملون في الصحة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يوبخهم
ويقرعهم فقال (قل أئنكم) قرأ الجمهور بهمزتين الثانية بين بين وقرئ بهمزة بعدها ياء
خفيفة وان واللام اما للتأكيد الانكار وقدمت الهمزة لاقتضائها الصدارة واما للاشعار
بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد (لتكفرون

بالذي

وأومأ بيده الى المشرق وقال مجاهد ولا الليل سابق النهار يطلبان حثيثين يسلخ أحدهما من الآخر والمعنى فى هذا انه لافترة بين
الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلامهلة ولا تراخ لانهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا وقوله تبارك وتعالى وكل
فى فلك يسبحون يعنى الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أى يدورون فى فلك السماء قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك
والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى فلك بين السماء والارض رواه ابن أبى حاتم وهو غريب
جدا بل منكر قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد من السلف (٢٢٥) فى فلكة كفلكة المغزل وقال مجاهد

الفلك كحديدة الرحى أو كفلكة
المغزل لايدور المغزل الابها ولاتدور
الابه (وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى
الفلك المشحون وخلقنا لهم من
مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا
صريخ لهم ولاهم ينقذون الا رحمة
منا ومتاعا الى حين) يقول تبارك
وتعالى ودلالة لهم أيضا على قدرته
تبارك وتعالى تسخيره البحر ليحمل
السفن فمن ذلك بل أوله سفينة
نوح عليه الصلاة والسلام التى
أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من
المؤمنين الذين لم يبق على وجه
الارض من ذرية آدم عليه الصلاة
والسلام غيرهم ولهذا قال عزوجل
وآية لهم انا حملنا ذريتهم أى آباءهم فى
الفلك المشحون أى فى السفينة
المملوءة من الامتعة والحيوانات التى
أمره الله تبارك وتعالى ان يحمل فيها
من كل زوجين اثنين قال ابن عباس
رضى الله عنهما المشحون الموقر
وكذا قال سعيد بن جبير والشعبى
وقتادة والسدى وقال الضحاك
وقتادة وابن زيد وهى سفينة نوح
عليه الصلاة والسلام وقوله جل

وعلا وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى بذلك الابل
فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة فى رواية وعبد الله بن شداد وغيرهم وقال
السدى فى رواية هى الانعام وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال تدرون ماقوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قلنا لا قال هى السفن جعلت من بعد سفينة نوح
عليه الصلاة والسلام على مثلها وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدى أيضا المراد بقوله تبارك وتعالى وخلقنا

بالذى خلق الارض فى يومين) والمعنى لتكفرون بمن شأنه هذا الشأن العظيم وقدرته هذه
القدرة الباهرة قيل اليومان هما يوم الاحد ويوم الاثنين وقيل خلقهن فى نوبتين فى كل نوبة
أسرع مما يكون فى يوم وقيل المراد مقدار يومين لان اليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجود
الارض والسماء وذكرهما تعليما للاناة ولو أراد ان يخلقهما فى لحظة لفعل (وتجعلون له
أندادا) أى أضدادا وشركاء والجملة معطوفة على تكفرون داخلة تحت الاستفهام ذكر
عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله والثانى اثبات الشركاء له (ذلك) المتصف بما
ذكر (رب العالمين) جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا
للعقلاء ومن جملة العالمين ما تجعلونها أندادا لله فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له فى
عبادته (وجعل فيها رواسى) أى جبالا ثوابت معطوف على خلق وقيل مستأنفة لوقوع
الفصل بينهما بالاجنبى والاول أولى لان الجملة الفاصلة هى مقررة لمضمون ماقبلها
فكانت بمنزلة التأكيد ومعنى (من فوقها) انها مرتفعة عليها لانها من أجزاء الارض
وانما خالفتها باعتبار الارتفاع فكانت من هذه الحيثية كالمغايرة لها وانما اختار ارساءها
فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على
أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله العزيز المتعال القادر المختار (وبارك فيها) أى
جعلها مباركة كثيرة الخير بما خلق فيها من المنافع للعباد قال السدى أنبت فيها شجرها
(وقدر فيها أقواتها) قال الحسن وعكرمة والضحاك قدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح
لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع جعل فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش
بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض
والتمر لاهل قطر آخر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزرع أكثر الحرف بركة لان الله
وضع الاقوات فى الارض وقال ابن عباس اى شق الانهار وغرس الاشجار ووضع
الجبال وأجرى البحار وجعل فى هذه ماليس فى هذه وفى هذه ماليس فى هذه وقال قتادة
ومجاهد خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها (فى) تتمة (أربعة أيام) أى فى يوم الثلاثاء
والاربعاء باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره قال ابن الانبارى ومثاله قول القائل
خرجت من البصرة الى بغداد فى عشرة أيام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما أى فى تتمة
خمسة عشر يوما فيكون المعنى ان حصول جميع ماتقدم من خلق الارض وما بعدها فى

لهم من مثله ما يركبون أي السفن ويقوى هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم
تذكرة وتعيها أذن واعية وقوله عز وجل وان نشأ نغرقهم يعني الذين في السفن فلا صريخ لهم أي فلا مغيث لهم مما هم فيه ولا هم
ينقذون أي مما أصابهم الا رحمة منا وهذا استثناء منقطع تقديره ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم الى أجل مسمى
ولهذا قال تعالى ومتاعا الى حين أي الى وقت معلوم عند الله عز وجل (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها (٢٢٦) معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين) يقول تعالى مخبرا عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قال مجاهد من الذنوب وقال غيره بالعكس لعلكم ترحمون أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام انهم لا يجيبون الى ذلك بل يعرضون عنه واكتفى عن ذلك بقوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم أي على التوحيد وصدق الرسل الا كانوا عنها معرضين أي لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها وقوله عز وجل واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي واذا أمروا بالانفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين قال الذين كفروا للذين آمنوا أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالانفاق محاجين لهم فيما أمروهم به أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أي هؤلاء الذين أمرتمونا بالانفاق عليهم لو شاء
الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ان أنتم الا في ضلال مبين أي في أمركم لنا بذلك
قال ابن جرير يحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم فقال لهم ان أنتم الا في ضلال مبين
وفي هذا نظر والله أعلم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى أهلهم يرجعون) يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم متى هذا الوعد يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها قال الله عز وجل ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع

أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان
في الاول وهو قوله خلق الارض في يومين ويومان في الاخير وهو قوله الآتي فقضاهن سبع
سموات في يومين وأربعة في الوسط وقال أبو البقاء ولعل زيادة مدة الارض على مدة السماء
جريا على ما يتعارف من ان بناء السقف أخف من بناء البيت وقيل للتنبيه على ان
الارض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين وكثرة المنافع وقيل لما فيها من الابتلاء
بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالجات عن ابن عباس ان اليهود أتت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض في يومين
الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر
والحجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة أيام فقال تعالى قل أئنكم
لتكفرون الى قوله للسائلين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس
والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق من أول ساعة من هذه الثلاث الآجال
حين يموت من مات وفي الثانية ألقى فيها من كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم
وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا
يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في
ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون أخرجه ابن جرير والنحاس في ناسخه وأبو
الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات ولكن
في حديث مسلم عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال
خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد
العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر الى الليل وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس
أيضا قال ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه
الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وذكر نحو ما تقدم
وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله فرغ من خلقه
في ستة أيام وذكر نحو ما تقدم وانتصاب (سواء) على انه مصدر مؤكد لفعل محذوف هو

صفة

ينفخ فى الصور نفخة الفزع والناس فى أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فبينما هم كذلك اذ أمر الله عزوجل
اسرافيل فنفخ فى الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الارض الا أصغى ليتا ورفع ليتا وهى صفحة العنق يتسمع الصوت
من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس الى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى فلا يستطيعون
توصية أى على ما يملكونه الأمر أهم من ذلك ولا الى أهلهم يرجعون وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها فى موضع آخر ثم يكون
بعد هذا نفخة الصعق التى تموت بها الاحياء كلهم ماعدا الحى القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث (ونفخ فى الصور فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون
قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم
جميع لدينا محضرون فاليوم لاتظلم
نفس شيأ ولا تجزون الا ماكنتم
تعملون) هذه هى النفخة الثالثة
وهى نفخة البعث والنشور للقيام
من الاجداث والقبور ولهذا قال
تعالى فاذا هم من الاجداث الى
ربهم ينسلون والنسلان هو المشى
السريع كما قال تعالى يوم يخرجون
من الاجداث سراعا كأنهم الى
نصب يوفضون قالوا ياويلنا من
بعثنا من مرقدنا هذا يعنون
قبورهم التى كانوا يعتقدون فى
الدار الدنيا انهم لايبعثون منها فلما
عاينوا ما كذبوا به فى محشرهم قالوا
ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وهذا
لاينفى عذابهم فى قبورهم لانه
بالنسبة الى مابعده فى الشدة
كالرقاد قال أبى بن كعب رضى
الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة
ينامون نومة قبل البعث قال قتادة
وذلك بين النفختين فلذلك يقولون
من بعثنا من مرقدنا فاذا قالوا ذلك
أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من السلف هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال الحسن انما يجيبهم بذلك الملائكة ولا
منافاة اذ الجمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم وقال عبد الرحمن بن زيد الجميع من قول الكفار ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقله ابن جرير واختار الاول وهو أصح وذلك كقوله تبارك وتعالى فى الصافات وقالوا ياويلنا هذا يوم
الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون وقال الله عزوجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا
يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون وقوله تعالى

صفة للايام أى استوت الاربعة سواء بمعنى استواء ويجوز أن يكون منتصبا على الحال من
الارض أو من الضمائر الراجعة اليها قرأ الجمهور بنصب سواء وقرأ زيد بن على والحسن
وغيرهما بخفضه على انه صفة للأيام وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قال الحسن
المعنى فى أربعة أيام مستوية تامة لاتزيد ولا تنقص وقوله (للسائلين) متعلق بسواء أى
مستويات للسائلين أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر للسائلين فى كم يوم خلقت الارض
ومافيها أو متعلق بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين المحتاجين اليها قال الفراء فى
الكلام تقديم وتأخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سواء للمحتاجين فى اربعة أيام واختار هذا
ابن جرير ثم لما ذكر سبحانه خلق الارض ومافيها ذكر كيفية خلقه للسموات فقال (ثم
استوى الى السماء) اى عمد وقصد نحوها قصدا سويا وتعلقت ارادته بخلقها قال الرازى
هو من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو
من الاستواء الذى هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا
اليه والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض ومافيها قال الحسن
المعنى صعد امره الى السماء ويفهم من هذه الآية ان خلق السماء كان بعد خلق الارض
وبه قال ابن عباس وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق
السماء والجواب ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن
التقدير ايضا فالمعنى قضى ان يحدث الارض فى يومين بعد احداث السماء وعلى هذا يزول
الاشكال وقال الشوكانى بعد ذكر هذا الاستشكال ان ثم ليست للتراخى الزمانى بل للتراخى
الرتبى فيندفع الاشكال من أصله وعلى تقدير أنها للتراخى الزمانى فالجمع ممكن بان الارض
خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد خلقها فهى
متقدمة خلقا متأخرة دحوا وهذا ظاهر انتهى ولعله يأتى عند تفسيرنا لقوله والارض
بعد ذلك دحاها زيادة ايضاح للمقام ان شاء الله تعالى وقد تقدم هذا الجمع فى سورة البقرة
ولكن خلق مافى الارض لايكون الا بعد دحوها فالاشكال باق وعلى هذا لاينتفى عن
الاشكال الا بما ذكر فى ثم أو ان بعد بمعنى قبل أو بمعنى مع (وهى دخان) هو ما ارتفع من
لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الارض قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء
وقياس جمعه فى القلة أدخنة وفى الكثرة دخيان وهى من باب التشبيه الصورى لان

ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون كقوله عزوجل فانما هي زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة وقال جلت عظمته وما أمر الساعة الا كلمح البصر أوهو أقرب وقال جل جلاله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الاقليلا أى انما نأمرهم أمرا واحدا فاذا الجميع محضرون فاليوم لاتظلم نفس شيأ أى من عملها ولاتجزون الاما كنتم تعملون (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكؤن لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون سلام قولا من رب رحيم) يخبر تعالى عن أهل الجنة انهم يوم القيامة اذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا فى روضات الجنات انهم فى شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم قال الحسن البصرى واسمعيل بن أبى خالد فى شغل عما فيه أهل النار من العذاب وقال مجاهد فى شغل فاكهون أى فى نعيم معجبون أى به وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاكهون أى فرحون قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه وابن عباس وسعيد ابن المسيب وعكرمة والحسن وقتادة والاعمش وسلمان التيمى والاوزاعى فى قوله تبارك وتعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون قالوا شغلهم افتضاض الابكار وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه فى شغل فاكهون أى بسماع الاوتار وقال أبو حاتم لعله غلط من المستمع وانما هو افتضاض الابكار وقوله عز وجل هم وأزواجهم قال مجاهد وحلائلهم فى ظلال أى فى ظلال الاشجار على الارائك متكئون قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والسدى وخصيف الارائك هى السرر تحت الحجال قلت نظيره فى الدنيا هذه التخوت تحت البشاخين والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل لهم فيها فاكهة أى من جميع أنواعها ولهم مايدعون أى مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا عثمان ابن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب انه سمع أسامة بن زيد رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل مشمر الى الجنة فان الجنة لاخطر لها هى ورب الكعبة نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سلامة وفاكهة خضرة

صورتها صورة الدخان فى رأى العين وخص سبحانه الاستواء الى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجها اليها والى الارض كما يفيده قوله (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) استغناء بما تقدم من ذكر تقديرها وتقدير ما فيها ومعنى ائتيا افعلا ما آمركما به وجيئا به كما يقال ائت ماهو الاحسن أى افعله وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغى ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم قال الواحدى قال المفسرون ان الله سبحانه قال أما أنت ياسماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأما أنت ياأرض فشققى انهارك وأخرجى ثمارك ونباتك قاله ابن عباس قرأ الجمهور ائتيا أمرا من الاتيان وقرئ آتيا قالتا آتينا بالمد فيهما وهو من المؤاتات وهى الموافقة أى لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازى والزمخشرى أو من الايتاء وهو الاعطاء قاله ابن عباس فوزنه على الاول فاعلا كقاتلا وعلى الثانى افعلا كاكرما وطوعا وكرها مصدران فى موضع الحال أى طائعتين أو مكرهتين وقرئ كرها بالضم قال الزجاج أطيعا طاعة أو تكرهان كرها قيل ومعنى هذا الامر لهما التسخير والحصول والوقوع أى كونا فكانتا كما قال تعالى انما أمرنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فالكلام من باب التمثيل لتأثير قدرته واستحالة امتناعهما أو من باب الاستعارة التخييلية (قالتا أتينا طائعين) أى أتينا أمرك منقادين وجمعهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء وجمع الامر لهما فى الاخبار عنه لايدل على جمعه فى الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا قال القرطبى قال أكثر أهل العلم ان الله سبحانه خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد سبحانه وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة منهما وتأثير القدرة الربانية فيهما والاول أولى قال أبو نصر السكسى فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بحيالها فوضع الله فيه حرمة (فقضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على تكوينهما اى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة وأتمهن وفرغ منهن والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سبع سموات أو مبهم مفسر بسبع سموات وانتصاب سبع على التفسير أو على البدل من الضمير وقيل على انه مفعول ثان لقضاهن لانه مضمن معنى صيرهن وقيل على الحال اى قضاهن حال كونهن

معدودات

وخيرة ونعمة ومحلة عالية بهية قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها قال صلى الله عليه وسلم قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله
وكذا رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم
قال ابن جريج قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فان الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا
الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما كقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا وفى اسناده نظر فانه
قال حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب حدثنا أبوعاصم العبادانى حدثنا الفضل
الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن
جابر بن عبد الله رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع
عليهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب
تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم
فقال السلام عليكم يا أهل الجنة
فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب
رحيم قال فينظر اليهم وينظرون
اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم
ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب
عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفى
ديارهم ورواه ابن ماجه فى كتاب
السنة من سننه عن محمد بن عبد
الملك بن أبى الشوارب به وقال ابن
جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى
أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن
سليمان بن حميد قال سمعت محمد بن
كعب القرظى يحدث عن عمر بن عبد
العزيز رضى الله عنه قال اذا فرغ
الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل
فى ظلل من الغمام والملائكة قال
فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه
السلام قال القرظى وهذا فى كتاب
الله تعالى سلام قولا من رب رحيم
فيقول الله عز وجل سلونى فيقولون
ماذا نسألك أى رب قال بلى سلونى
قالوا نسألك أى رب رضاك قال رضائى أحلكم دار كرامتى قالوا يارب فما الذى نسألك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك
لو قسمت علينا رزق الثقلين لاطعمناهم ولاسقيناهم ولالبسناهم ولاخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيأ قال تعالى ان لدى مزيدا
قال فيفعل ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحمله اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه
وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) يقول تعالى مخبرا عما يؤول

معدودات بسبع ويكون قضى بمعنى صنع وقيل على التمييز (فى يومين) الخميس والجمعة
وفرغ منها فى آخر ساعة منه وفيها خلق آدم قال المحلى ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ماهنا
آيات خلق السموات والارض فى ستة أيام والمعنى انه مضى من المدة مالو حصل هنالك فلك
وشمس لكان المقدار مقدرا بيومين والمشهور ان الايام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل
بقدر ستة آلاف سنة حكاه القرطبى قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما
تعدون (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال قتادة والسدى اى خلق فيها شمسها وقمرها
ونجومها وافلاكها ومافيها من الملائكة والبحار والبرد والثلج وقيل المعنى أوحى فيها
ما اراده وما أمر به والايحاء قد يكون بمعنى الامر كما فى قوله بان ربك أوحى لها وقوله واذا
وحيت الى الحواريين أى أمرتهم وهو أمر تكوين قال ابن عباس ولله على كل سماء بيت
تحج اليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة والذى فى السماء الدنيا هو البيت المعمور (وزينا
السماء الدنيا) أى التى تلى الارض (بمصابيح) أى بكواكب مضيئة متلألئة عليها
كتلألؤ المصابيح وفيه التفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالتزيين المذكور
(وحفظا) أى وحفظناها حفظا أو خلقنا المصابيح زينة وحفظا والاول أولى قال أبو
حيان فى الوجه الثانى هو تكلف وعدول عن السهل البين والمراد بالحفظ حفظها من
الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى ماوقع وتقدم ذكره (تقدير العزيز العليم) أى
البليغ القدرة الكثير العلم (فان أعرضوا) عن التدبر والتفكر فى هذه المخلوقات وعن
الايمان بعد هذا البيان وفيه التفات من خطابهم بقوله أئنكم الى الغيبة لفعلهم
الاعراض فأعرض عن خطابهم وهو تناسب حسن (فقل أنذرتكم) أى خوفتكم وصيغة
الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به (صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود) أى عذابا مثل عذابهم والمراد بالصاعقة العذاب المهلك من كل شئ قال المبرد
الصاعقة المرة المهلكة لاى شئ كان والصاعقة فى الاصل هى الصيحة التى يحصل بها
الهلاك اوقطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد والمراد بها هنا مطلق العذاب لكن
بالنظر الى الصاعقة الاولى وأما الثانية فالمراد بها حقيقتها وقرأ الجمهور صاعقة بالالف فى
الموضعين وقرئ صعقة فيهما وقد تقدم بيان معنى الصاعقة والصعقة فى البقرة (اذ جاءتهم)
أى الى عاد وثمود وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (الرسل)

اليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال عز وجل ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون أى يصيرون صدعين فرقتين احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بنى آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي

خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم اى قد أمرتكم فى دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتى وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل ولقد أضل منكم جبلا كثيرا يقال جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدى وسفيان بن عيينة وقوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون أى أفما كان لكم عقل فى مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدولكم الى اتباع الشيطان قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيتميز الناس ويجثون وهى التى يقول الله عز وجل وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) يقال للكفرة من بنى آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التى كنتم توعدون اى هذه التى

أى هود وصالح ومن قبلهما وكان هود وصالح بين نوح وابراهيم وليس بينهما غيرهما من الرسل وان الذين تقدموا عليهما من الرسل أربعة نوح وادريس وشيث وآدم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة والظرف متعلق بانذرتكم أو بالصاعقة لانها بمعنى العذاب أو حال من صاعقة عاد وهذا أولى من الوجهين الاولين لان الانذار لم يقع وقت مجىء الرسل فلا يصح ان يكون ظرفا له وكذلك الصاعقة لا يصح ان يكون الوقت ظرفا لها ومن فى الموضعين متعلقة بجاءتهم اى من جميع جوانبهم اومن جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى على الكفار اومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجىء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجىء انفسهم فكان الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقولهم (الا تعبدوا الا الله) اى بان لا تعبدوا على انها مصدرية أو تفسيرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف ثم ذكر سبحانه ما أجابوا به الرسل فقال (قالوا) أى عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح (لو شاء ربنا لانزل) أى لارسل الينا (ملائكة) ولم يرسل الينا بشرا من جنسنا ثم صرحوا بالكفر ولم يتلعثموا فقالوا (فانا بما أرسلتم به كافرون) أى كافرون بما تزعمونه من ان الله ارسلكم الينا لانكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف اختصكم برسالته دوننا وقد تقدم دفع هذه الشبهة الدحضة التى جاؤا بها فى غير موضع وفيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هودا وصالحا على من قبلهما من الرسل فكأنهم قالوا فانا كافرون بكما وبمن دعوتمونا الى الايمان به ممن قبلكما من الرسل ولما ذكر عادا وثمود اجمالا ذكر ما يختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلا فقال (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى بغير استحقاق ذلك الذى وقع منهم من التكبر والتجبر ثم ذكر سبحانه بعض ما صدر عنهم من الاقوال الدالة على الاستكبار فقال (وقالوا من أشد منا قوة) وكانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقوة شديدة فاغتروا بأجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب ومرادهم بهذا القول انهم قادرون على دفع ما نزل بهم من العذاب وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ويجعلها حيث يشاء فرد الله عليهم بقوله (أولم يروا أن الله الذى

خلقهم

حذرتكم الرسل فكذبتموهم اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها
تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون وقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون
هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق
جوارحهم بما عملت   قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحرث التميمي حدثنا أبو
عامر الازدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضيل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
أضحك حتى بدت نواجذه ثم قال
صلى الله عليه وسلم أتدرون مما
أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى
الله عليه وسلم من مجادلة العبد ربه
يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من
الظلم فيقول بلى فيقول لا أجيز علي
الا شاهدا من نفسي فيقول كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا
وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت أناضل وقد رواه مسلم
والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن
أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد
الله بن عبد الرحمن الاشجعي عن
سفيان هو الثوري به ثم قال
النسائي لا أعلم أحدا روى هذا
الحديث عن سفيان غير الاشجعي
وهو حديث غريب والله تعالى أعلم
كذا قال وقد تقدم من رواية أبي
عامر عن عبد الملك بن عمرو
الاسدي وهو العقدي عن سفيان
وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفدام فأول ما يسئل عن
أحدكم فخذه وكفه رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت فيقول أنا عبدك آمنت
بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال فيقال له الا نبعث عليك شاهدنا قال فيفكر في نفسه من
الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه

خلقهم هو أشد منهم قوة) الاستفهام للاستنكار عليهم والتوبيخ أي أولم يعلموا بان الله أشد
منهم قدرة وأوسع منهم قوة فهو قادر على ان ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء بقوله كن
فيكون وقال خلقهم ولم يقل خلق السموات والارض لان هذا أبلغ في تكذيبهم في ادعاء
انفرادهم بالقوة فانهم حيث كانوا المخلوقين فبالضرورة ان خالقهم أشد قوة منهم (وكانوا
بآياتنا) أي بمعجزات الرسل التي خصهم الله بها وجعلها دليلا على نبوتهم أو بآياتنا التي
أنزلناها على رسلنا أو بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم وجعلناها حجة عليهم أو بجميع
ذلك (يجحدون) ثم ذكر الله سبحانه ما أنزل عليهم من عذابه فقال (فأرسلنا عليهم ريحا
صرصرا) الصرصر الريح الشديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة قال أبو عبيدة معنى
صرصر شديدة عاصفة وقال الفراء هي الباردة تحرق كما تحرق النار وقال عكرمة وسعيد بن
جبير وقتادة هي الباردة وقال مجاهد هي الشديدة السموم والاولى تفسيرها بالبرد لان
الصر في كلام العرب البرد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد
ومن صرصر الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه وأقبلت امرأته في صرة ثم بين سبحانه
وقت نزول ذلك العذاب عليهم فقال (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤومات ذوات
نحوس عليهم قال مجاهد وقتادة كن آخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك
سبع ليال وثمانية أيام حسوما وقيل وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات
حكاه الثعلبي وقيل متتابعات وقيل شداد وقيل ذوات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه
قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس وقرأ الباقون بكسرها
واختار أبو حاتم الاولى لقوله في يوم نحس مستمر واختار أبو عبيد الثانية (لنذيقهم) أي
لكي نذيقهم (عذاب الخزي في الحياة الدنيا) والخزي هو الذل والهوان بسبب ذلك
الاستكبار وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي
للمبالغة فهو من اضافة الموصوف الى صفته أي العذاب الخزي ولهذا جاء (ولعذاب
الآخرة أخزى) أي أشد اهانة وذلا فلو لم يكن من اضافة الموصوف الى صفته لم يأت
بلفظ أخزى الذي يقتضي المشاركة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب النازل
بهم ولا يدفعه عنهم دافع ثم ذكر حال الطائفة الاخرى فقال (وأما ثمود فهديناهم) أي بينا
لهم سبيل النجاة ودللناهم على طريق الحق بارسال الرسل اليهم ونصب الدلالات لهم من

وذلك الذى يسخط الله تعالى عليه ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله ثم قال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أبى
حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسمعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل اليسرى ورواه ابن جرير عن
محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن عياش به مثله وقد جود اسناده الامام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن
نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمى عمن حدثه عن عقبة بن عامر رضى
الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل الشمال وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى هو الاشعرى رضى الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أى رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستره منها قال فما على الارض خليقة يرى من تلك الذنوب شيأ وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول أى رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك مالم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا فيقول لا وعزتك أى رب ما عملته فاذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه فانى أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا اليوم نختم على
أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقوله تبارك وتعالى ولو نشاء
لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها يقول ولو
نشاء لاضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال مرة أعميناهم وقال الحسن البصرى لو شاء الله لطمس على أعينهم فجعلهم
عميا يترددون وقال السدى يقول ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدى فاستبقوا الصراط يعنى
الطريق وقال ابن زيد يعنى بالصراط ههنا الحق فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله
عنهما فأنى يبصرون لا يبصرون الحق وقوله عز وجل ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما

مخلوقات الله وانزال الآيات التشريعية فانها توجب على كل عاقل أن يؤمن بالله ويصدق
رسله قال الفراء معنى الآية دللناهم على مذهب الخير بارسال الرسل قال الشيخ أبو منصور
يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين وخلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك
وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل
الاهتداء فأما الهدى المضاف الى الخلق فيكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب
الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك
هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ
استعماله فى الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه
حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها اه وانما تحمل بهذا لانه لا يتمكن من أن
يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد قرأ الجمهور ثمود بالرفع ومنع الصرف
وقرئ بالرفع والصرف وقرئ بالنصب والصرف وقرئ بالنصب والمنع فأما الرفع فعلى
الابتداء وهو الفصيح وأما النصب فعلى الاشتغال وأما الصرف فعلى تفسير الاسم
بالأب أو الحى وأما المنع فعلى تأويله بالقبيلة (فاستحبوا العمى على الهدى) أى
اختاروا الكفر على الايمان قال أبو العالية اختاروا العمى على البيان وقال السدى
اختاروا المعصية على الطاعة (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) قد تقدم أن الصاعقة
اسم للشئ المهلك لاى شئ كان والهون الهوان والاهانة فكأنه قال أصابهم مهلك
العذاب ذى الهوان أو الاهانة ويقال عذاب هون أى مهين كقوله ما لبثوا فى العذاب
المهين (بما كانوا يكسبون) الباء للسببية أى بسبب الذى كانوا يكسبونه أو بسبب
كسبهم وهو شركهم وتكذيبهم صالحا (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وهم صالح
ومن معه من المؤمنين فان الله نجاهم من ذلك العذاب وكانوا أربعة آلاف ثم لما ذكر
سبحانه ما عاقبهم به فى الدنيا ذكر ما عاقبهم به فى الآخرة فقال (ويوم يحشر أعداء الله الى
النار) وصفهم بكونهم أعداء الله مبالغة فى ذمهم وقيل المراد بهم الكفار مطلقا الاولين
والآخرين اى اذكر لقريش المعاندين لك حال الكفار يوم القيامة لعلهم يرتدعوا
وينزجروا ومعنى حشرهم الى النار سوقهم اليها أو الى موقف الحساب لانه يتبين عنده
فريق الجنة وفريق النار قرأ الجمهور يحشر بالتحتية مضمومة ورفع أعداء على النيابة
وقرأ

اهلكناهم وقال السدى يعنى لغيرنا خلقهم وقال ابو صالح لجعلناهم حجارة وقال الحسن البصرى وقتاده لاقعدهم على ارجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى فما استطاعوا مضيا أى الى امام ولا يرجعون الى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون (ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الاذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) يخبر تعالى عن ابن آدم انه كلما طال عمره ردّ الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا

وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وقال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بانها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار ولهذا قال عز وجل أفلا يعقلون أى يتفكرون بعقولهم فى ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم الى سن الشيبة ثم الى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهى الدار الآخرة وقوله تبارك وتعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له يقول عز وجل مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ما علمه الشعر وما ينبغى له أى ماهو فى طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل ان أنشده زحفه أولم يتمه وقال أبو زرعة الرازى حدثنا اسمعيل بن مجاهد عن أبيه عن الشعبى انه قال ماولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى الا يقول الشعر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب الذى أكله الاسد بالزرقاء قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن هو البصرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وهكذا روى البيهقى فى الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه أنت القائل * أتجعل نهبى ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة * فقال انما هو بين عيينة والاقرع فقال صلى الله عليه وسلم الكل سواء

وقرأ نافع بالنون ونصب أعداء (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا كذا قال قتادة والسدى وغيرهما وبه قال ابن عباس أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أى كففته وقد سبق تحقيق معناه فى سورة النمل مستوفى وعن ابن عباس قال يدفعون وقيل يساقون (حتى اذا ماجاؤها) أى النار التى حشروا اليها وصاروا بحضرتها أو موقف الحساب وما مزيدة للتوكيد (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من المعاصى وفى كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال أولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه تعالى يخلق فى تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعانى ثالثها ان يظهر فى تلك الاعضاء أحوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال العالم يشهد بتغيرات أحواله على حدوثه وقال الكرخى ينطقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلا وايضاحه ان البنية ليست شرطا للحياة والعلم والقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق فى كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء قال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت ألسنتهم من عملهم بالشرك والمراد بالجلود هى جلودهم المعروفة فى قول أكثر المفسرين وقيل المراد بها الجوارح مطلقا فالعطف من قبيل عطف العام على الخاص وقال السدى وعبيد الله بن أبى جعفر والفراء أراد بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا أراد النكاح وقال تعالى أوجاء أحد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وفى الحديث أول ما يتكلم من الآدمى فخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيدا شديدا فى اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ والاول أولى ووجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها مع ان الحواس خمسة وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هى الجلد ماذكره الرازى ان الذوق داخل فى اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين فى حس اللمس انتهى واذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال كما قال (وقالوا

يعنى فى المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم وقد ذكر السهيلى فى الروض الانف لهذا التقديم والتأخير الذى وقع فى كلامه صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت مناسبة أغرب فيها حاصلها شرف الاقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزارى لانه ارتد أيام الصديق رضى الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم وهكذا روى الاموى فى مغازيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشى بين القتلى يوم بدر وهو يقول نفلق هاما فيقول الصديق رضى الله عنه متمما البيت

من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وهذا لبعض شعراء العرب فى قصيدة له وهى فى الحماسة وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة

ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وهكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة من طريق ابراهيم بن مهاجر عن الشعبى عنها ورواه الترمذى والنسائى أيضا من حديث المقدام ابن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها كذلك ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا اسامة عن زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الاشعار

ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ثم قال ورواه عن زائدة عن سماك عن عطية عن عائشة رضى الله عنها وهذا فى شعر طرفة بن العبد فى معلقته المشهورة وهذا المذكور عجز بيت منه أوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضى الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت رضى الله عنها كان أبغض الحديث اليه غير انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل ببيت أخى بنى قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال ابو بكر رضى الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى والله ما أنا بشاعر وما ينبغى لى رواه ابن

لجلودهم) لانها قد اشتملت على ثلاث حواس فكان تأتى المعصية من جهتها اكثر واما على قول من قال بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر لان ما يشهد به الفرج من لزنا اعظم قبحا واجلب للخزى والعقوبة قيل والمراد بالجلود هنا المعنى الاعم فليس فى سؤالهم ترك سؤال السمع والبصر بل هما داخلان فى الجلود بالمعنى الذى علمته (لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ وتعجب من هذا الامر الغريب لكونها ليست مما ينطق ولكونها كانت فى الدنيا مساعدة لهم على المعاصى فكيف تشهد الآن عليهم فلذلك استغربوا شهادتها وخاطبوها بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدر من العقلاء عنها وهو الشهادة (قالوا) مجيبين لهم معتذرين (أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) مما ينطق من مخلوقاته فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح وقيل المعنى ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله والاول أولى والمعنى ان نطقنا ليس بعجيب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) قيل هذا من تمام كلام الجلود وقيل انه من كلام الملائكة وقيل مستأنف من كلام الله والمعنى ان من قدر على خلقكم وانشائكم ابتداء قدر على اعادتكم ورجعكم اليه ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما ان المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه ويعم ما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواقع (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) هذا تقريع لهم وتوبيخ من جهة الله سبحانه أو من كلام الجلود أى ما كنتم تستخفون عند الاعمال القبيحة وارتكاب الفواحش بالحيطان والحجب حذرا من شهادة الجوارح عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا وهو قول أكثر العلماء ولما كان الانسان لا يقدر على ان يستخفى من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية وقيل معنى الاستتار الاتقاء أى ما كنتم تتقون فى الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم فى الآخرة فتتركوا المعاصى خوفا من هذه الشهادة ومعنى ان تشهد لاجل أن تشهد أو مخافة أن تشهد وقيل ان الاستتار مضمن معنى الظن أى وما كنتم تظنون ان تشهد وهو بعيد وأخرج عبد الرزاق وأحمد والنسائى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث عن معاوية ابن حيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحشرون ههنا واومأ بيده الى الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله وعلى أفواهكم الفدام (١) وأول ما يعرب

---

(١) الفدام ما يوضع فى فم الابريق ليصفى به ما فيه والفدام بالفتح والتشديد مثله يقال فدمت على فيه بالفدام فدما اذا غطيت اه صحاح

أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر عن قتادة بلغني ان عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر فقالت رضي الله عنها الا بيت طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل صلى الله عليه وسلم يقول من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقال الحافظ ابو بكر البيهقي أخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو (٢٣٥) حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتقي ببغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما
يقال لشيء كان الا تحققا

سألت شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لكن تبعا لقول أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون

لاهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته بقوله أبينا ويمدها وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضا وكذلك ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحر العدو

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد له وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (١) غار فنكبت اصبعه فقال صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

عن أحدكم فخذه وكفه وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كنتم تستترون الخ وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفي وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم أترون ان الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخران لنا انا اذا رفعنا أصواتنا سمعه وانا اذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيأ سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم الى قوله من الخاسرين (ولكن ظننتم) عند استتاركم من الناس مع عدم استتاركم من أعضائكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من المعاصي فاجترأتم على فعلها قيل كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسر قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقيل اريد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما هو فوقه من العلم (وذلكم) أي ما ذكر من ظنكم مبتدأ (ظنكم) بدل منه (الذي ظننتم بربكم) نعت والخبر (أرداكم) أي أهلككم وطرحكم في النار وقيل ظنكم الخبر والموصول بدل أو بيان وأرداكم حال وقد مقدرة أو غير مقدرة اي ذلكم ظنكم مرديا اياكم (فأصبحتم من الخاسرين) اي الكاملين في الخسران قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر قبيح فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وآله وسلم حكاية عن الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأخرج أحمد وأبو داود والطيالسي وعبد ابن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظنكم الآية والظن القبيح ان يظن أنه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الافعال وقال قتادة الظن نوعان مرد ومنج فالمنجي قوله اني ظننت أني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقو ربهم والمردي هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا) على النار (فالنار مثوى لهم) أي محل استقرارهم واقامتهم لا خلاص ولا خروج لهم منها صبروا أو لم يصبروا على كل حال وقيل المعنى فان يصبروا في الدنيا على اعمال أهل النار فالنار مثوى لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) يقال أعتبني فلان اي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت

(١) قوله في غار كذا في النسخ وحرر لفظ الحديث اه

وسيأتى عند قوله تعالى الا اللمم انشاد   ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك ما ألما

وكل هذا لا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرا ولا ينبغى له فان الله تعالى انما علمه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا كما رواه أبو داود قال حدثنا عبيد الله بن عمرو حدثنا عبد الله بن مزيد   (٢٣٦)   حدثنا سعيد بن ابى أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافرى عن عبد الرحمن بن رافع الفتوحى قال سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أبالى ما أوتيت ان أنا شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت الشعر من قبل نفسى تفرد به أبو داود وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن الاسود بن شيبان عن ابى نوفل قال سألت عائشة رضى الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر فقالت قد كان أبغض الحديث اليه وقال عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقال ابو داود حدثنا ابو الوليد الطيالسى حدثنا شعبة عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا انفرد به من هذا الوجه واسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قزعة بن سويد الباهلى عن عاصم بن مخلد عن أبى الاشعث الصنعانى ح وحدثنا الاشيب فقال عن أبى عاصم عن أبى الاشعث عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرض (قرأ) بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لا انشاده والله أعلم على ان الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذى كان يتعاطاه شعراء الاسلام كحسان بن ثابت رضى الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وامثالهم واضرابهم رضى الله عنهم أجمعين ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد

منه ان يرضى والمعنى انهم ان يسألوا ان يرجع بهم الى ما يحبون لم يرجع لانهم لا يستحقون ذلك قال الخليل تقول استعتبته فاعتبنى اى استرضيته فارضانى ومعنى الآية ان يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجمهور يستعتبوا بفتح التحتية وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيا للفاعل ومن المعتبين بفتح الفوقية اسم مفعول وقرئ يستعتبوا مبنيا للمفعول وقرئ من المعتبين اسم فاعل اى انهم ان أقالهم الله وردهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما فى قوله سبحانه ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (وقيضنا) أصل التقييض التيسير والتهيئة أى هيأنا (لهم) اى لكفار قريش وغيرهم (قرناء) من الشياطين بمنزلة الاخلاء لهم جمع قرين بمعنى نظير كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الزجاج سببنا لهم قرناء حتى أضلوهم وقيل سلطنا عليهم قرناء وقيل قدرنا والمعانى متقاربة أى يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض والقيض قشر البيض الاعلى وقيل ان الله قيض لهم قرناء فى النار والاولى ان ذلك فى الدنيا لقوله (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) فان المعنى زينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها وحملوهم على الوقوع فى معاصى الله بانهماكهم فيها وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة فقالوا لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وقال الزجاج ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على أن يعملوه وروى عنه أيضا انه قال ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا بان الدنيا قديمة ولا صانع الا الطبائع والافلاك (وحق عليهم القول) اى وجب وثبت عليهم العذاب وتحقق مقتضاه وهو قوله سبحانه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين (فى امم) اى كائنين فى جملة امم وقيل فى بمعنى مع اى مع امم من الامم الكافرة ولا حاجة الى بدل حرف من حرف مع امكان بقائه على بابه والمعنى الامم التى (قد خلت) ومضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب قاله الكرخى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى قال بعضهم لبعض لا تسمعوه ولا تنصتوا له وقيل المعنى لا تطيعوا يقال سمعت لك اى اطعتك (والغوا فيه) اى عارضوه باللغو والباطل أو ارفعوا اصواتكم ليتشوش القارئ له وقال مجاهد الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط فى الكلام حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه

فى شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن ابى الصلت الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه وقد أنشد بعض الصحابة رضى الله عنهم للنبى صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل بيت هيه يعنى يستطعمه فيزيده من ذلك وقد روى أبوداود من حديث ابى بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما ولهذا قال وما علمناه الشعر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله الشعر وما ينبغى له أى وما يصلح له ان هو الا ذكر وقرآن مبين أى ماهذا الذى علمناه الا ذكر وقرآن مبين اى بين واضح جلى لمن تأمله وتدبره ولهذا قال تعالى لينذر من كان حيا أى لينذر هذا القرآن المبين كل حى على وجه الارض كقوله لأنذركم به ومن بلغ وقال جل وعلا ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وانما ينتفع بنذارته من هو حى القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حى القلب حى البصر وقال الضحاك يعنى عاقلا ويحق القول على الكافرين أى هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الانعام التى سخرها لهم فهم لها مالكون قال قتادة مطيقون أى جعلهم يقهرونها وهى ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير الى بعير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه وذاك ذليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير وقوله تعالى فمنها ركوبهم ومنها يأكلون أى منها ما يركبون فى الاسفار ويحملون عليه الاثقال الى سائر الجهات والاقطار ومنها ما يأكلون اذا شاؤا نحروا واجتزروا ولهم فيها منافع أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ومشارب أى من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك أفلا يشكرون أى أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) يقول تعالى منكرا على المشركين فى اتخاذهم الانداد آلهة مع الله يبتغون بذلك ان تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم الى الله زلفى قال الله تعالى لا يستطيعون نصرهم أى لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هى أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لانفسها

قرأ الجمهور الغوا بفتح الغين من لغا اذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه اومن لغى بالفتح يلغى بالفتح ايضا كما حكاه الاخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لاجل حرف الحلق اومن لغا بكذا اذا رمى به فتكون فى بمعنى الباء اى ارموا به وقرئ بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو وفى الحديث فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجمهور وقد تقدم الكلام فى اللغو فى سورة البقرة (لعلكم تغلبون) اى لكى تغلبوا فيسكتوا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة اذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكان اذا أخفى قراءته لم يسمع من يحب ان يسمع القرآن فانزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أخرجه ابن أبى حاتم ثم توعدهم سبحانه على ذلك فقال (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين السياق معهم دخولا أوليا (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) اى ولنجزينهم فى الآخرة جزاء أقبح أعمالهم التى عملوها فى الدنيا قال مقاتل وهو الشرك وقيل المعنى انه يجازيهم بمساوى أعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم من صلة الارحام واكرام الضيف لان ذلك باطل لا أجر له مع كفرهم وفى هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعا خاشعا متفكرا متدبرا وتهديد ووعيد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ ويخلط عليه القراءة فانظر الى عظمة القرآن وتأمل فى هذا التغليظ والتشديد واشهد لمن عظمه وأجل قدره وألقى اليه السمع وهو شهيد بالفوز العظيم والاجر الكبير (ذلك) أى العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله النار) بدل أو عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك أو خبر مبتدإ مضمر أو مبتدأ خبره (لهم فيها دار الخلد) أى دار الاقامة المستمرة التى لا انقطاع لها ولا انتقال عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) أى يجزون جزاء بسبب جحدهم بآيات الله قال مقاتل يعنى القرآن يجحدون انه من عند الله وعلى هذا يكون التعبير عن اللغو بالجحود لكونه سببا له اقامة للسبب مقام المسبب (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) قالوا هذا وهم فى النار وذكره بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه والمراد انهم طلبوا من الله سبحانه ان يريهم من أضلهم من فريقى

ولا الانتقام ممن أرادها بسوء لانها جماد لا تسمع ولا تعقل وقوله تبارك وتعالى وهم لهم جند محضرون قال مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الاصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في اقامة الحجة عليهم وقال قتادة لا يستطيعون نصرهم يعني الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا انما هي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم أي تكذيبهم لك وكفرهم بالله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون أي نحن نعلم جميع ما هم فيه ونجزيهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة جاء أبي بن خلف لعنه الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم ان الله يبعث هذا قال صلى الله عليه وسلم نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار ونزلت هذه الآيات من آخر يس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الى آخرهن وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العاصي بن وائل اخذ عظما من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيحيي الله هذا بعد ما أرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم قال ونزلت الآيات من آخر يس ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عبد الله بن أبي بعظم ففته وذكر نحو ما تقدم وهذا منكر لان السورة مكية وعبد الله بن أبي ابن سلول انما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت

الجن والانس من الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر ومن الشياطين الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه هو ابن آدم الذي قتل أخاه وابليس أي لانهما سنا المعصية لبني آدم قرأ الجمهور أرنا بكسر الراء وقرئ بسكونها وهما لغتان بمعنى واحد وقال الخليل اذا قلت أرني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه وبالسكون أعطنيه (نجعلهما تحت أقدامنا) في النار أي ندوسهما باقدامنا انتشفي منهما وليكونا وقاية بيننا وبينها فتخف عنا حرارتها نوع خفة و(ليكونا من الاسفلين) فيها مكانا أو ليكونا من الاذلين المهانين وقيل ليكونا اشد عذابا منا قال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل وممن هو دوننا ثم لما ذكر سوء عقاب الكافرين وما اعده لهم ذكر حسن حال المؤمنين وما أنعم به عليهم فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده لا شريك له (ثم استقاموا) اى داموا وثبتوا على التوحيد ولم يلتفتوا الى اله غير الله وثم للتراخي في الزمان من حيث ان الاستقامة امر يمتد زمانه افاده ابو السعود وقال الخطيب ثم لتراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومصححاته الى الممات في علو رتبته أمر لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاكرام قال جماعة من الصحابة والتابعين معنى الاستقامة اخلاص العمل لله تعالى وقال قتادة وابن زيد ثم استقاموا على طاعة الله وقال الحسن استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع أعرضوا عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية عن أنس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال قد قالها ناس من الناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها أخرجه الترمذي والنسائي والبزار وأبو يعلى وغيرهم وقال أبو بكر الصديق الاستقامة ان لا يشركوا بالله شيأ وعنه قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان قال أبو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعن بعض الصحابة قال ثم استقاموا على فرائض الله وعن عمر بن الخطاب قال استقاموا بطاعة الله ولم يروغوا روغان الثعلب وأخرج أحمد وعبد بن حميد والدارمي

فى ابى بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهى عامة فى كل من أنكر البعث والالف واللام فى قوله تعالى أولم ير الانسان للجنس يعم كل منكر للبعث انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين أى أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الاعادة فان الله ابتدأ خلق الانسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شئ حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج أى من نطفة من أخلاط متفرقة فالذى خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على اعادته بعد موته كما قال الامام أحمد فى مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا بنى آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن ابى شيبة عن يزيد بن هرون عن جرير بن عثمان به ولهذا قال تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم أى استبعد اعادة الله تعالى ذى القدرة العظيمة التى خلقت السموات والارض للاجساد والعظام الرميمة ونسى نفسه وان الله تعالى خلقه من العدم الى الوجود فعلم من نفسه ما هو اعظم مما استبعده وانكره وجحده ولهذا قال عز وجل قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم أى يعلم العظام فى سائر أقطار الارض وارجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى قال قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضى الله عنهما ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى اهله اذا أنا مت فاجمعوا الى حطبا كثيرا جزلا ثم اوقدوا فيه نارا حتى اذا اكلت لحمى وخلصت الى عظمى فامتحشت فخذوها فدقوها فذروها فى اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى اليه ثم قال له لم فعلت ذلك قال من خشيتك فغفر الله عز وجل له فقال عقبة ابن عمرو وأنا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان ماشيا وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بالفاظ كثيرة منها

والدارمى والبخارى فى تاريخه ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن سفيان بن عبد الله الثقفى ان رجلا قال يارسول الله مرنى بامر فى الاسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقى فاومأ الى لسانه قال الترمذى حسن صحيح (تتنزل عليهم الملائكة) من عند الله سبحانه بالبشرى التى يريدونها من جلب نفع اودفع ضر او رفع حزن قال ابن زيد ومجاهد تتنزل عليهم عند الموت وقال مقاتل وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع البشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث قال البيضاوى اوفى حياتهم فيما يعرض لهم من الاحوال تأتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (ان لا تخافوا ولا تحزنوا) ان هى المخففة أو المفسرة او الناصبة ولا على الوجهين الاولين ناهية وعلى الثالث نافية والمعنى لا تخافون مما تقدمون عليه من امور الآخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من امور الدنيا من اهل وولد ومال قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطاء لا تخافوا ردّ ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فانى اغفرها لكم والظاهر عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين وعدم تقييد نفى الخوف والحزن بحالة مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلق فى الجميع والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل والحزن غم يلحقها لفوات نفع فى الماضى (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) بها على ألسنة الرسل فى الدنيا فانكم واصلون اليها مستقرون بها خالدون فى نعيمها ثم بشرهم سبحانه بما هو اعظم من ذلك كله فقال (نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم فى امور الدنيا وامور الآخرة ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب ونجا من كل مخافة وقيل ان هذا من قول الملائكة قال مجاهد يقولون لهم نحن قرناؤكم الذين كنا معكم فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدى نحن الحفظة لاعمالكم فى الدنيا وأنصاركم واحباؤكم وأولياؤكم فى الآخرة وقيل انهم يشفعون لهم فى الآخرة ويتلقونهم بالكرامة وقال النسفى رحمه الله كما ان الشياطين قرناء العصاة والكافرين فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من صنوف

انه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رائح أي كثير الهواء ففعلوا ذلك فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فاذا هو رجل قائم فقال له ما حملك على ما صنعت قال مخافتك وأنت أعلم فما تلافاه أن غفر له وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر وينع ثم أعاده الى ان صار حطبا يابسا يوقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء قال قتادة في قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر

نارا فاذا أنتم منه توقدون يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على ان يبعثه وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء روى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي المثل لكل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والارضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشدا الى الاستدلال على اعادة الاجساد بخلق هذه الاشياء العظيمة كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال عز وجل ههنا أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم قاله ابن جرير وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تبارك وتعالى ههنا بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون أي انما يأمر بالشيء أمرا واحدا لا يحتاج الى تكرار وتأكيد

اذا ما أراد الله أمرا فانما * يقول له قوله كن فيكون

الكرامات واللذات وأنواع النعم (ولكم فيها ما تدعون) أي تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب وقد تقدم بيان معنى هذا في قوله ولهم ما يدعون مستوفى والفرق بين الجملتين ان الاولى باعتبار شهوات أنفسهم والثانية باعتبار ما يطلبونه أعم من أن يكون مما تشتهيه أنفسهم أولا اذ لا يلزم ان يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية وان كان الاول أعم أيضا من وجه بحسب حال الدنيا فالمريض لا يريد ما يشتهيه ويضر مرضه الا ان يقال التمني اعم من الارادة وقال الرازي الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية وانتصاب (نزلا من غفور رحيم) على الحال من الموصول او من عائده أو من فاعل تدعون او هو مصدر مؤكد لفعل محذوف اى انزلنا نزلا والنزل ما يعد لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة قال النسفي هو رزق النزيل وهو الضيف وقد تقدم تحقيقه في سورة آل عمران قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أي الى توحيده وطاعته قال الحسن هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من طاعته (وعمل صالحا) في اجابته (وقال انني من المسلمين) وليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ أي قال ذلك ابتهاجا بالاسلام وفرحا به واتخاذا له دينا ومذهبا وتفاخرا به قال ابن سيرين والسدي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى هذا أيضا عن الحسن وقال عكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قالت عائشة الداعي الى الله المؤذن والعمل الصالح ركعتان فيما بين الاذان والاقامة وعنها قالت ما أرى هذه الآية نزلت الا في المؤذنين ويجاب عن هذا بان الآية مكية والاذان انما شرع بالمدينة والاولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سببا لنزولها دخولا أوليا فكل من جمع بين دعاء العباد الى ما شرعه الله وعمل عملا صالحا وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه وكان من المسلمين دينا لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثوابا من عمله قيل وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء

المرتبة

المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف والسنان فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله والى طاعته ثم بين سبحانه الفرق بين محاسن الاعمال ومساويها فقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) اى لا تستوى الحسنة التى يرضى بها الله ويثيب عليها ولا السيئة التى يكرهها الله ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من انواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من انواع المعاصى فان اللفظ أوسع من ذلك وقيل الحسنة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقيل الحسنة العلم والسيئة الفحش وقيل غير ذلك قال الفراء لا فى ولا السيئة زائدة والجملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان (ادفع بالتى هى احسن) استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اى ادفع السيئة اذا جاءتك من المسىء باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات ومنه مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر والاغضاء عن الهفوات والاحتمال للمكروهات قال ابن عباس امر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم وقال ابن عباس القه بالسلام وقال مجاهد وعطاء بالتى هى أحسن يعنى بالسلام اذا لقى من يعاديه وقيل بالمصافحة عند التلاقى والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه ووضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) هذه هى الفائدة الحاصلة من الدفع بالتى هى أحسن والمعنى انك اذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق والبعيد

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن نمير حدثنا موسى بن المسيب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم وكلكم فقير الا من أغنيت انى جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء عطائى كلام وعذابى كلام اذا أردت شيأ فانما أقول له كن فيكون وقوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون أى تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحى القيوم الذى بيده مقاليد السموات والارض واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازى كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل ومعنى قوله سبحانه وتعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ كقوله عزوجل قل من بيده ملكوت كل شئ وكقوله تعالى تبارك الذى بيده الملك فالملك والملكوت واحد فى المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الاجسام والملكوت هو عالم الارواح والصحيح الاول وهو الذى عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم قال الامام أحمد حدثنا شريح ابن النعمان حدثنا حماد عن عبد الملك بن عمير حدثنى ابن عم لحذيفة عن حذيفة وهو ابن اليمان رضى الله عنه قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال فى سبع ركعات وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده ثم قال الحمد لله ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وكان ركوعه مثل قيامه وسجوده مثل ركوعه فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاى وقد روى أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة مولى الانصار عن رجل من بنى عبس عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل وكان يقول الله أكبر ثلاثا ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من قيامه يقول لربى الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه وكان يقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لى رب اغفر لى فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن بالبقرة وآل عمران

والنساء والمائدة أو الانعام شك شعبة هذا لفظ أبي داود وقال النسائي أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة كذا قال والاشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الامام احمد والله أعلم وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فانها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به آخر تفسير سورة يس ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الصافات وهي مكية)

قال النسائي أخبرنا اسمعيل بن مسعود حدثنا خالد يعني ابن الحرث عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحرث ابن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات تفرد به النسائي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) قال سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال والصافات صفا وهي الملائكة فالزاجرات زجرا هي الملائكة فالتاليات ذكرا هي الملائكة وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة الملائكة صفوف في السماء وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الاشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعل لنا ترابها طهورا اذا لم نجد الماء وقد روى مسلم أيضا أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن

عنك كالقريب منك وقال مقاتل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان معاديا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فصار له وليا بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه ثم أسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالصهارة وقيل غير ذلك والاولى حمل الآية على العموم (وما يلقاها) قال الزجاج أي ما يلقى هذه الفعلة وهذه الحالة وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه وتجرع الشدائد وترك الانتقام وقال أنس الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) في الثواب والخير أو من الخلق الحسن وكمال النفس وهذا أنسب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أي ما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقيل الضمير في يلقاها عائد الى الجنة وقيل راجعة الى كلمة التوحيد قرأ الجمهور يلقاها من التلقية وقرئ تلاقاها من الملاقات ثم أمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان فقال (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس شبه به الوسوسة لانها تبعث على الشر وجعل النزغ نازغا على سبيل المجاز العقلي كقولهم جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عن شئ مما شرعه الله لك أو عن الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه وجملة (انه هو السميع العليم) تعليل لما قبلها أي السميع لكل ما يسمع ومنه استعاذتك والعليم بكل ما يعلم ومنه فعلك وأحوالك ومن كان كذلك فهو يعيذ من استعاذ به وقال هنا بزيادة هو وأل وفي الاعراف بدونهما لان ما هنا متصل بمؤكد بالتكرار وبالحصر فناسب التأكيد بما ذكر وما في الاعراف خلي عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند اليه معرفة والمسند نكرة أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد غضب أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل أمجنون تراني فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة الدالة على كمال قدرته وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال (ومن آياته الليل والنهار) في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر ونور

المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة
عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال صلى الله عليه وسلم يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف وقال
السدى وغيره معنى قوله تعالى فالزاجرات زجرا أنها تزجر السحاب وقال الربيع بن أنس فالزاجرات زجرا ما زجر الله تعالى عنه
فى القرآن وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم فالتاليات ذكرا قال السدى الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله الى الناس
وهذه الآية كقوله تعالى فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا وقوله عزوجل (٢٤٣) ان الهكم لواحد رب السموات والارض
هذا هو المقسم عليه انه تعالى لا اله
الا هو رب السموات والارض وما
بينهما أى من المخلوقات ورب
المشارق أى هو المالك المتصرف
فى الخلق بتسخيره بما فيه من
كواكب ثوابت وسيارات تبدو
من المشرق وتغرب من المغرب
واكتفى بذكر المشارق عن المغارب
لدلالتها عليه وقد صرح بذلك فى
قوله عزوجل فلا أقسم برب المشارق
والمغارب انا القادرون وقال تعالى
فى الآية الاخرى رب المشرقين
ورب المغربين يعنى فى الشتاء
والصيف للشمس والقمر (انا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب
وحفظا من كل شيطان مارد
لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون
من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب الا من خطف الخطفة
فأتبعه شهاب ثاقب) يخبر تعالى انه
زين السماء الدنيا للناظرين اليها
من أهل الارض بزينة الكواكب
قرئ بالاضافة وبالبدل وكلاهما
بمعنى واحد فالكواكب السيارة
والثوابت يثقب ضوؤها جرم
السماء الشفاف فتضىء لاهل
الارض كما قال تبارك وتعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقال عزوجل
ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين فقوله جل
وعلا ههنا وحفظا تقديره وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد يعنى المتمرد العاتى اذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب
فأحرقه ولهذا قال جل جلاله لا يسمعون الى الملا الاعلى أى لئلا يصلوا الى الملا الاعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة
اذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى بما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك فى الاحاديث التى أوردناها عند قوله تبارك وتعالى

ونور مقرر هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر وانما تعرض للاربعة مع انهم لم يعبدوا
الليل والنهار للايذان بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما فى
المخلوقية فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهذا هو السر فى نظم الكل فى سلك آياته
ثم لما بين ان ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر وأمرهم أن يسجدوا لله
عزوجل فقال (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان من مخلوقاته وان كثرت
منافعهما فلا يصح ان يكونا شريكين له فى ربوبيته (واسجدوا لله الذى خلقهن) أى هذه
الاربعة المذكورة لان جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الاناث أو الآيات أو الشمس
والقمر لان الاثنين جمع عند جماعة من الائمة قال السمين وانما عبر عن الاربع بضمير
الاناث مع ان فيها ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لانه لما قال ومن آياته
فنظم الاربعة فى سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبر عنها بضمير الاناث فى قوله خلقهن
(ان كنتم اياه تعبدون) قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم
الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن ذلك فهذا وجه
تخصيص ذكر السجود بالنهى عنه وقيل وجه تخصيصه انه أقصى مراتب العبادة وهذه
الآية من آيات السجود بلا خلاف وانما اختلفوا فى موضع السجدة فقيل موضعها عند
قوله ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وقيل عند قوله وهم لا يسأمون لانه تمام
الكلام وعن ابن عباس انه كان يسجد بآخر الآيتين من حم السجدة وكان ابن مسعود
يسجد بالاولى منهما وعن ابن عمر أنه كان يسجد بالاولى ويسجد بالآية الاخيرة
(فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى ان استكبر
هؤلاء عن الامتثال فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه كالملائكة يديمون التسبيح لله
سبحانه بالليل والنهار أو يصلون له وهم لا يملون ولا يفترون يعنى ان الله لا يعدم عابدا أبدا
بل من خلقه من يعبده على الدوام والعندية عندية مكانة وتشريف وفى الحديث أنا
عند ظن عبدى بى وأنا عند المنكسرة قلوبهم (ومن آياته) الدالة على قدرته ووحدانيته
(أنك) الخطاب لكل من يصلح له أو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ترى الارض) أى
بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما أبصرت (خاشعة) يابسة لا نبات
فيها متطامنة وهى أنسب بلفظ خاشعة والخاشعة اليابسة الجدبة الجامدة وقيل الغبراء

حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ولهذا قال تعالى و يقذفون أي يرمون من كل جانب أي
من كل جهة يقصدون السماء منها دحورا أي رجما يدحرون به و يزجرون و يمنعون من الوصول الى ذلك و يرجون ولهم عذاب
واصب أي فى الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر كما قال جلت عظمته وأعتدنا لهم عذاب السعير وقوله تبارك وتعالى
الا من خطف الخطفة اى الامن اختطف من الشياطين الخطفة وهى الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها الى الذى تحته ويلقيها
الآخر الى الذى تحته فربما أدركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل ان يأتيه الشهاب

فيحرقه فيذهب بها الآخر الى
الكاهن كما تقدم فى الحديث
ولهذا قال الامن خطف الخطفة
فأتبعه شهاب ثاقب أى مستنير
قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا
وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال كان للشياطين
مقاعد فى السماء قال فكانوا
يستمعون الوحى قال وكانت النجوم
لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى
قال فاذا سمعوا الوحى نزلوا الى
الارض فزادوا فى الكلمة تسعا
قال فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد
مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى
يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس
لعنه الله فقال ماهو الا من أمر حدث
قال فبث جنوده فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين
جبلى نخلة قال وكيع يعنى بطن
نخلة قال فرجعوا الى ابليس
فأخبروه فقال هذا الذى حدث
وستأتى ان شاء الله تعالى الاحاديث
الواردة مع الآثار فى هذا المعنى
عند قوله تعالى اخبارا عن الجن
انهم قالوا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا
خلقناهم من طين لازب بل عجبت و يسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا
متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون) يقول تعالى فسل
هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقا هم أم السموات والارض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة وقرأ ابن

التى لا تنبت قال الازهرى اذا يبست الارض ولم تمطر قيل قد خشعت والخشوع التذلل
والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى قوله
تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو كما قال (فاذا أنزلنا عليها
الماء) أى ماء المطر أو غيره (اهتزت) تحركت بالنبات حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن
يعالج ذلك بنفسه يقال اهتز الانسان اذا تحرك (وربت) انتفخت وعلت قبل أن تنبت قاله
مجاهد وغيره أى تصدعت عن النبات بعد موتها وعلى هذا ففى الكلام تقديم وتأخير
وتقديره ربت واهتزت وقيل الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات من الارض
وقد يكونان بعده ومعنى الربو لغة الارتفاع كما يقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات
يتحرك للبروز ثم يزداد فى جسمه بالكبر طولا وعرضا وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى
فى سورة الحج وقيل اهتزت استبشرت بالمطر وربت انتفخت بالنبات وقيل تشققت
فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما فى الجو مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت
سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة وتزخرفت بذلك النبات كأنها بمنزلة
المختال فى زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل وقرأ أبو جعفر وخالد ربأت (ان الذى أحياها لمحيي
الموتى) بالبعث والنشور (انه على كل شئ قدير) لا يعجزه شئ كائنا ما كان (ان الذين
يلحدون فى آياتنا) أى يميلون عن الحق والاستقامة فى آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل
الباطل واللغو فيها والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد فى القبر لانه أميل الى ناحية منه
يقال ألحد فى دين الله أى مال عنه وعدل و يقال لحد وهو لغة فيه وقد تقدم تفسير الالحاد
و يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا
كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة
قال مجاهد معنى الآية يميلون عن الايمان بالقرآن وقال أيضا يميلون عند تلاوة القرآن
بالمكاء والتصدية واللغو والغناء وقال قتادة يكذبون فى آياتنا وقال السدى يعاندون
و يشاقون وقال ابن زيد يشركون والمعانى متقاربة وقال ابن عباس فى الآية هو أن
يضع الكلام فى غير موضعه (لا يخفون علينا) بل نحن نعلمهم فنجازيهم بما يعملون قيل
نزلت فى أبي جهل ثم بين كيفية الجزاء والتفاوت بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يلقى
فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) الاستفهام للتقرير والغرض منه التنبيه على أن

الملحدين

مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقرون ان هذه المخلوقات اشد خلقا منهم واذا كان الامر كذلك فلم ينكرون البعث وهم
يشاهدون ماهو أعظم مما أنكروا كما قال عزوجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون ثم
بين انهم خلقوا من شئ ضعيف فقال انا خلقناهم من طين لازب قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك هو الجيد الذى يلتزق بعضه
ببعض وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد وقال قتادة هو الذى يلزق باليد وقوله عزوجل بل عجبت
ويسخرون أى بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث (٢٤٥) وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من
الامر العجيب وهو اعادة الاجسام
بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من
شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول
لهم من ذلك قال قتادة عجب محمد
صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بنى
آدم واذا رأوا آية أى دلالة واضحة
على ذلك يستسخرون قال مجاهد
وقتادة يستهزؤن وقالوا ان هذا
الا سحر مبين أى ان هذا الذى جئت
به الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا
الأولون يستبعدون ذلك ويكذبون
به قل نعم وأنتم داخرون أى قل لهم
يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعد
ماتصيرون ترابا وعظاما وأنتم
داخرون أى حقيرون تحت القدرة
العظيمة كما قال تبارك
وتعالى وكل أتوه داخرين وقال ان
الذين يستكبرون عن عبادتى
سيدخلون جهنم داخرين ثم قال
جلت عظمته فانما هى زجرة واحدة
فاذا هم ينظرون أى فانما هو أمر
واحد من الله عزوجل يدعوهم
دعوة واحدة ان يخرجوا من
الارض فاذا هم قيام بين يديه
ينظرون الى أهوال يوم القيامة
والله تعالى أعلم (وقالوا ياويلنا هذا
يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى
صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون) يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة انهم
يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لانفسهم فى الدار الدنيا فاذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم
حيث لاينفعهم الندم وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون وهذا يقال
لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين فى الموقف فى محشرهم ومنشرهم ولهذا

الملحدين فى الآيات يلقون فى النار وان المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة وظاهر الآية
العموم اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهو تمثيل للكافر والمؤمن وقيل المراد
بمن يلقى فى النار أبو جهل ومن يأتى آمنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيل حمزة وقيل
عمر بن الخطاب وقيل أبو سلمة بن عبد الاسود المخزومى وقال ابن عباس أبو جهل بن
هشام ومن يأتى آمنا يوم القيامة أبو بكر الصديق وعن بشير بن تميم قال نزلت فى أبى
جهل وعمار بن ياسر وعن عكرمة مثله وكان الظاهر أن يقال أم من يدخل الجنة وعدل
عنه للتصريح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم قاله الكرخى وترسم أم مفصولة من من اتباعا
للمصحف الامام (اعملوا) هذا أمر تهديد أى اعملوا من أعمالكم التى تلقيكم فى النار
(ماشئتم) فهو مجازيكم على كل ماتعملون قال الزجاج لفظه لفظ الامر ومعناه الوعيد
وقال ابن عباس هذا لأهل بدر خاصة (انه بما تعملون بصير) لاتخفى عليه منه خافية
فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وخبر
ان محذوف أى ان الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم أوهالكون أو يعذبون
وقيل هو قوله ينادون من مكان بعيد وهذا بعيد وان رجحه أبو عمرو بن العلاء وذكر السمين
فى خبر ان أعاريب ووجوها لانطول بذكرها (وانه) أى القرآن الذى كانوا يلحدون فيه
(لكتاب عزيز) عن ان يعارض أو يطعن فيه الطاعنون منيع عن كل عيب محمى بحماية
الله وقيل عديم نظيره وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه أى
ممتنع عن قبول الابطال والتحريف ثم وصفه بأنه حق لاسبيل للباطل اليه بوجه من
الوجوه فقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال الزجاج معناه انه محفوظ من
أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه وبه قال
قتادة والسدى ومعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب
من الكتب التى قبله ولا يجئ من بعده كتاب فيبطله وبه قال الكلبى وسعيد بن جبير وقيل
الباطل هو الشيطان أى لايستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه وقيل لايزاد فيه ولا
ينقص منه لامن جبريل ولامن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لا يأتيه التبديل
والتناقض بوجه من الوجوه وقيل لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما
تأخر وقيل ان الباطل لايتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه

والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع والعموم أولى (تنزيل من حكيم حميد) خبر مبتدا محذوف أو صفة أخرى لكتاب ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يتأثر له من أذية الكفار فقال (ما يقال لك) من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون (الا) مثل (ما قد قيل للرسل من قبلك) فان قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء وقيل المعنى ما يقال لك من التوحيد واخلاص العبادة لله الا ما قد قيل للرسل من قبلك فان الشرائع كلها متفقة على ذلك وقيل هو استفهام أى أى شئ يقال لك (ان ربك لذو مغفرة) لمن يستحق مغفرته من الموحدين الذين تابعوك وتابعوا من قبلك من الانبياء (وذو عقاب أليم) للكفار المكذبين المعادين لرسل الله وقيل لذو مغفرة للانبياء وذو عقاب لاعدائهم (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) أى لو جعلنا هذا القرآن الذى تقرؤه على الناس بغير لغة العرب ولا حجة فيه لابى حنيفة رحمه الله فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية كما زعمه النسفى وغيره لان التركيب خارج مخرج الفرض والتقدير دون الوقوع والتحقيق (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم لغة العجم والاستفهام فى قوله (أأعجمى وعربى) للانكار وهو من جملة قول المشركين أى لقالوا كلام أعجمى ورسول عربى والاعجمى الذى لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازى فى لوامحه هى كياء كرسى وبختى وفرق بينهما الشيخ والاعجم ضد الفصيح وهو الذى لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق أعجم وقيل المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب قال ابن عباس يقول لو جعلنا القرآن أعجميا ولسانك يا محمد عربى لقالوا أأعجمى وعربى تأتينا به مختلفا أو مختلطا هلا بينت آياته فكان القرآن مثل اللسان يقول فلم نفعل لئلا يقولوا فكانت حجة عليهم قرأ أبو بكر وحمزة والكسائى أأعجمى بهمزتين محققتين وقرئ بهمزة واحدة وقرئ بتسهيل الثانية بين بين ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيبهم فقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أى يهتدون به الى الحق ويستشفون به من كل شك وشبهة ومن الاسقام والآلام قال الشهاب ردّ عليهم بأنه هاد لهم شاف لما فى صدورهم كاف فى دفع الشبهة فلذا ورد بلسانهم معجزا مبينا فى نفسه مبينا لغيره (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) أى صمم عن سماعه وفهم معانيه

ولهذا

قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال النعمان بن بشير رضى الله عنه يعنى بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم وقال سفيان الثورى عن سماك عن النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال اخوانهم وقال شريك عن سماك عن النعمان قال سمعت عمر يقول احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أشباههم قال يجىء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف عنه الاول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أى من الاصنام والانداد تحشر معهم فى أماكنهم وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم أى ارشدوهم الى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون أى قفوهم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعنى احبسوهم انهم محاسبون وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا النفيلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشير عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى شئ كان موقوفا معه الى يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون ورواه الترمذى من حديث ليث ابن أبى سليم ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضى الله عنه مرفوعا وقال عبد الله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ مالكم لا تناصرون أى كما زعمتم انكم جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون أى منقادون لامر الله تعالى لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل

بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين)
يذكر تعالى ان الكفار يتلاومون فى عرصات القيامة كما يتخاصمون فى دركات النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم
تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله
ونجعل له أندادا وأسروا الندامة
لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال
فى أعناق الذين كفروا هل يجزون
الا ما كانوا يعملون وهكذا قالوا
لهم ههنا انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين قال الضحاك عن ابن عباس
يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة
منكم علينا لانا كنا أذلاء وكنتم أعزاء
وقال مجاهد يعنى عن الحق
والكفار تقوله للشياطين وقال
قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم
تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير
فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه وقال
السدى تأتوننا من قبل الحق وتزينوا
لنا الباطل وتصدوننا عن الحق
وقال الحسن فى قوله تعالى انكم
كنتم تأتوننا عن اليمين أى والله
يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه
وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا
و بين الخير ورددتمونا عن الاسلام
والايمان والعمل بالخير الذى امرنا
به وقال يزيد الرشك من قبل لا اله
الا الله وقال خصيف يعنون من
قبل ميامنهم وقال عكرمة انكم
كنتم تأتوننا عن اليمين قال من حيث نأمنكم وقوله تعالى قالوا بل لم تكونوا مؤمنين تقول القادة من الجن والانس للاتباع
ما الامر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر والعصيان وما كان لنا عليكم من سلطان اى من حجة على صحة
ما دعوناكم اليه بل كنتم قوما طاغين أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذى جاءتكم به الانبياء
وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤكم به فخالفتموهم فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين يقول الكبراء
للمستضعفين حقت علينا كلمة الله انا من الاشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة فأغويناكم أى دعوناكم الى الضلالة انا كنا غاوين

ولهذا تواصوا باللغو فيه والموصول مبتدأ خبره فى آذانهم وقر أو الموصول الثانى عطف
على الأول ووقر عطف على هدى عند من جوز العطف على معمولى عاملين مختلفين
والتقدير هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (وهو عليهم عمى) وذلك
لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات قال قتادة عموا عن القرآن وصموا
عنه وقال السدى عميت قلوبهم عنه والمعنى وهم عليه ذو عمى ووصف بالمصدر للمبالغة
وقيل المعنى والوقر عليهم عمى أى ظلمة وشبهة قرأ الجمهور عمى بفتح الميم منونة على انه مصدر
وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاص وابن عمر بكسر الميم منونة على انه
اسم منقوص على انه وصف به مجازا وقرئ بكسر الميم وفتح الياء على انه فعل ماض واختار
أبو عبيدة القراءة الاولى (أولئك) أى الذين لا يؤمنون (ينادون من مكان بعيد) مثل
حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادى من مسافة بعيدة لا يسمع من يناديه منها
قال الفراء تقول للرجل الذى لا يفهم كلامك أنت تنادى من مكان بعيد ففيه استعارة
تمثيلية وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد وقال مجاهد من
مكان بعيد من قلوبهم (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف يتضمن
تسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يحصل له من الاغتمام بكفر قومه
وطعنهم فى القرآن فأخبره ان هذه عادة قديمة فى أمم الرسل غير مختصة بقومك فانهم
يختلفون فى الكتب المنزلة اليهم والمراد بالكتاب التوراة وضمير فيه راجع اليه وقيل يرجع
الى موسى والاول أولى يعنى قال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك
فى كتابك فصدق به ومكذب (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عن المكذبين
بالقرآن من أمتك وامهالهم كما فى قوله ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (لقضى بينهم)
بتعجيل العذاب لمن كذب منهم قال قتادة أى سبق لهم من الله حين وأجل هم بالغوه (وانهم
لفى شك منه مريب) أى من كتابك المنزل عليك وهو القرآن ومعنى الشك المريب الموقع
فى الريبة والشديد الريبة وقيل ان المراد اليهود وأنهم فى شك من التوراة مريب والاول
أولى (من عمل صالحا فلنفسه) أى من أطاع الله وآمن برسله ولم يكذبهم فثواب ذلك
راجع اليه ونفعه خاص به (ومن أساء فعليها) أى عقاب اساءته عليه لا على غيره (وما ربك
بظلام للعبيد) فلا يعذب أحدا الا بذنبه ولا يقع منه الظلم لأحد كما فى قوله سبحانه ان الله

أى فدعوناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال الله تبارك وتعالى فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون أى الجميع فى النار كل بحسبه
انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا أى فى الدار الدنيا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون أى يستكبرون ان يقولوها كما يقولها
المؤمنون قال ابن أبى حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا الليث عن ابن مسافر يعنى عبد الرحمن بن خالد عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا

الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عزوجل

وأنزل الله تعالى فى كتابه وذكر قوما
استكبروا فقال تعالى انهم كانوا اذا
قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا أبى
حدثنا أبو سلمة موسى بن اسمعيل
حدثنا حماد عن سعيد الجريرى
عن أبى العلاء قال يؤتى باليهود يوم
القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون
فيقولون الله وعزيرا فيقال لهم
خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى
فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون
نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا
ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين
فيقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون
ثم يقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون
ثم يقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون
فيقال لهم خذوا ذات الشمال
قال أبو نضرة فينطلقون أسرع
من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى
بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون
فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال
لهم هل تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون
نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم
تروه فيقولون نعلم انه لاعدل له
قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى
وتقدس وينجى الله المؤمنين

ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون أى أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا يعنى
الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم بل جاء بالحق يعنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب وصدق المرسلين أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات
الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الآية
(انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون

لا يظلم الناس شيأ وظلام صيغة نسب كتمار وبقال وخباز لا صيغة مبالغة وهذا التقرير
أحسن من غيره وقال الكرخى ليس بذى ظلم أشار به الى ان ظلام ليس على بابه وقد تقدم
الكلام على معنى هذه الآية فى سورة آل عمران عند قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وفى
سورة الانفال أيضا ثم أخبر سبحانه ان علم القيامة ووقت قيامها لا يعلمه غيره فقال (اليه
يرد علم الساعة) أى علم سؤال الساعة أى السؤال عنها أى علم جواب هذا السؤال فاذا
وقع السؤال عنها وجب على المسؤل ان يرد علمها اليه لا الى غيره وأخذ الحصر من تقديم
المعمول وقد روى ان المشركين قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت هذه
الآية (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) ما نافية ومن الاولى للاستغراق والثانية لابتداء
الغاية وقيل ما موصولة فى محل جر عطفا على الساعة أى علم الساعة وعلم التى تخرج
والاول أولى والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة ويطلق على كل ظرف لمال أو
غيره قال أبو عبيدة أكمامها أوعيتها وهى ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال الراغب
الكم ما يغطى اليد من القميص وما يغطى الثمرة وجمعه أكمام وهذا يدل على ان الكم بضم
الكاف لانه جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف فى كم القميص انه بالضم
ويمكن أن يقال ان فى الكم الذى هو وعاء الثمر لغتين قرأ الجمهور من ثمرة بالافراد على ارادة
الجنس وقرئ بالجمع للاختلاف فى أنواع الثمار قال قتادة من أكمامها حين تطلع (وما
تحمل من أنثى) حملا فى بطنها (ولا تضع) ذلك الحمل (الا بعلمه) أى علم الله سبحانه والاستثناء
مفرغ من أعم الاحوال أى ما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع
فى حال من الاحوال ملابسا لشئ من الاشياء الا كائنا بعلم الله فاليه يرد علم الساعة كما يرد
اليه علم هذه الامور الحادثة وفيه دليل على ان أصحاب الكشف والكهان وأهل النجوم
لا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف أو وهم خفيف
قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم)
أى ينادى الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة فيقول لهم (أين شركائى) الذين كنتم
تزعمون انهم شركائى فى الدنيا من الاصنام وغيرها فادعوهم الآن فليشفعوا لكم
أو يدفعوا عنكم العذاب وهذا على طريقة التهكم بهم والتقريع لهم وأضافهم الى
نفسه على زعمهم الباطل والعامل فى يوم محذوف أى اذكر (قالوا) أى يقولون فالماضى

في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولاهم عنها ينزفون وعندهم
قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) يقول تعالى مخاطبا للناس انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الاما كنتم
تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال
عزوجل لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة الا أصحاب اليمين
ولهذا قال جل وعلا ههنا الا عباد
الله المخلصين أي ليسوا يذوقون
العذاب الاليم ولا يناقشون في
الحساب بل يتجاوز عن سيآتهم
ان كان لهم سيآت ويجزون
الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة
ضعف الى أضعاف كثيرة الى
ما يشاء الله تعالى من التضعيف
وقوله جل وعلا أولئك لهم رزق
معلوم قال قتادة والسدي يعني
الجنة ثم فسره بقوله تعالى فواكه
أي متنوعة وهم مكرمون أي
يخدمون ويرفهون وينعمون
في جنات النعيم على سرر متقابلين
قال مجاهد لا ينظر بعضهم الى قفا
بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا
يحيى بن عبدك القزويني حدثنا
حسان بن حسان حدثنا ابراهيم بن
بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا
ابراهيم القرشي عن سعيد بن
شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي
الله عنه قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية
على سرر متقابلين ينظر بعضهم
الى بعض حديث غريب وقوله
تعالى يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولاهم عنها ينزفون كما قال

عزوجل في الآية الاخرى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون نزه الله
سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى
ههنا يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم خمر جارية
بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردىء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة الى غير ذلك مما

بمعنى المضارع (آذناك) أي أعلمناك قاله ابن عباس يقال آذن يؤذن اذا أعلم أي أعلمناك
وقيل أخبرناك قال النسفي وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال
انما الاخبار للعالم بالشيء يتحقق بما علم به الان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا
لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه انتهى (ما منا من
شهيد) يشهد بأن لك شريكا وذلك انهم لما عاينوا القيامة تبرؤا من الشركاء وتبرأت منهم
تلك الاصنام التي كانوا يعبدونها وقيل ان القائل بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها
أي ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين والاول أولى (وضل عنهم) أي غاب وزال
وبطل في الآخرة (ما كانوا يدعون من قبل) في الدنيا من الاصنام ونحوها (وظنوا ما لهم
من محيص) أي أيقنوا وعلموا انه لا مهرب لهم من العذاب يقال حاص يحيص حيصا اذا
هرب وقيل الظن على معناه الحقيقي لانه بقي لهم في تلك الحال ظن ورجاء والاول أولى ثم
ذكر سبحانه بعض أحوال الانسان فقال (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أي لا يمل من
دعاء الخير لنفسه وجلبه اليه ولا يزال يسأل ربه المال والخير هنا المال والصحة والسلطان
والرفعة قال السدي والانسان هنا يراد به الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والاولى حمل الآية على العموم باعتبار الغالب فلا
ينافيه خروج خلص العباد وقرأ ابن مسعود من دعاء المال (وان مسه الشر) أي البلاء
والشدة والفقر والمرض (فيؤس) من روح الله (قنوط) من رحمته واليأس من صفة القلب
وهو قطع الرجاء والقنوط اظهار آثاره على ظاهر البدن وصنيع المحلي يقتضي ترادفهما
وبه قال بعضهم فالجمع بينهما للتأكيد وقيل يؤس من اجابة دعائه قنوط بسوء الظن بربه
وقيل يؤس من زوال ما به من المكروه قنوط بما يحصل له من ظن دوامه وهما صيغتا مبالغة
تدلان على انه شديد اليأس عظيم القنوط وبولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول كما
أشرنا ومن طريق التكرير مع ما في القنوط من ظهور أثر اليأس لان القنوط ان يظهر
عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة
الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن) لام قسم
(أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) أي ولئن آتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد شدة
ومرض وفقر (ليقولن) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم

مسده (هذا لى) أى هذا شئ أستحقه على الله لرضاه بعملى فظن ان تلك النعمة التى صار فيها وصلت اليه باستحقاقه لها ولم يعلم ان الله يبتلى عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد والصابر من الجزع قال مجاهد معناه هذا بعملى وأنا محقوق به أو هذا لى دائما لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تقوم كما يخبر بها الانبياء أو لست على يقين من البعث وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالانسان المذكور فى صدر الآية الجنس باعتبار غالب أفراده لان اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره والشك فى البعث لا يكون الا من الكافرين أو المتزلزلين فى الدين المتظهرين بالاسلام المبطنين للكفر (ولئن) لام قسم (رجعت الى ربى) على تقدير صدق ما يخبر به الانبياء من قيام الساعة وحصول البعث والنشور (ان لى عنده للحسنى) جواب القسم لسبقه الشرط اى للحالة الحسنى من النعمة والكرامة فظن انه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير واستحق خير الآخرة بذلك الذى اعتقده فى نفسه وأثبته لها وهو اعتقاد باطل وظن فاسد وقد تضمن الكلام مبالغات حيث أكد بالقسم وان وتقديم الظرفين والعدول الى صيغة التفضيل اذ الحسنى تأنيث الاحسن (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى لنخبرنهم به يوم القيامة وهذا جواب لقول الكافر ولئن رجعت الى آخره أى ليس الامر كما يزعم وانما له العقاب الشديد كما قال (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) بسبب ذنوبهم واللام هذه والتى قبلها هى الموطئة للقسم (واذا أنعمنا على الانسان) أى على هذا الجنس من حيث هو باعتبار غالب أفراده (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) أى ترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر وثنى عطفه متبخترا كناية عن الاعراض وقيل انحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب هنا مجاز عن النفس ونأى بمعنى بعد يقال نأيت وتناءيت أى بعدت وتباعدت والمنتأى الموضع البعيد وقرئ ناء بالالف قبل الهمزة (واذا مسه الشر) أى البلاء والجهد والفقر والمرض (فذو) أى فهو ذو (دعاء عريض) أى كثير والعرب تستعمل العرض والطول فى الكثرة مجازا يقال أطال فلان فى الكلام وأعرض فى الدعاء اذا أكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته فان العريض يكون ذا أجزاء كثيرة والاستعارة تخييلية شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد ثم أثبت له العرض قاله الكرخى
والطول

ينفر الطبع السليم وقوله عزوجل لذة للشاربين أى طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا فى جميع ذلك وقوله تعالى لا فيها غول يعنى لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما يفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدى لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر

فما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالاول الاول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح قول مجاهد انه وجع البطن وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى والسدى وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر فى سورة الصافات وقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف أى عفيفات لا ينظرن الى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدى وغيرهم وقوله تبارك وتعالى عين أى حسان الاعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع الى الاول وهى النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا فى يوسف عليه الصلاة والسلام حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمنه وأكبرنه وظنن انه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى هو مع هذا الجمال عفيف تقى نقى وهكذا الحور العين خيرات حسان ولهذا قال عزوجل وعندهم قاصرات الطرف عين وقوله جل جلاله كأنهن بيض مكنون وصفهن بترافة الابدان بأحسن الالوان قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما كأنهن بيض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون وينشد ههنا بيت أبى دهبل الشاعر وهو قوله فى قصيدة له

وهى زهراء مثل لؤلؤة الـ * غواص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن كأنهن بيض مكنون يعني محصون لم تمسه الايدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير كأنهن بيض مكنون يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحا الذي يكون بين قشرة العلياء ولباب البيضة وقال السدي كأنهن بيض مكنون يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها الايدي بخلاف داخلها والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن (٢٥١) الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل حور عين قال العين ضخام العيون شفر الحوراء مثل جناح النسر قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الفرقي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن جندب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا حزنوا وانا شفيعهم اذا حبسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر يطوف علي ألف خادم كأنهن البيض المكنون أو اللؤلؤ المكنون والله تعالى أعلم بالصواب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) يخبر تعالى عن أهل الجنة انه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيؤن بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قائل منهم اني كان لي قرين قال مجاهد يعني شيطانا وقال العوفي عن ابن عباس رضي

والطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله أفاده أبو السعود والمعنى انه اذا مسه الشر تضرع الى الله واستغاث به ان يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك فذكره في الشدة ونسيه في الرخاء واستغاث به عند نزول النقمة وتركه عند حصول النعمة وهذا صنيع الكافرين ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين قال الشهاب فان قلت كونه يدعو دعاء طويلا عريضا ينافي وصفه قبل هذا بأنه يؤس قنوط لان الدعاء فرع الطمع والرجاء وقد اعتبر في القنوط ظهور أثر اليأس فظهور ما يدل على الرجاء يأباه قلت يمكن دفع المنافاة بحمله على عدم اتحاد الاوقات والاحوال انتهى أو لعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الاوقات ذكره أبو السعود ثم رجع سبحانه الى مخاطبة الكفار ومحاجتهم فقال (قل أرأيتم) أي أخبروني عن حالتكم العجيبة واستعمال أرأيتم بمعنى الاخبار مجاز ووجه المجاز أنه لما كان العلم بالشئ سببا للاخبار عنه أو الابصار به طريقا الى الاحاطة به علما والى صحة الاخبار عنه استعملت الصيغة التي لطلب العلم أو لطلب الابصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب ففيه مجازان استعمال رأى التي بمعنى علم أو أبصر في الاخبار واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الاخبار قاله الشهاب (ان كان) القرآن (من عند الله) كما قلت (ثم كفرتم به) أي كذبتم به ولم تقبلوه ولا عملتم بما فيه (من أضل ممن هو في شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاوتكم وشدة عداوتكم والاصل أي شئ أضل منكم فوضع من هو في شقاق موضع الضمير لبيان حالهم في المشاقة وانها السبب الاعظم في ضلالهم (سنريهم آياتنا) أي دلالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله (في الآفاق) جمع أفق بضم الهمزة والفاء كذا قال أهل اللغة كأعناق وعنق وهو الناحية ونقل الراغب انه يقال أفق بفتحهما كجبل وأجبال والمعنى سنريهم آياتنا في النواحي على ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وقال القرطبي أي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق يعني خراب منازل الأمم الماضية وربوع القرون الخالية (وفي أنفسهم) قال ابن زيد في الآفاق آيات السماء

الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الايمان فى الدنيا ولا تنافى بين كلام مجاهد وابن عباس رضى الله عنهما فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس فى النفس و يكون من الانس فيقول كلاما تسمعه الاذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكل منهما يوسوس كما قال الله عزوجل من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ولهذا قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أى أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعنى يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال مجاهد والسدى لمحاسبون وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد ابن كعب القرظى لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى هل أنتم مطلعون أى مشرفون يقول المؤمن لاصحابه وجلسائه من أهل الجنة فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وخليد العصرى وقتادة والسدى وعطاء الخراسانى يعنى فى وسط الجحيم وقال الحسن البصرى فى وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد وقال قتادة ذكر لنا انه اطلع فرأى جماجم القوم تغلى وذكر لنا ان كعب الاحبار قال فى الجنة كوى اذا أراد أحد من أهلها ان ينظر الى عدوه فى النار اطلع فيها فازداد شكرا قال تالله ان كدت لتردين يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله ان كدت لتهلكنى لو أطعتك ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أى ولولا فضل الله على لكنت مثلك فى سواء الجحيم حيث أنت محضر معك فى العذاب ولكنه تفضل على ورحمنى فهدانى للايمان وأرشدنى الى توحيده وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقوله تعالى أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد فى الجنة والاقامة فى دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عزوجل ان هذا لهو الفوز العظيم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تبارك وتعالى لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله عزوجل هنيأ أى لا يموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا

وفى أنفسهم حوادث الارض وقال مجاهد فى الآفاق فتح القرى التى يسر الله فتحها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفى ناحية المغرب خصوصا من الفتوح التى لم يتيسر مثلها لاحد من خلفاء الارض قبلهم أو من الظهور على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة عن المعهود خارقة للعادات وفى أنفسهم فتح مكة ورجح هذا ابن جرير واختاره المنهال بن عمرو والسدى وقال قتادة والضحاك فى الآفاق وقائع الله فى الامم وفى أنفسهم فى يوم بدر وقال عطاء فى الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى فى سبيلى الغائط والبول فان الرجل يأكل و يشرب من مكان واحد و يتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى فى عينيه اللتين ينظر بهما من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة عام وفى أذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه فان قيل قوله سنريهم الخ يقتضى انه الى الآن ما أطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك مع ان الآيات المذكورة قد اطلعوا عليها وهى منهم نصب العين والجواب ان المراد على هذا سنريهم أسرار آياتنا الخ فالآيات وان اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليه قاله الكرخى وعن ابن جريج فى الآية قال أمسك المطر عن الارض كلها وفى أنفسهم قال البلايا التى تكون فى أجسامهم وقال ابن عباس كانوا يسافرون فيرون آثار عاد وثمود فيقولون والله لقد صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أراهم فى أنفسهم قال الامراض وقيل فى كونهم نطفا الى غير ذلك من انتقال أحوالهم كما تقدم فى سورة المؤمنين بيانه (حتى يتبين لهم أنه الحق) الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الاسلام الذى جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الى ما يريهم الله و يفعل من ذلك وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه الرسول الحق من عند الله والاول أولى وقد حرف الوجودية هذه الآية الكريمة بحملها على اتحاد الخلق والخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) الجملة مستأنفة لتوبيخهم وتقريعهم على ترددهم فى شأن

القرآن

الاولى وما نحن بمعذبين وقال الحسن البصرى علموا ان كل نعيم فان الموت يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا ان هذا لهو الفوز العظيم وقوله جل جلاله لمثل هذا فليعمل العاملون قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون فى الدنيا ليصيروا اليه فى الآخرة وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين فى بنى اسرائيل تدخل فى ضمن عموم هذه الآية الكريمة قال أبو جعفر ابن جرير حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن (٢٥٣) ثعلبة النهرانى فى قوله انى كان لى قرين قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذى له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أرانى الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم ان صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وانى أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ماشاء الله تعالى ان يمكث ثم انه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال انى تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبى تزوج امرأة بألف دينار وانى أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ثم انه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفى دينار ثم دعاه فأراه فقال انى ابتعت هذين البستانين بألفى دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبى قد اشترى بستانين بألفى دينار وأنا أسألك بستانين فى الجنة فتصدق بألفى دينار ثم ان الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فادخله دارا تعجبه واذا بامرأة تطلع يضىء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيأ الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فانه كان لى صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه فى الجحيم قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين الآيات قال ابن جرير وهذا يقوى قراءة من قرأ أئنك لمن المصدقين بالتشديد وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن

القرآن وعنادهم المحوج الى ايراد الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والمعنى أولم يغنهم ولم يكفهم عن الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن انه سبحانه شهيد على جميع الاشياء وقيل المعنى أولم يكف بربك يا محمد انه شاهد على أعمال الكفار والباء زائدة وهذا هو الراجح وقيل أولم يكف بربك شاهدا على أن القرآن منزل من عنده والشهيد بمعنى العالم أو هو بمعنى الشهادة التى هى الحضور قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله عز وجل قد بين لهم ما فيه كفاية فى الدلالة والمعنى أولم يكف ربك انه على كل شئ شهيد شاهد للاشياء لا يغيب عنه شئ ما (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك من البعث والحساب والثواب والعقاب (الا انه) تعالى (بكل شئ محيط) أحاط علمه بجميع المعلومات وأحاطت قدرته بجميع المقدورات يقال أحاط يحيط احاطة وحيطة وفى هذا وعيد شديد لان من أحاط بكل شئ لا يخفى عليه شئ جازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته

(سورة الشورى وتسمى سورة حم عسق وسورة شورى من غير ألف ولام وسورة حم سق (١) وهى ثلاث وخمسون آية)

وهى مكية كلها قاله ابن عباس وابن الزبير وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وروى عن ابن عباس وقتادة انها مكية الا أربع آيات منها نزلت بالمدينة قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى الى آخرها وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ونعيم بن حماد والخطيب عن ارطاة بن المنذر حديثا طويلا فى تفسير حم عسق وهو حديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه الا من الموضوعات المكذوبات والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول والحط من شأنهم والازراء عليهم وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر عن أبى معاوية قال السيوطى بسند ضعيف وقلت بل بسند موضوع ومتن مكذوب وقد قال ابن كثير فى الحديث الاول انه غريب عجيب منكر وفى الثانى انه أغرب من الاول وعندى انهما موضوعان مكذوبان

(بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق) قد تقدم الكلام فى امثال هذه الفواتح قال عبد المؤمن سألت الحسن (٢) بن الفضل لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها بين سور أولها حم فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانهما

---

(١) قوله حم سق كذا بالاصل وانظر وحرر (٢) وفى نسخة حسين بن الفضل اه منه

عدتا آيتين وعدت اخواتهما مثل كهيعص والمر والمص آية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها فى المعنى واحد من حيث انها أس البيان وقاعدة الكلام ذكره الجرجانى وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى لاغير واختلفوا فى حم فقيل معناها حم أى قضى ماهو كائن ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل و بين مالا يقدر وقيل ان ح حلمه وم مجده وع علمه وس سناؤه و ق قدرته أقسم الله بها وقيل هما اسمان للسورة وقيل اسم واحد لها وقيل غير ذلك مما هو متكلف ومتعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة وقد ذكرنا قبل هذا ماروى فى ذلك مما لا اصل له والحق ماقدمناه لك فى فاتحة سورة البقرة (كذلك) كلام مستأنف غير متعلق بما قبله أى مثل ذلك الايحاء الذى أوحى الى سائر الرسل من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والبعث وهذا هو وجه المشابهة (يوحى اليك) يا محمد فى هذه السورة وقيل ان حم عسق أوحيت الى من قبلك من الانبياء فتكون الاشارة بقوله كذلك اليها والاول اولى (والى الذين من قبلك) اى الى الرسل (الله) كأنه قيل من يوحى فقال الله (العزيز) فى ملكه الغالب بقهره (الحكيم) بصنعه المصيب فى قوله وفعله (له مافى السموات ومافى الارض) ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملك جميع مافيهما لدلالته على كمال قدرته ونفوذ تصرفه فى جميع مخلوقاته (وهو العلى) ذاته وشأنه على خلقه (العظيم) الكبير مكانه و برهانه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) قرأ الجمهور تكاد بالفوقية وكذلك تتفطرن قرؤه بالفوقية مع تشديد الطاء وقرأ نافع والكسائى وابن وثاب يكاد يتفطرن بالتحتية فيهما وقرأ ابو عمرو والمفضل وأبو بكر وأبو عبيد ينفطرن بالنون من الانفطار كقوله تعالى اذا السماء انفطرت والتفطر التشقق قال الضحاك والسدى يتفطرن يتشققن من عظمة الله وجلاله وقيل المعنى يكاد كل واحدة منها ينفطر فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقيل معنى من فوقهن من فوق الارضين والاول أولى وقيل يتشققن لكثرة ماعلى السموات من الملائكة وقيل يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته ويدل مجيئه بعد قوله العلى العظيم ومن لابتداء الغاية أى يبتدئ التفطر من جهة الفوق وقال الاخفش الصغير ان الضمير يعود الى جماعات الكفار أى من فوقهم وهو بعيد جدا ووجه تخصيص جهة الفوق انها أقرب الى الآيات العظيمة والمصنوعات الباهرة

عبد الرحمن الابار أخبرنا أبو حفص قال سألت اسمعيل السدى عن هذه الآية قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين قال فقال لى ماذكرك هذا قلت قرأته آنفا فأحببت أن أسألك عنه فقال أما فاحفظ كان شريكان فى بنى اسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار فمكثا ماشاء الله تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ماصنعت فى مالك أضربت به شيأ اتجرت به فى شئ فقال له المؤمن لا فما صنعت انت فقال اشتريت به ارضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار قال فقال له المؤمن اوفعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف اخذ الف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم ان فلانا يعنى شريكه الكافر اشترى أرضا ونخلا وثمارا وانهارا بألف دينار ثم يموت غدا و يتركها اللهم انى اشتريت منك بهذه الالف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا فى الجنة قال ثم أصبح فقسمها فى المساكين قال ثم مكثا ماشاء الله تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ماصنعت فى مالك أضربت به فى شئ اتجرت به فى شئ قال لا قال فما صنعت أنت قال كان ضيعتى قد اشتد على مؤنتها فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون لى فيها ويعملون لى فيها فقال له المؤمن أوفعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى ان يصلى فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم ان فلانا يعنى شريكه الكافر اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غدا فيتركهم أو يموتون فيتركونه اللهم وانى اشترى منك بهذه الالف الدينار رقيقا فى الجنة قال ثم أصبح فقسمها فى المساكين قال ثم مكثا ماشاء الله تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ماصنعت فى مالك آضربت به فى شئ اتجرت به فى شئ قال لا فما صنعت أنت قال كان امرى كله قد تم الا شيأ واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار فجاءتنى بها ومثلها معها فقال له المؤمن أوفعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى ان يصلى فلما انصرف أخذ الالف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم ان فلانا يعنى شريكه الكافر تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غدا فيتركها أو تموت غدا فتتركه اللهم وانى أخطب اليك بهذه الالف الدينار حوراء عيناء فى الجنة قال ثم أصبح فقسمها بين المساكين قال فبقى المؤمن ليس عنده شئ قال

فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته قال فجاءه رجل فقال يا عبد الله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تعلفها وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهرا بشهر يقوم على دوابه قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر الى دوابه فاذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعيرها هذه البارحة قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوما بيوم ويكسوني هذين الثوبين اذا بليا قال فانطلق يريده فانتهى الى بابه وهو ممس فاذا قصر مشيد في السماء واذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم اذا فعلتم سره ذلك فقالوا له انطلق ان كنت صادقا فنم في ناحية فاذا أصبحت فتعرض له قال فانطلق المؤمن فالقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك قال بلى قال أخبرني ما صنعت في مالك قال لا تسألني عنه قال فما جاء بك قال جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين اذا بليا قال لا ولكن أصنع لك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من قال المليء الوفي قال من قال الله ربي قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال السدي لمحاسبون قال فانطلق الكافر وتركه قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فاذا هو بأرض ونخل وثمار وانهار فيقول لمن هذا فيقال هذا لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي ان أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا فيقال هؤلاء لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي ان أثاب بمثل هذا قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا

الباهرة أو على طريق المبالغة كأن كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التحت أثرت في جهة الفوق فتأثيرها في جهة التحت بالاولى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) كلام مستأنف أي ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده وقيل ان التسبيح موضوع موضع التعجب أي يتعجبون من جرأة المشركين على الله وقيل المعنى يصلون بأمر ربهم قاله السدي (ويستغفرون) أي يشفعون (لمن في الارض) من عباد الله المؤمنين كما في قوله ويستغفرون للذين آمنوا أو يطلبون هدايتهم وقيل الاستغفار منهم بمعنى السعي فيما يستدعي المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وان كانوا داخلين فيها دخولا أوليا واليه ذهب البيضاوي بل ولو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع لعم الحيوان بل الجماد قال الضحاك لمن في الارض من المؤمنين وقال السدي بيانه في سورة المؤمنين ويستغفرون للذين آمنوا وعلى هذا يكون المراد بالملائكة هنا حملة العرش وقيل جميع الملائكة وهو الظاهر من قول الكلبي وقيل هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وقال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص بالمؤمنين وقال أبو الحسن بن الحصار ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين ولله ملائكة أخر يستغفرون لمن في الارض قال الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان أحدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل والثاني انه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي وهو الاظهر لان من في الارض يعم الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل الكافر وقال مطرف وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة لاهل طاعته وأوليائه أو لجميع عباده فان تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي أصناما يعبدونها وجعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) أي يحفظ أعمالهم لا يغيب عنه منها شيء ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم يوكلك بهم حتى تؤاخذهم ولا وكل اليك هدايتهم وانما عليك البلاغ قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف (وكذلك) الايحاء البديع المبين المفهم (أوحينا اليك) أي أنزلنا عليك (قرآنا عربيا) بلسان قومك لا لبس فيه عليك ولا على قومك كما أرسلنا كل

وعطاما أئنا لمدينون قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فبريه الله تعالى شريكه فى وسط الجحيم من بين أهل النار فاذا رآه المؤمن
عرفه فيقول تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا
لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون بمثل ما قدمنا عليه قال فيتذكر المؤمن ما مر عليه فى الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر
عليه فى الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل
الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم
ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) يقول الله تعالى أهذا الذى ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء أم شجرة الزقوم أى التى فى جهنم وقد يحتمل ان يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها الى جميع محال جهنم كما ان شجرة طوبى ما من دار فى الجنة الا وفيها منها غصن وقد يحتمل ان يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين يعنى الزيتونة ويؤيد ذلك قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم وقوله عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبئكم ان فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم غذيت من النار ومنها خلقت وقال مجاهد انا جعلناها فتنة للظالمين
قال أبو جهل لعنه الله انما الزقوم التمر والزبد أتزقمه قلت ومعنى الآية انما اخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا ولا
نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى
القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا وقوله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم أى أصل منبتها فى قرار النار طلعها كأنه
رؤس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة الى السماء وانما شبهها برؤس الشياطين
وان لم تكن معروفة عند المخاطبين لانه قد استقر فى النفوس ان الشياطين قبيحة المنظر وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رؤسها

رسول بلسان قومه (لتنذر أم القرى) أى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) من الناس
والمفعول الثانى محذوف أى لتنذرهم العذاب (وتنذر يوم الجمع) أى يوم الجمع وهو
يوم القيامة لانه مجمع الخلائق وقيل المراد جمع الارواح بالاجساد وقيل جمع الظالم والمظلوم
وقيل جمع العامل والعمل (لاريب فيه) أى لاشك فيه والجملة معترضة مقررة لما قبلها
أو حال من يوم الجمع (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) قرأ الجمهور برفع فريق فى الموضعين
اما على انه مبتدأ وخبره الجار المجرور وساغ الابتداء بالنكرة لان المقام مقام تفصيل أو على
ان الخبر مقدر قبله أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير أو انه خبر مبتدا محذوف
وهو ضمير عائد الى المجموعين المدلول عليهم بذكر الجمع أى هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير
وقرئ فريقا بالنصب فى الموضعين على الحال من جملة محذوفة أى افترقوا حال كونهم
كذلك وأجاز الفراء والكسائى النصب على تقدير لتنذر فريقا وقد أخرج الترمذى وصححه
وأحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا الا
أن تخبرنا يا رسول الله قال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة
وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذى فى
شماله هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على
آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر
قد فرغ منه فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى
عمل وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أى عمل قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير
قال الترمذى بعد اخراجه هذا حديث حسن صحيح غريب وروى ابن جرير طرفا منه عن
ابن عمرو موقوفا عليه قال ابن جرير وهذا الموقوف أشبه بالصواب قلت بل المرفوع أشبه
بالصواب فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوى الرفع ما أخرجه ابن
مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى يده كتاب ينظر
فيه قالوا انظروا اليه كيف وهو أمى لا يقرأ قال فعلمها (١) رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزاد فيهم

---

(١) اى المقالة وهى المذكورة فى ضمن قالوا اه منه

ولا ينقص منهم وقال فريق في الجنة وفريق في السعير فرغ ربكم من أعمال العباد (ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) قال الضحاك أهل دين واحد اما على هدى واما على ضلالة ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الازلية وهو معنى قوله (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي في الدين الحق وهو الاسلام (والظالمون) أي المشركون (مالهم من ولي) يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) ينصرهم في ذلك المقام ومثل هذا قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وهذا مقابل لقوله يدخل من يشاء في رحمته فكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء في غضبه لكن عدل عنه الى ما ذكر للمبالغة في الوعيد فان نفي من يتولاهم وينصرهم أدل على ان كونهم في العذاب أمر معلوم مفروغ منه أفاده الكرخي وقال الشوكاني رحمه الله وههنا مخاصمات بين المتمذهبين الحامين على ما درج عليه اسلافهم فذبوا عليه من بعدهم وليس بنا الى ذكر شيء من ذلك فائدة كما هو عادتنا في تفسيرنا هذا فهو تفسير سلفي يمشي مع الحق ويدور مع مدلولات النظم الشريف وانما يعرف ذلك من رسخ قدمه وتبرأ من التعصب قلبه ولحمه ودمه (أم اتخذوا من دونه أولياء) مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين وليا ونصيرا وأم هذه هي المنقطعة المقدرة ببل المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للانكار أي بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الاصنام يعبدونها (فالله هو الولي) أي هو الحقيق بان يتخذوه وليا فانه الخالق الرازق الضار النافع والفاء لمجرد العطف قاله الكرخي وغرضه بهذا الرد على الزمخشري في قوله انها جواب شرط مقدر أي ان ارادوا ان يتخذوا وليا في الحقيقة فالله هو الولي الحق قال ابو حيان لا حاجة الى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (وهو) اي ومن شأنه انه (يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) أي يقدر على كل مقدور فهو الحقيق بتخصيصه بالالوهية وافراده بالعبادة (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين فان حكمه ومرجعه الى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه وعند ذلك يظهر المحق من المبطل ويتميز فريق الجنة وفريق النار قال الكلبي وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى الله يقضي فيه وزاد البيضاوي أو أمر الدنيا ولم يذكر الدنيا في الكشاف

بشعة المنظر وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر وقد ذكرهما ابن جرير والاول أقوى وأولى والله أعلم وقوله تعالى فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ذكر تعالى انهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ماهي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فانهم ليضطرون الى الاكل منها لانهم لايجدون الا اياها وماهو في معناها كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لايسمن ولا يغني من جوع وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول (٢٥٧) الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم وقال في رواية عنه شوبا من حميم مزجا من حميم وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي حدثنا بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو أخبرني عبيد بن بشير عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول يقرب يعني الى أهل النار ماء فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو ابن رافع حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر وهرون بن عنبرة عن

سعيد بن جبير قال اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ويصهر ما في بطونهم فيمشون أمعاءهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور وقوله عز وجل ثم ان مرجعهم لالى الجحيم أي ثم ان مردهم بعد هذا الفصل لالى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى يطوفون بينها وبين حميم

آن هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى وقال السدى فى قراءة عبد الله رضى الله عنه ثم ان مقيلهم لالى
الجحيم وكان عبد الله رضى الله عنه يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى
النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وروى الثورى عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبد الله
رضى الله عنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء و يقيل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا وأحسن مقيلا ثم ان مقيلهم لالى (٢٥٨) الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة بخبر على خبر وقوله تعالى

انهم ألفوا آباءهم ضالين أى انما
جازيناهم بذلك لانهم وجدوا آباءهم
على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد
ذلك من غير دليل ولا برهان ولهذا
قال فهم على آثارهم يهرعون قال
مجاهد شبيه بالهرولة وقال سعيد بن
جبير يسفهون (ولقد ضل قبلهم
أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم
منذرين فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين الا عباد الله المخلصين)
يخبر تعالى عن الامم الماضين ان
أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله
آلهة أخرى وذكر تعالى انه أرسل
فيهم منذرين ينذرون بأس الله
ويحذرونهم سطوته ونقمته بمن
كفر به وعبد غيره وانهم تمادوا على
مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك
المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين
ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا
عباد الله المخلصين (ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من
الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم
الباقين وتركنا عليه فى الآخرين
سلام على نوح فى العالمين انا كذلك
نجزى المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) لما ذكر تعالى عن أكثر الاولين انهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين
ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقى من قومه من التكذيب وانه لم يؤمن منهم الا القليل مع طول المدة لبث فيهم
ألف سنة الا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه انى مغلوب فانتصر فغضب الله
تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال عز وجل ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون أى فلنعم المجيبون له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وهو
التكذيب والاذى وجعلنا ذريته هم الباقين قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول لم تبق الا ذرية نوح عليه

وذكره المحلى وقال من الدين وغيره والغير كالخصومات فى الدنيا والاول أولى اذ لا يلزم
ان تكون بينهم وبين الكفرة ولا يقال فى مثله التحاكم الى الله افاده الشهاب وقال مقاتل
ان أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم فنزلت هذه الآية والاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ويمكن ان يقال ان معنى حكمه الى الله انه مردود الى كتابه فانه
قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه فتكون الآية عامة فى كل
اختلاف يتعلق بأمر الدين انه مردود الى كتاب الله ومثله قوله وان تنازعتم فى شئ فردوه
الى الله والرسول وقد حكم سبحانه بان الدين هو الاسلام وان القرآن حق وان المؤمنين
فى الجنة والكافرين فى النار ولكن لما كان الكفار لا يذعنون لكون ذلك حقا الا فى
الدار الآخرة وعدهم الله بذلك يوم القيامة وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لان حكمه حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم) مبتدأ أى
الحاكم العظيم الشأن بهذا الحكم (الله) خبر أول (ربى) خبر ثان (عليه توكلت)
خبر ثالث أى اعتمدت عليه فى جميع أمورى لا على غيره وفوضته فى كل شئونى (واليه)
لا الى غيره (أنيب) أى ارجع فى كل شئ يعرض لى وهذا خبر رابع (فاطر السموات والارض)
الفاطر الخالق المبدع وقد تقدم تحقيقه وهذا خبر خامس أو مبتدأ وخبره ما بعده أو نعت
لربى لان الاضافة محضة ويكون عليه توكلت واليه أنيب معترضا بين الصفة والموصوف
وقرأ زيد بن على فاطر بالجر على انه نعت للاسم الشريف فى قوله الى الله وما بينهما اعتراض
أو بدل من الهاء فى عليه أو اليه وأجاز الكسائى النصب على النداء وأجازه غيره على المدح
(جعل لكم من أنفسكم أزواجا) خبر سادس أى خلق لكم من جنسكم نساء أو المراد
حوى لكونها خلقت من ضلع آدم وقال مجاهد نسلا بعد نسل (ومن الانعام أزواجا)
أى خلق لها من جنسها اناثا أو وخلق لكم من الانعام أصنافا من الذكور والاناث وهى
الثمانية التى ذكرها فى الانعام (يذرؤكم فيه) أى يبثكم من الذرء وهو البث أو يخلقكم
و ينشئكم والضمير فى يذرؤكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب عليه العقلاء قال
الزمخشرى وهى من الاحكام ذات العلتين قال الشيخ وهو اصطلاح غريب والمعنى ان
الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا وضمير فيه راجع الى الجعل المدلول عليه بالفعل أو
للمخلوق وقيل راجع الى ما ذكر من التدبير وقال الفراء والزجاج وابن كيسان معنى

يذرؤكم

السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو الحافظ (٢٥٩) أبو عمر بن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله والمراد بالروم ههنا هم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث اسمعيل ابن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم وقوله تبارك وتعالى وتركنا عليه في الآخرين قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير وقال مجاهد يعني لسان صدق للانبياء كلهم وقال قتادة والسدي أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين قال الضحاك السلام والثناء الحسن وقوله تعالى سلام على نوح في العالمين مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن انه يسلم عليه في جميع الطوائف والامم انا كذلك نجزي المحسنين أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى انه من عبادنا المؤمنين أي المصدقين الموحدين الموقنين ثم أغرقنا الآخرين أي أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ولا يعرفون الا بهذه الصفة القبيحة (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وان من شيعته لابراهيم يقول من أهل دينه وقال مجاهد على منهاجه وسنته اذ جاء ربه بقلب سليم قال ابن عباس رضي الله عنهما

يذرؤكم فيه يكثركم به أي يكثركم بجعلكم أزواجا لان ذلك سبب النسل وقال ابن قتيبة يذرؤكم فيه أي في الزوج وقيل في البطن وقيل في الرحم (ليس كمثله شئ) خبر سابع والمراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى كقولهم مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود وقيل ان الكاف زائدة للتوكيد لانه تعالى لا مثل له وهو المشهور عند المعربين وقيل ان مثل زائدة قاله ثعلب وغيره كما في قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أي بما آمنتم به وهذا ليس بجيد بل الاول أولى فان الكناية باب مسلوك للعرب ومهيع مألوف لهم قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي وقيل المراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التي لغيره وهو محمل سهل قال الراغب المثل أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة وذلك ان الند يقال لما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكر فقال تعالى ليس كمثله شئ وقال أبو البقاء مرجحا لزيادة الكاف انها لو لم تكن زائدة لأفضى ذلك الى المحال اذ يكون المعنى ان له مثلا وليس لمثله مثل وفي ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله سبحانه محال وهذا تقرير حسن ولكنه يندفع ما أورده بما ذكرناه من كون الكلام خارجا مخرج الكناية ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة اذا تأمل معنى قوله (وهو السميع البصير) فان هذا الاثبات بعد ذلك النفي للماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فانك تحطم بها كثيرا من البدع وتهشم بها رؤسا من الضلالة وترغم بها آناف طوائف من القاصرين المتكلفين والمتكلمين المتأولين ولا سيما اذا ضممت اليه قول الله سبحانه ولا يحيطون به علما فانك حينئذ قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام وعلم أصول الدين

ودع عنك نهبا صيح في حجراته * ولكن حديث ما حديث الرواحل

يعنى شهاة ان لا اله الا الله وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم قال يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وقال الحسن سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا وقوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون انكر عليهم عبادة الاصنام والانداد ولهذا قال عز وجل أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعنى ما ظنكم انه فاعل بكم اذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين) انما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم فى البلد اذا ذهبوا الى عيدهم فانه كان قد أزف خروجهم الى عيد لهم فأحب ان يختلى بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق فى نفس الامر فهموا منه انه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين قال قتادة والعرب تقول لمن يفكر نظر فى النجوم يعنى قتادة انه نظر الى السماء متفكرا فيما يلهيهم به فقال انى سقيم أى ضعيف فأما الحديث الذى رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنى هشام عن محمد عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله فى سارة هى أختى فهو حديث مخرج فى الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا ولما وانما أطلق الكذب على هذا تجوزا وانما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء فى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التى قال ما منها كلمة الا ما حل بها عن دين الله تعالى فقال انى سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين أراد امرأته هى أختى قال سفيان فى قوله انى سقيم يعنى طعين وكانوا يفرون من

وهو السميع الخ خبر ثامن وقوله (له مقاليد السموات والارض) خبر تاسع جمع مقلاد أو مقليد أو اقليد وهو المفتاح جمع على خلاف القياس أى مفاتيحهما أو خزائنهما والمراد المطر والنبات وغيرهما كالجواهر المستخرجة من الارض قال النحاس والذى يملك المفاتيح يملك الخزائن وقد تقدم تحقيقه فى سورة الزمر ثم لما ذكر سبحانه ان بيده مقاليدهما ذكر بعده البسط والقبض فقال (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) خبر عاشر أى يوسعه لمن يشاء كالروم والفرس ويضيقه على من يشاء كالعرب (انه بكل شئ) من الاشياء (عليم) فلا تخفى عليه خافية وأحاطة علمه بكل شئ يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصى فهو يجازى كلا بما يستحقه من خير وشر (شرع لكم) أى بين واوضح وسن وأظهر طريقا واضحا وهو خبر حادى عشر (من الدين) أى دينا تطابقت على صحته الانبياء والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما وصى به نوحا) من التوحيد ودين الاسلام وأصول الشرائع التى لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب وانما خص نوحا لانه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا وقد ثبت فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال فى حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان آدم أول رسول نبئ بغير اشكال الا ان آدم لم يكن معه الا نبوة ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان شرعه تنبيها على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش وأخذا بوظائف الحياة والبقاء واستمر الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالانبياء عليهم السلام واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والذى أوحينا اليك) من القرآن وشرائع الاسلام والبراءة من الشرك والتعبير عنه عند نسبته الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالذى هو أصل الموصولات لتفخيم شأنه من تلك الحيثية وخص ما شرعه لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالايحاء مع كون ما قبله وما بعده مذكورا بالتوصية للتصريح برسالته القامع لانكار الكفرة وفيه التفات من الغيبة الى التكلم بنون العظمة لكمال الاعتناء بالايحاء اليه وهو السر فى تقدمه على ما بعده مع تقدمه

المطعون فأرادأن يخلوا بآلهتهم وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
فقالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال اني مطعون فتركوه مخافة الطاعون وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال
اني سقيم كابد نبي الله عن دينه فقال اني سقيم وقال آخرون فقال اني سقيم بالنسبة الى ما يستقبل يعني مرض الموت وقيل أراد اني
سقيم أي مريض القلب من عبادتكم الاوثان من دون الله تعالى وقال الحسن البصري خرج قوم ابراهيم الى عيدهم فأرادوه
الى الخروج فاضطجع على ظهره وقال اني سقيم وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل الى آلهتهم فكسرها
رواه ابن أبي حاتم ولهذا قال تعالى
فتولوا عنه مدبرين أي الى عيدهم
فراغ الى آلهتهم أي ذهب اليها بعد
ما خرجوا في سرعة واختفاء
فقال ألا تأكلون وذلك انهم كانوا
قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا
لتبرك لهم فيه قال السدي دخل
ابراهيم عليه السلام الى بيت
الآلهة فاذا هم في بهو عظيم واذا
مستقبل باب البهو صنم عظيم الى
جنبه أصغر منه بعضها الى جنب
بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى
بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا
طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة
وقالوا اذا كان حين نرجع وقد
بركت الآلهة في طعامنا أكلناه
فلما نظر ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الى ما بين أيديهم من
الطعام قال ألا تأكلون مالكم
لا تنطقون وقوله تعالى فراغ عليهم
ضربا باليمين قال الفراء معناه مال
عليهم ضربا باليمين وقال قتادة
والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين
وانما ضربهم باليمين لانها أشد
وأنكى ولهذا تركهم جذاذا الا
كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون كما
تقدم في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا فأقبلوا اليه يزفون قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون
وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الانبياء مبسوطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا
فعرفوا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي فعل ذلك فلما جاؤا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال أتعبدون ما تنحتون
أي أتعبدون من دون الله من الاصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم والله خلقكم وما تعملون يحتمل ان تكون ما مصدرية
فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم ويحتمل ان تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه وكلا القولين متلازم

عليه زمانا وتقديم توصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه
الخطاب اليه صلى الله عليه وآله وسلم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى
شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) مما
تطابقت عليه الشرائع وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء
وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولو العزم ولميل قلوب الكفرة اليهم لاتفاق
الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في موسى والنصارى في عيسى وكل من هؤلاء
المذكورين له شرع جديد ومن عداهم من الرسل انما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله
فشيث وادريس بعثا بتبليغ شرع آدم ومن بين نوح وابراهيم وهما هود وصالح بعثا
بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين
موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى فليتأمل ثم بين ما وصى به هؤلاء فقال (أن أقيموا
الدين) أي توحيد الله والايمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه والمراد باقامته تعديل
أركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له وقال السدي أي اعملوا به
وقيل المراد سائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم ترد به الشرائع فانها مختلفة قال تعالى
ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط الا وصاه باقامة الصلاة
وايتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقال قتادة يعني تحليل
الحلال وتحريم الحرام قال القرطبي الاصول التي لا تختلف فيها الشرائع هي التوحيد
والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد
وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق كيفما تصورت
والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدناآت وما يعود بخرم المروآت فهذا كله
مشروع دينا واحدا وملة واحدة لم تختلف على ألسنة الانبياء وان اختلفت اعدادهم
وذلك قوله تعالى ان أقيموا الدين الخ ثم لما أمرهم سبحانه باقامة الدين نهاهم عن الاختلاف
فيه فقال (ولا تتفرقوا فيه) أي لا تختلفوا في التوحيد والايمان بالله وطاعة رسله وقبول
شرائعه فان هذه الامور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الاديان فلا ينبغي
الخلاف في مثلها وليس هذا من فروع المسائل التي تختلف فيها الادلة وتتعارض فيها
الامارات وتتباين فيها الافهام فانها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف قال

والاول اظهر لما رواه البخارى فى كتاب افعال العباد عن على بن المدينى عن مروان بن معاوية عن أبى مالك عن ربعى بن حراش عن
حذيفة رضى الله عنه مرفوعا قال ان الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته وقرأ بعضهم والله خلقكم وما تعملون فعند ذلك لما قامت
عليهم الحجة عدلوا الى أخذه باليد والقهر فقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم وكان من أمرهم ما تقدم بيانه فى سورة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ونجاه الله من النار واظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين (وقال
انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى (٢٦٢) من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى
المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان
شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله
للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد
صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى
المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين
وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى
الآخرين سلام على ابراهيم كذلك
نجزى المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق
ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين) يقول تعالى مخبرا عن خليله
ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه
بعد ما نصره الله تعالى على قومه
وأيس من ايمانهم بعد ما شاهدوا
من الآيات العظيمة هاجر من بين
أظهرهم وقال انى ذاهب الى ربى
سيهدين رب هب لى من الصالحين
يعنى أولادا مطيعين يكونون عوضا
من قومه وعشيرته الذين فارقهم
قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم
وهذا الغلام هو اسمعيل عليه
السلام فانه أول ولد بشر به ابراهيم
عليه السلام وهو أكبر من اسحق
باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل
فى كتابهم ان اسمعيل عليه السلام ولد ولابراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد اسحق وعمر ابراهيم عليه الصلاة
والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم ان الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم ان يذبح ابنه وحيده وفى نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا
كذبا وبهتانا اسحق ولا يجوز هذا لانه مخالف لنص كتابهم وانما أقحموا اسحق لانه أبوهم واسمعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك
وحرفوا وحيدك بمعنى الذى ليس عندك غيره فان اسمعيل كان ذهب به وبأمه الى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فانه لا يقال
وحيدك الا لمن ليس له غيره وأيضا فان أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الاولاد فالامر بذبحه أبلغ فى الابتلاء والاختبار وقد ذهب

القرطبى فى الآية أى اجعلوه دائما قائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا
اضطراب فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه
واختلفت الشرائع وراء هذه فى أحكامه حسبما أراد الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت
الحكمة وضعه فى الازمنة على الامم والله أعلم قال قتادة فى الآية ألا تعلموا ان الفرقة
هلكة وأن الجماعة ثقة وقال على الجماعة رحمة والفرقة عذاب ثم ذكر سبحانه ان
ماشرعه من الدين شق على المشركين فقال (كبر) أى عظم وشق (على المشركين
ماتدعوهم اليه) من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة اشتد عليهم شهادة ان لا اله الا
الله وحده وضاق بها ابليس وجنوده فأبى الله الا أن ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها
على من ناواها والاولى التعميم لدلالة السياق ولا يمنعه تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى
ثم خص أولياءه فقال (الله يجتبى اليه) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم
من يجيب الى الدعوة والاجتباء الاختيار والمعنى يختار لتوحيده والدخول فى دينه
افتعال من الجباية وهى الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه اياه
بفيض الهى لتحصل له أنواع النعم بلا سعى منه (من يشاء) من عباده قال قتادة يخلص
لنفسه من يشاء (ويهدى اليه من ينيب) أى يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع
الى طاعته ويقبل الى عبادته ثم لما ذكر سبحانه ماشرعه لهم من اقامة الدين وعدم التفرق
فيه ذكر ما وقع من التفرق والاختلاف فقال (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم) أى
ماتفرقوا الا عن علم بان الفرقة ضلالة متوعد عليها أو العلم ببعث الرسول أو أسباب العلم
من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها وفعلوا ذلك التفرق قيل المراد قريش وهم
الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم بغيا منهم عليه وقد
كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير الآية
وبقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل المراد أمم الانبياء المتقدمين وانهم فيما بينهم
اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم وقيل اليهود والنصارى خاصة كما فى قوله
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة (بغيا بينهم) أى بغيا من بعضهم
على بعض طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور فى البيان والحجج ولكن للبغى والظلم
والاشتغال بالدنيا والجاه والحمية (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى تأخير العقوبة (الى

جماعة من أهل العلم الى أن الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا وليس
فى ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد
الى أنه اسمعيل فانه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ولما بشرت الملائكة
ابراهيم باسحق قالوا انا نبشرك بغلام عليم وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب أى يولد له فى حياتهما ولد
يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك

انه لا يجوز بعد هذا ان يؤمر بذبحه وهو
صغير لان الله تعالى قد وعدهما بأنه
سيعقب ويكون له نسل فكيف
يمكن بعد هذا ان يؤمر بذبحه صغيرا
واسمعيل وصف ههنا بالحليم لانه
مناسب لهذا المقام وقوله تعالى
فلما بلغ معه السعى أى كبر وترعرع
وصار يذهب مع أبيه ويمشى معه
وقد كان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام يذهب فى كل وقت يتفقد
ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر
فى أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب
على البراق سريعا الى هناك والله
أعلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير
وعطاء الخراسانى وزيد بن أسلم
وغيرهم فلما بلغ معه السعى يعنى
شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه
من السعى والعمل فلما بلغ معه
السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى
أذبحك فانظر ماذا ترى قال عبيد
ابن عمير رؤيا الانبياء وحى ثم تلا
هذه الآية قال يا بنى انى أرى فى
المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى
وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا على
ابن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو
عبد الملك الكربرى حدثنا سفيان
ابن عيينة عن اسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا
الانبياء فى المنام وحى ليس هو فى شئ من الكتب الستة من هذا الوجه وانما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده
وعزمه فى صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه قال يا أبت افعل ما تؤمر أى امض لما أمرك الله من ذبحى ستجدنى ان شاء الله من
الصابرين أى سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى واذكر فى
الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا قال الله تعالى فلما أسلما

أجل مسمى) وهو يوم القيامة كما فى قوله والساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذى قضاه
الله لعذابهم فى الدنيا بالقتل والاسر والذل والقهر (لقضى بينهم) أى لوقع القضاء بينهم
بانزال العقوبة بهم معجلة وقيل لقضى بين من آمن منهم ومن كفر بنزول العذاب
بالكافرين ونجاة المؤمنين (وان الذين أورثوا الكتاب) أى التوراة والانجيل وهم اليهود
والنصارى الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وآله وسلم (من بعدهم) أى من بعد من قبلهم
من اليهود والنصارى المختلفين فى الحق وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبل مشركى
مكة وهم اليهود والنصارى وقيل المراد كفار المشركين من العرب الذين أورثوا القرآن
من بعد ما ورث أهل الكتاب كتابهم ووصفهم بأنهم (لفى شك منه) أى من القرآن أو من
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من
اعتدال النقيضين وتساويهما فى الذهن بل المراد به ما هو أعم أى مطلق التردد وقال
القرطبى لفى شك من الذى أوصى به الانبياء (مريب) موقع فى الريبة وهى قلق النفس
واضطرابها ولذلك لم يؤمنوا (فلذلك) أى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك أو الكتاب
أو العلم الذى أوتيته أو فلاجل انه شرع من الدين ما شرع (فادع) الى الله والى توحيده والى
الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة أو الاتباع لما أوتيته وعلى هذا اللام فى
موضع الى لافادة الصلة والتعليل قال الفراء والزجاج المعنى فالى ذلك فادع كما تقول
دعوت الى فلان ولفلان وذلك اشارة الى ما وصى به الانبياء من التوحيد وقيل فى
الكلام تقديم وتأخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع (واستقم)
على ما دعوت اليه فسر الراغب الاستقامة بلزوم المنهج المستقيم فلا حاجة الى تأويلها
بالدوام على الاستقامة قال قتادة استقم على أمر الله وقال سفيان استقم على القرآن
وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة (كما أمرت) بذلك من جهة الله تعالى (ولا تتبع
أهواءهم) الباطلة وتعصباتهم الزائغة فى ترك التوحيد ولا تنظر الى خلاف من خالفك
فى دين الله (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى بجميع الكتب التى أنزلها الله على
رسله لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب
فى أصول الدين وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض لهم (وأمرت لأعدل بينكم) فى
أحكام الله اذا ترافعتم الىّ ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله أو بنقصان منه وأبلغ

وتله للجبين أى فلما تشهدا وذكرا الله تعالى ابراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل اسلما بمعنى استسلما وانقادا ابراهيم امتثل أمر الله تعالى واسمعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وابن اسحق وغيرهم ومعنى تله للجبين أى صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وتله للجبين أكبه على وجهه وقال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسابقه فسبقه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم تله للجبين وعلى اسمعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له يا أبت انه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلصه فنودى من خلفه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش وذكر هشام الحديث فى المناسك بطوله ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره الا أنه قال اسحق فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تسمية الذبيح روايتان والاظهر عنه اسمعيل لما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وقال محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن حفص بن اياس عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تبارك وتعالى وفديناه بذبح عظيم قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الاولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء الى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة حتى وحش يعنى يبس وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

اليكم ما أمرنى الله بتبليغه كما هو واللام لام كى أى أمرت بذلك الذى أمرت به لكى أعدل بينكم وقيل هى زائدة والمعنى أمرت أن أعدل وقيل بمعنى الباء وأن المصدرية مقدرة أى بأن أعدل والاول أولى قال أبو العالية أمرت لأسوى بينكم فى الدين فأومن بكل كتاب وبكل رسول والظاهر أن الآية عامة فى كل شئ والمعنى أمرت لاعدل بينكم فى كل شئ (الله ربنا وربكم) أى الهنا والهكم وخالقنا وخالقكم (لنا أعمالنا) أى ثوابها وعقابها خاص بنا (ولكم أعمالكم) أى ثوابها وعقابها خاص بكم فكل يجازى بعمله (لا حجة) أى لا خصومة (بيننا وبينكم) لان الحق قد ظهر ووضح ولم يبق للمحاجة مجال وليس فى الآية الا ما يدل على المتاركة فى المقاولة والمحاجة لا مطلقا حتى تكون منسوخة وانما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة لهم على زعمهم الباطل قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود وقيل للكفار على العموم (الله يجمع بيننا) فى المحشر لفصل القضاء (واليه المصير) أى المرجع يوم القيامة فيجازى كلا بعمله وهذا منسوخ بآية السيف وقيل ليست بمنسوخة لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال (والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله (من بعد ما استجيب) أى استجاب الناس (له) أى لدين الله ودخلوا فيه وقيل الضمير راجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعلوم من السياق الدال عليه الفعل والاول أولى قال مجاهد من بعد ما أسلم الناس قال وهؤلاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة هم اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وانهم أولاد الانبياء وكان المشركون يقولون أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله وقال هم قوم من أهل الضلالة وكانوا يتربصون بان تأتيهم الجاهلية وعن عكرمة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال المشركون لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل الناس فى دين الله أفواجا فاخرجوا من بين أظهرنا فنزلت هذه الآية والموصول مبتدأ وخبره الجملة بعده وهى (حجتهم داحضة عند ربهم) أى لا ثبات لها كالشئ الذى يزول عن موضعه يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وبابه خضع والادحاض الازلاق ومكان دحض أى زلق ودحضت رجله أى زلقت

وبابه قطع وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (وعليهم غضب) عظيم من الله
لمجادلتهم بالباطل (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) المراد به الجنس
فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل وقيل المراد به القرآن خاصة (بالحق) متعلق
بمحذوف أى متلبسا بالحق وهو الصدق (والميزان) أى العدل كذا قال أكثر المفسرين
قالوا وسمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق فالميزان متجوز به
عنه استعمالا للسبب فى المسبب وقيل الميزان ما بين فى الكتب المنزلة مما يجب على كل
انسان أن يعمل به وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقال قتادة
الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وانزال العدل هو الامر والتكليف به وقيل انه الميزان
على نفسه أنزله الله من السماء فى زمن نوح عليه السلام وعلم العباد الوزن به لئلا يكون
بينهم تظالم وتباخس كما فى قوله لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وقيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقضى بينكم بكتاب الله
وقال مجاهد هو الذى يوزن به (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى أى شئ يجعلك داريا بها
عالما بوقتها لعلها شئ قريب أو قريب مجيئها أو ذات قرب أو اتيانها قريب وقال قريب
ولم يقل قريبة لان تأنيثها غير حقيقى قال الزجاج المعنى لعل البعث أو لعل مجئ الساعة
قريب وقال الكسائى قريب نعت ينعت به المؤنث والمذكر كما فى قوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين وقال الكرخى ولا يقال ان قريب يستوى فيه المؤنث والمذكر لان
فعيلا هنا بمعنى فاعل ولا يستوى فيه ما ذكر والاستفهام انكارى أى لا سبب يوصلك للعلم
بقربها الا الوحى الذى ينزل عليك قيل ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الساعة وعنده
قوم من المشركين فقالوا متى تقوم تكذيبا لها فأنزل الله هذه الآية ويدل على هذا قوله
(يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال استهزاء منهم بها وتكذيبا بمجيئها فلا يشفقون
منها (والذين آمنوا مشفقون منها) أى خائفون وجلون من مجيئها اى فلا يستعجلونها ففى
الآية احتباك حيث ذكر الاستعجال أولا وحذف الاشفاق وذكر الاشفاق ثانيا وحذف
الاستعجال قال مقاتل لانهم لا يدرون ما يهجمون عليه وقال الزجاج لانهم يعلمون انهم
محاسبون ومجزيون (ويعلمون أنها الحق) أى انها آتية لا ريب فيها وكائنة لا محالة ومثل
هذا قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ثم بين ضلال

الزهرى اخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة رضى الله عنه وكعب فجعل أبو هريرة رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم
وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى دعوة مستجابة وانى قد
خبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فداك أبى وأمى
أو فداه أبى وأمى أفلا أخبرك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه لما أرى ذبح ابنه اسحق قال الشيطان ان لم أفتن هؤلاء عند هذه
لم أفتنهم أبدا فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب
ابراهيم بابنك قالت غدا به لبعض
حاجته قال فانه لم يغد به لحاجة
انما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه
قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت
فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب
الشيطان فى أثرهما فقال للغلام
أين يذهب بك أبوك قال لبعض
حاجته قال فانه لا يذهب بك لحاجة
ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم
يذبحنى قال يزعم ان ربه أمره بذلك
قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره
بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه
ولحق بابراهيم عليه الصلاة
والسلام فقال اين غدوت بابنك قال
لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة
قال وانما غدوت به لتذبحه قال
ولم أذبحه قال تزعم ان ربك أمرك
بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى
أمرنى بذلك لافعلن قال فتركه
ويئس ان يطاع وقد رواه ابن جرير
عن يونس عن ابن وهب عن يونس
ابن يزيد عن ابن شهاب قال ان عمرو
ابن أبى سفيان بن سعيد بن حازم
الثقفى أخبره ان كعبا قال لابى
هريرة فذكره بطوله وقال فى آخره
واوحى الله تعالى الى اسحق انى
اعطيتك دعوة استجيب لك فيها قال اسحق اللهم انى أدعوك ان تستجيب لى ايما عبد لقيك
من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فأدخله الجنة وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا محمد بن الوزير الدمشقى حدثنا الوليد بن
مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى خيرنى بين ان يغفر لنصف امتى و بين ان يجيب شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت ان تكون أعم لامتى ولولا الذى سبقنى
اليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتى ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده

لا تجعلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وادخله الجنة هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى ان يكون فى الحديث زيادة مدرجة وهى قوله ان الله تعالى لما فرج عن اسحق الى آخره والله أعلم فهذا ان كان محفوظا فالاشبه ان السياق انما هو عن اسمعيل وانما حرفوه باسحق حسدا منهم كما تقدم والا فالمناسك والذبائح انما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان اسمعيل لا اسحق فانه انما كان ببلاد كنعان من أرض الشام وقوله تعالى وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أى قد حصل المقصود من رؤياك باضجاعك ولدك للذبح وذكر السدى وغيره انه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيأ بل حال بينها وبينه صفيحة من نحاس ونودى ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى انا كذلك نجزى المحسنين أى هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الاصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لان الله تعالى شرع لابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه الى الفداء وانما كان المقصود من شرعه أولا اثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين أى الاختبار الواضح الجلى حيث أمر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلما لامر الله تعالى منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى وابراهيم الذى وفى وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثورى عن جابر الجعفى عن أبى الطفيل عن على رضى الله عنه وفديناه بذبح عظيم قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة فى ثبير وقال الثورى أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كبش قد رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الصخرة التى بمنى باصل ثبير هى الصخرة التى ذبح عليها

الممارين فيها فقال (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) أى يخاصمون فيها مخاصمة شك وريبة من المماراة وهى المخاصمة والمجادلة أو من المرية وهى الشك والريبة (لفى ضلال بعيد) عن الحق لانهم لم يتفكروا فى الموجبات للايمان بها من الدلائل التى هى مشاهدة لهم منصوبة لأعينهم مفهومة لعقولهم ولو تفكروا لعلموا ان الذى خلقهم ابتداء قادر على الاعادة وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لابد من دار جزاء والبعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ماوراءه (الله لطيف بعباده) أى كثير اللطف بهم بالغ الرأفة لهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم قال عكرمة بار بهم وقال السدى رفيق بهم وقيل حفى بهم وقال القرطبى لطيف بهم فى العرض والمحاسبة وقيل فى ايصال المنافع وصرف البلاء وقيل لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عمن يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وقال الجنيد لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ما جحدوه وقال جعفر الصادق يلطف بهم فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات الثانى انه لم يدفع اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم فى القرآن وتفصيله وتفسيره وقيل اللطيف الذى لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذى يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذى لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذى لا يرد سائله ولا يؤيس آمله وقيل هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذى أوقد للعلماء من الكتاب والسنة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم والدين القيم منهاجا وأنزل لهم من سحائب بره ومنه ولطفه وكرمه واحسانه ماء ثجاجا وقيل غير ذلك وحاصل المعنى انه يجرى لطفه على عباده فى كل أمورهم ومن جملة ذلك الرزق الذى يعيشون به فى الدنيا وهو معنى قوله (يرزق من يشاء) منهم كيف يشاء فيوسع على هذا ويضيق على هذا وفى تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وكان هذا لطفا بالعباد ليمتحن الغنى بالفقير والفقير بالغنى وقيل ما يشاء من أنواع الرزق فهو وان كان يرزق كل ذى روح لكنه فاوت بين المرزوقين فى الرزق قلة وكثرة وجنسا ونوعا لحكمة يعلمها هو (وهو القوى) العظيم القوة الباهر القدرة (العزيز) الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ

ابراهيم فداء اسحق انه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به اسحق وروى أيضا عن سعيد بن جبير انه قال كان الكبش يرتع فى الجنة حتى يشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصرى انه قال اسم كبش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان أفتى الذى جعل عليه ان ينحر نفسه فأمره بمائة من الابل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لاجزأه ان يذبح كبشا فان الله تعالى قال فى كتابه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذى عليه الاكثرون انه فدى بكبش وقال الثورى عن رجل عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال وعل وقال محمد ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه كان يقول مافدى اسمعيل عليه السلام الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنى منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة رضى الله عنه وقالت مرة انها سألت عثمان لم دعاك النبى صلى الله عليه وسلم قال قال لى صلى الله عليه وسلم انى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقة فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام فان قريشا توارثوا قرنى الكبش الذى فدى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل الى ان بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم * (فصل) * فى ذكر الآثار الواردة عن السلف فى أن الذبيح من هو ذكر من قال هو اسحق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبى ميسرة رحمه الله قال قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك فى وجهه ترغب ان تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقال الثورى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل ان يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثورى عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى

شىء (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) الحرث فى اللغة الكسب يقال هو يحرث لعياله ويحترث أى يكتسب ومنه سمى الرجل حارثا ومعنى أصل الحرث القاء البذر فى الارض فأطلق على ثمرات الاعمال وفوائدها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور والمعنى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له تلك الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف وقيل معناه يزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبل الخير له (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها وما يرزق الله به عباده منها موثرا لها على الآخرة (نؤته منها) ماقضت به مشيئتنا وقسم له فى قضائنا ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه قال قتادة المعنى نقدر له ماقسم له كما قال عجلنا له فيها مانشاء وقال أيضا ان الله يعطى على نية الآخرة ماشاء من أمر الدنيا ولا يعطى على نية الدنيا الا الدنيا قال القشيرى والظاهر ان الآية فى الكافر وهو تخصيص بغير مخصص ثم بين سبحانه ان هذا الذى يريد بعمله الدنيا لانصيب له فى الآخرة فقال (وماله فى الآخرة من نصيب) لانه لم يعمل للآخرة فلا نصيب له فيها وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة الاسراء وقال ابن عباس فى الآية حرث الآخرة عيش الآخرة وقال من يوثر دنياه على آخرته لم يجعل الله له نصيبا فى الآخرة الا النار ولم يزد بذلك من الدنيا شيأ الا رزقا فرغ منه وقسم له وأخرج أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن أبى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى الارض مالم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يريد حرث الآخرة الآية ثم قال يقول الله ابن آدم تفرغ لعبادتى املأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لاتفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك وعن على قال الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ولما بين سبحانه القانون فى أمر الدنيا والآخرة أردفه ببيان ماهو الذنب العظيم الموجب للنار فقال (أم لهم شركاء) أم منقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين) وقيل أم بمعنى بل التى

عليه الصلاة والسلام يارب يقولون بإله ابراهيم واسحق ويعقوب فيم قالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بي شيء قط الا اختارني عليه
وان اسحق جادلي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال ربيعة عن أبي اسحق عن أبي
الاحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال انا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اسحق (٢٦٨) وعن أبيه العباس وعلي بن أبي طالب مثل ذلك وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير
ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الاحبار انه اسحق وهكذا روى ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء ابن حارثة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار انه قال هو اسحق وهذه الاقوال والله أعلم كلها ماخوذة عن كعب الاحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده غثها وسمينها وليس لهذه الامة والله أعلم حاجة الى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي هذا القول بانه اسحق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء
ومقاتل والزهري والسدي قال هو احدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا الذي
به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن
جدعان عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره
قال هو اسحق ففي اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي
حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن

للانتقال والهمزة التي للتوبيخ والتقريع وضمير شرعوا عائد الى الشركاء وضمير لهم الى
الكفار وقيل العكس والاول أولى (مالم يأذن به الله) من الشرك والمعاصي والشرائع
المضلة وانكار البعث والعمل للدنيا والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه
أو رسوله فيدخل فيه التقليد لانه مما لم يأذن به الله بل ذمه في كتابه في غير موضع ولم يأذن به
رسوله ولا امام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الامة وساداتها وقادتها بل نهى عنه
المجتهدون الاربعة ومن كان بعدهم من أهل الحق برك الايمان واتباع السنة المطهرة
وانما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير فرحم الله امرأ
سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدمغه وبالله التوفيق (ولولا كلمة الفصل) وهي
تأخير عذابهم حيث قال بل الساعة موعدهم (لقضي بينهم) في الدنيا فعوجلوا بالعقوبة
والضمير في بينهم راجع الى المؤمنين والمشركين أو الى المشركين وشركائهم (وان الظالمين)
أي المشركين الكافرين والمكذبين (لهم عذاب أليم) مؤلم في الدنيا والآخرة قرأ الجمهور
بكسر ان على الاستئناف وقرئ بفتحها عطفا على كلمة الفصل (ترى الظالمين) خطاب
لكل من تتأتى منه الرؤية (مشفقين) أي خائفين وجلين (مما كسبوا) من السيآت وذلك
الخوف والوجل يوم القيامة (وهو) الضمير راجع الى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله
الزجاج أي وجزاء ما كسبوا (واقع بهم) نازل عليهم لامحالة أشفقوا أولم يشفقوا والجملة
حالية ولما ذكر الله سبحانه حال الظالمين ذكر حال المؤمنين فقال (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات) مبتدأ وخبره (في روضات الجنات) جمع روضة قال أبو حيان اللغة الكثيرة
تسكين الواو ولغة هذيل فتحها والروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى بيان هذا
في سورة الروم وروضة الجنة أطيب مساكنها كما انها في الدنيا أحسن أمكنتها وفيه تنبيه
على ان عصاة المسلمين من أهل الجنة لانه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في
روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة والبقاع التي دون تلك الاوصاف لابد
وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم ما يشاؤن عند
ربهم) من صنوف النعم وأنواع المستلذات وعند ظرف ليشاؤن أو للاستقرار العامل في
لهم والعندية مجاز أو حقيقة (ذلك) أي ما ذكر للمؤمنين (هو الفضل الكبير) أي الذي
لا يوصف ولا تهتدي العقول الى كنه صفته ومعرفة حقيقته لان الحق اذا قال كبير فمن ذا

عن الاحنف عن العباس رضي الله عنه قوله وهذا اشبه واصح والله أعلم ذكر الآثار الواردة بانه اسمعيل عليه الصلاة
والسلام وهو الصحيح المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اسحق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم
وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي و يوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو اسمعيل عليه
الصلاة والسلام   وقال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس انه قال
المفدى اسمعيل عليه السلام وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود   (٢٦٩)   وقال اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال الذبيح
اسمعيل وقال ابن أبي نجيح عن
مجاهد هو اسمعيل عليه السلام
وكذا قال يوسف بن مهران وقال
الشعبي هو اسمعيل عليه الصلاة
والسلام وقد رأيت قرني الكبش
في الكعبة وقال محمد بن اسحق
عن الحسن بن دينار وعمرو بن
عبيد عن الحسن البصري انه كان
لا يشك في ذلك ان الذي أمر
بذبحه من ابني ابراهيم اسمعيل
عليه السلام قال ابن اسحق
وسمعت محمد بن كعب القرظي
وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى
ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل
وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى
وذلك ان الله تعالى حين فرغ من
قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال
تعالى وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين ويقول الله تعالى
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن
ليأمره بذبح اسحق وله من الله
تعالى الموعود ما وعده وما الذي
امر بذبحه الا اسمعيل قال ابن
اسحق سمعته يقول ذلك كثيرا
وقال ابن اسحق عن بريدة بن سفيان بن بردة الاسلمي عن محمد بن كعب القرظي انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر ان هذا لشيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام
كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب
وأخبرنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال اسمعيل والله يا أمير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون

الذي يقدر قدره (ذلك) أي الفضل الكبير (الذي يبشر الله به عباده) قرئ يبشر مخففا
ومثقلا وهما سبعيتان ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فهؤلاء
الجامعون بين الايمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك
البشارة ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الاحكام
الشريفة التي اشتمل عليها كتابه أمره بان يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ
ثوابا منهم فقال (قل لا أسألكم عليه أجرا) أي قل يا محمد لا أطلب منكم الآن ولا في
مستقبل الزمان على تبليغ الرسالة بشارة أو نذارة جعلا ولا نفعا وان قل والخطاب
اما لقريش وللانصار لانهم أخواله أو لجميع العرب لانهم أقاربه في الجملة (الا المودة)
العظيمة الواسعة (في القربى) أي مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة
وظرفا لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها والاستثناء متصل أي الا ان تودوني لقرابتي
بينكم أو تودوا أهل قرابتي ويجوز أن يكون منقطعا قال الزجاج الا المودة استثناء ليس
من الاول أي الا ان تودوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش وهذا قول عكرمة
ومجاهد وأبي مالك والشعبي فيكون المعنى على الانقطاع لا أسألكم أجرا قط ولكن
أسألكم المودة في القربى التي بيني وبينكم ارقبوني فيها ولا تعجلوا الي ودعوني والناس
وبه قال قتادة ومقاتل والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم وهو الثابت عن ابن عباس
كما سيأتي وقال سعيد بن جبير وغيره هم آل محمد وسيأتي ما استدل به القائلون بهذا وقال
الحسن وغيره معنى الآية الا التودد الى الله عز وجل والتقرب بطاعته وقال الحسين بن
الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك ان هذه الآية منسوخة قال البغوي وهذا قول
غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه
والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أقول في الآية ثلاثة
اقوال الاول ان القربى بمعنى القرابة أي الرحم والثاني بمعنى الاقارب والثالث بمعنى
القرب والتقرب والزلفى وسيأتي ما يتضح به الصواب ويظهر به معنى الآية عن ابن عباس
انه سئل عن قوله الا المودة في القربى قال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه
وآله وسلم قال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش
الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعنه قال قال لهم

ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عزوجل وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال اسمعيل ذكره فى كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبى يقول الصحيح ان الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن على وابن عمر وأبى هريرة وأبى الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبى ومحمد بن كعب القرظى وأبى جعفر محمد بن على وأبى صالح رضى الله عنهم انهم قالوا الذبيح اسمعيل وقال البغوى فى تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدى والحسن البصرى ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد ابن كعب القرظى والكلبى وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبى عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير فى ذلك حديثا غريبا فقال حدثنى محمد بن عمار الرازى حدثنا اسمعيل بن عبيد بن أبى كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى عن عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبى سفيان عن أبيه حدثنى عبد الله بن سعيد عن الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا أفد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل وهذا حديث غريب جدا وقد رواه الاموى فى مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا اسمعيل بن عبيد بن أبى كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشى حدثنا عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبى سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتذاكر القوم اسمعيل أو اسحق وذكره كذا كتبته من نسخة مغلوطة وانما عول ابن جرير فى اختياره ان الذبيح اسحق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هى البشارة باسحق فى قوله تعالى وبشروه بغلام عليم وأجاب عن البشارة بيعقوب بانه قد كان بلغ معه السعى أى العمل ومن الممكن انه قد كان ولد له أولاد

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أسألكم عليه أجرا الا ان تودونى فى نفسى لقرابتى وتحفظوا القرابة التى بينى وبينكم وعن الشعبى قال أكثر الناس علينا فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان واسط النسب فى قريش ليس بطن من بطونهم الا وله فيه قرابة فقال الله قل الخ ان تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى بها وعن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة من جميع قريش فلما كذبوه وأبوا ان يبايعوه قال يا قوم اذا أبيتم ان تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم ولا يكون غيركم من العرب أولى بحفظى ونصرتى منكم وعنه قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبون قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك ألم يكذبوك فصدقناك ألم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما فى ايدينا لله ورسوله فنزلت هذه الآية وفى اسناده يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف والاولى ان الآية مكية لا مدنية وقد أشرنا فيما سبق ان هذه الآية مدنية وهذا متمسكهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الآية تحفظونى فى أهل بيتى وتودوهم بى أخرجه الديلمى وأبو نعيم وعنه قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وولداهما أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند ضعيف وعنه قال نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله قل لهم يا محمد لا أسألكم عليه أى على ما أدعوكم اليه أجرا عرضا من الدنيا الا المودة فى القربى الا الحفظ فى قرابتى فيكم فلما هاجر الى المدينة أحب أن يلحقه باخوته من الانبياء فقال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله يعنى ثوابه وكرامته فى الآخرة كما قال نوح وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستثنوا أجرا كما استثنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرده عليهم وهى منسوخة وعنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قل لا أسألكم على ما أتيتكم

مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز انهما نقلا من بلاد كنعان قال وقد تقدم ان من الناس
من ذهب الى انه ذبح اسحق هناك هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ماذهب اليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل
به محمد بن كعب القرظي على انه اسمعيل أثبت وأصح وأقوى والله اعلم وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين لما تقدمت
البشارة بالذبيح وهو اسمعيل عطف بذكر البشارة باخيه اسحق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر وقوله تعالى نبيا حال مقدرة أي
سيصير منه نبي صالح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس
رضي الله عنهما الذبيح اسحق قال
وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين قال بشر بنبوته قال
وقوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر
من موسى ولكن أراد وهب له نبوته
وحدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا
المعتمر بن سليمان قال سمعت داود
يحدث عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما في هذه الآية
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
قال انما بشر به نبيا من الصالحين
قال انما بشر به نبيا حين فداه الله عز
وجل من الذبح ولم تكن البشارة
بالنبوة عند مولده وقال ابن ابي
حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو نعيم
حدثنا سفيان الثوري عن داود
عن عكرمة عن ابن عباس وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين قال بشر
به حين ولد وحين نبئ وقال سعيد
ابن أبي عروبة عن قتادة في قوله
تعالى وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين قال بعدما كان من امره
لما جاد لله تعالى بنفسه وقال الله
عزوجل وباركنا عليه وعلى اسحق
وقوله تعالى وباركنا عليه وعلى
اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين كقوله تعالى قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم
الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك
نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهرون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون
وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الاشياء ثم بعد هذا كله

ما آتيتكم به من البينات والهدى أجرا الا أن تودوا الله وان تتقربوا اليه بطاعته هذا
حاصل ماروي عن حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية
والمعنى الاول هو الذي صح عنه ورواه عنه الجمع الجم من تلامذته فمن بعدهم ولا ينافيه
ماروي عنه من النسخ فلا مانع من أن يكون قد نزل القرآن في مكة بان يوده كفار قريش
لما بينه وبين قريش من القربى ويحفظوه بها ثم نسخ ذلك ويذهب هذا الاستثناء من
أصله كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على انه لم يسأل على التبليغ أجرا على الاطلاق ولا
يقوى ماروي من حملها على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على معارضة ما صح عن ابن
عباس من تلك الطرق الكثيرة وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة
والمزايا الجميلة وقد بينا ذلك عند تفسيرنا لقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت وكما لا يقوى هذا على المعارضة فكذلك لا يقوى ماروي عنه ان المراد بالمودة أن
يودوا الله وأن يتقربوا اليه بطاعته ولكنه يشد من عضد هذا انه تفسير مرفوع الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يقترف) اي يكتسب وأصل القرف الكسب يقال فلان
يقرف لعياله من باب ضرب أي يكسب والاقتراف الاكتساب مأخوذ من قولهم رجل
قرفة اذا كان محتالا (حسنة) أي طاعة (نزد له فيها) أي في هذه الحسنة أو في الجنة
(حسنا) بمضاعفة ثوابها قال مقاتل المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها احسنا
نضاعفها بالواحدة عشرا فصاعدا وقيل المراد بهذه الحسنة هي المودة في القربى والحمل
على العموم أولى ويدخل تحته المودة في القربى دخولا أوليا لذكرها عقب ذكر المودة في
القربى وقال ابن عباس انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال
السدي انها نزلت في أبي بكر ومودته فيهم والظاهر العموم (ان الله لغفور شكور) أي
كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات
وقال السدي غفور لذنوب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شكور للقليل فيضاعفه (أم)
منقطعة أي بل أ (يقولون افترى) أي اختلق (على الله كذبا) بدعوى النبوة ونسبة
القرآن الى الله تعالى والانكار للتوبيخ ثم اجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال (فان يشأ
الله يختم على قلبك) أي لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه وختم على قلبه
بحيث لايخطر بباله شيأ مما كذب فيه كما تزعمون قال قتادة يختم على قلبك فينسيك القرآن

نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وقال جل جلاله ههنا وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم اى فى الاقوال والافعال وتركنا عليهما فى الآخرين أى أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين (وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قال قتادة ومحمد بن اسحق يقال الياس هو ادريس وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال الياس هو ادريس وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسى بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران بعثه الله تعالى فى بنى اسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدوا واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه ان يكشف ذلك عنهم ووعدوه الايمان به ان هم أصابهم المطر فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله ان يقبضه اليه وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فامر الياس ان يذهب الى مكان كذا وكذا فى فهما جاءه فليركبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش وكان يطير مع الملائكة ملكا انسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته اذ قال لقومه ألا تتقون أى ألا تخافون الله عز وجل فى عبادتكم غيره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن وفى رواية عن قتادة قال هى لغة ازدشنوءة وقال ابن اسحق أخبرنى بعض

فاخبرهم انه لو افترى عليه لفعل به ما اخبرهم به فى هذه الآية وقال مجاهد ومقاتل ان يشا يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل الخطاب له والمراد الكفار اى ان يشأ يختم على قلوب الكفار ويعاجلهم بالعقوبة ذكره القشيرى وقيل المعنى لو حدثتك نفسك ان تفترى على الله كذبا لطبع على قلبك فانه لا يجترئ على الكذب الا من كان مطبوعا على قلبه والاول أولى والمقصود من هذا الكلام المبالغة فى تقرير الاستبعاد (ويمحو الله الباطل) استئناف مقرر لما قبله من نفى الافتراء غير داخل فى جزاء الشرط قال ابن الانبارى يختم على قلبك تام وما بعده مستأنف وقال الكسائى فيه تقديم وتأخير أى والله يمحو الباطل وقال الزجاج ويمحو الله الباطل احتجاج على من أنكر ما أتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم اى لو كان ما أتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته فى المفترين وسقطت الواو من يمحو فى بعض المصاحف كما حكاه الكسائى (ويحق الحق) اى الاسلام فيبينه (بكلماته) اى بما أنزله من القرآن وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) اى عالم بما فى قلوب العباد (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) المذنبين اى يقبل توبتهم اليه مما عملوا من المعاصى واقترفوا من السيآت والتوبة الندم على المعصية والقلع عنها والعزم على عدم المعاودة لها وهذه ثلاثة شروط فيما بينه وبين الله تعالى فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح واما فيما يتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها وقيل يقبل التوبة عن اوليائه وأهل طاعته والاول أولى فان التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم اذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة والاحاديث فى ذكر التوبة وحكمها كثيرة فى الصحيحين وغيرهما (ويعفو عن السيآت) على العموم لمن تاب عن سيئة ويعفو لمن يشاء بلا توبة أيضا اذا كان ما دون الشرك (ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازى كلا بما يستحقه قرأ حمزة وغيره تفعلون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر وهما سبعيتان واختار الثانية أبو عبيد وأبو حاتم لان هذا الفعل وقع بين خبرين (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يعطيهم ما طلبوه منه يقال أجاب واستجاب بمعنى وقيل المعنى تقبل عبادة المخلصين وقيل التقدير يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله واذا كالوهم أى كالوا لهم وقيل ان الموصول

اهل العلم انهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده اهل مدينة يقال
له بعلبك غربى دمشق وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه وقوله تعالى أتدعون بعلا اى أتعبدون صنما وتذرون أحسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين اى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال الله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اى
للعذاب يوم الحساب الا عباد الله المخلصين اى الموحدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت وقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين
اى ثناء جميلا سلام على الياسين كما يقال فى اسمعيل اسمعين وهى

لغة بنى اسد وأنشد بعض بنى تميم فى ضب صاده

يقول رب السوق لما جينا
هذا ورب البيت اسرائينا

و يقال ميكال وميكائيل وميكائين
وابراهيم وابراهام واسرائيل
واسرائين وطور سيناء وطور سينين
وهو موضع واحد وكل هذا سائغ
وقرأ آخرون سلام على آل ياسين
وهى قراءة ابن مسعود رضى الله
عنه وقال آخرون سلام على آل
ياسين يعنى آل محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى انا كذلك نجزى
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قد
تقدم تفسيره والله أعلم (وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين
الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا
الآخرين وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل أفلا تعقلون)
يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط
عليه السلام انه بعثه الى قومه
فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين
أظهرهم هو وأهله الا امرأته فانها
هلكت مع من هلك من قومها فان
الله تعالى اهلكهم بانواع من
العقوبات وجعل محلتهم من
الارض بحيرة منتنة قبيحة المنظر
والطعم والريح وجعلها بسبيل

مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا
تعقلون اى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون ان للكافرين أمثالها (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون
فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو
سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين) قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة
والسلام فى سورة الانبياء وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى

فى محل رفع اى يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستظهره
السفاقسى قال المبرد المعنى يستدعى الذين آمنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استفعل فالذين
فى موضع رفع والاول اولى (ويزيدهم) على ما طلبوه (من فضله) او على ما يستحقونه من
الثواب تفضلا منه وقيل يشفعهم فى اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) هذا
للكافرين مقابلا لما ذكره للمؤمنين فيما قبله (ولو بسط الله الرزق لعباده) جميعهم اى لو
وسع الله لهم رزقهم (لبغوا) اى لعصوا وطغوا جميعهم (فى الارض) وبطروا النعمة وتكبروا
وطلبوا ما ليس لهم طلبه لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة وقيل
المعنى لو جعلهم سواء فى الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع والاول اولى
والظاهر عموم أنواع الرزق وقيل هو المطر خاصة وذكروا فى كون بسط الرزق موجبا
للطغيان وجوها لا نطول بذكرها وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او
كيفية وفى القرطبى بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا
بعد ملبس (ولكن ينزل) بالتشديد وضده سبعيتان (بقدر ما يشاء) اى ينزل من الرزق
لعباده بتقدير على حسب مشيئته وما تقتضيه حكمته البالغة (انه بعباده) أى بأحوالهم
(خبير بصير) بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه فيقدر لكل أحد منهم ما يصلحه
ويكفيه عن الفساد بالبغى فى الارض ويقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع
ويعطى ويبسط ويقبض ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط
على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل ومع البسط
أكثر وأغلب عن أبى هانئ الخولانى قال سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون انما انزلت
هذه الآية فى أصحاب الصفة وذلك انهم قالوا لو ان لنا فتمنوا الدنيا قال السيوطى سنده
صحيح وعن على مثله (وهو الذى ينزل) بالتشديد والتخفيف سبعيتان (الغيث) أى المطر
الذى هو أرفع أنواع الرزق وأعمها فائدة وأكثرها منفعة ومصلحة (من بعد ما قنطوا) أى
أيسوا عن ذلك فيعرفون بهذا الانزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم ويشكرون
له ما يجب الشكر عليه والعامة على فتح النون وقرئ بكسرها وهى لغة وعليها قرئ
لا تقنطوا بفتح النون فى المتواتر ولم يقرأ بالكسر فى الماضى الا شاذا وما مصدرية أى من
بعد قنوطهم (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل

ونسبه الى أمه وفى رواية الى أبيه وقوله تعالى اذ أبق الى الفلك المشحون قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الموقر اى المملوء بالامتعة فساهم اى قارع فكان من المدحضين اى المغلوبين وذلك ان السفينة بلغت بها الامواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبى الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك وأمر الله تعالى حوتا من البحر الاخضر ان يشق البحار وان يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها ولما استقر يونس فى بطن الحوت حسب انه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه واطرافه فاذا هو حى فقام فصلى فى بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا فى موضع لم يبلغه أحد من الناس واختلفوا فى مقدار ما لبث فى بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضى الله عنه وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك وقال مجاهد عن الشعبى التقمه ضحى ولفظه عشية والله تعالى أعلم بمقدار ذلك وفى شعر أمية ابن أبى الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونسا
وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

وقوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون قيل لولا ما تقدم له من العمل فى الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير وقد ورد فى الحديث الذى سنورده ان شاء الله تعالى ما يدل على ذلك ان صح الخبر وفى حديث ابن عباس تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وقال ابن عباس بسبب رضى الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدى والحسن وقتادة فلولا انه كان من المسبحين يعنى المصلين وصرح بعضهم بانه كان من المصلين قبل ذلك وقال بعضهم كان من المصلين فى جوف الحوت وقيل المراد فلولا انه كان من المسبحين هو قوله عز وجل فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين قاله سعيد بن جبير وغيره وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو صخر ان يزيد الرقاشى حدثه

والنبات والحيوان وما يحصل به من الخصب أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا والمراد بالرحمة المطر فذكر المطر باسمين الغيث لانه يغيث من الشدائد والرحمة لانه رأفة واحسان (وهو الولى) للصالحين من عباده بالاحسان اليهم وجلب المنافع لهم ودفع الشرور عنهم (الحميد) المستحق للحمد منهم على انعامه خصوصا وعموما ثم ذكر سبحانه بعض آياته الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده وصدق ما وعد به من البعث فقال (ومن آياته خلق السموات والارض) أى خلقهما على هذه الكيفية العجيبة والصنعة الغريبة الدالة على وجود صانع حكيم قادر وفيه اشارة الى ما قرر فى الكلام من المسالك الاربعة فى الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهى حدوث الجواهر وامكانها وحدوث الاعراض القائمة بها وامكانها أيضا وفيه اشارة أيضا الى ان خلق السموات والارض من اضافة الصفة للموصوف أى السموات المخلوقة والارض المخلوقة (وما بث فيهما من دابة) يجوز عطفه على خلق بتقدير مضاف ويجوز عطفه على السموات وقدمه القاضى على الاول والدابة اسم لكل ما دب قال الفراء أراد ما بث فى الارض دون السماء كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال أبو على الفارسى تقديره وما بث فى أحدهما فحذف المضاف قال مجاهد يدخل فى هذا الملائكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الكرخى وما جوزه الزمخشرى من أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الاناسى أو يخلق الله تعالى فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام ولان الشئ انما يكون آية اذا كان معلوما ظاهرا مكشوفا ومن ثم أهمل القاضى ذكره (وهو على جمعهم) أى حشرهم يوم القيامة فى الضمير تغليب العاقل على غيره لانه راجع الى الدابة ولولاه لكان يقال على جمعها (اذا) أى فى وقت (يشاء قدير) والظرف متعلق بجمعهم لا بقدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته قال أبو البقاء لان ذلك يؤدى الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قدير اذا يشاء فتتعلق القدرة بالمشيئة وهو محال قال شهاب الدين والسمين ولا ادرى ما وجه كونه محالا على مذهب أهل السنة فان كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشأ الله تمشى كلامه ولكنه مذهب ردى لا يجوز اعتقاده (وما أصابكم من مصيبة) من المصائب كائنة ما كانت (فبما) أى

انه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه ولا أعلم الا ان أنسا يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يونس النبى عليه الصلاة والسلام حين بدا له ان يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة تحن بالعرش قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك قالوا يارب ومن هو قال عزوجل عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء (٢٧٥) ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبى حاتم قال أبو صخر حميد ابن زياد فاخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول طرح بالعراء وأنبت الله عزوجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة رضى الله عنه وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الارض أو قال هشاش الارض قال فتتفشح عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية ابن أبى الصلت فى ذلك بيتا من شعره وهو

فانبت يقطينا عليه برحمة
من الله لولا الله ألفى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه مسندا مرفوعا فى تفسير سورة الانبياء ولهذا قال تعالى فنبذناه أى ألقيناه بالعراء قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهى الارض التى ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بارض اليمن فالله أعلم وهو سقيم أى ضعيف البدن قال ابن عباس رضى الله عنهما كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال السدى كهيئة الصبى حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد أيضا وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله ابن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع وقال هشيم عن القاسم بن أبى أيوب قال عن سعيد بن جبير وكل شجرة لا ساق لها فهى من اليقطين وفى رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهى من اليقطين وذكر بعضهم فى القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وانه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره وانه يؤكل

بسبب ما (كسبت أيديكم) من المعاصى وماهى الشرطية ولذا دخلت الفاء فى جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه وجوزه الاخفش وبعض البغداديين الحذف كما فى قوله وان أطعتموهم انكم لمشركون وبه قال أبو البقاء وقيل هى الموصولة فيكون الحذف والاثبات جائزين والاول أولى قال الزجاج اثبات الفاء أجود لان الفاء مجازات جواب الشرط ومن حذف الفاء فعلى ان ما فى معنى الذى والمعنى الذى أصابكم وقع بما كسبت أيديكم وعبر بالايدى لان أكثر الافعال تزاول بها وتعالج وتحصل قال الحسن المصيبة هنا الحدود على المعاصى والاولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة فى سياق النفى ودخول من الاستغراقية عليها قال الضحاك ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ هذه الآية وقال أى مصيبة أعظم من نسيان القرآن قلت ويلحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها وايثار الرأى عليها أيضا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أصابكم من مصيبة الآية وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه أخرجه أحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم قيل المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والبلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من الذنوب والمعاصى وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا والحق ان الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق والسباق (و) هو (يعفو عن كثير) اى من المعاصى التى يفعلها العباد فلا يعاقب عليها أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة فمعنى الآية انه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفو عن كثير من الذنوب وقد ثبت بالادلة الصحيحة ان جميع ما يصاب به الانسان فى الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى ان ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير ان يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم فى الدنيا بل يمهلهم الى الدار الآخرة والاولى حمل الآية على العموم والعفو

نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتبعه من نواحي الصحفة وقوله تعالى
وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما كانت رسالة يونس عليه الصلاة
والسلام الا بعد ما نبذه الحوت رواه ابن جرير حدثنى الحرث حدثنا أبو هلال عن شهر به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ارسل
اليهم قبل ان يلتقمه الحوت قلت ولا مانع ان يكون الذين أرسل اليهم أولا أمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم
وآمنوا به وحكى البغوى انه ارسل الى امة (٢٧٦) اخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى
أو يزيدون قال ابن عباس رضى
الله عنهما فى رواية عنه بل يزيدون
وكانوا مائة وثلاثين ألفا وعنه مائة
الف و بضعة وثلاثين ألفا وعنه
مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا
والله أعلم وقال سعيد بن جبير
يزيدون سبعين ألفا وقال مكحول
كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه
ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا
محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا
عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا
يحدث عن سمع أبا العالية يقول
حدثنى محمد بن أبي بن كعب رضى
الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه
الى مائة ألف أو يزيدون قال
يزيدون عشرين ألفا ورواه
الترمذى عن على بن حجر عن الوليد
ابن مسلم عن زهير عن رجل عن ابى
العالية عن أبي بن كعب به وقال
غريب ورواه ابن ابى حاتم من
حديث زهير به قال ابن جرير وكان
بعض اهل العربية من اهل البصرة
يقول فى ذلك معناه الى المائة
الالف او كانوا يزيدون عندكم
يقول كذلك كانوا عندكم ولهذا سلك
ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وقوله تعالى اذا فريق ماضيه
منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ان المراد ليس انقص من ذلك بل ازيد وقوله
تعالى فآمنوا اى فآمن هؤلاء القوم الذين ارسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم فمتعناهم الى حين اى الى وقت آجالهم كقوله جلت
عظمته فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين
(فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون

يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطاب وقال الواحدى
وهذه أرجى آية فى كتاب الله لانه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب
وصنف عفا عنه فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر
فانه لا يعجل له فى الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وعن أبي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها الا بذنب وما يعفو الله
عنه أكثر وقرأ وما أصابكم الآية أخرجه الترمذى وعبد بن حميد وعن عمران بن حصين انه
دخل عليه بعض اصحابه وكان قد ابتلى فى جسده فقال انا لنبتئس لك لما نرى فيك قال
فلا تبتئس لما ترى فان ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية الى آخرها
وعن معاوية بن أبي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شئ يصيب
المؤمن فى جسده يؤذيه الا كفر الله به عنه من سيئاته اخرجه احمد وعن البراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود الا بما
قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر أخرجه ابن مردويه (وما أنتم بمعجزين فى الارض) أى
بفائتين ما قضاه عليكم هربا فى الارض ولا فى السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من
المصائب واقع عليهم نازل بهم (وما لكم من دون الله من ولى) يواليكم فيمنع عنكم
ما قضاه الله (ولا نصير) ينصركم من عذاب الله فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم ذكر سبحانه آية
أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده وصدق ما وعد به فقال (ومن آياته الجوار)
بحذف الياء من الخط لانها من يا آت الزوائد وباثباتها وحذفها فى اللفظ فى كل من الوصل
والوقف قراآت سبعية وهى السفن واحدتها جارية أى سائرة (فى البحر كالاعلام) أى
الجبال جمع علم وهو الجبل قال الخليل كل شئ مرتفع عند العرب فهو علم وقال مجاهد
الاعلام القصور واحدها علم (ان يشأ) قرأ الجمهور بالهمز وقرئ بلا همز (يسكن الريح)
قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمعنى يسكن الريح التى تجرى بها السفن (فيظللن) اى
السفن الجوارى العامة على فتح اللام التى هى عين الفعل وهو القياس لان الماضى
بكسرها وقرئ بكسرها وهو شاذ قال الزمخشرى من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل
قال الشيخ وليس كما ذكر لان يضل بفتح العين من ضللت بكسرها فى الماضى ويضل بالكسر
من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعنى ان كلا منهما له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان

أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) يقول تعالى منكرا على هؤلاء
المشركين فى جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم مايشتهون أى من الذكور أى يودون لانفسهم الجيد واذا بشر أحدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا وهو كظيم أى يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه الا البنين يقول عز وجل فكيف نسبوا الى الله تعالى القسم الذى
لا يختارونه لانفسهم ولهذا قال تعالى فاستفتهم أى سلهم على سبيل الانكار

أربك البنات ولهم البنون كقوله عز وجل ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقوله تبارك وتعالى أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون أى كيف حكموا على الملائكة أنهم اناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون أى يسئلون عن ذلك يوم القيامة وقوله جلت عظمته ألا انهم من افكهم أى من كذبهم ليقولون ولد الله أى صدر منه الولد وانهم لكاذبون فذكر الله تعالى عنهم فى الملائكة ثلاثة أقوال فى غاية الكفر والكذب فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف فى التخليد فى نار جهنم ثم قال تعالى منكرا عليهم أصطفى البنات على البنين أى أى شئ يحمله على ان يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولهذا قال تبارك وتعالى

مالكم كيف تحكمون أى أما لكم عقول تدبرون بها ما تقولونه أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين أى حجة على ما تقولونه فأتوا
بكتابكم ان كنتم صادقين أى هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا الى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى انه اتخذ ما تقولونه فانما
تقولونه لا يكن استناده الى عقل بل لا يجوّزه العقل بالكلية وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد قال المشركون
الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فمن أمهاتهن قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال
تبارك وتعالى ولقد علمت الجنة أى الذين نسبوا اليهم ذلك انهم لمحضرون أى ان الذين قالوا ذلك لمحضرون فى العذاب يوم الحساب

ماضيه مكسور العين فقط وظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار
فقط أفاده السمين (رواكد) اى سواكن ثوابت وقوفا يقال ركد الماء ركودا سكن وكذلك
ركدت الريح وركدت السفينة وكل ثابت فى مكان فهو راكد وركد الميزان استوى
وركد القوم هدؤا والمراكد المواضع التى يركد فيها الانسان وغيره (على ظهره) أى
ظهر البحر لا تجرى قال ابن عباس يتحركن ولا يجرين فى البحر (ان فى ذلك) الذى
ذكر من أمر السفينة (لآيات) دلالات عظيمة (لكل صبار شكور) أى لكل
من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء قيل الايمان نصفان نصف
صبر عن المعاصى ونصف شكر وهو الاتيان بالواجبات وقال قطرب الصبار الشكور
الذى اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر قال عون بن عبد الله فكم من منعم عليه غير شاكر
وكم من مبتلى غير صابر (أو يوبقهن) أى يهلكهن بالغرق قاله ابن عباس والمراد أهلهن
يقال أوبقه أى أهلكه (بما كسبوا) من الذنوب وقيل بما اشركوا والاول أولى فانه
يهلك فى البحر المشرك وغير المشرك (ويعف عن كثير) من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم
فينجيهم من الغرق قرأ الجمهور ويعف بالجزم عطفا على جواب الشرط قال القشيرى وفى
هذه القراءة اشكال لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد
أو يهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لانه يصير المعنى ان يشأ يعف
وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو اذن عطف على
المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم يعفو بالرفع وهى جيدة فى المعنى
قال أبو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى الا انه تعالى ان يشأ
أهلك ناسا وأنجى ناسا على طريق العفو عنهم وقرئ بالنصب باضمار ان بعد الواو (ويعلم
الذين يجادلون فى آياتنا) قرأ الجمهور بنصب يعلم قال الزجاج على الصرف قال ومعنى
الصرف صرف العطف على اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عطف
ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل
الذى قبله ولا يتأتى ذلك الا باضمار ان ليكون مع الفعل فى تأويل اسم وكما قال الزجاج قال
المبرد وأبو على الفارسى واعترض على هذا الوجه بما لا طائل تحته وقيل النصب على

لكذبهم فى ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله انه تبارك وتعالى هو وابليس اخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا حكاه ابن جرير وقوله جلت عظمته سبحان الله عما يصفون أى تعالى وتقدس وتنزه عن ان يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوا كبيرا وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع وهو من مثبت الا ان يكون الضمير فى قوله تعالى عما يصفون عائد الى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبى ومرسل وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى انهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وفى هذا الذى قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون) يقول تعالى مخاطبا للمشركين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم أى انما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذى ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك أى انما يضل به من هو مأفوك ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا اليهم من الكفر بهم والكذب عليهم انهم بنات الله ومامنا الا له مقام معلوم اى له موضع مخصوص فى السموات ومقامات العبادة لا يتجاوزه ولا يتعداه وقال ابن عساكر فى ترجمة محمد بن خالد بسنده الى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقال الضحاك فى تفسيره وما منا الا له مقام معلوم قال كان مسروق يروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من السماء الدنيا موضع الا عليه

العطف على تعليل محذوف والتقدير لينتقم منهم ويعلم واعترضه الحفناوى بأنه ترتب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير لينتقم منهم وقرأ نافع وابن عامر برفع يعلم على الاستئناف أى على انه جملة اسمية أو فعلية فعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلا وعلى كونها اسمية يكون مفعولا والفاعل ضمير مستتر يعود على مبتدا مقدر أى وهو يعلم الذين وهى قراءة ظاهرة واضحة اللفظ وقرئ بالجزم عطفا على المجزوم قبله على معنى وان يشأ يجمع بين الاهلاك والنجاة والتحذير ومعنى قوله (مالهم من محيص) مالهم من فرار ولا مهرب من العذاب قاله قطرب وقال السدى مالهم من ملجا وهو مأخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق أى يميل عنه ثم لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التنفير عن الدنيا فقال (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا) أى ما أعطيتم أيها الناس من الغنى والسعة فى الرزق وأثاث الدنيا فانما هو متاع قليل يتمتع بها فى أيام قليلة تنقضى وتذهب وتزول

انما الدنيا فناء * ليس للدنيا ثبوت
انما الدنيا كبيت * نسجته العنكبوت

ثم رغبهم فى ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال (وما عند الله) من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات هو (خير) من متاع الدنيا (وأبقى) لانه دائم لا ينقطع ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ثم بين سبحانه لمن هذا فقال (للذين آمنوا) أى صدقوا وعملوا على ما يوجبه الايمان (وعلى ربهم) لا على غيره (يتوكلون) أى يفوضون اليه أمورهم ويعتمدون عليه فى كل شؤنهم قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين تصدق بجميع ماله ولامه الناس (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) الموصول فى محل جر معطوف على الذين آمنوا أو بدل منه أو فى محل نصب على اضمار أعنى والاول أولى والمراد الكبائر من الذنوب وقد قدمنا تحقيقها فى سورة النساء قرأ الجمهور كبائر بالجمع وقرئ كبير بالافراد وهو يفيد مفاد كبائر لان الاضافة للجنس كاللام والرسم الكريم يحتمل القراءتين والفواحش هى من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك وقال مقاتل الفواحش موجبات الحدود وقال السدى هى الزنا فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل اذ الكبائر قد لا توجب الحد كالغيبة والنميمة

ملك ساجد أو قائم فذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وقال الامام الاعمش عن أبى اسحق عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان فى السموات لسماء ما فيها موضع شبر الا عليه جبهة ملك أو قدماه ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه وما منا الا له مقام معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت وما منا الا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتأخر النساء وانا لنحن الصافون أى نقف صفوفا فى الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى والصافات صفا قال ابن جرير عن الوليد ابن عبد الله بن أبى مغيث قال كانوا لا يصفون فى الصلاة حتى نزلت وانا لنحن الصافون فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضى الله عنه اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استقيموا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول وانا لنحن الصافون تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وفى صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض مسجدا وتربتها طهورا الحديث وانا لنحن المسبحون أى نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء اليه خاضعون لديه وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وما منا الا له مقام معلوم الملائكة وانا لنحن الصافون الملائكة وانا لنحن المسبحون الملائكة نسبح الله عز وجل وقال قتادة وانا لنحن المسبحون يعنى المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وقوله جل وعلا وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين أى قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الاولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال تعالى أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا

والنميمة (واذا ما غضبوا هم يغفرون) أى يتجاوزون عن الذنب الذى أغضبهم ويكظمون الغيظ ويحلمون على من ظلمهم وخص الغضب بالغفران لان استيلاءه على طبع الانسان وغلبته عليه شديدة فلا يغفره عند سورة الغضب الا من شرح الله صدره وخصه بمزيد الحلم ولهذا أثنى الله سبحانه عليهم بقوله فى آل عمران والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنفا يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وصنفا ينتصرون من ظالمهم وهم الذين سيأتى ذكرهم (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) أى أجابوه الى ما دعاهم اليه وأقاموا ما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة قال ابن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين أنفذ اليهم اثنى عشر نقيبا منهم قبل الهجرة وأقاموا الصلاة لمواقيتها بشروطها وهيآتها قاله القرطبى ونحوه فى البيضاوى (وأمرهم شورى بينهم) أى يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون بالرأى والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والقربى قال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وورد النقباء اليهم حين اجتمع رأيهم فى دار أبى أيوب على الايمان به والنصرة له وقيل المراد تشاورهم فى كل أمر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأى قال ابن العربى الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا وقد مدح الله تعالى المشاورة فى الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وما أحسن ما قاله بشار بن برد

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافى قوة للقوادم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاور أصحابه فى أموره وأمره الله سبحانه بذلك فقال وشاورهم فى الامر وذلك فى الآراء كثيرا ولم يكن يشاورهم فى الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فأما الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يتشاورون فى الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص عليها وتشاوروا فى أهل الردة فاستقر رأى أبى بكر على القتال وشاور عمر رضى الله عنه الهرمزان حين وفد عليه مسلما وقد قدمنا فى آل عمران كلاما فى الشورى (ومما رزقناهم

أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب بما كانوا يصدفون ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيدأ كيدًا وتهديدًا شديدًا على كفرهم بربهم عز
وجل وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول
عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين
وأبصر فسوف يبصرون) يقول تبارك وتعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أى تقدم فى الكتاب الاول ان
العاقبة للرسل وأتباعهم فى الدنيا
والآخرة كما قال تعالى كتب الله
لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز
وقال عز وجل انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد ولهذا قال جل جلاله
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون أى فى الدنيا
والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم
على قومهم ممن كذبهم وخالفهم
كيف أهلك الله الكافرين ونجى
عباده المؤمنين وان جندنا لهم
الغالبون أى تكون لهم العاقبة
وقوله جل وعلا فتول عنهم حتى
حين أى اصبر على أذاهم لك وانتظر
الى وقت مؤجل فانا سنجعل لك
العاقبة والنصرة والظفر ولهذا
قال بعضهم نسأذلك الى يوم بدر وما
بعدها أيضا فى معناها وقوله
جلت عظمته وأبصرهم فسوف
يبصرون أى انظرهم وارتقب
ماذا يحل بهم من العذاب والنكال
بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال
تعالى على وجه التهديد والوعيد
فسوف يبصرون ثم قال عز وجل
أفبعذابنا يستعجلون أى هم انما
يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع
هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة قال الله تبارك وتعالى فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين
أى فاذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم باهلاكهم ودمارهم وقال السدى فاذا نزل بساحتهم يعنى بدارهم فساء
صباح المنذرين أى فبئس ما يتصبحون أى بئس الصباح صباحهم ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث اسمعيل بن علية عن عبد
العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤسهم ومساحيهم ورأوا الجيش

يخالف

ينفقون) فى سبيل الخير ويتصدقون به على المحاويج ثم ذكر سبحانه الطائفة التى تنتصر
ممن ظلمها فقال (والذين اذا أصابهم البغى) أى بغى من بغى عليهم بغير الحق (هم ينتصرون)
أى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين فى معرض المدح كما ذكر
المغفرة عند الغضب فى معرض المدح لان التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله له
العزة حيث قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالانتصار عند البغى فضيلة كما ان العفو عند
الغضب فضيلة قال ابن العربى ذكر الله الانتصار فى البغى فى معرض المدح وذكر العفو عن
الجرم فى موضع آخر فى معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعا للآخر أو يكون
ذلك راجعا الى حالتين احداهما أن يكون الباغى معلنا بالفجور مؤذيا للصغير والكبير
فيكون الانتقام منه أفضل الثانية ان يقع ذلك ممن لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو
ههنا أفضل وهكذا ذكر الكيا الطبرى فى أحكامه وقال النخعى كانوا يكرهون ان يذلوا
أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء والفساق لكن هذا الانتصار مشروط بالاقتصار على
ما جعله الله له وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها)
فبين سبحانه ان العدل فى الانتصار هو الاقتصار على المساواة وظاهر هذا العموم وقال
مقاتل والشافعى وأبو حنيفة وسفيان ان هذا خاص بالمجروح ينتقم من الجارح بالقصاص
دون غيره وقال مجاهد والسدى هو جواب القبيح اذا قال شخص أخزاك الله يقول
أخزاك الله من غير أن يعتدى واذا انتصر فقد استوفى ظلامته وبرئ الاول من حقه وبقى
عليه اثم الابتداء والاثم لحق الله تعالى وتسمية الجزاء سيئة اما لكونها تسوء من وقعت
عليه أو على طريق المشاكلة لتشابههما فى الصورة أخرج النسائى وابن ماجه وابن
مردويه عن عائشة قالت دخلت على زينب وعندى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فأقبلت على فسبتنى فردعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم تنته فقال لى سبيها فسببتها
حتى جف ريقها فى فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل سرورا وأخرج
أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن مردويه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم المستبان ما قالا من شئ فعلى البادئ حتى يعتدى المظلوم ثم قرأ وجزاء
سيئة سيئة مثلها (فمن عفا) الفاء للتفريع أى اذا كان الواجب فى الجزاء رعاية المماثلة من
غير زيادة وهى عسرة جدا فالاولى العفو والاصلاح اذا كان قابلا للاصلاح فلا يرد انه

يخالف قولهم الحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم والمعنى من عفا عن ظلمه
(وأصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه (فأجره على الله) أي يأجره على ذلك لا محالة وأبهم الاجر
تعظيما لشأنه وتنبيها على جلالته قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة وقد بينا
هذا في سورة آل عمران والمقصود من الآية التحريض على العفو وقد عرفت التوفيق
بينه وبين الانتصار أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا ليقم من كان له على الله أجر فلا
يقوم الا من عفا في الدنيا وذلك قوله فمن عفا الآية وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال ينادي مناد من كان له أجر على الله فليدخل الجنة مرتين فيقوم
من عفا عن أخيه قال الله تعالى فمن عفى الآية ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محبته التي
هي سبب الفوز والنجاة فقال (انه لا يحب الظالمين) يعني من يبدأ بالظلم قاله مقاتل وبه
قال سعيد بن جبير وقيل لا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لان المجاوزة
ظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) مصدر مضاف الى المفعول أي بعد ان ظلمه الظالم واللام هي
لام الابتداء وقال الحوفي وابن عطية هي لام القسم وليس بجيد بل الاول أولى ومن هي
الشرطية وجوابه (فأولئك ما عليهم من سبيل) بمؤاخذة وعقوبة لانهم فعلوا ما هو جائز
لهم وقيل من موصولة والاول أولى وفي القرطبي الآية دليل على ان له ان يستوفي ذلك
بنفسه وهذا ينقسم ثلاثة أقسام وذكرها في حاشية الجمل لا نطول ببسطها فمحلها كتب
الفقه دون التفاسير ولما نفى سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل
فقال (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الاكثر
وقال ابن جريج أي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم (ويبغون في الارض) أي يعملون في
النفوس والاموال (بغير الحق) كذا قال الاكثر قيده به لان البغي قد يكون ممدوحا بحق
كالانتصار المقترن بالتعدي فيه وقال مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقيل يتكبرون
ويتجبرون وقال أبو مالك هو ما يرجوه أهل مكة ان يكون بمكة غير الاسلام دينا (أولئك)
أي الذين يظلمون الناس (لهم) بهذا السبب (عذاب أليم) شديد الالم ثم رغب سبحانه في
الصبر والعفو فقال (ولمن صبر وغفر) كرره اهتماما بالصبر وترغيبا فيه والصبر هنا هو
الاصلاح المتقدم فأعيد هنا وعبر عنه بالصبر لانه من شأن أولي العزم واشارة الى ان العفو

رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي
عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه قال لما صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقد أخذوا
مساحيهم وغدوا الى حروثهم وأرضيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا مدبرين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين لم يخرجوه من هذا الوجه وهو (٢٨١) صحيح على شرط الشيخين وقوله تعالى وتول عنهم
حتى حين وأبصر فسوف يبصرون
تأكيد لما تقدم من الامر بذلك
والله سبحانه وتعالى أعلم (سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين)
ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة
ويقدسها ويبريها عما يقول
الظالمون المكذبون المعتدون تعالى
وتنزه وتقدس عن قولهم علوا كبيرا
ولهذا قال تبارك وتعالى سبحان
ربك رب العزة أي ذي العزة
التي لا ترام عما يصفون أي عن
قول هؤلاء المعتدين المفترين
وسلام على المرسلين أي سلام الله
عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة
ما قالوه في ربهم وصحته وحقيته
والحمد لله رب العالمين أي له الحمد
في الاولى والآخرة في كل حال ولما
كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة
من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم
اثبات الكمال كما ان الحمد يدل على
اثبات صفات الكمال مطابقة
ويستلزم التنزيه من النقص قرن
بينهما في هذا الموضع وفي مواضع
كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك
وتعالى سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما أنا رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من
حديث سعيد عنه كذلك وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الاعين
ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قالا حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا

نوح حدثنا أبو مروان عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أراد ان يسلم قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم يسلم اسناده ضعيف وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شبابة عن يونس عن أبي اسحق عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى من وجه آخر متصل (٢٨٢) موقوف على علي رضي الله عنه قال أبو محمد البغوي في تفسيره أخبرنا

أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الاصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه قال من أحب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الاوفى من الاجر وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك وقد أفردت لها جزأ على حدة فلا يكتب ههنا ان شاء الله تعالى آخر تفسير سورة والصافات والله أعلم

المحمود ما نشأ عن التحمل لا عن العجز والمعنى ومن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه لوجه الله ولم ينتصر وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى (ان ذلك) الصبر والمغفرة منه وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم (لمن عزم الامور) قال مقاتل أي من الامور التي أمر الله بها وندب اليها أو مما ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه قال أبو سعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه وقال الزجاج الصابر يؤتى بصبره ثوابا فالرغبة في الثواب أتم عزما قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وانه خاص بالمشركين وقال قتادة انه عام وهو ظاهر النظم القرآني وقال ههنا بلام التوكيد وفي لقمان بدونها لان الصبر على مكروه حدث بظلم كقتل ولد أشد من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم كموت ولد كما ان العزم على الاول آكد منه على الثاني وما هنا من القبيل الاول فكان أنسب بالتوكيد وما في لقمان من القبيل الثاني فكان أنسب بعدمه افاده الكرخي (ومن يضلل الله) اي يخذله (فماله من ولي من بعده) أي فماله من احد يلي هدايته وينصره وظاهر الآية العموم وقيل هي خاصة بمن أعرض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعمل بما دعاه اليه من الايمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القربى أي فمن أضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هاد قاله القرطبي والاول أولى (وترى) الخطاب في الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية والرؤية فيهما بصرية والجملة الواقعة بعد كل منهما حالية (الظالمين) أي المشركين المكذبين بالبعث (لما رأوا العذاب) أي حين نظروا النار وقيل نظروا ما أعده الله لهم عند الموت واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) أي هل الى الرجعة الى الدنيا من طريق (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي ساكنين متواضعين من أجله (ينظرون) اليها (من طرف خفي) أي ذليل قاله

ابن

(تفسير سورة ص وهي مكية)

*(بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص) اما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والقرآن ذي الذكر أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى ذي الذكر كقوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي تذكيركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير واسمعيل بن

أبي خالدوا بن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدى ذى الذكر ذى الشرف أى ذى الشأن والمكانة ولامنافاة بين القولين فانه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعذار والانذار واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وقيل قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار حكاهما ابن جرير وهذا الثانى فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا فى عزة وشقاق واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية انه قال جوابه ص جعلها بمعنى صدق حق والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ماتضمنه سياق السورة بكمالها والله أعلم وقوله تبارك وتعالى بل الذين كفروا فى عزة وشقاق أى ان فى هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر وانما لم ينتفع به الكافرون لانهم فى عزة أى استكبار عنه وحمية وشقاق أى ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ثم خوفهم ما أهلك به الامم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن أى من امة مكذبة فنادوا أى حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا الى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيأ كما قال عز وجل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أى يهربون لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى اسحق عن التميمى قال سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى فنادوا ولات حين مناص قال ليس بحين ترو ولا فرار وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس بحين مغاث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وانشد * تذكر ليلى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب فى قوله تعالى فنادوا ولات حين مناص يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة عن حين النداء وقال مجاهد فنادوا ولات حين مناص ليس بحين فرار ولا اجابة وقد روى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والضحاك وزيد بن اسلم والحسن وقتادة وعن مالك عن زيد بن اسلم ولات حين مناص ولا نداء فى غير حين النداء وهذه الكلمة وهى لات هى لا التى للنفى زيدت معها التاء كما تزاد فى ثم فيقولون ثمت ورب فيقولون ربت وهى مفصولة والوقف عليها ومنهم من

ابن عباس ومن هى لابتداء الغاية أى يبتدئ نظرهم الى النار ويجوز أن تكون تبعيضية وقال يونس من بمعنى الباء أى ينظرون بطرف ضعيف من الذل والخوف وبه قال الاخفش والطرف الخفى الذى يخفى نظره كالمصبور ينظر الى السيف لما لحقهم من الذل والخوف والوجل قال مجاهد وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف خفى وقال قتادة وسعيد بن جبير والسدى والقرظى ومحمد بن كعب يسارقون النظر الى النار من شدة الخوف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) أى ان الكاملين فى الخسران هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الانفس والاهلين بتخليدهم فى النار (يوم القيامة) اما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقال فالقول فى القيامة ويكون التعبير عنه بالماضى للدلالة على تحقق وقوعه قاله أبو السعود وأما خسرانهم لانفسهم فلكونهم صاروا فى النار معذبين بها واما خسرانهم لاهليهم فلانهم ان كانوا معهم فى النار فلا ينتفعون بهم وان كانوا فى الجنة فقد حيل بينهم وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو آمنوا لكان لهم فى الجنة أهل من الحور العين (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم) هذا من تمام كلام المؤمنين أو من كلام الله سبحانه أى هم فى عذاب دائم لا ينقطع (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أى لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب وأنصار ينصرونهم فى ذلك الموطن من دون الله بل هو المتصرف سبحانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن (ومن يضلل الله فماله من سبيل) أى من طريق يسلكها الى النجاة ثم أمر سبحانه عباده بالاستجابة وحذرهم فقال (استجيبوا لربكم) أى استجيبوا دعوته لكم الى الايمان به وبكتبه ورسله (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يقدر أحد على رده ودفعه على معنى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد ولا يرده الله بعد ان حكم به على عباده ووعدهم به والمراد به يوم القيامة أو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) تلجؤن اليه (ومالكم من نكير) أى انكار يعنى بل تعترفون بذنوبكم لانها مدونة فى صحائفكم وتشهد بها عليكم جوارحكم وقال مجاهد مالكم من ناصر ينصركم وقيل النكير بمعنى المنكر كالاليم بمعنى المؤلم أى لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن أبى حاتم وقاله الكلبى وغيره والاول أولى قال الزجاج معناه انهم

حكى عن المصحف الامام فيما ذكره ابن جرير انها متصلة بحين ولا تحين مناص والمشهور الاول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره
وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ومنهم من جوز الجر بها وانشد

طلبوا صلحنا ولات أوان * فاجبنا ان ليس حين بقاء

وانشد بعضهم ايضا

ولات ساعة مندم * بخفض الساعة

واهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ولهذا قال تبارك وتعالى ولات حين مناص اى ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) يقول تعالى مخبرا عن المشركين فى تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا كما قال عز وجل أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين وقال جل وعلا ههنا وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أى بشر مثلهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا أى أزعم ان المعبود واحد لا اله الا هو أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الاوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى خلع ذلك من قلوبهم وافراد الاله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب وانطلق الملأ منهم وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين امشوا أى استمروا على دينكم واصبروا على آلهتكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم اليه محمد من التوحيد

لا يقدرون ان يشكروا الذنوب التى يوقفون عليها (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى حافظا تحفظ أعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلا بهم رقيبا عليهم لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان) أى ما (عليك الا البلاغ) لما امرت بابلاغه وليس عليك غير ذلك وهذا منسوخ بآية السيف لانه قبل الامر بالجهاد (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) أى اذا أعطيناه رخاء وصحة وغنى (فرح بها) بطرا ونعم الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلهذا سمى الانعام اذاقة والمراد بالانسان الجنس ولهذا قال (وان تصبهم سيئة) أى بلاء وشدة ومرض وفقر (بما قدمت أيديهم) من الذنوب وعبر بالايدى لان أكثر الافعال تزاول بها (فان الانسان كفور) أى كثير الكفر بما أنعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها وهذا باعتبار غالب جنس الانسان ولم يقل فانه كفور بل وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغطيها ثم ذكر سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال (لله ملك السموات والارض) أى له التصرف فيهما بما يريد لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع والملك بالضم الاستيلاء على الشئ والتمكن من التصرف فيه وفى المصباح وملك على الناس أمرهم ملكا من باب ضرب اذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم (يخلق ما يشاء) من الخلق (يهب لمن يشاء اناثا) بدل مفصل من مجمل أى لا ذكور معهن قاله مجاهد والحسن والضحاك وأبو مالك وأبو عبيدة وقال ابن عباس يريد لوطا وشعيبا لانهما لم يكن لهما الا البنات (ويهب لمن يشاء الذكور) أى لا اناث معهم يريد ابراهيم لانه لم يكن له الا الذكور قاله ابن عباس قيل وتعريف الذكور بالالف واللام للدلالة على شرفهم على الاناث ويمكن ان يقال ان التقديم للاناث قد عارض ذلك فلا دلالة فى الآية على المفاضلة بل هى مسوقة لمعنى آخر وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه الرجال قوامون على النساء بما فضل الله وغير ذلك من الادلة الدالة على شرف الذكور على الاناث وقيل تقديم الاناث لكثرتهن بالنسبة الى الذكور وقيل لتطيب قلوب آبائهن وقيل لغير ذلك مما لا حاجة الى التطويل بذكره اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الاسقع عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال من بركة المرأة ابتكارها بالانثى لان الله قال يهب لمن يشاء اناثا الخ (أو يزوجهم

ذكرانا

وقوله تعالى ان هذا الشيء يراد قال ابن جرير ان هذا الذي يدعونا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشيء يريد به الشرف
عليكم والاستعلاء وان يكون له منكم اتباع ولسنا مجيبيه اليه ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات قال السدي ان ناسا من
قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال
بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه الذي يعبده فانا نخاف
ان يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم
يقال له المطلب فاستأذن لهم على
أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك
وسراتهم يستأذنون عليك قال
أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا
طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا
من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم
آلهتنا وندعه والهه قال فبعث اليه
أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي هؤلاء
مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك
ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك
والهك قال صلى الله عليه وسلم يا عم
أفلا أدعوهم الى ما هو خير لهم قال
والام تدعوهم قال صلى الله عليه
وسلم ادعوهم ان يتكلموا بكلمة
تدين لهم بها العرب ويملكون بها
العجم فقال أبو جهل لعنه الله من
بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها
وعشر أمثالها قال صلى الله عليه
وسلم تقولون لا اله الا الله فنفروا
وقالوا اسلنا غيرها قال صلى الله عليه
وسلم لو جئتموني بالشمس حتى
تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها
فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله
لنشتمنك والهك الذي أمرك بهذا
وانطلق الملأ منهم ان امشوا
واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرج دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه الى
قول لا اله الا الله فأبى وقال بل على دين الاشياخ ونزلت انك لا تهدي من أحببت وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن
وكيع قالا حدثنا أبو اسامة حدثنا الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما مرض أبو
طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه
فنهيته فبعث اليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل لعنه الله

ذكرانا وأناثا) اي يقرن بين الاناث والذكور ويجعلهم ازواجا فيهب لهما جميعا لبعض خلقه
يريد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله
وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة قاله ابن عباس قال مجاهد
هو ان تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان
تلد توأما غلاما وجارية وقال القتيبي التزويج ههنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب
زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار ومعنى الآية أوضح من ان يختلف في مثله فانه
سبحانه أخبر انه يهب لبعض خلقه اناثا ويهب لبعض خلقه ذكورا ويجمع لبعض بين
الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) لا يولد له ذكر ولا أنثى والعقيم الذي لا يولد له
يريد يحيى وعيسى قاله ابن عباس وقال أكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم
عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف يشاء
فلا معنى للتخصيص يقال رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة تعقم عقما وأصله القطع
ويقال نساء عقم وعقماء وعقام (انه عليم قدير) أي بليغ العلم عظيم القدرة (وما كان
لبشر) أي ما صح لفرد من افراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الا وحيا) بأن
يوحي اليه فيلهمه في المنام ويقذف في قلبه ذلك قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون
الهاما منه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم في ذبح ولده والوحي الاشارة والرسالة
والكتابة وكل ما ألقيته الى غيرك ليعلمه وحي كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحى
اليه يحيى من باب وعى وأوحى اليه بالالف مثله ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقى الى الانبياء
من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالالف (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى
يريد ان كلامه يسمع من حيث لا يرى وهو تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم خواصه من
وراء حجاب قال ابن عباس في الآية الا ان يبعث ملكا يوحي اليه من عنده أو يلهمه فيقذف
في قلبه أو يكلمه من وراء حجاب وقيل المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا
(أو يرسل رسولا) أي ملكا (فيوحي) ذلك الملك الى الرسول من البشر (باذنه) أي بأمر
الله وتيسيره (ما يشاء) ان يوحي اليه قال الزجاج المعنى ان كلام الله للبشر اما أن يكون
بالهام يلهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى أو برسالة ملك اليهم وتقدير الكلام
ما كان لبشر أن يكلمه الله الا ان يوحي وحيا أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولا ومن

ان جلس الى جنب أبى طالب ان يكون أرق له عليه فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب
عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأ كثروا
عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم انى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى
اليهم بها العجم الجزية ففزعوا الكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وماهى وقال أبو طالب وأى كلمة هى
يا ابن أخى قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله (٢٨٦) فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون اجعل الآلهة الها واحدا
ان هذا الشىء عجاب قال ونزلت من
هذا الموضع الى قوله بل لما يذوقوا
عذاب لفظ أبى كريب وهكذا رواه
أحمد والنسائى من حديث محمد بن
عبد الله بن نمير كلاهما عن أبى
اسامة عن الاعمش عن عباد غير
منسوب به نحوه ورواه الترمذى
والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير
أيضا كلهم فى تفاسيرهم من حديث
سفيان الثورى عن الاعمش عن
يحيى بن عمارة الكوفى عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضى الله
عنه ما فذكر نحوه وقال الترمذى
حسن وقولهم ما سمعنا بهذا فى الملة
الآخرة أى ما سمعنا بهذا الذى
يدعونا اليه محمد من التوحيد فى
الملة الآخرة قال مجاهد وقتادة
وابو زيد يعنون دين قريش وقال
غيرهم يعنون النصرانية قاله
محمد بن كعب والسدى وقال العوفى
عن ابن عباس رضى الله عنهما
ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة يعنى
النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن
حقا اخبرتنا به النصارى ان هذا
الا اختلاق قال مجاهد وقتادة
كذب وقال ابن عباس تخرص
وقولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا يعنى انهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم فيه
كما قالوا فى الآية الاخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم
معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ولهذا لما قالوا هذا الذى دل على جهلهم وقلة عقلهم فى استبعادهم انزال
القرآن على الرسول من بينهم قال الله تعالى بل لما يذوقوا عذاب أى انما يقولون هذا لانهم ما ذاقوا الى حين قولهم ذلك عذاب
الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون الى نار جهنم دعا ثم قال تعالى مبينا انه المتصرف فى ملكه الفعال

قرأ يرسل رفعا أراد وهو يرسل فهو ابتداء واستئناف انتهى وقرأ الجمهور بنصب يرسل
وبنصب فيوحى على تقدير ان وتكون ان وما دخلت عليه معطوفين على وحيا ووحيا فى
محل الحال والتقدير الا موحيا أو مرسلا ولا يصح عطف أو يرسل على ان يكلمه لانه
يصير التقدير وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا وهو فاسد لفظا ومعنى وقد قيل فى
توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف وقرئ بالرفع وكذلك فيوحى باسكان
الياء على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير أو هو يرسل كما قال الزجاج وغيره وجملة
(انه على حكيم) تعليل لما قبلها أى متعال عن صفات النقص حكيم فى كل أحكامه قال
المفسرون سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم الا تكلم الله
وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى فنزلت (وكذلك) أى كالوحى الذى أوحينا الى
الانبياء قبلك (أوحينا اليك روحا من أمرنا) المراد به القرآن قاله ابن عباس وقيل النبوة
قال مقاتل يعنى الوحى بامرنا ومعناه القرآن لانه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر
وقيل من تبعيضية لان الموحى اليه لا ينحصر فى القرآن وقيل المراد به الرحمة وقيل جبريل
ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى اليه فقال (ما كنت تدرى ما الكتاب) أى أى
شئ هو لانه صلى الله عليه وآله وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك أدخل فى الاعجاز وأدل
على صحة نبوته ومعنى (ولا الايمان) انه كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرف تفاصيل
الشرائع ومعالمها ولا يهتدى الى معانيها كالصلاة والصوم والزكاة والختان وايقاع
الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر وهذا هو الحق وخص
الايمان لانه رأسها وأساسها وقيل أراد بالايمان هنا الصلاة قال بهذا جماعة من أهل العلم
منهم امام الائمة محمد بن اسحق بن خزيمة واحتج بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
يعنى الصلاة فسماها ايمانا وذهب جماعة الى ان الله لم يبعث نبيا الا وقد كان مؤمنا به
وقالوا معنى الآية ما كنت تدرى قبل الوحى كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى
الايمان وقيل كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفى المهد وقال الحسين بن الفضل انه
على حذف المضاف أى ولا أهل الايمان وقيل المراد بالايمان دين الاسلام وقيل الايمان
هنا عبارة عن الاقرار بكل ما كلف الله به العباد وقال الكواشى ويجوز أن يراد بالايمان
نفس الكتاب وهو القرآن وعطف عليه لاختلاف لفظيهما أى ما كنت تعرف القرآن وما

لما يشاء الذى يعطى من يشاء ما يشاء و يعز من يشاء ويذل من يشاء و يهدى من يشاء و يضل من يشاء و ينزل الروح من أمره على يشاء من عباده و يختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله وان العباد لا يملكون شيأ من الامر وليس اليهم من التصرف فى الملك ولا مثقال ذرة ولا يملكون من قطمير ولهذا قال تعالى منكرا عليهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أى العزيز الذى لا يرام جنابه الوهاب الذى يعطى ما يريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل (٢٨٧) ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا وذلك بعد الحكاية عن الكفار انهم أنكروا بعثة الرسول البشرى صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى الاسباب قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعنى طرق السماء وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا الى السماء السابعة ثم قال عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب أى هؤلاء الجند المكذبون الذين هم فى عزة وشقاق سيهزمون و يغلبون و يكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الاحزاب المكذبين وهذه الآية كقوله جلت عظمته أم

فيه من الاحكام ويدل على هذا التأويل توحيد الضمير فى جعلناه وقيل المراد بالايمان الكلمة التى بها دعوة الايمان والتوحيد وهى لا اله الا الله محمد رسول الله والايمان بهذا التفسير انما علمه بالوحى لا بالعقل قاله الكرخى وعن على قال قيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا ومازلت أعرف ان الذى هم عليه كفر وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القرآن وما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (ولكن جعلناه نورا) أى جعلنا الروح الذى أوحيناه اليك ضياء ودليلا على التوحيد والايمان (نهدى به) المراد به الهداية الموصلة بدليل قوله (من نشاء) هدايته (من عبادنا) ونرشده الى الدين الحق (وانك لتهدى) أى كل مكلف فالهداية فيه أعم من التى قبلها قرأ الجمهور لتهدى على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وقرئ بضم التاء وكسر الدال من أهدى وفى قراءة أبى وانك لتدعو (الى صراط مستقيم) قال قتادة والسدى ومقاتل وانك لتدعو الى الاسلام فهو الصراط المستقيم ثم بين الصراط المستقيم بقوله (صراط الله) بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة وفى هذه الاضافة للصراط الى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا والمعنى انه المالك لذلك والمتصرف فيه (ألا الى الله تصير) أى ترجع (الامور) يوم القيامة لا الى غيره أى جميع أمور الخلائق بارتفاع الوسائط والتعلقات وعلى هذا المضارع على ظاهره وقيل المراد بهذا المضارع الديمومة كقولك زيد يعطى و يمنع أى من شأنه ذلك وليس المراد حقيقة المستقبل لان الامور منوطة به تعالى كل وقت وفيه وعيد بالبعث المستلزم للمجازاة ووعد بنعيم الجنات فيثيب المحسن و يعاقب المسئ قال سهيل بن ابى الجعد احترق مصحف ولم يبق منه الا قوله ألا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فانمحى كله الا قوله ذلك والله أعلم ذكره القرطبى

(سورة الزخرف وهى تسع وثمانون آية)

قال القرطبى هى مكية بالاجماع وبه قال ابن عباس قال مقاتل الا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا يعنى فانها نزلت بالمدينة

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) الكلام ههنا كالكلام الذى قدمناه والله أعلم بمراده

يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع و يولون الدبر وكان ذلك يوم بدر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات فى مخالفة الرسل وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد تقدمت قصصهم مبسوطة فى أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الاحزاب أى كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا

فادفع ذلك عنهم من عذاب الله من شئ لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب فجعل علة
اهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق
قال مالك عن زيد بن أسلم أى ليس لها مثنوية أى ما ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أى فقد اقتربت ودنت
وأزفت وهذه الصيحة هى نفخة الفزع الذى يأمر الله تعالى اسرافيل ان يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والارض الا فزع
الا من استثنى الله عز وجل وقوله جل جلاله (٢٨٨) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب هذا انكار من الله تعالى
على المشركين فى دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوا تعجيل العذاب زاد قتادة كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ان كانت موجودة ليلقوا ذلك فى الدنيا وانما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب وقال ابن جرير تعجيل ما يستحقونه من الخير والشر فى الدنيا وهذا الذى قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك واسمعيل ابن أبى خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمرا له بالصبر على أذاهم ومبشرا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر (واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أوّاب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أوّاب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ذا أيد
والايد القوة فى العلم والعمل قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدى وابن زيد الايد القوة وقرأ ابن زيد والسماء بنيناها بايد
وانا لموسعون وقال مجاهد الايد القوة فى الطاعة وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة فى العبادة وفقها فى
الاسلام وقد ذكر لنا انه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر وهذا ثابت فى الصحيحين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام الى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف

به (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان
ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين الواضح للمتدبرين وهو من الايمان الحسنة
البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاده بما فيها من
الدلالة على المقسم عليه وجواب القسم (انا جعلناه قرآنا عربيا) وهذا عندهم من البلاغة
وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد ان أريد بالكتاب القرآن وان أريد به جنس
الكتب المنزلة لم يكن من ذلك والضمير فى جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثانى
يعود على القرآن وان لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطا الزمخشرى فى
تجويزه أن يكون بمعنى خلقناه قاله السمين والمعنى سميناه وصيرناه ووصفناه ولذلك تعدى
الى مفعولين وقال السدى أى أنزلناه قرآنا وقال مجاهد قلناه وقال سفيان الثورى بيناه
وكذا قال الزجاج أى أنزل بلسان العرب لان كل نبى أنزل كتابه بلسان قومه وقال مقاتل
لان لسان أهل الجنة عربى (لعلكم تعقلون) أى لكى تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا
بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون (وانه) أى وان القرآن (فى أم الكتاب لدينا) أى
عندنا (لعلى حكيم) أخبر عن منزلته وشرفه وفضله أى ان كذبتم به يا أهل مكة فانه عندنا
شريف رفيع القدر محكم النظم فى أعلى طبقات البلاغة ودرجات الفصاحة لا يوجد فيه
اختلاف ولا تناقض والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخلة تحت معنى القسم أو
مستأنفة مقررة لما قبلها قال الزجاج أم الكتاب أصل الكتاب وأصل كل شئ أمه والقرآن
مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ قال ابن جريج
المراد بقوله وانه الخ أعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية عن ابن عباس قال ان
أول ما خلق الله من شئ القلم وأمره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة عنده ثم قرأ هذه
الآية وأخرج ابن مردويه نحوه عن أنس مرفوعا (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) يقال
ضربت عنه واضربت عنه اذا تركته وأمسكت عنه كذا قال الفراء والزجاج وغيرهما
وانتصاب صفحا على المصدرية أو على الحال أى صافحين والصفح مصدر قولهم صفحت
عنه اذا أعرضت عنه وذلك انك توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر هنا القرآن
والاستفهام للانكار والتوبيخ قال الكسائى المعنى أفنضرب عنكم الذكر طيا فلا تعظون
ولا تؤمرون وقال مجاهد وأبو صالح والسدى أفنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على
اسرافكم

الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى وانه كان أوّابا وهو الرجاع الى الله عز وجل في جميع أموره وشؤنه وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق أي انه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند اشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل ياجبال أوّبي معه والطير وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه اذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لايستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعا له قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن (٢٨٩) مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه بلغه ان أم هانئ رضي الله عنها ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت ان لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل يسبحن بالعشي والاشراق ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاه عبد الله بن الحرث بن نوفل ان ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبري هذا ما أخبرتني فقالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى الا الآن يسبحن بالعشي والاشراق وكنت أقول أين صلاة الاشراق وكان بعد يقول صلاة الاشراق ولهذا قال عز وجل والطير محشورة أي محبوسة في الهواء كل له أوّاب أي مطيع يسبح تبعا له قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد كل له أوّاب أي مطيع وقوله تعالى وشددنا ملكه أي جعلناه ملكا كاملا من جميع ما يحتاج اليه الملوك قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطانا وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف وقال بعض السلف بلغني انه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا لا تدور عليهم النوبة الى مثلها من العام القابل وقال غيره اربعون ألفا مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحمر عن

اسرافكم وكفركم وقال قتادة المعنى أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم وروى عنه انه قال المعنى أفنمسك عن انزال القرآن من قبل انكم لا تؤمنون به وقيل الذكر التذكير كأنه قال انترك تذكيركم (ان كنتم قوما مسرفين) قرئ ان بالكسر على انها الشرطية والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه وبفتحها على التعليل أي لان كنتم قوما منهمكين في الاسراف مصرين عليه مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة قال ابن عباس في الآية أحسبتم أن نصفح عنكم ولم تفعلوا ما أمرتم به ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وكم أرسلنا من نبي في الاولين) كم هي الخبرية التي معناها التكثير والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الانبياء في الامم السابقة (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك (فأهلكنا) قوما (أشد منهم) أي من هؤلاء القوم (بطشا) أي قوة تمييز أو حال أي باطشين والاول أحسن والبطش شدة الاخذ (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل لشهرتها وقال قتادة عقوبتهم وقيل صفتهم في الاهلاك والمثل الوصف والخبر وفي هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد شديد لهم لانه يتضمن ان الاولين أهلكوا بتكذيب الرسل وهؤلاء ان استمروا على تكذيبك والكفر بما جئت به هلكوا مثلهم (ولئن) لام قسم (سألتهم) أي هؤلاء الكفار من قومك (من خلق السموات والارض) أي هذه الاجرام العلوية والسفلية (ليقولن خلقهن العزيز العليم) جواب القسم لا جواب الشرط وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر منهما وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين وكرر الفعل للتوكيد اذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا والمعنى أقروا بان الله خالقهن ولم ينكروا ذلك وهذا أسوأ لحالهم وأشد لعقوبتهم لانهم عبدوا بعض مخلوقات الله وجعلوه شريكا له بل عمدوا الى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات وهي الاصنام فجعلوها شركاء لله ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم نعمته على عباده وكمال قدرته في مخلوقاته فقال (الذي جعل لكم الارض مهدا) أي فراشا كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها مزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن

عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان نفرين من بنى اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داود عليه الصلاة والسلام انه اغتصبه بقرا فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة فارجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام فى المنام بقتل المدعى فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى فقال يانبى الله علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقرى فقال له ان الله تعالى أمرنى بقتلك فانا قاتلك لا محالة فقال والله يانبى الله ان الله لم يأمرك بقتلى لاجل هذا الذى ادعيت عليه وانى لصادق فيما ادعيت ولكنى كنت قد اغتلت اباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل قال ابن عباس رضى الله عنهما فاشتدت هيبته فى بنى اسرائيل وهو الذى يقول الله عز وجل وشددنا ملكه وقوله جل وعلا وآتيناه الحكمة قال مجاهد يعنى الفهم والعقل والفطنة وقال مرة الحكمة العدل وقال مرة الصواب وقال قتادة كتاب الله واتباع مافيه وقال السدى الحكمة النبوة وقوله جل جلاله وفصل الخطاب قال شريح القاضى والشعبى فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعى أويمين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذى فصل به الانبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الامة الى يوم القيامة وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمى وقال مجاهد والسدى هو اصابة القضاء وفهم ذلك وقال مجاهد ايضا هو الفصل فى الكلام وفى الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمر بن شبة النميرى حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه عن بلال بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى رضى الله عنه قال أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب وكذا قال الشعبى فصل الخطاب أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب)

الانتفاع بها فى الزراعة والابنية فلا انتفاع بها انما حصل لكونها مسطحة قارة ساكنة وقد تقدم بيانه قرأ الجمهور مهادا وقرأ الكوفيون مهدا وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله ولو كان متصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا الذى جعل لنا الارض مهادا (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا تسلكونها الى حيث تريدون ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك فى مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك وقيل معايش تعيشون بها (لعلكم تهتدون) بسلوكها الى مقاصدكم ومنافعكم فى اسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زرائعكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق ولا دونها حتى تحتاجوا الى الزيادة وعلى حسب ما تقتضيه مشيئته فى أرزاق عباده بالتوسيع تارة والتقتير اخرى (فأنشرنا به بلدة ميتا) أى أحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات وفيه التفات قرأ الجمهور ميتا بالتخفيف وقرئ بالتشديد (كذلك) أى مثل ذلك الاحياء للارض باخراج نباتها بعد أن كانت لانبات بها (تخرجون) أى تبعثون من قبوركم أحياء فان من قدر على هذا اقدر على ذلك وقد مضى بيان هذا فى آل عمران والاعراف قرأ الجمهور تخرجون مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل (والذى خلق الازواج كلها) أى الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود قال سعيد بن جبير الاصناف كلها وقال الحسن الازواج الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والارض والجنة والنار وقيل أزواج الحيوان من ذكر وأنثى وقيل أزواج النبات كقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها بعمومه وقيل الاول أولى قال بعض المحققين كل ماسوى الله فهو زوج كالفوق والتحت والربيع والخريف واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل والذوات والصفات وكونها أزواجا يدل على انها ممكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد (وجعل لكم من الفلك) السفن (والانعام ماتركبون) أى ماتركبونه فى البحر والبر وأريد بالانعام هنا ماركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله فى سورة النحل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فحينئذ فى الانعام هنا تغليب

قدذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لانه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الائمة فالاولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وان يرد علمها الى الله عز وجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى ففزع منهم انما كان ذلك لانه كان فى محرابه وهو أشرف مكان فى داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر الا بشخصين قد تسورا عليه المحراب اى احتاطا به يسألانه عن شأنهما وقوله عز وجل وعزنى فى الخطاب أى غلبنى يقال عز يعز اذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود انما فتناه قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى اختبرناه وقوله تعالى وخر راكعا أى ساجدا وأناب ويحتمل انه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر انه استمر ساجدا أربعين صباحا فغفرنا له ذلك اى ما كان منه مما يقال فيه ان حسنات الابرار سيآت المقربين وقد اختلف الائمة فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود على قولين الجديد من مذهب الشافعى رضى الله عنه انها ليست من عزائم السجود بل هى سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا اسمعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى السجدة فى ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها ورواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى فى تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذى حسن صحيح وقال النسائى أيضا عند تفسير هذه الآية أخبرنى ابراهيم بن الحسن هو المقسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا تفرد بروايته النسائى ورجال اسناده كلهم ثقات وقد أخبرنى شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا ابو اسحق المدرجى أخبرنا زاهر بن أبى طاهر الثقفى حدثنا زاهر بن أبى طاهر الشحامى أخبرنا ابو سعيد الخبرورى أخبرنا الحاكم ابو احمد محمد ابن محمد الحافظ أخبرنا ابو العباس السراج حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن

اذ الانعام هى الابل والبقر والغنم وقال الشوكانى المراد بالانعام ههنا الابل خاصة وقيل الابل والبقر والاول اولى انتهى (لتستووا) اللام لام العلة وهو الظاهر أو للصيرورة وجوز ابن عطية ان تكون لام الامر وفيه بعد لقلة دخولها على أمر المخاطب (على ظهوره) الضمير راجع الى ما قاله ابو عبيد وقال الفراء اضاف الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد فى معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجمع الظهر لان المراد ظهور هذا الجنس والاستواء الاستعلاء أى لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم) أى التى أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب فى البحر والبر (اذا استويتم عليه) أى على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما أيضا قال مقاتل والكلبى هو ان تقول الحمد لله الذى رزقنى هذا وحملنى عليه (وتقولوا) أى بألسنتكم جمعا بين القلب واللسان (سبحان الذى سخر لنا هذا) وقرأ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه سبحان من سخر لنا هذا وقال قتادة قد علمكم كيف تقولون اذا ركبتم والمعنى ذلل لنا هذا المركب الذى ركبناه سفينة كان أو دابة قاله الخطيب وصرح غيره بانه خاص بالدابة وأما السفينة فيقول فيها بسم الله مجريها ومرساها ويؤيده (وما كنا له مقرنين) فان الامتناع والتعاصى والتوحش لولا تسخير الله واذلاله انما يأتى فى الدواب وأما السفن فهى من عمل ابن آدم فليس لها امتناع بقوتها كامتناع الدابة قال ابن عباس والكلبى مقرنين مطيقين يقال أقرن هذا البعير اذا أطاقه وقال الاخفش وأبو عبيدة مقرنين ضابطين يقال فلان مقرن لفلان أى ضابط له وقيل مماثلين له فى القوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله فى القوة (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون اليه وهذا تمام ما يقال عند ركوب الدابة أو السفينة وفيه اشارة الى الرد عليهم فى انكار البعث أخرج مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون روى أن قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخر لنا هذا الخ وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط لوثبتها واندقت عنقه وينبغى أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه قال القرطبى علمنا سبحانه وتعالى

أبى يزيد قال قال لى ابن جريج ياحسن حدثنى جدك عبيد الله بن أبى يزيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول وهى ساجدة اللهم اكتب لى بها عندك أجرا واجعلها لى عندك ذخرا وضع بها عنى وزرا واقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود قال ابن عباس رضى الله عنهما فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذى عن قتيبة وابن ماجه عن أبى بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذى غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وقال البخارى عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس رضى الله عنهما من أين سجدت فقال أوما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ان يقتدى به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزنى انه أخبره ان أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه رأى رؤيا انه يكتب ص فلما بلغ الى الآية التى يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شئ بحضرته انقلب ساجدا قال فقصها على النبى صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو ابن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبى ولكنى رأيتكم تشرفتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود واسناده على شرط الصحيح قوله وقوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى وان له يوم القيامة لقربة يقربه الله عزوجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية فى الجنة لنبوته وعدله التام فى ملكه كما جاء فى الصحيح المقسطون على منابر من نور عن يمين

مانقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا فى آية أخرى على لسان نوح عليه السلام مانقول اذا ركبنا السفن فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق فلما كان الركوب مباشرة أمر مخوف واتصالا بسبب من أسباب التلف أمر أن لا ينسى عند اتصاله به موته ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا لقضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من أسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه وقال ابن العربى ليس بواجب ذكره باللسان بل يستحب وانما الواجب اعتقاده بالقلب والاول أولى والجمع أفضل ثم رجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وجعلوا له) أى بعد ذلك الاعتراف كما قاله القاضى أو معه كذا فى الكشاف والجملة حالية والجعل تصيير قولى أى حكموا وأثبتوا له أو بمعنى سموا واعتقدوا (من عباده جزأ) أى ولدا وسماه جزأ دلالة على استحالته على الواحد فى ذاته لان المركب لا يكون واحد الذات قال قتادة جزأ أى عدلا يعنى ماعبد من دون الله وقال الزجاج والمبرد الجزء هنا البنات والجزء عند أهل العربية البنات يقال قد أجزأت المرأة اذا ولدت البنات وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير وصرح بانه مكذوب على العرب ويجاب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد وهما اماما اللغة العربية وحافظاها ومن اليهما المنتهى فى معرفتها ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ماسيأتى من قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل المراد بالجزء هنا الملائكة فانهم جعلوهم أولاد الله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الازهرى ومعنى الآية انهم جعلوا لله من عباده نصيبا على معنى انهم جعلوا نصيب الله من الولدان (ان الانسان) القائل ما تقدم (لكفور مبين) أى ظاهر الكفران مبالغ فيه قيل المراد بالانسان هنا الكافر فانه الذى يجحد نعم الله عليه جحودا بينا ثم أنكر عليهم هذا فقال (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام تقريع وتوبيخ وأم هى المنقطعة بمعنى همزة الانكار وقدرها بعضهم ببل التى للانتقال وبعضهم بهما وكل صحيح لان فيها مذاهب ثلاثة كما نقله أبو حيان والمعنى أتقولون اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أخلصكم وخصكم (بالبنين) فجعل لنفسه المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما يقال أصفيته بكذا أى آثرته به وأصفيته الود أخلصته له ومثل هذه الآية

الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون فى أهليهم وما ولوا وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الناس عند الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس عند الله عزوجل يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر ورواه الترمذى من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الاغر عن عطية به وقال لانعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار فى (٢٩٣) قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال يقام داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول الله عز وجل انى أرده عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذه وصية من الله عزوجل لولاة الامور ان يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الاكيد والعذاب الشديد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثنى ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ان الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الاول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول قال قل فى أمان قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده فى كتابه فقال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية قال عكرمة لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا وقال السدى لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين

قوله ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وهذه الجملة معطوفة على اتخذ داخلة معها تحت الانكار ثم زاد فى تقريعهم وتوبيخهم فقال (واذا بشر أحدهم) استئناف أو حال (بما ضرب للرحمن مثلا) أى بما جعله للرحمن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات والالتفات الى الغيبة للايذان بأن قبائحهم اقتضت أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم ليتعجب منها والمثل بمعنى الشبه أى المشابه لا بمعنى الصفة الغريبة العجيبة والمعنى اذا بشر أحدهم بانها ولدت له بنت اغتم لذلك وظهر عليه أثره وهو معنى قوله (ظل) أى صار (وجهه مسودا) بسبب حدوث الانثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرا مكانها (وهو كظيم) أى والحال انه شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه قال قتادة حزين وقال عكرمة مكروب وقيل ساكت ثم زاد فى توبيخهم وتقريعهم فقال (أومن ينشأ فى الحلية) النشوء التربية والحلية الزينة ومن عبارة عن الانثى أى يجعلون لله الانثى التى تتربى فى الزينة لنقصها اذ لو كملت فى نفسها لما تكملت بالزينة قرأ الجمهور ينشأ بفتح الياء واسكان النون وقرأ ابن عباس والضحاك وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين واختار القراءة الاولى أبو حاتم واختار الثانية أبو عبيد وقال الهروى الفعل على القراءة الاولى لازم وعلى الثانية متعد والمعنى يربى ويكبر فى الحلية (وهو فى الخصام غير مبين) أى عاجز عن أن يقوم بأمر نفسه واذا خوصم لا يقدر على اقامة حجته وتقرير دعواه ودفع ما يجادله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعدها فى الجار المتقدم عليها لانها بمعنى النفى قال المبرد تقدير الآية ويجعلون له من ينبت فى الزينة واذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وفيه انه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى قال قتادة قلما تتكلم امرأة بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وقال ابن زيد والضحاك الذى ينشأ فى الحلية أصنامهم التى صاغوها من ذهب وفضة قال ابن عباس فى الآية هو النساء فرق بين زيهن وزى الرجال ونقصهن من الميراث وبالشهادة وأمرهن بالقعدة وسماهن الخوالف (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشئ كما تقول جعلت زيدا أفضل الناس أى قلت بذلك وحكمت له به أى سموهم وحكموا وقالوا انهم اناث وجمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله

كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب
أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) يخبر تعالى انه ماخلق الخلق عبثا وانما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم
يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى وماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن
الذين كفروا أى الذين لايرون بعثا ولامعادا وانما يعتقدون هذه الدار فقط فويل للذين كفروا من النار أى ويل لهم يوم معادهم
ونشورهم من النار المعدة لهم ثم بين تعالى انه عزوجل من عدله وحكمته لايساوى بين المؤمنين والكافرين
فقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار أى لانفعل ذلك ولايستوون عند الله واذا كان الامر كذلك فلابد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على انه لابد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلابد فى حكمة الحكيم العليم العادل الذى لايظلم مثقال ذرة من انصاف هذا من هذا واذا لم يقع هذا فى هذه الدار فتعين ان هناك دارا اخرى لهذا الجزاء والمواساة ولما كان القرآن يرشد الى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب أى ذوو العقول وهى الالباب جمع لب وهو العقل قال الحسن البصرى والله ماتدبره بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى ان أحدهم ليقول قرأت القرآن كله مايرى له القرآن
فى خلق ولاعمل رواه ابن أبى حاتم (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات
الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق) يقول تعالى مخبرا انه
وهب لداود سليمان أى نبيا كما قال عزوجل وورث سليمان داود أى فى النبوة والا فقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة
حرائر وقوله تعالى نعم العبد انه أواب ثناء على سليمان بانه كثير الطاعة والعبادة والانابة الى الله عزوجل قال ابن أبى حاتم حدثنا
ابى حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بنى ما أحسن قال سكينة

الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوا ملائكته المكرمين اناثا فاستخفوا بهم قرأ
الجمهور عباد بالجمع وبه اقرأ ابن عباس وقرأ الباقون عند بنون ساكنة واختار الاولى أبو
عبيد لان الاسناد فيها أعلى ولان الله انما كذبهم فى قولهم انهم بنات الله فاخبرهم بانهم
عباده قال النسفى وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد انتهى
ويؤيد هذه القراءة قوله بل عباد مكرمون واختار أبو حاتم الثانية قال وتصديق هذه
القراءة قوله ان الذين عند ربك عن سعيد بن جبير قال كنت أقرأ هذا الحرف الذين هم
عند الرحمن اناثا فسألت ابن عباس فقال عباد الرحمن قلت فانها فى مصحفى قال
فامحها واكتبها عباد الرحمن ثم وبخهم وقرعهم فقال (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق
الله اياهم فهو من الشهادة التى هى الحضور وفى هذا تهكم بهم وتجهيل لهم قرأ الجمهور
(ستكتب شهادتهم) بضم الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ بالنون
وبناء الفعل للفاعل ونصب شهادتهم وقرئ شهاداتهم بالجمع والمعنى سنكتب هذه
الشهادة التى شهدوا بها فى ديوان أعمالهم لنجازيهم على ذلك قال البقاعى يجوز ان يكون
فى السين استعطاف الى التوبة قبل كتابة ماقالوا ولاعلم لهم به (ويسئلون) عنها يوم القيامة
فى الآخرة وهذا وعيد قال سليمان الجمل وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان
التقليد حرام يوجب الذم العظيم انتهى (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) هذا فن آخر
من فنون كفرهم بالله جاؤا به للاستهزاء والسخرية ومعناه لوشاء الرحمن فى زعمكم عدم
عبادة الملائكة ماعبدناهذه الملائكة فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع
النهى عنها أو على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا
كان أو منهيا حسنا كان أو غيره وبالجملة هذا كلام حق يراد به باطل وقد مضى بيانه فى
الانعام وتعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى ان الله لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء
الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وماشاء منهم ترك عبادة الاصنام
فرد الله عليهم قولهم واعتقادهم وبين جهلهم بقوله (مالهم بذلك) أى بما قالوه من ان
الله لوشاء عدم عبادتهم للملائكة ماعبدوهم (من علم) بل تكلموا بذلك جهلا وأرادوا
بما صورته صورة الحق باطلا وزعموا أنه اذا شاء فقد رضى وقيل الاشارة بذلك الى قوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا قاله قتادة ومقاتل والكلبى وقال مجاهد وابن
جريج

الله والايمان قال فما أقبح قال كفر بعد ايمان قال فما أحلى قال روح الله بين عباده قال فما أبرد قال عفو الله عن الناس وعفو
الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فانت نبي وقوله تبارك وتعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد أى اذ
عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام فى حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث وطرف
حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان
عن أبيه سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمى فى قوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قال كانت
عشرين فرسا ذات أجنحة كذا
رواه ابن جرير وقال ابن أبى حاتم
حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن
موسى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى
اسرائيل عن سعيد بن مسروق
عن ابراهيم التيمى قال كانت الخيل
التى شغلت سليمان عليه الصلاة
والسلام عشرين ألف فرس فعقرها
وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود
حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد
ابن أبى مريم أخبرنا يحيى بن أيوب
حدثنى عمارة بن غزية أن محمد بن
ابراهيم حدثه عن أبى سلمة بن عبد
الرحمن عن عائشة رضى الله عنها
قالت قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفى
سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت
ناحية الستر عن بنات لعائشة رضى
الله عنها لعب فقال صلى الله عليه
وسلم ماهذا ياعائشة قالت رضى الله
عنها بناتى ورأى بينهن فرسا له
جناحان من رقاع فقال صلى الله
عليه وسلم ماهذا الذى أرى
وسطهن قالت رضى الله عنها فرس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماهذا الذى عليه قالت رضى الله
عنها جناحان قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرس له جناحان قالت رضى الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضى
الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه وقوله تبارك وتعالى فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت
بالحجاب ذكر غير واحد من السلف والمفسرين انه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذى يقطع به انه لم يتركها عمدا
بل نسيانا كما شغل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت فى الصحيحين من غير
وجه من ذلك عن جابر رضى الله عنه قال جاء عمر رضى الله عنه يوم الخندق بعد ماغربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول

جريج أى مالهم بعبادة الاوثان من علم ثم بين انتفاء علمهم بقوله (ان هم الا يخرصون)
أى ماهم الا يكذبون فيما قالوا و يتمحلون تمحلا باطلا قال هنا يخرصون وفى الجاثية
يظنون لان هذا كذب فناسبه الخرص وماهناك صدق مخلوط بالكذب فناسبه الظن
(أم آتيناهم كتابا من قبله) أم هى المنقطعة بمعنى همزة الاستفهام الانكارى أى
أأعطيناهم كتابا من قبل القرآن بما ادعوه بان يعبدوا غير الله وقيل ان الضمير فى من قبله يعود
الى ادعائهم أى أم آتيناهم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة مايدعونه والاول أولى أو أم
معادلة لقوله أشهدوا فتكون متصلة والمعنى احضروا أم آتيناهم كتابا الخ والاول أرجح
وأولى كما أفاده الشهاب (فهم به مستمسكون) يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلونه لهم
دليلا ثم بين سبحانه انه لاحجة بأيديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم فى الضلالة فقال (بل
قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على طريقة ومذهب قال أبو عبيد هى الطريقة والدين
وبه قال ابن عباس وقتادة وغيره قال الجوهرى والامة الطريقة والدين يقال فلان لا امة
له ولا نحلة له أى لادين له وقال الفراء وقطرب على قبلة وقال الاخفش على استقامة قرأ
الجمهور امة بالضم وقرئ بكسرها قال الجوهرى والامة بالكسر النعمة والامة أيضا لغة
فى الامة (وانا) ماشون (على آثارهم مهتدون) بهم وكانوا يعبدون غير الله اعترفوا بانه
لامستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع والبيان سوى
تقليد آبائهم قال الخازن جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة
انتهى وعبارة أبى السعود لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بانه لامستند لهم سوى
تقليد آبائهم الجهلة مثلهم انتهى وقال هنا مهتدون وفيما بعده مقتدون لان الاول وقع
فى محاجتهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وادعائهم ان آباءهم كانوا مهتدين وانهم مهتدون
كآبائهم فناسبه مهتدون والثانى وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون
الاهتداء فناسبه مقتدون أفاده الكرخى ثم أخبر سبحانه ان غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم
الى هذه المقالة وقال بها فقال (وكذلك) أى الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم
بالتقليد وقوله (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة
وانا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم
ليس لاسلافهم أيضا مستند غيره قاله أبو السعود والمترفون الاغنياء والرؤساء والمتنعمون

يارسول الله والله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ماصليتها قال فقمنا الى بطحان فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ويحتمل انه كان سائغا فى ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء ان هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب الى ذلك فى حال المسايفة والمضايقة حتى لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضى الله عنهم فى فتح تستر وهو منقول عن مكحول والاوزاعى وغيرهما والاول أقرب لانه قال بعد ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال الحسن البصرى قال لا والله لاتشغلينى عن عبادة ربى آخر ما عليك ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة وقال السدى ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبالها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لانه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى انه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها وهذا الذى رجح به ابن جرير فيه نظر لانه قد يكون فى شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما اذا كان غضبا لله تعالى بسبب انه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عزوجل ماهو خير منها وهو الريح التى تجرى بامره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبى قتادة وأبى الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوى أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل يعلمنى مما علمه الله عزوجل وقال انك لاتدع شيأ اتقاء الله تعالى الا أعطاك الله عزوجل خيرا منه (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) يقول تعالى ولقد فتنا سليمان أى اختبرناه بان سلبناه الملك وألقينا على كرسيه جسدا قال ابن عباس رضى الله

جمع مترف اسم مفعول ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطغته قال الكرخى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان من تقدمهم أيضا لم يكن لهم مستند منظور اليه وتخصيص المترفين للاشعار بان التنعم هو الذى أوجب البطر وصرفهم عن النظر الى التقليد انتهى والامة هى من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم أى تقصد ومقتدون أى متبعون قاله قتادة قال النسفى وهذه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم انتهى قال الرازى فى تفسيره ولو لم يكن فى كتاب الله الا هذه الآيات لكفت فى ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتمسكوا فى اثبات ماذهبوا اليه لا بطريق عقلى ولا بدليل نقلى ثم بين انهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعانى فى معرض الذم والتهجين وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه أيضا من حيث العقل ان التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين المحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم أقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشئ ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل وانه تعالى بين ان الداعى الى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب التنعم فى طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها والمترفون هم الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى ويبغضون تحمل المشاق فى طلب الحق انتهى أقول وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية منها ماذكره ابن القيم وأنا أورده ههنا قال يقال لمن حكم بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به فان قال نعم بطل التقليد لان الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد وان قال حكمت به بغير حجة قيل له فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الاموال وقد حرم الله ذلك الا بحجة قال الله عزوجل هل عندكم من سلطان بهذا أى من حجة بهذا فاذا قال انا أعلم انى قد أصبت وان لم أعرف الحجة لانى قلدت كبيرا من العلماء وهو لا يقول الا بحجة خفيت على قيل له اذا جاز تقليد معلمك لانه لا يقول الا بحجة خفيت عليك فتقليد معلم معلمك أولى لانه لا يقول الا بحجة خفيت على معلمك كما لم يقل معلمك الا بحجة خفيت عليك فان قال نعم ترك تقليد معلمه الى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى

حتى ينتهى الامر الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان أبى ذلك نقض قوله وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علما وهذا تناقض فان قال لان معلمى وان كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه الى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك قيل له وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه الى علمه فليلزمه تقليده وترك تقليد معلمك وكذلك أنت أولى ان تقلد نفسك من معلمك لانك جمعت علم معلمك وعلم من هو فوقه الى علمك فان قلد قوله جعل الاصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه فى قياس قوله والاعلى للادنى أبدا وكفى بقول يؤل الى هذا تناقضا وفسادا قال أبو عمرو قال أهل العلم والنظر حد العلم التبيين وادراك المعلوم على ماهو به فمن بان له الشئ فقد علمه قالوا والمقلد لا علم له لم يختلفوا فى ذلك ومن ههنا والله أعلم قال البحترى

عرف العالمون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهال بالتقليد

وأرى الناس مجمعين على فضـ * ـلك من بين سيد ومسود

وقال أبو عبد الله بن خوازمنداد البصرى المالكى التقليد معناه فى الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله وذلك ممنوع منه فى الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة وقال فى موضع آخر من كتابه كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده والتقليد فى دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع فى الدين مسوغ والتقليد ممنوع انتهى قال ابن حارث هذا والله الدين الكامل والعقل الراجح لا كمن يأتى بالهذيان ويريد أن ينزل قوله من القلوب منزلة القرآن انتهى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قال اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى أتتبعون آباءكم وتقلدونهم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قال الزجاج المعنى قل لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وان جئتكم باهدى منه قرأ الجمهور قل وقرئ قال وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم أى قال كل منذر من أولئك المنذرين لامته وقيل ان كلا القراءتين حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم

عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعنى شيطانا ثم أناب أى رجع الى ملكه وسلطانه وابهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل صرد قاله مجاهد أيضا وقيل حقيق قاله السدى وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة وقد قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا فى البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت فى البحر عين يردها فى كل سبعة أيام مرة فنزح ماؤها وجعل فيها خمر فجاء يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب الا انك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب الا انك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال وكان ملكه فى خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال انا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة قارف فيه بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على

الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى القوة فقال والله لاجربنه قال فقال يا نبى الله وهو لا يرى الا انه نبى الله أحدنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة اذ وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جنى ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر وقال السدى ولقد فتنا سليمان أى ابتلينا سليمان وألقينا

على كرسيه جسدا قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان فى صورته فقال هاتى الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل قال لا وخرج كأنه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فقالوا لهن انا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرؤن التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام فى حاله التى كان فيها حتى انتهى الى صياد من صيادين البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال انى أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال انه زعم انه سليمان قال فأعطوه سمكتين مما قد كان عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه فى بطن أحدهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون وجوههم مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الامر لابد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل الى الشيطان فجىء به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر الله له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تبارك وتعالى وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له

أى قال كل منذر من أولئك المنذرين لامته المقلدين كأنه قال لكل نبى قل بدليل قوله (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) قال الشوكانى وهذا من أعظم الادلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه فان هؤلاء المقلدة فى الاسلام انما يعملون بقول اسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم فاذا رام الداعى الى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن اسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة بل لمجرد قيل وقال لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون أو بما يلاقى معناه معنى ذلك فان قال لهم الداعى الى الحق قد جمعتنا الملة الاسلامية وشملنا هذا الدين المحمدى ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم ولا آباءكم من قبلكم الا بكتابه الذى أنزله على رسوله وبما صح عن رسوله صلى الله عليه وآله فانه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك فى كتابه بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول فان الرد اليهما أهدى لنا ولكم من الرد الى ما قاله أسلافكم ودرج عليه آباؤكم نفروا نفور الوحش ورموا الداعى لهم الى ذلك بكل حجر ومدر كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ولا قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فان قال لهم القائل هذا العالم الذى تقتدون به وتتبعون أقواله هو مثلكم فى كونه متعبدا بكتاب الله وسنة رسوله مطلوبا منه ما هو مطلوب منكم واذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحل ان يتبعه غيره عليها ولا يجوز له العمل بها وقد وجد الدليل الذى لم يجدوه وها أنا أوجدكموه فى كتاب الله أو فيما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم قالوا لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة ووجدوا فى صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ولم يسلموا لذلك ولا أذعنوا له وقد وهب لهم الشيطان عصا يتوكؤن عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم الى الكتاب والسنة وهى انهم يقولون ان امامنا الذى قلدناه واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله وسنة رسوله وذلك لان اذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورا عظيما بسبب تقدم العصر وكثرة الاتباع وما علموا ان هذا منقوض عليهم مدفوع به فى

آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف فى البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر فارى هذه كلها من الاسرائيليات ومن أنكرها ما قال له ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام ان يدخل الخلاء فاعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه اليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى فاعطته اياه فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتى خاتمى قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتى أحدا يقول له أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف انه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى ان يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس انكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا الى نساء سليمان فقالوا لهن تنكرن من سليمان شيأ قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس فاكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه فى البحر فتلقته سمكة فأخذته وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لى هذا السمك فقال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابه أعطاه تلك السمكة التى

وجوههم فانه لو قيل لهم ان فى التابعين من هو أعظم قدرا وأقدم عصرا من صاحبكم فان كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرا وأجل قدرا فان أبيتم ذلك ففى الصحابة رضى الله عنهم من هو أعظم قدرا من صاحبكم علما وفضلا وجلالة قدر فان أبيتم ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدرا وأجل خطرا وأكثر اتباعا وأقدم عصرا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله الينا واليكم فتعالوا فهذه سنته موجودة فى دفاتر الاسلام ودواوينه التى تلقتها جميع هذه الامة قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين أظهرنا موجود فى كل بيت وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه فهو مما وجدتم عليه آباءكم قالوا لا سمع ولا طاعة اما بلسان القال أو بلسان الحال فتدبر هذا وتأمله ان بقى فيك بقية من انصاف وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد أوضحت هذا غاية الايضاح فى كتابى الذى سميته أدب الطلب ومنتهى الارب انتهى وقد أوضحه الحافظ ابن القيم فى اعلام الموقعين عن رب العالمين فارجع اليهما ان رمت أن تنجلى عنك ظلمات التعصب وتتقشع لك سحائب التقليد (فانتقمنا منهم) وذلك الانتقام ما أوقعه الله بقوم نوح وعاد وثمود بما استحقوه على اصرارهم على التقليد (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) للانبياء من تلك الامم فان آثارهم موجودة ولا تكترث بتكذيب قومك لك ثم لما بين فى الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الا تقليد الآباء والاسلاف وبين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد أردفه بهذه الآية (واذ قال ابراهيم) الذى هو أعظم آبائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن غيرهم (لابيه) أى واذكر لهم وقت قوله لابيه من غير أن يقلده كما قلدتم أنتم آباءكم (وقومه) أى الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الاصنام (اننى براء مما تعبدون) تبرأ مما هم عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال والبراء مصدر نعت به للمبالغة وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وقال الجوهرى وتبرأت من كذا

في بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه قال فلما البسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت الا انماط معه من الرصاص قال فأخذوه فأوثقوه وجاؤوا به الى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم شد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال يعني الشيطان الذي كان سلط عليه اسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ولكن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما ان صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر انهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد ابن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص من أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقال يحيى بن عروبة الشيباني وجد سليمان خاتمه بعسقلان فمشى في خرقة الى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل رواه ابن أبي حاتم وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار في صفة سليمان عليه الصلاة والسلام حديثا عجيبا فقال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو اسحق المصري عن كعب الاحبار انه لما فرغ من حديث ارم ذات العماد قال له معاوية يا أبا اسحق أخبرني عن كرسي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو فقال كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ وقد جعل له درجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسي فحف من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل على رؤس النخل التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ثم جعل على رؤس النخل التي على يسار

وأنا منه براء وخلاء لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل وبه قال الكسائي والمبرد والزجاج ثم استثنى خالقه من البراءة فقال (الا الذي فطرني) أي خلقني والاستثناء منقطع أي لكن الذي فطرني أو متصل من عموم ما لانهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو الاصفة بمعنى غير وما نكرة موصوفة قاله الزمخشري (فانه سيهدين) أي سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته ويثبتني على الحق واخباره بانه سيهديه جزما لثقته بالله سبحانه وقوة يقينه والاوجه ان السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية في عقبه) الضمير في جعلها عائد الى قوله الا الذي فطرني وهي بمعنى التوحيد كأنه قال وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم وهم ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله وفاعل جعلها ابراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وأمرهم أن يدينوا به كما في قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية وقيل الفاعل هو الله عز وجل أي وجعل الله سبحانه كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم والعقب من بعد قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة ويوحده ويدعو الى توحيده وقال عكرمة هي الاسلام قال ابن زيد الكلمة هي قوله أسلمت لرب العالمين قال ابن عباس كلمة باقية لا اله الا الله وعقب ابراهيم ولده (لعلهم يرجعون) تعليل للجعل أي جعلها باقية رجاء أن يرجع اليها من يشرك منهم بدعاء من يوحد وقيل الضمير في لعلهم يرجع الى أهل مكة أي لعل أهلها يرجعون الى دينك الذي هو دين ابراهيم وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها الخ قال السدي لعلهم يتوبون فيرجعون عما هم عليه الى عبادة الله قال الرازي في تفسيره والمقصود من هذه الآية ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه تبرأ عن دين آبائه بناء على الدليل فنقول اما أن يكون تقليد الآباء في الاديان محرما أو جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان أشرف آباء العرب هو ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من أولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء واذا ثبت ان تقليده أولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الآباء وحكم بأن اتباع الدليل أولى من متابعة الآباء واذا كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الآباء ووجب تقليده

الكرسي نسورا من ذهب مقابلة الطواويس وجعل على يمين الدرجة الاولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤس الاسدين عمودان من زبرجد وجعل من جانبي الكرسي شجرتي كرم من ذهب قد أظلتا الكرسي وجعل عناقيدهما دراو ياقوتا أحمر ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا فاذا أراد سليمان عليه السلام ان يصعد على كرسيه استدار الاسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بني اسرائيل ذلك الزمان ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بني اسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب ليس عليها أحد فاذا أراد ان يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويبسط الاسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الايسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الاسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن فاذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فاذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحا المسرعة فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا اسحق قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فاذا أحست بدورانه تلك الاسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي درن الى اعلاه فاذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب قال بعضهم معناه لا ينبغي لاحد من بعدي أي لا يصلح لاحد ان يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كرسيه لا انه يحجر على من بعده من الناس والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكا

تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجوب التقليد يوجب المنع من التقليد وما أفضى ثبوته الى نقله كان باطلا فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الآية الوجه الثاني في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة أبيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة وأما أديان آبائه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار ينقطع أثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا أثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا بيان المقصود الاصلي من هذه الآية انتهى ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم فقال (بل متعت هؤلاء) أي أهل مكة عقب ابراهيم (وآباءهم) أضرب سبحانه عن الكلام الاول الى ذكر ما متعهم به من الانفس والاهل والاموال والمد في الاعمار وأنواع النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم وما متع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة فاغتروا بالمهلة وأكبوا على الشهوات وشغلوا بالتنعم عن كلمة التوحيد وبطروا وتمادوا على الباطل (حتى جاءهم الحق) يعني القرآن (ورسول مبين) يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ظاهر الرسالة واضحها أو مبين لهم ما يحتاجون اليه من أمر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه وفي هذه الغاية خفاء بينه في الكشاف وشروحه وهو أن ما ذكر ليس غاية للتمتيع اذ لا مناسبة بينهما مع ان مخالفة ما بعدها لما قبلها غير مرعي فيها والجواب ان المراد بالتمتيع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم فكأنه قال اشتغلوا به حتى جاءهم الحق ورسول مبين وهو غاية في نفس الامر لانه مما ينبههم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا فهو كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أفاده الشهاب ثم بين سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحق فقال (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) أي جاحدون فسموا القرآن سحرا وجحدوه واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الآباء والاسلاف لم يتفكروا في الدليل واغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسيء (وقالوا) متحكمين بالباطل

لا يكون لاحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد ابن زياد عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فامكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة (٣٠٢) والسلام رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن مسلمة المرادى حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية ابن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيأ فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيأ لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وابليس فاهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين الابهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لاصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل وقد روى أبو داود منه من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل عن أحمد بن أبي شريح عن أبي أحمد الزبيري به وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد

(لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والمراد بهما مكة والطائف قاله ابن عباس وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره عتبة بن ربيعة من مكة وعمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس عمير بن مسعود وخيار قريش وقال أيضا العظيم الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب بن عمير الثقفي وعنه قال يعنون أشرف من محمد الوليد بن المغيرة من أهل مكة ومسعود الثقفي من أهل الطائف وقيل غير ذلك وظاهر النظم ان المراد رجل من احدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسود في قوله والمعنى انه لو كان قرآنا لنزل على رجل من عظماء القريتين فهؤلاء المساكين قالوا منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس كذلك فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله (اهم يقسمون رحمت ربك) يعني النبوة او ماهو اعم منها والاستفهام للانكار المستقل بالتجهيل والتعجب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة وترسم هذه التاء مجرورة اتباعا لرسم المصحف الامام كما نص عليه ابن الجزري ثم بين انه سبحانه هو الذي قسم بينهم ما يعيشون به من أمور الدنيا فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ولم نفوض ذلك اليهم وليس لاحد من العباد أن يتحكم في شئ بل الحكم لله وحده واذا كان الله سبحانه هو الذي قسم بينهم أرزاقهم فكيف لا يقنعون بقسمته في أمر النبوة وتفويضها الى من يشاء من خلقه قال مقاتل يقول بايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقرأ الجمهور معيشتهم بالافراد وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن معايشهم بالجمع (و) معنى (رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) انه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أي ليستخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغني الفقير والرئيس المرؤس والقوي الضعيف والحر العبد والعاقل من دونه في العقل والعالم الجاهل وهذا في غالب أحوال أهل الدنيا وبه تتم مصالحهم

وينتظم

الفزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائطه
بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث انه من شرب شربة من الخمر لم يقبل
الله عز وجل له توبة أربعين صباحا وان الشقي من شقي في بطن أمه وانه من أتى بيت المقدس لا ينهزه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته
مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما اني لا أحل لاحد أن
يقول علي مالم أقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا
فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه اياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو ان يكون الله عز وجل قد أعطانا اياها وقد روى هذا الفصل الاخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل
ربه عز وجل خلالا ثلاثا وذكره وقد روي من حديث رافع بن عمير رضي الله عنه باسناد وسياق غريبين وقال الطبراني حدثنا محمد بن
الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن أبي عبلة عن أبي الزاهرية عن رافع بن عمير
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتا في الارض فبنى داود بيتا
لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله اليه ياداود نصبت بيتك قبل بيتي قال يارب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء

و ينتظم معاشهم و يصل كل واحد منهم الى مطلوبه فان كل صناعة دنياوية يحسنها قوم
دون آخرين فجعل البعض محتاجا الى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا و يحتاج
هذا الى هذا و يصنع هذا لهذا و يعطي هذا هذا وقال السدي وابن زيد سخريا خولا وخدما
يسخر الاغنياء الفقراء فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك ليملك
بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء قال الاخفش سخرت به وسخرت
منه وضحكت به وضحكت منه وهزأت به وهزأت منه وهذا وان كان مطابقا للمعنى اللغوي
ولكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو مقصود السياق وعلى هذا القول تكون
اللام للصيرورة والعاقبة لا للعلة والسببية (ورحمة ربك) يعني بالرحمة ما أعده الله لعباده
الصالحين في الدار الآخرة وقيل هي النبوة لانها المرادة بالرحمة المتقدمة في قوله أهم
يقسمون رحمت ربك ولا مانع من أن يراد كل ما يطلق عليه اسم الرحمة اما شمولا أو بدلا (خير
مما يجمعون) أي مما يجمعونه من الاموال وسائر متاع الدنيا لان الدنيا على شرف الزوال
والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الابدين ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال
(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يجتمعوا على الكفر ميلا الى الدنيا وزخرفها
أو يرغبوا فيه اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة) جمع الضمير في بيوتهم وأفرده في يكفر باعتبار معنى من ولفظها ولبيوتهم بدل
اشتمال من الموصول واللام للاختصاص والسقف جمع سقف قرأ الجمهور بضم السين
والقاف كرهن ورهن قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقال الفراء هو جمع سقيف نحو كثيب
وكثب ورغيف ورغف وقيل هو جمع سقوف فيكون جمعا للجمع وقرئ بفتح السين واسكان
القاف على الافراد ومعناه الجمع لكونه للجنس قال الحسن معنى الآية لولا ان يكفر
الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الآخرة لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه
لهوان الدنيا عندنا وقال بهذا أكثر المفسرين وقال ابن زيد لولا ان يكون الناس أمة
واحدة في طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون
في الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا لهوانها (ومعارج)
كالدرج من فضة جمع معرج بفتح الميم وكسرها وسميت المصاعد من الدرج معارج لان
المشي عليها مثل مشي الاعرج ومعاريج جمع معراج والمعراج السلم وهي لغة بعض تميم

المسجد فلما تم السور سقط ثلثه فشكا ذلك الى الله عزوجل فقال ياداود انك لاتصلح ان تبنى لى بيتا قال ولم يارب قال لما جرى على يديك من الدماء قال يارب أوما كان ذلك فى هواك ومحبتك قال بلى ولكنهم عبادى وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فاوحى الله اليه لاتحزن فانى سأقضى بناءه على يدى ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان فى بنائه ولما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بنى اسرائيل فأوحى الله اليه قد أرى سرورك ببنيان بيتى فسلنى أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ومن أتى هذا البيت لايريد الا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو ان يكون قد أعطى الثالثة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليمانى حدثنا اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه رضى الله عنه قال ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الا استفتحه سبحان الله ربى العلى الاعلى الوهاب وقد قال أبو عبيد حدثنا على بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن سمار قال لما مات نبى الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى الى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام ان سلنى حاجتك قال أسألك ان تجعل لى قلبا يخشاك كما كان قلب أبى وان تجعل قلبى يحبك كما كان قلب أبى فقال الله عزوجل أرسلت الى عبدى وسألته حاجته فكانت حاجته ان أجعل قلبه يخشانى وان اجعل قلبه يحبنى لأهبن له ملكا لا ينبغى لاحد من بعده قال الله جلت عظمته فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والتى بعدها قال فاعطاه ما اعطاه وفى الآخرة لاحساب عليه هكذا أورده أبو القاسم بن عساكر فى ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام فى تاريخه وروى عن بعض السلف انه قال بلغنى عن داود عليه الصلاة والسلام انه قال الهى كن لسليمان كما كنت لى فأوحى الله عزوجل اليه ان قل لسليمان ان يكون لى كما كنت لى أكن له كما كنت لك وقوله تبارك وتعالى فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب قال الحسن البصرى رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عزوجل عوضه الله تعالى ماهو خير منها وأسرع الريح التى غدوها شهر ورواحها شهر وقوله جل وعلا حيث أصاب أى حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله والشياطين كل بناء وغواص أى منهم

وهذا كمفاتح جمع مفتح ومفاتيح جمع مفتاح قال الاخفش ان شئت جعلت الواحدة معرج ومعرج مثل مرقاة ومرقاة والمعنى جعلنا لهم معارج من فضة (عليها) أى على المعارج (يظهرون) يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على البيت أى علوت سطحه (ولبيوتهم ابوابا وسررا) اى وجعلنا لبيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة وتكرير لفظ البيوت لزيادة التقرير (عليها) أى على السرر وهو جمع سرير وقيل جمع أسرة فيكون جمعا للجمع (يتكئون) الاتكاء والتوكؤ التحامل على الشئ ومنه أتوكأ عليها واتكأ على الشئ فهو متكئ والموضع متكأ (وزخرفا) أى وجعلنا لهم زخرفا يجعلوه فى السقف والمعارج والابواب والسرر ليكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب لانه أبلغ فى الزينة وقيل النصب بنزع الخافض أى أبوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف الخافض انتصب والزخرف الذهب وقيل الزينة أعم من ان يكون ذهبا أو غيره قال ابن زيد هو مايتخذه الناس فى منازلهم من الامتعة والاثاث وقال الحسن النقوش وأصله الزينة يقال زخرفت الدار زينتها وتزخرف فلان أى تزين قال ابن عباس فى الآية يقول لولا ان تفعل الناس كلهم كفارا لجعلنا لبيوت الكفار سقفا من فضة ومعارج من فضة وهى درج عليها يصعدون الى الغرف وسررفضة وزخرفا وهو الذهب وأخرج الترمذى وصححه وابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وعن المسور بن شداد قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يارسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذى وحسنه وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أخرجه مسلم قال البقاعى ولا يبعد أن يكون ماصار اليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادى الفتنة بان يكون الناس أمة واحدة فى الكفر قرب الساعة حتى لاتقوم الساعة على من يقول الله أو فى زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق فى

غاية

غاية القلة بحيث انه لاعداله فى جانب الكفرة لان كلام الملوك لايخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه ثم أخبر سبحانه ان جميع ذلك انما يتمتع به فى الدنيا فقال (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) قرأ الجمهور لما بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الاولى ان هى المخففة من الثقيلة وعلى الثانية هى النافية ولما بمعنى الا أى ما كل ذلك الا ما يتمتع به فى الدنيا وقرئ بكسر اللام من لما على ان اللام للعلة وما موصولة والعائد محذوف أى للذى هو متاع (والآخرة) أى الجنة (عند ربك للمتقين) أى لمن اتقى الشرك والمعاصى وآمن بالله وحده وعمل بطاعته وترك الدنيا وآثر الآخرة فانها الباقية التى لا تفنى ونعيمها الدائم الذى لا ينقطع (ومن يعش) يقال عشوت الى النار قصدتها وعشوت عنها أى أعرضت عنها كما تقول عدلت الى فلان وعدلت عنه أى ملت اليه وملت عنه كذا قال الفراء والزجاج وأبو الهيثم والازهرى وقال الخليل العشو النظر الضعيف وقال أبو عبيدة والاخفش ان معنى ومن يعش ومن تظلم عينه وهو نحو قول الخليل وهذا على قراءة الجمهور ومن يعش بضم الشين من عشا يعشو وقرئ بفتح الشين يقال عشى الرجل يعشى عشا اذا عمى وقال الجوهرى العشا مقصور مصدر الاعشى وهو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمرأة عشوى وقرئ يعشو بالواو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض ويتعامى ويتجاهل ويتغافل (عن ذكر الرحمن) ولم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل بول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وقرأ ابن عباس بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع شيطان على النيابة والمعنى نسبب له جزاء على كفره شيطانا (فهو له قرين) أى ملازم له فى الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية ولا يفارقه وقيل فى الآخرة اذا قام من قبره قاله سعيد الجريرى وقيل فيهما قال القشيرى وهو الصحيح أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه بل يتبعه فى جميع اموره ويطيعه فى كل ما يوسوس به اليه وقال الزجاج معنى الآية ان من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم الى أباطيل المضلين يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينا فلا يهتدى مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن عثمان المخزومى ان قريشا قالت قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يأخذه فقيضوا لابى بكر طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو فى القوم فقال أبو بكر الام تدعونى قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى قال أبو بكر وما اللات قال أولاد الله قال وما العزى قال بنات الله قال أبو بكر فمن أمهم فسكت طلحة فلم يجبه فقال لاصحابه أجيبوا الرجل فسكت القوم فقال طلحة قم يا أبا بكر أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فانزل الله هذه الآية وثبت فى صحيح مسلم وغيره ان مع كل مسلم قرينا من الجن (وانهم) أى وان الشياطين الذين يقيضهم الله لكل أحد ممن يعشو عن ذكر الرحمن كما هو معنى من (ليصدونهم عن السبيل) أى يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ويوسوسون لهم انهم على الهدى حتى يظنوا صدق ما يوسوسون به وهو معنى قوله (ويحسبون انهم) أى يحسب

من هو مستعمل فى الابنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات الى غير ذلك من الاعمال الشاقة التى لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون فى البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والاشياء النفيسة التى لا توجد الا فيها وآخرين مقرنين فى الاصفاد أى موثوقون فى الاغلال والا بكال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء فى صنيعه

الكفار أن الشياطين (مهتدون) فيطيعونهم أو يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة انهم
فى أنفسهم مهتدون وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددى
لقوله (حتى اذا جاءنا) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها
تقتضى حتماً أن تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا قاله أبو السعود قرأ الجمهور بالتثنية
اى الكافر والشيطان المقارن له وقرئ بالافراد اى الكافر او كل واحد منهما (قال)
الكافر مخاطبا للشيطان (ياليت) كان فى الدنيا (بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين
المشرق والمغرب فغلب المشرق على المغرب قال مقاتل يتمنى الكافر أن بينهما بعد
مشرق أطول يوم فى السنة من مشرق أقصر يوم فى السنة والاول أولى وبه قال الفراء
(فبئس القرين) أى أنت أيها الشيطان (ولن ينفعكم اليوم) هذا حكاية لما سيقال لهم
يوم القيامة (اذ ظلمتم) اى لاجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا وقيل ان اذ بدل من اليوم لانه
تبين ذلك فى اليوم انهم ظلموا أنفسهم فى الدنيا (انكم فى العذاب مشتركون) قرأ الجمهور
بفتح ان على انها وما بعدها فى محل رفع على الفاعلية اى لن ينفعكم اليوم اشتراككم فى
العذاب قال المفسرون لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شئ من العذاب لان لكل أحد من
الكفار والشياطين الحظ الاوفر منه وقيل انها للتعليل لنفى النفع أى لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين
فى سببه فى الدنيا ويقوى هذا المعنى قراءة ان بالكسر ثم ذكر سبحانه انها لا تنفع الدعوة
والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى) الهمزة لانكار
التعجب اى ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واخبار له بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل (ومن كان فى ضلال مبين) عطف
على العمى للتغاير العنوانى والا فالمصداق واحد أى انك لا تهدى من كان كذلك ومعنى
الآية ان هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يعقلون ما جئت به وبمنزلة العمى الذين
لا يبصرون لافراطهم فى الضلالة وتمكنهم من الجهالة (فاما نذهبن بك) بالموت قبل أن تنزل
بهم العذاب وقيل المعنى نخرجنك من مكة (فانا منهم منتقمون) اما فى الدنيا أو فى الآخرة
قال على كرم الله وجهه ذهب الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت نقمته فى عدوه
(أو نرينك الذى وعدناهم) من العذاب قبل موتك (فانا عليهم مقتدرون) متى شئنا
عذبناهم قال كثير من المفسرين قد أراه الله ذلك يوم بدر وبه قال ابن عباس وقال الحسن
وقتادة هى فى أهل الاسلام يريد ما كان بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الفتن وقد
كان بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتنة شديدة فأكرم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
وذهب به فلم يره فى أمته شيأ من ذلك والاول أولى (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من
القرآن وان كذب به من كذب (انك على صراط مستقيم) أى طريق واضح تعليل
للاستمساك او للامر به (وانه) أى وان القرآن (لذكر لك ولقومك) أى شرف لك ولقريش
اذ نزل عليك وأنت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقيل بيان

واعتدى وقوله عز وجل هذا
عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب
أى هذا الذى أعطيناك من الملك
التام والسلطان الكامل كما سألتنا
فاعط من شئت وأحرم من شئت
لا حساب عليك أى مهما فعلت
فهو جائز لك احكم بما شئت فهو
صواب وقد ثبت فى الصحيحين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
خير بين ان يكون عبدا رسولا
وهو الذى يفعل ما يؤمر به وانما هو

لك

لك ولأمتك فيما لكم حاجة وقيل تذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به وعن علي
وابن عباس قالا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة
ويعدهم الظهور فاذا قالوا لمن الملك بعدك أمسك فلم يجبهم بشئ لانه لا يؤمر في ذلك بشئ
حتى نزلت وانه لذكر لك ولقومك فكان اذا سئل بعد قال لقريش فلا يجيبوه حتى قبلته
الانصار على ذلك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال هذا
الامر في قريش ما بقي منهم اثنان أخرجه الشيخان وعن معاوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله تعالى
على وجهه ما أقاموا الدين أخرجه البخاري (وسوف تسئلون) عما جعله الله لكم من
الشرف كذا قال الزجاج والكلبي وغيرهما وقيل يسئلون عما يلزمهم من القيام بما فيه
والعمل به وعن تعظيمهم له وشكرهم لهذه النعمة يوم القيامة (واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) اى غيره (آلهة يعبدون) قال الزهري وسعيد بن جبير
وابن زيد ان جبريل قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أسري به فالمراد سؤال
الانبياء في ذلك الوقت عند ملاقاته لهم وبه قال جماعة من السلف وقال المبرد والزجاج
وجماعة من العلماء ان المعنى واسأل أمم من قد أرسلنا وبه قال ابن عباس ومجاهد والسدي
والضحاك وقتادة وعطاء والحسن وفائدة ايقاع السؤال على الرسل مع ان المراد أممهم
التنبيه على ان المسؤل عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما تقوله علماؤهم من تلقاء
أنفسهم وعلى الاول هي مكية وعلى الثاني مدنية ومعنى الآية على القولين سؤالهم هل
أذن الله بعبادة الاوثان في ملة من الملل وهل سوغ ذلك لاحد منهم والمقصود تقريع
مشركي قريش بان ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع وقيل ليس المراد بسؤال
الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت
عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه فحصا ونظرا انظره في كتاب الله المعجز
المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه
الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها ولما أعلم الله سبحانه نبيه بانه منتقم له من عدوه
وذكر اتفاق الانبياء على التوحيد أتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون
وقومه من النقمة فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع التي تقدم بيانها (الى فرعون
وملائه) أي القبط (فقال اني رسول رب العالمين) ارسلني اليكم ما أجابوه به عند قوله هذا
محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه
وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) استهزاء وسخرية وجواب لما هو اذا الفجائية لان
التقدير فاجأوا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أي كل واحدة
من آيات موسى أكبر مما قبلها وأعظم قدرا مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها وقيل
المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس
هما اخوان كل واحد منهما أكبر من الآخر وقيل المعنى ان الاولى تقتضي علما والثانية

قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله
تعالى به وبين ان يكون نبيا ملكا
يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا
حساب ولا جناح اختار المنزلة
الاولة بعدما استشار جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال له تواضع
فاختار المنزلة الاولة لانها أرفع قدرا
عند الله عز وجل وأعلى منزلة في
المعاد وان كانت المنزلة الثانية
وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضا في
الدنيا والآخرة ولهذا لما ذكر تبارك

تقتضى علما فاذا ضمت الثانية الى الاولى ازداد الوضوح ومعنى الاخوة بين الآيات انها
متشاكلة متناسبة فى دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال هذه صاحبة هذه اى هما
قرينتان فى المعنى وقيل المعنى ان كل واحدة من الآيات اذا انفردت ظن الظان انها أكبر
من سائر الآيات (وأخذناهم) بسبب تكذيبهم بتلك الآيات (بالعذاب) أى بالسنين
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس كما قال تعالى ولقد أخذنا آل
فرعون بالسنين الآية ثم بين سبحانه العلة فى أخذه لهم بالعذاب هو رجاء رجوعهم فقال
(لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن الكفر الى الايمان ولما عاينوا ما جاءهم به من
الآيات البينات والدلالات الواضحات ظنوا ان ذلك من قبيل السحر (وقالوا يا أيه
الساحر) وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة
ذم عندهم قال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر أو نادوه بذلك فى
تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم والاظهر ان النداء كان باسمه العلم كما فى الاعراف
فى قوله قالوا يا موسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك) لكن حكى الله سبحانه هنا كلامهم
لا بعبارتهم بل على وفق ما أضمرته قلوبهم من اعتقادهم انه ساحر لاقتضاء مقام التسلية
ذلك فان قريشا سموه ساحرا وسموا ما أتى به سحرا أفاده الكرخى والمعنى ادع الله بما
أخبرتنا من عهده اليك انا اذا آمنا كشف عنا العذاب الذى نزل بنا (اننا لمهتدون) أى
فنحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان ومؤمنون بما جئت به (فلما كشفنا عنهم
العذاب) فى الكلام حذف والتقدير فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فلما كشف
عنهم العذاب (اذا هم ينكثون) فاجأوا نكثهم للعهد الذى جعلوه على أنفسهم من
الاهتداء والنكث النقض وكانوا ينقضونه فى كل مرة من مرات العذاب (ونادى
فرعون) افتخارا (فى قومه) قيل لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم الى موسى فجمعهم
ونادى بصوته فيما بينهم أو أمر مناديا ينادى بقوله (قال يا قوم أليس لى ملك مصر)
لا ينازعنى فيه أحد ولا يخالفنى فيه مخالف (وهذه الانهار تجرى من تحتى) اى والحال
ان الانهار تجرى من تحت قصرى والمراد انهار النيل وقال قتادة المعنى تجرى بين يدى
وفى بساتينى قال الحسن تجرى بأمرى أى تجرى تحت أمرى وقال الضحاك اراد بالانهار
القواد والرؤساء والجبابرة وانهم يسيرون تحت لوائه وقيل أراد بالانهار الاموال والاول
أولى (أفلا تبصرون) ذلك وتستدلون به على قوة ملكى وعظم قدرى وضعف موسى عن
مقاومتى وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان
خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية
التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى اقل عندى من ان أدخلها
فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هى المنقطعة المقدرة ببل التى للاضراب دون الهمزة التى
للانكار اى بل انا خير قال ابو عبيدة أم بمعنى بل والمعنى قال فرعون لقومه بل أنا
خير وقال الفراء ان شئت جعلتها من الاستفهام الذى جعل بام لاتصاله بكلام قبله

وقيل

وتعالى ما أعطى سليمان عليه
الصلاة والسلام فى الدنيا نبه تعالى
على انه ذو حظ عظيم عند الله يوم
القيامة أيضا فقال تعالى وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب أى فى الدار
الآخرة (واذكر عبدنا أيوب اذ
نادى ربه أنى مسنى الشيطان
بنصب وعذاب اركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لأولى الالباب وخذ بيدك ضغثا

وقيل هي زائدة وحكى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدأ فقال انا خير وروى عن الخليل وسيبويه نحو قول الاخفش ويؤيد هذا ان عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي وقفا على ام على تقدير أم تبصرون فحذف لدلالة الاول عليه وعلى هذا فتكون ام متصلة لا منقطعة والاول اولى وحكى الفراء ان بعض القراء قرأ اما انا خير اي ألست خيرا (من هذا الذي هو مهين) اي ضعيف حقير ممتهن في نفسه لا عزله لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجري بها انهارا وينفذ بها امرا (ولا يكاد يبين) الكلام لما في لسانه من العقدة وقد تقدم بيانه في سورة طه قال ابن عباس في الآية كانت بموسى لثغة في لسانه واللثغة بالضم ان تصير الراء غينا او لاما او السين ثاء وقد لثغ من باب طرب فهو ألثغ وقيل المعنى لا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام والاول اولى (فلولا ألقي عليه) من عند مرسله الذي يدعي انه الملك بالحقيقة (اسورة) جمع سوار وبها قرأ حفص وقرأ الجمهور اساور جمع أسورة وقال أبو عمرو بن العلاء واحد الاساورة والاساور والاساوير اسوار وهي لغة في سوار وقرأ ابي أساور وابن مسعود أساوير قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته أرادوا بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه أي فهلا حلي باسورة (من ذهب) ان كان عظيما مقدما سيدا (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين ان كان صادقا يعينونه على امره ويشهدون له بالنبوة ويمشون معه فاوهم اللعين قومه ان الرسل لا بد ان يكونوا على هيئة الجبابرة ومحفوفين بالملائكة (فاستخف قومه) أي حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله وكيده واستفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الاسراع قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة أحلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه الفرح أي أزعجه واستخفه أي حمله ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعزروه وقيل استخف قومه أي وجدهم خفاف العقول فصيغة الاستفعال للوجدان وفي نسبته الى القوم تجوز (فاطاعوه) فيما أمرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله (فلما آسفونا) أي أغضبونا قاله المفسرون والاسف الغضب وقيل أشد الغضب وقيل السخط وقيل المعنى أغضبوا رسلنا قال ابن عباس فلما أسخطونا وأغضبونا أي بالافراط في الفساد والعصيان (انتقمنا منهم) ثم بين العذاب الذي وقع به الانتقام فقال (فاغرقناهم أجمعين) في البحر وانما أهلكوا بالغرق ليكون هلاكهم بما تعززوا به وهو الماء في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي ففيه اشارة الى ان من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به وقد استضعف اللعين موسى وعابه بالفقر والضعف فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه ما استضعف أحد شيأ الا غلبه أفاده القشيري أخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز ابرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير ان زوجته حفظت وده لايمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالاجرة

قال اذا رأيت الله يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له
وقرأ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وعن طاوس بن شهاب قال كنت عند
عبد الله فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر فلما آسفونا
انتقمنا منهم (فجعلناهم سلفا) أي قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب
لاجل الاعتبار بهم قرأ الجمهور سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخدم وخادم ورصد
وراصد وحرس وحارس يقال سلف يسلف اذا تقدم ومضى قال الفراء والزجاج جعلناهم
متقدمين سابقين ليتعظ بهم الآخرون اللاحقون وقرئ سلفا بضم السين واللام قال
الفراء هو جمع سليف نحو سرير وسرر وقال أبو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب
وقرئ بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهم الفرقة المتقدمة نحو غرف وغرفة كذا قال
النضر بن شميل وقال ابن عباس سلفا أهواء مختلفة (ومثلا للآخرين) أي عبرة وموعظة
لمن يأتي بعدهم أو قصة عجيبة تجري مجرى الامثال وتسير سير الاقوال ولما قال سبحانه
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق
المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ان نتخذه الها كما
اتخذ النصارى عيسى بن مريم فانزل الله (ولما ضرب ابن مريم مثلا) كذا قال قتادة
ومجاهد وقال الواحدي أكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبعرى
مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم قال ابن الزبعرى (١) خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح
واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن
وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية المذكورة هنا وقد مضى هذا في سورة
الانبياء ولا يخفاك ان ما قاله ابن الزبعرى مندفع من أصله وباطل برمته فان الله سبحانه
قال انكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل في ذلك العقلاء كالمسيح وعزير
والملائكة قال الشهاب ابن الزبعرى هو عبد الله الصحابي المشهور وهذه القصة على تقدير
صحتها كانت قبل اسلامه (اذا قومك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (منه) أي من ذلك
المثل المضروب (يصدون) أي يضجون ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب والمراد
بقومه هنا كفار قريش اذ ظنوا انه ألزم وأفحم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به وهو انما
سكت انتظار للوحي قرأ الجمهور يصدون بكسر الصاد وقرئ بضمها وهما سبعيتان قال
الكسائي والفراء والزجاج والاخفش هما لغتان ومعناهما يضجون قال الجوهري صد
يصد صديدا اي ضج وقيل انه بالضم الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله قطرب قال
أبو عبيد لو كانت من الصدود عن الحق يقال اذا قومك عنه يصدون عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير
قالوا ألست تزعم ان عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا وقد عبدته النصارى فان
كنت صادقا فانه كآلهتهم فأنزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا الآية قلت وما يصدون قال

يضجون

وتطعمه وتخدمه نحوا من ثماني
عشرة سنة وقد كان قبل ذلك في مال
جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا
فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال
ان ألقي على مزبلة من مزابل
البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه
القريب والبعيد سوى زوجته
رضي الله عنها فانها كانت لا تفارقه
صباحا ومساء الا بسبب خدمة
الناس ثم تعود اليه قريبا فلما طال
المطال واشتد الحال وانتهى القدر

(١) بكسر الزاي المعجمة وفتح الباء
الموحدة وسكون العين والراء المهملة
والالف المقصورة معناه سيئ الخلق
اه منه

يضحون (وقالوا أ آلهتنا خير) عندك (أم هو) أي المسيح قال السدى وابن زيد خاصموه وقالوا ان كان كل من عبد غير الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة وقال قتادة يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم اى أ آلهتنا خير أم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويقوى هذا قراءة ابن مسعود أ آلهتنا خير أم هذا (ماضربوه لك الا جدلا) أى ماضربوا لك هذا المثل في عيسى الا ليجادلوك لا لطلب الحق حتى يرجعوا اليه عند ظهوره وبيانه على ان جدلا منتصب على العلة او مجادلين على انه مصدر في موضع الحال وقرئ جدالا (بل هم قوم خصمون) اى شديدو الخصومة كثير واللدد عظيمو الجدل وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وصححه وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى في الشعب عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية وقد ورد في ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة ثم بين سبحانه ان عيسى ليس برب وانما هو عبد من عباده اختصه بنبوته فقال (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بما أكرمناه به من النبوة وأنعمنا عليه برفعة المنزلة والذكر (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) أى آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه فانه كان من غير أب وكان يحيي الموت ويبرئ الاكمه والابرص وكل مريض باذن الله فمن أين يدخل في قوله انكم وما تعبدون أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ان المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا أرأيت من يعبد من دون الله أين هم قال في النار قالوا الشمس والقمر قال والشمس والقمر قالوا فعيسى بن مريم قال قال الله ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) الخطاب لقريش أى لو نشاء لاهلكناهم وجعلنا بدلكم في الارض ملائكة مكرمين يعمرونها ويعبدونه فهذا تهديد وتخويف لقريش قال السمين في من هذه أقوال أحدها انها بمعنى بدل اى لجعلنا بدلكم ومنه قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة اى بدلها والثانى وهو المشهور انها ابتدائية وتأويل الآية عليه لولدنا منكم يارجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى دون ذكر ذكره الزمخشرى والثالث انها تبعيضية قال أبو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة وقال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم ومقصود الآية انا لو نشاء لاسكنا الملائكة الارض وليس في اسكاننا اياهم السماء شرف حتى يعبدوا (وانه لعلم للساعة) قال مجاهد والضحاك والسدى وقتادة ان المراد المسيح وان خروجه أى نزوله مما يعلم به قيام الساعة أى قربها لكونه شرطا من أشراطها لان الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من اعلام الساعة وقال الحسن وسعيد بن جبير المراد القرآن لانه يدل على قرب مجيء الساعة وبه يعلم وقتها وأهوالها وأحوالها وقيل المعنى ان حدوث المسيح من غير أب واحياءه للموتى دليل على صحة البعث وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى قال ابن عباس أى خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وأخرجه الحاكم وابن

وتم الاجل المقدر تضرع الى رب العالمين واله المرسلين فقال انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين وفي هذه الآية الكريمة قال رب انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب قيل بنصب في بدنى وعذاب في مالى وولدى فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره ان يقوم من مقامه وان يركض الارض برجله ففعل فانبع الله تعالى عينا وأمره ان يغتسل منها فاذهبت

مردويه عنه مرفوعا وعن أبي هريرة نحوه أخرجه عبد بن حميد قرأ الجمهور لعلم بصيغة المصدر جعل المسيح علما للساعة مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله وقرأ جماعة من الصحابة بفتح العين واللام أي خروجه علم من أعلامها وشرط من شروطها وقرئ للعلم بلامين مع فتح العين واللام اى للعلامة التي يعرف بها قيام الساعة (فلا تمترن بها) اى فلا تشكن في وقوعها ولا تكذبن بها فانها كائنة لا محالة (واتبعون) قرأ الجمهور بحذف الياء وصلا ووقفا وقرئ باثباتها وصلا ووقفا وقرئ بحذفها في الوصل دون الوقف أي اتبعوني فيما آمركم به من التوحيد وبطلان الشرك وفرائض الله التي فرضها عليكم (هذا) أي الذي آمركم به وأدعوكم اليه (صراط مستقيم) أي طريق قيم موصل الى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) أي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم فيمنعكم ذلك من اتباعي او من الايمان بالساعة فان الذي دعوتكم اليه هو دين الله الذي اتفق عليه رسله وكتبه ثم علل نهيهم عن ان يصدهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال (انه لكم عدو مبين) اى مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به كما يدل على ذلك ما وقع بينه وبين آدم وما ألزم به نفسه من اغواء جميع بني آدم الا عباد الله المخلصين (ولما جاء عيسى) الى بني اسرائيل (بالبينات) أي بالمعجزات الواضحة والشرائع النيرة قال قتادة البينات ههنا الانجيل (قال قد جئتكم بالحكمة) أي النبوة وقيل الانجيل وقيل ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح (و) جئتكم (لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) من أحكام التوراة ولم يترك العاطف ليتعلق بما قبله ليؤذن بالاهتمام بالعلة حتى جعلت كأنها كلام برأسه والبعض هو أمر الدين قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل ان بني اسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في أشياء من أمر دينهم وقال ابو عبيدة ان بعض هنا بمعنى كل كما في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني ما أحل في الانجيل مما كان محرما في التوراة كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت ثم امرهم بالتقوى والطاعة فقال (فاتقوا الله) اى اتقوا معاصيه (واطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والشرائع وابلغه عنه (ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه) هذا بيان لما امرهم بان يطيعوه فيه (هذا) اى عبادة الله وحده والعمل بشرائعه (صراط مستقيم) وهذا تمام كلام عيسى عليه السلام او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضى للطاعة في ذلك (فاختلف الاحزاب من بينهم) قال مجاهد والسدى الاحزاب هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال الكلبي ومقاتل هم فرق النصارى اختلفوا في امر عيسى قال قتادة المعنى انهم اختلفوا فيما بينهم وقيل اختلفوا من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى والاحزاب هي الفرق المتحزبة قيل هم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية وهذا مبني على انه بعث لجميع بني اسرائيل فتحزبوا في

امره

جميع ما كان فيه بدنه من الاذى ثم أمره فضرب الارض في مكان آخر فانبع له عينا اخرى وأمره أن يشرب منها فاذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس

وقيل المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبوه وهم المرادون بقوله هل ينظرون الا الساعة والاول أولى (فويل للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه وقالوا في عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) أي أليم عذابه وهو يوم القيامة (هل ينظرون) أي هل يترقب و ينتظر هؤلاء الاحزاب أو الكفار (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) أي لا يفطنون بذلك لاشتغالهم بأمر دنياهم وانكارهم لها كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) في الدنيا أي المتحابون فيها (يومئذ) أي يوم تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) أي يعادي بعضهم بعضا لانها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ووجدوا تلك الامور التي كانوا فيها أخلاء أسبابا للعذاب فصاروا أعداء ثم استثنى المتقين فقال (الا المتقين) فانهم أخلاء في الدنيا والآخرة لانهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها عن علي بن أبي طالب في الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران توفي أحد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك و يأمرني بالخير و ينهاني عن الشر و ينبئني اني ملاقيك اللهم لا تضله بعدي حتى تريه ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيرا ولبكيت قليلا ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل واذا مات أحد الكافرين بشر بالنار فيذكر خليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك و يأمرني بالشر و ينهاني عن الخير و ينبئني اني غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت علي فيموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب و بئس الخليل أخرجه عبد الرزاق وعبد ابن حميد وحميد بن زنجويه في ترغيبه وابن جرير والبيهقي وابن مردويه وابن أبي حاتم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) أي يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله بهذه المقالة تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) لله منقادين له مخلصين في أمر الدين (ادخلوا الجنة) أي يقال لهم ذلك قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الاوثان رؤسهم غير المسلمين (أنتم وأزواجكم) المراد بها نساؤهم المؤمنات وقيل قرناؤهم من المؤمنين وقيل زوجاتهم من الحور العين (تحبرون) تكرمون أو تنعمون أو تفرحون أو تسرون أو تعجبون أو تلذذون بالسماع والاولى تفسير ذلك بالفرح والسرور الناشئين عن الكرامة والنعمة ناداهم بأربعة أمور الاول نفي الخوف والثاني نفي الحزن والثالث الامر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور (يطاف عليهم بصحاف من ذهب)

ابن مالك رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين كانا من أخص اخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله

جمع صحفة وهى القصعة الواسعة العريضة قال الكسائى أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة وهى تشبع عشرة ثم الصحفة وهى تشبع الخمسة ثم الميكلة وهى تشبع الرجلين أو الثلاثة والمعنى ان لهم فى الجنة أطعمة يطاف عليهم بها فى صحاف الذهب (وأكواب) أى ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها فى الاكواب وهى جمع كوب قال الجوهرى الكوب كوز لا عروة له والجمع أكواب قال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الاباريق التى لا خراطيم لها وقال قطرب هى الاباريق التى ليست لها عرى والعروة ما يمسك منه ويسمى أذنا قال ابن عباس الاكواب الجرار من الفضة (وفيها) أى فى الجنة (ما تشتهيه الانفس) أى أنفس أهل الجنة من فنون الاطعمة والاشربة والاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة ونحوها مما تطلبه النفس وتهواه كائنا ما كان جزاء لهم بما منعوا أنفسهم من الشهوات فى الدنيا قرأ الجمهور تشتهى وفى مصحف عبد الله بن مسعود تشتهيه باثبات الضمير العائد الى الموصول (وتلذ الاعين) من كل المستلذات التى يستلذ بها ويطلب مشاهدتها وأعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق تقول لذ الشئ يلذ لذاذا ولذاذة اذا وجده لذيذا أو التذ به وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب أو مستلذات فى العيون عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل فى الجنة من ابل فانى أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون) لا تموتون ولا تخرجون منها (وتلك الجنة التى اورثتموها) أى يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة اى صارت اليكم كما يصير الميراث الى الوارث (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال الصالحة وتلك مبتدأ والجنة صفته والموصول مع صلته صفة للجنة والخبر بما كنتم الخ وقيل الخبر الموصول مع صلته والاول أولى وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب للتشريف والمخاطب كل واحد من أهل الجنة فلذلك أفرد الكاف ولم يقل وتلكم الذى هو مقتضى أورثتموها ايذانا بان كل واحد مقصود بذاته أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله فى الجنة وذلك قوله وتلك الجنة التى أورثتموها (لكم فيها) سوى الطعام والشراب (فاكهة كثيرة) أى كثيرة الانواع والاصناف والفاكهة معروفة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها (منها تأكلون) وكل ما يؤكل يخلف بدله ومن تبعيضية أو ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ثم شرع سبحانه فى الوعيد بعد ذكر الوعد كما هو دأب القرآن الكريم فقال (ان المجرمين) أى أهل الاجرام الكفرية كما يدل عليه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا (فى عذاب جهنم خالدون)

تعالى فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم انى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما كراهية ان يذكر الله تعالى الا فى حق قال وكان يخرج الى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان

لا ينقطع عنهم العذاب أبدا (لا يفتر عنهم) أى لا يخفف عنهم ذلك العذاب جملة حالية وكذلك (وهم فيه مبلسون) أى آيسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت يأس وقد مضى تحقيق معناه فى الانعام ولا يشكل على هذا قوله الآتى ونادوا الخ لان تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويشتد عليهم العذاب تارة فيستغيثون وقرأ عبد الله هم فيها أى فى النار لدلالة العذاب عليها (وما ظلمناهم) أى ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه (ولكن كانوا هم الظالمين) لانفسهم بما فعلوا من الذنوب قرأ الجمهور الظالمين بالنصب على انه خبر كان والضمير ضمير فصل وقرئ الظالمون بالرفع على ان الضمير مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر كان (ونادوا يا مالك) أى نادى المجرمون هذا النداء والاتيان بالماضى على حد أتى أمر الله ومالك هو خازن النار قرأ الجمهور بغير الترخيم وقرئ يا مال بالترخيم قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) بالموت من قضى عليه اذا أماته قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه توسلوا بمالك خازن النار الى الله سبحانه ليسأله لهم ان يقضى عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب وقال البيضاوى هو لا ينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة (قال انكم ماكثون) أى مقيمون فى العذاب هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك قيل سكت عن اجابتهم أربعين سنة قاله الخازن والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون قاله القرطبى وقيل ثمانين سنة وقيل مائة سنة وقال ابن عباس يمكث عنهم ألف سنة ثم أجابهم بهذا الجواب (لقد جئناكم بالحق) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله سبحانه أو من كلام مالك والاول أظهر والمعنى انا أرسلنا اليكم الرسل وأنزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدقوا وهو معنى قوله (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب قيل معنى أكثركم كلكم وقيل أراد الرؤساء والقادة ومن عداهم اتباع لهم والمراد بالحق كل ما أمر الله به على ألسن رسله وأنزله فى كتبه وقيل هو خاص بالقرآن (أم أبرموا أمرا فانا مبرمون) كلام مستأنف ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم هى المنقطعة التى بمعنى بل والهمزة أى بل أأبرموا أمرا وفى ذلك انتقال من توبيخ أهل النار وحكاية حالهم الى حكاية ما يقع من هؤلاء والابرام الاتقان والاحكام يقال أبرمت الشئ أحكمته وأتقنته وأبرم الحبل اذا أحكم فتله والمعنى بل أحكموا كيدا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فانا محكمون لهم كيدا قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ومثل هذا قوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقيل المعنى أم قضوا أمرا فانا قاضون عليهم أمرنا بالعذاب قاله الكلبى (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى بل أيحسبون أنا لا نسمع ما يسرون فى أنفسهم أو ما يحادثون به سرا فى مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم (بلى) نسمع ذلك ونعلم به (ورسلنا لديهم يكتبون) أى الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم

ذات يوم ابطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت اى بارك الله فيك هل رأيت نبى الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فانى أنا

من قول أو فعل عن يحيى بن معاذ قال من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى قال بينا ثلاثة بين الكعبة واستارها قرشيان وثقفى أو ثقفيان وقرشى فقال واحد منهم أترون ان الله يسمع كلامنا فقال واحد اذا جهرتم يسمع واذا أسررتم لم يسمع فنزلت هذه الآية ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للكفار قولا يلزمهم به الحجة ويقطع مايوردونه من الشبهة فقال (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان صحيح أو ان كان له ولد فى قولكم وعلى زعمكم (فأنا أول العابدين) أى أول من عبد الله وحده لان من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد قاله ابن قتيبة وقال الحسن والسدى ان المعنى ما كان للرحمن ولد ويكون قوله فأنا أول العابدين ابتداء كلام قال ابن عباس فى الآية يقول ان يكن للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى الشاهدين وعن زيد بن أسلم قال هذا معروف من كلام العرب ان كان هذا الامر قط أى ما كان وعن قتادة نحوه وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد هذا الولد الذى تزعمون ثبوته ولكنه يستحيل ان يكون له ولد وفيه نفى للولد على أبلغ وجه وأتم عبارة وأحسن أسلوب وهذا هو الظاهر من النظم القرآنى لان هذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ومن هذا القبيل قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره ان ثبت ما تقوله بالدليل فأنا أول من يعتقده ويقول به فتكون ان فى ان كان شرطية ورجح هذا ابن جرير وغيره وقيل معنى العابدين الآنفين من العبادة وهو تكلف لا ملجئ اليه ولكنه قرئ العبدين بغير ألف من عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا أنف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة ولعل الحامل على هذه القراءة الشاذة البعيدة لمن قرأها هو استبعاد معنى فأنا أول العابدين وليس بمستبعد ولا مستنكر وقد حكى الجوهرى عن أبى عمرو فى قوله فأنا أول العابدين انه من الانف أو الغضب وحكاه الماوردى عن الكسائى والقتيبى وبه قال الفراء وكذا قال ابن الأعرابى ان معنى العابدين الغضاب الآنفين وقال أبو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدنى حقى أى جحدنى ولا شك ان عبد وأعبد بمعنى أنف أو غضب ثابت فى لغة العرب وكفى بنقل هؤلاء الأئمة حجة ولكن جعل ما فى القرآن من هذا من التكلف الذى لا ملجئ اليه ومن التعسف الواضح وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقل ما يقال عابد والقرآن لا يأتى بالقليل من اللغة ولا الشاذ قرأ الجمهور ولد بالافراد وقرئ بضم الواو وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى تنزيها له وتقديسا عما يقولون من الكذب بان له ولدا ويفترون عليه سبحانه مالا يليق بجنابه وهذا ان كان من كلام الله سبحانه فقد نزه نفسه الكريمة عما قالوه وان كان من تمام كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذى أمره بان يقوله فقد أمره بان يضم الى ما حكاه عنهم

هو قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى فى اندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه

بزعمهم الباطل تنزيه ربه وتقديسه (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) أى اترك الكفار حيث
لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم اليه يخوضوا فى أباطيلهم ويلهوا فى دنياهم
(حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم القيامة وقيل العذاب فى الدنيا وقيل يوم
الموت وهو الاظهر فان خوضهم ولعبهم انما ينتهى يوم الموت قيل وهذا منسوخ
بآية السيف وقيل هو غير منسوخ وانما أخرج مخرج التهديد وفيه دليل على ان
ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا (وهو
الذى فى السماء اله وفى الارض اله) الجار والمجرور فى الموضعين متعلق باله لانه بمعنى
معبود أو مستحق للعبادة والمعنى وهو الذى معبود فى السماء ومعبود فى الارض أو مستحق
للعبادة فى السماء والعبادة فى الارض وبما تقرر من ان المراد باله معبود اندفع ما قيل هذا
يقتضى تعدد الآلهة لان النكرة اذا أعيدت نكرة تعددت كقولك أنت طالق وطالق
وايضاح الاندفاع ان الاله هنا بمعنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة انما هى بين
معبوديته فى السماء ومعبوديته فى الارض لان المعبودية من الامور الاضافية فيكفى
التغاير فيها من أحد الطرفين فاذا كان العابد فى السماء غير العابد فى الارض صدق ان
معبوديته فى السماء غير معبوديته فى الارض مع ان المعبود واحد وفيه دلالة على
اختصاصه باستحقاق الالوهية فان التقديم يدل على الاختصاص أفاده الكرخى قال
أبو على الفارسى واله فى الموضعين مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف أى هو الذى فى
السماء هو اله وفى الارض هو اله وحسن حذفه لطول الكلام قال والمعنى على الاخبار
بالالهية لا على الكون فيهما قال قتادة يعبد فى السماء والارض وقيل فى بمعنى على أى هو
القادر على السماء والارض كما فى قوله ولأصلبنكم فى جذوع النخل وقرأ عمر وعلى وابن
مسعود وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله على تضمين العلم معنى المشتق فيتعلق
به الجار والمجرور من هذه الحيثية (وهو الحكيم العليم) أى البليغ الحكمة الكثير
العلم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) تبارك تفاعل من البركة وهى
كثرة الخيرات والمراد بما بينهما الهواء وما فيه من الحيوانات (وعنده علم الساعة) أى
علم الوقت الذى يكون فيه قيامها (واليه ترجعون) فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير
وشر وفيه وعيد شديد قرأ الجمهور بالفوقية على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب
وقرئ بالتحتية (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك من يدعونه من
دون الله من الاصنام ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون انهم يشفعون لهم قرأ الجمهور
يدعون بالتحتية وقرئ بالفوقية (الا من شهد بالحق) أى التوحيد (وهم يعلمون) أى هم
على علم وبصيرة بما شهدوا به والاستثناء متصل والمعنى الا من شهد بالحق وهم المسيح وعزير
والملائكة فانهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها وقيل هو منقطع والمعنى لكن من شهد
بالحق يشفع فيه هؤلاء وقيل المستثنى منه محذوف أى لا يملكون الشفاعة فى أحد
الا فيمن شهد بالحق قال سعيد بن جبير وغيره معنى الآية انه لا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن

قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر
عليه جراد من ذهب فجعل أيوب
عليه الصلاة والسلام يحثو فى ثوبه
فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن
أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة
والسلام بلى يارب ولكن لاغنابى
عن بركتك انفرد باخراجه البخارى
من حديث عبد الرزاق به ولهذا
قال تبارك وتعالى ووهبنا له أهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى

شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة وقال قتادة لا يشفعون لعابديها بل يشفعون لمن شهد بالوحدانية وقيل مدار الاتصال فى هذا الاستثناء على جعل الذين يدعون عاما للكل مايعبد من دون الله ومدار الانقطاع على جعله خاصا بالاصنام (ولئن سألتهم) اللام هى الموطئة للقسم والمعنى لئن سألت هؤلاء المشركين العابدين للأصنام (من خلقهم ليقولن الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة أى أقروا واعترفوا بان خالقهم الله ولا يقدرون على الانكار ولا يستطيعون الجحود لظهور الامر وجلائه (فأنى يؤفكون) أى فكيف ينقلبون عن عبادة الله الى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف فان المعترف بان الله خالقه اذا عمد الى صنم أو حيوان وعبده مع الله أو عبده وحده فقد عبد بعض مخلوقات الله وفى هذا من الجهل مالا يقادر قدره يقال أفكه يأفكه افكا اذا قلبه وصرفه عن الشئ وقيل المعنى ولئن سألت المسيح وعزيرا والملائكة من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفك هؤلاء الكفار فى اتخاذهم لهم آلهة وقيل المعنى ولئن سألت العابدين والمعبودين جميعا (وقيله) قرأ الجمهور بالنصب عطفا على محل الساعة كأنه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله أو عطفا على سرهم ونجواهم أى يعلم سرهم ونجواهم ويعلم قيله أو عطفا على مفعول يكتبون المحذوف أى يكتبون ذلك ويكتبون قيله أو عطفا على مفعول يعلمون المحذوف أى يعلمون ذلك ويعلمون قيله أو هو مصدر أى قال قيله أو منصوب باضمار فعل أى الله يعلم قيل رسوله أو هو معطوف على محل بالحق أى شهد بالحق وبقيله أو منصوب على حذف حرف القسم ومن المجوزين للاول المبرد وابن الانبارى وللثانى الفراء والاخفش وللنصب على المصدرية أيضا الفراء والاخفش وقرئ قيله بالجر عطفا على لفظ الساعة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله والقول والقال والقيل والمقال كلها مصادر بمعنى واحد جاءت على هذه الاوزان وقال أبو عبيدة يقال قلت قولا وقالا وقيلا أو على ان الواو للقسم وقرأ قتادة ومجاهد والحسن وأبو قلابة والاعرج وابن هرمز ومسلم بن جندب قيله بالرفع عطفا على علم أى وعنده علم الساعة وعنده قيله أو على الابتداء وخبره الجملة المذكورة بعده أو خبره محذوف تقديره وقيله كيت وكيت أو وقيله مسموع والضمير فى وقيله راجع الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه وقيل عائد الى المسيح وعلى الوجهين فالمعنى انه قال مناديا لربه (يارب ان هؤلاء) الذين أرسلتنى اليهم (قوم لا يؤمنون) ثم لما نادى ربه بهذا أجابه بقوله (فاصفح عنهم) أى أعرض عن دعوتهم (وقل سلام) أى أمرى تسليم منكم ومتاركة لكم وقال الفراء ان سلام مرفوع باضمار عليكم قال عطاء يريد مداراة حتى ينزل حكمى ومعناه المتاركة كقوله سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين فليس فى الآية مشروعية السلام على الكفار كما قيل وقال قتادة أمره بالصفح عنهم ثم أمره بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف وقيل هى محكمة لم تنسخ (فسوف يعلمون) قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية وفيه تهديد شديد لهم ووعيد عظيم من الله عز وجل وتسلية له صلى الله عليه وآله وسلم

لاولى الالباب قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له باعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله عز وجل رحمة منا أى به على صبره وثباته وانابته وتواضعه واستكانته وذكرى لأولى الالباب أى لذوى العقول ليعلموا ان عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة وقوله جلت عظمته وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وذلك ان أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته

(سورة الدخان هي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية)

قال القرطبي هي مكية بالاتفاق الا قوله انا كاشفو العذاب قليلا وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه البيهقي في الشعب ورفعه الثعلبي أيضا والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن أبي خثعم ضعيف قال البخاري منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له أخرجه البيهقي وابن مردويه ومحمد بن نصر والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهشام بن مقدام يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد ويشهد له طرق أخرى منها ما أخرجه الدارمي ومحمد بن نصر عن أبي رافع قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين وأخرج ابن مردويه عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة قال الشهاب في سورة الواقعة ولم يذكر البيضاوي في فضائل السور حديثا غير موضوع من أول القرآن الى هنا غير ما هنا وما مر في سورة يس والدخان

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم قبل هذه السورة الكلام على هذا والله أعلم بمراده به (والكتاب) الواو للقسم والكتاب القرآن (المبين) أي المشتمل على بيان ما للناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم (انا أنزلناه) جواب القسم وقد أنكر بعض النحاة ان تكون هذه الجملة جوابا للقسم لانها صفة للمقسم به ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم وقال الجواب انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقال أيضا وجملة انا أنزلناه اعتراض متضمن لتفخيم الكتاب ورجح الاول بالسبق وبكونه من البدائع وبسلامته من الفك اللازم لما اختاره ابن عطية وقيل ان قوله انا كنا الخ جواب ثان أو جملة مستأنفة مقررة للانزال وفي حكم العلة له كأنه قال انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والضمير في أنزلناه راجع الى الكتاب وهو القرآن واقتصر على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلي وعلى هذا فقد أقسم بالقرآن انه أنزل القرآن وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا أراد تعظيم الرجل له اليه حاجة أتشفع بك اليك وأقسم بحقك عليك وجاء في الحديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة والضمير راجع الى القرآن على معنى انه سبحانه أقسم بسائر الكتب المنزلة انه أنزل القرآن والاول أولى واستدلوا بهذه الآية على حدوث القرآن بوجوه لا دلالة لها عليه (في ليلة مباركة) أي ليلة القدر كما في قوله انا أنزلناه في ليلة القدر ولها أربعة أسماء هي وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة قال عكرمة وطائفة الليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان وقال النووي في باب صوم التطوع من شرح مسلم انه خطأ والصواب وبه قال العلماء انها ليلة القدر وقيل بينها وبين ليلة القدر

ووجد عليها في أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فاطعمته اياه فلامها على ذلك وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة وقيل لغير ذلك من الاسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والاحسان ان تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل ان يأخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه

أربعون ليلة والجمهور وأكثر المفسرين على الاول وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان وقال قتادة أنزل القرآن كله فى ليلة القدر من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم أنزل الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فى الليالى والايام فى ثلاث وعشرين سنة فى أنواع الوقائع حالا فحالا وقد تقدم تحقيق الكلام فى هذا فى سورة البقرة عند قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وذكرسلمان الجمل أدلة القولين وبسط فيها لانطول بذكرها هنا وقال مقاتل كان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر من الوحى على مقدار ماينزل به جبريل فى السنة الى مثلها من العام وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر ووصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لنزول القرآن فيها وهو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولكونها تتنزل فيها الملائكة والروح كما سيأتى فى سورة القدر ان شاء الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن فى ليلة القدر ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوما لجواب الناس وقيل المباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين) أى مخوفين عقابنا مستأنف أو جواب ثان بغير عاطف ومن جملة بركتها ماذكره الله سبحانه ههنا بقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أى يفصل ويبين من قولهم فرقت الشئ أفرقه فرقا والامر الحكيم المحكم المبرم الذى لا يحصل فيه تغيير ولا نقض وذلك ان الله سبحانه يكتب فيها ما يكون فى السنة من حياة وموت وبسط وقبض وخير وشر ورزق وأجل ونصر وهزيمة وخصب وقحط وغير ذلك من أقسام الحوادث وجزئياتها فى أوقاتها وأماكنها ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك ايمانا كذا قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم وقيل معنى حكيم اى مفعول على ماتقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صاحب الامر على الحقيقة ووصف به الامر مجازا وهذه الجملة اماصفة اخرى لليلة ومابينهما اعتراض اومستأنفة لتقرير ماقبلها قرأ الجمهور يفرق بضم الياء وفتح الراء مخففا وقرئ بفتح الياء وضم الراء ونصب كل امر ورفع حكيم على انه الفاعل والحق ماذهب اليه الجمهور من ان هذه الليلة المباركة هى ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان لان الله سبحانه اجملها هنا وبينها فى سورة البقرة بقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وبقوله فى سورة القدر انا انزلناه فى ليلة القدر فلم يبق بعد هذا البيان الواضح مايوجب الخلاف ولا مايقتضى الاشتباه قال ابن عباس فى الآية يكتب من ام الكتاب فى ليلة القدر مايكون فى السنة من رزق وموت وحياة ومطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان وقال ابن عمر أمر السنة الى السنة الا الشقاوة والسعادة فانه فى كتاب الله لا يبدل ولا يغير اخرجه ابن ابى حاتم واخرج عبد بن حميد وغيره عنه انه قال انك لترى الرجل يمشى فى الاسواق وقد وقع اسمه فى الموتى ففى تلك الليلة يفرق امر الدنيا الى مثلها من قابل من موت اوحياة اورزق كل امر الدنيا يفرق تلك الليلة الى مثلها واخرج ابن زنجويه والديلمى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد

مائة قضيب فيضربها ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى واناب اليه ولهذا قال جل وعلا انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب أثنى الله تعالى عليه ومدحه بانه نعم العبد انه أواب اى رجاع منيب ولهذا قال جل جلاله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله

له وقد خرج اسمه فى الموتى وأخرجه ابن أبى الدنيا وابن جرير عن عثمان بن محمد وهذا مرسل لا تقوم به الحجة ولا يعارض بمثله صرائح القرآن وماروى فى هذا فهو اما مرسل او غير صحيح وقد اورد ذلك صاحب الدر المنثور واورد ماورد فى فضل ليلة النصف من شعبان وذلك لا يستلزم انها المراد بقوله فى ليلة مباركة وانتصاب قوله (امرا من عندنا) يفرق اى يفرق فرقا لان أمرا بمعنى فرقا قاله الزجاج والفراء والمعنى انا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ فهو على هذا منتصب على المصدريه مثل قولك يضرب ضربا قال المبرد أمرا فى موضع المصدر والتقدير أنزلناه انزالا وقال الاخفش انتصابه على الحال أى آمرين وقيل على الاختصاص اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا وفيه تفخيم لشأن القرآن وتعظيم له وقد ذكر بعض اهل العلم فى انتصاب امرا اثنى عشر وجها اظهرها ماذكرناه وقرأ زيد بن على بالرفع اى هو امر (انا كنا مرسلين) الرسل محمدا ومن قبله قال الرازى المعنى انا فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين للانبياء ومثله قال ابن الخطيب وانتصاب (رحمة) على العلة اى انزلناه للرحمة قاله الزجاج وقال المبرد انها منتصبة على انها مفعول لمرسلين اى انا كنا مرسلين رحمة وقيل هى مصدر فى موضع الحال اى راحمين قاله الاخفش وقيل انها مصدر منصوب بفعل مقدر أى رحمنا رحمة وقيل انها حال من ضمير مرسلين أى ذوى رحمة وقرأ الحسن بالرفع أى هى رحمة ورأفة بالمرسل اليهم (من ربك) متعلق بالرحمة أو صفة لمحذوف وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ولو جرى على منوال ماتقدم لقال من ربنا والمعنى رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثت اليهم من الرسل (انه هو السميع) لمن دعاه (العليم) بكل شئ ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم قدرته الباهرة فقال (رب السموات والارض وما بينهما) قرأ الجمهور رب بالرفع على انه عطف بيان على السميع العليم أو على انه مبتدا وخبره قوله الآتى لا اله الا هو أو على انه خبر لمبتدا محذوف أى هو رب وقرأ الكوفيون بالجر على انه بدل من ربك أو بيان له أو نعت (ان كنتم موقنين) بانه رب السموات والارض وما بينهما وقد أقروا بذلك كما حكاه الله عنهم فى غير موضع فايقنوا بان محمدا رسوله (لا اله الا هو) مستأنفة مقررة لما قبلها أو خبر رب السموات كما مر وكذلك جملة (يحيى ويميت) فانها مستأنفة مقررة لما قبلها (ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأ الجمهور بالرفع على الاستئناف بتقدير مبتدا أى هو ربكم أو على انه بدل من رب السموات أو بيان أو نعت له وقرأ الكسائى فى رواية الشيرازى عنه وغيره بالجر ووجه الجر ماذكرناه فى قراءة من قرأ بالجر فى رب السموات وقرأ الانطاكى بالنصب على المدح (بل هم فى شك يلعبون) اضرب عن كونهم موقنين الى كونهم فى شك من التوحيد والبعث وفى اقرارهم بان الله خالقهم وخالق سائر المخلوقات وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم وان ذلك منهم على طريقة اللعب والهزء فى دينهم بما يعن لهم من غير حجة ومحل يلعبون الرفع على انه خبر ثان أو النصب على الحال (فارتقب) الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها لان كونهم فى شك ولعب يقتضى ذلك والمعنى فانتظر لهم يا محمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وقيل المعنى احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتى السماء الخ وقد اختلف

بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل فى الايمان وغيرها وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر) يقول تبارك وتعالى

فى هـذا الدخان المذكور فى الآية متى يأتى فقيل انه من اشراط الساعة وانه يمكث فى الارض أربعين يوما وقد ثبت فى الصحيح انه من جملة العشر الآيات التى تكون قبل قيام الساعة وقيل انه أمر قد مضى وهو ما أصاب قريشا بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والارض دخانا وهذا ثابت فى الصحيحين وغيرهما وبه قال الفراء والزجاج وقيل انه يوم فتح مكة وقال ابن قتيبة فيه وجهان والاول انه فى سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا أمر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبراء الثانى ان العرب يسمون الشئ الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابطؤا عن الاسلام قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فأنزل الله هذه الآية فأتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقيل يارسول الله استسق الله المطر فاستسقى لهم فسقوا فأنزل الله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فانتقم الله منهم يوم بدر فقد مضى البطشة والدخان واللزام وقد روى عن ابن مسعود نحو هذا من غير وجه وروى نحوه عن جماعة من التابعين كمقاتل ومجاهد وعن أبى مليكة قال دخلت على ابن عباس فقال لم أنم هذه الليلة فقلت لم قال طلع الكوكب فخشيت ان يطرق الدخان قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وكذا صححه السيوطى ولكن ليس فيه انه سبب نزول الآية وقد عرفناك انه لامنافاة بين كون هذه الآية نازلة فى الدخان الذى كان يتراءى لقريش من الجوع وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها واشراطها فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك وليس فيها انه سبب نزول الآية فلا حاجة بنا الى التطويل بذكرها والواجب التمسك بما ثبت فى الصحيحين وغيرهما ان دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح انه الدخان الذى من اشراط الساعة كابن كثير فى تفسيره وغيره فى غيره وهكذا يندفع قول من قال انه الدخان الكائن يوم فتح مكة متمسكا بما أخرجه ابن سعد عن أبى هريرة قال كان يوم فتح مكة دخان وهو قول الله فارتقب الخ فان هذا لا يعارض ما فى الصحيحين على تقدير صحة اسناده مع احتمال أن يكون أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح انه المراد بالآية ولهذا لم يصرح بانه سبب نزولها (يغشى الناس) صفة ثانية للدخان اى يشملهم ويحيط بهم (هـذا عذاب أليم) أى يقولون هـذا أو قائلين ذلك أو يقول الله لهم ذلك (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى يقولون ذلك وقد روى انهم أتوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا ان كشف الله عنا العذاب أسلمنا والمراد بالعذاب الجوع الذى كان بسببه ما يرونه من الدخان أو يقولونه اذا رأوا الدخان الذى هو من آيات الساعة أو اذا رأوه

مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار يعنى بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة فى العبادة والبصيرة النافذة قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أولى الايدى يقول أولى القوة والابصار يقول الفقه فى الدين وقال مجاهد أولى الايدى يعنى القوة فى طاعة الله

يوم فتح مكة على اختلاف الاقوال والراجح منها انه الدخان الذى كانوا يتخيلونه مما نزل بهم من الجوع وشدة الجهد ولا ينافى ترجيح هذا ما ورد ان الدخان من آيات الساعة فان ذلك دخان آخر ولا ينافيه أيضا ما قيل انه الذى كان يوم فتح مكة فانه دخان آخر على فرض صحة وقوعه (انى لهم الذكرى) أى كيف يتذكرون ويتعظون بما نزل بهم (و) الحال انه (قد جاءهم رسول مبين) يبين لهم كل شئ يحتاجون اليه من أمر الدنيا والدين (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عن ذلك الرسول الذى جاءهم ولم يكتفوا بمجرد الاعراض عنه بل جاوزوه (وقالوا معلم مجنون) أى قالوا فى حقه تارة انما يعلمه القرآن بشر وتارة أخرى انه مجنون أو قال بعضهم هذا وبعضهم ذلك فكيف يتذكرون هؤلاء وانى لهم الذكرى ثم لما دعوا الله بان يكشف عنهم العذاب وانه اذا كشفه عنهم آمنوا أجاب الله سبحانه عليهم بقوله (انا كاشفو العذاب قليلا) أى انا نكشفه عنهم كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهذا جواب بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض أى الى يوم بدر أو الى ما بقى من أعمارهم ثم أخبر سبحانه عنهم انهم لا ينزجرون عما كانوا عليه من الشرك ولا يفون بما وعدوا به من الايمان فقال (انكم عائدون) الى ما كنتم عليه من الشرك وقد كان الامر هكذا فان الله سبحانه لما كشف عنهم العذاب رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعناد وقيل المعنى انكم عائدون الينا بالبعث والنشور والاول أولى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) قرأ الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء أى نبطش بهم وقرئ بضم الطاء وهى لغة وقرئ بضم النون وكسر الطاء والظرف منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم تأتى السماء وقيل هو متعلق بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو ننتقم والبطشة الكبرى هى يوم بدر قاله الاكثر والمعنى انهم لما عادوا الى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم انتقم الله منهم بوقعة بدر وقال الحسن وعكرمة المراد بها عذاب النار يوم القيامة واختار هذا الزجاج والاول أولى وعن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هى يوم القيامة قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وقال ابن الخطيب هذا القول أصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذى يوصف بهذا الوصف العظيم وان الانتقام التام انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال ابن كثير قبل هذا فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس من رواية العوفى عنه وعن أبىّ بن كعب وجماعة وهو محتمل والظاهر ان ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم بطشة كبرى أيضا انتهى قال الشوكانى بل الظاهر انه يوم بدر وان كان يوم القيامة بطشة اكبر من كل بطشة فان السياق مع قريش فتفسيره بالبطشة الخاصة لهم أولى من تفسيره بالبطشة التى تكون يوم القيامة لكل عاص من الانس والجن انتهى (ولقد فتنا) وقرئ فتّنا بالتشديد على المبالغة أو التكثير لكثرة متعلقه أى ابتلينا (قبلهم) أى قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم (قوم فرعون) معه ومعنى الفتنة هنا ان الله سبحانه أرسل اليهم رسله وأمرهم بما شرعه لهم فكذبوهم أو وسع عليهم الارزاق فطغوا

تعالى والابصار يعنى البصر فى الحق وقال قتادة والسدى اعطوا قوّة فى العبادة وبصرا فى الدين وقوله تبارك وتعالى انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال مجاهد أى جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدى ذكرهم للآخرة وعملهم لها وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها وكذا قال عطاء

وبغوا قال الزجاج بلوناهم أى امتحناهم وفعلنا بهم فعل الممتحن والمعنى عاملناهم معاملة
المختبر ببعث الرسل اليهم والتمكين فى الارض (وجاءهم رسول كريم) على الله كريم فى قومه
أى كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم وقال
مقاتل حسن الخلق بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على ربه اذ اختصه بالنبوة واسماع
الكلام قال ابن عباس هو موسى (أن أدوا) ان هذه هى المفسرة لتقدم ماهو بمعنى القول
أو مخففة من الثقيلة والمعنى ان الشأن والحديث أدوا (الىّ عباد الله) أو مصدرية أى
بان أدوا والمعنى انه طلب منهم ان يسلموا اليه بنى اسرائيل الذين كان فرعون استعبدهم
فاداؤهم استعارة بمعنى اطلاقهم وارسالهم معه قال مجاهد المعنى أرسلوا معى عباد الله
وأطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول به كقوله فى سورة طه فارسل معنا بنى
اسرائيل ولا تعذبهم وقيل المعنى أدوا الىّ عباد الله ماوجب عليكم من حقوق الله فيكون
منصوبا على انه منادى مضاف وقيل أدوا الىّ سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربى وقال ابن
عباس اتبعونى الى ما أدعوكم اليه من الحق (انى لكم رسول) من الله اليكم (أمين)
على الرسالة غير متهم وهذا تعليل للامر (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتجبروا ولا تتكبروا
عليه بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله واهانة وحيه وهذا اوضح وقيل لا تبغوا على الله
وقيل لا تفتروا عليه قاله ابن عباس والاول أولى والفرق بين البغى والافتراء ان البغى
بالفعل والافتراء بالقول وقال ابن عباس أيضا لا تعثوا وقال ابن جريج لا تتعظموا وقال
يحيى بن سلام لا تستكبروا والفرق بينهما ان التعاظم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع
المحتقر أفاده الماوردى وجملة (انى آتيكم) تعليل لما قبلها من النهى قرأ الجمهور بكسر همزة
انى وقرئ بالفتح بتقدير اللام (بسلطان مبين) أى بحجة بينة واضحة يعترف بصحتها كل عاقل
ولا سبيل الى انكارها وقال قتادة وابن عباس بعذر بين والاول أولى وبه قال يحيى بن سلام
(وانى عذت بربى وربكم) من (أن ترجمون) استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل قال
قتادة ترجمونى بالحجارة وبه قال ابن عباس وقيل تشتمونى كذا قال ابن عباس أيضا وقيل
تقتلونى (وان لم تؤمنوا لى) أى ان لم تصدقونى وتقروا بنبوتى ولم تؤمنوا بالله لاجل
برهانى فاللام فى لى لام الاجل وقيل أى وان لم تؤمنوا بى كقوله فآمن له لوط أى به
(فاعتزلون) أى فاتركونى ولا تتعرضوا لى بأذى قال مقاتل دعونى كفافا لا علىّ ولا لى
وقيل كونوا بمعزل عنى وأنا بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلى قاله ابن
عباس والمعنى متقارب ثم لما لم يصدقوه ولم يجيبوا دعوته رجع الى ربه بالدعاء كما حكى الله
عنه بقوله (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) أى كافرون قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضمار
حرف الجر أى دعاه بان هؤلاء وقرئ بكسرها على اضمار القول وفى الكلام حذف أى
لكفروا فدعا ربه وسماه دعاء مع انه لم يذكر الا مجرد كونهم مجرمين لانهم قد استحقوا بذلك
الدعاء عليهم وقيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين والاول أولى (فاسر بعبادى ليلا) أجاب الله سبحانه دعاءه فأمره
أن يسرى ببنى اسرائيل ليلا يقال سرى وأسرى لغتان جيدتان قرأ الجمهور فأسر بالقطع

من

الخراسانى وقال سعيد بن جبير
يعنى بالدار الجنة يقول أخلصناها
لهم بذكرهم لها وقال فى رواية أخرى
ذكرى الدار عقبى الدار وقال قتادة
كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة
والعمل لها وقال ابن زيد جعل لهم
خاصة أفضل شئ فى الدار الآخرة
وقوله تعالى وانهم عندنا لمن
المصطفين الاخيار أى لمن المختارين
المجتبين الاخيار فهم أخيار مختارون
وقوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع

من أسرى وقرأ أهل الحجاز بالوصل من سرى وهما سبعيتان والجملة بتقدير القول اى فقال
الله لموسى أسر بعبادى ليلا (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده وقد تقدم فى غير
موضع خروج فرعون بعدهم (واترك البحر رهوا) أى ساكنا يقال رها يرهو رهوا اذا
سكن لا يتحرك قال الجوهرى يقال افعل ذلك رهوا أى ساكنا على هينتك وعيش راه أى
ساكن ورها البحر سكن وقال الهروى وغيره وهو المعروف فى اللغة والمعنى اترك البحر ساكنا
على صفته بعد ان ضربته بعصاك ولا تأمره ان يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك
وبعد بنى اسرائيل فينطبق عليهم فيغرقون وقال أبو عبيدة رها بين رجليه يرهو رهوا أى
فتح قال ومنه قوله واترك البحر رهوا والمعنى اتركه منفرجا كما كان بعد دخولكم فيه وكذا
قال أبو عبيد وبه قال مجاهد وغيره قال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف
لفظاهما لان البحر اذا سكن جريه انفرج قال الهروى ويجوز ان يكون رهوا نعتا لموسى
أى سر ساكنا على هينتك وقال كعب والحسن رهوا طريقا وقال الضحاك والربيع
سهلا وقال عكرمة يبسا كقوله فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا وعلى كل تقدير
فالمعنى اتركه ذا رهو أو اتركه رهوا على المبالغة فى الوصف بالمصدر وقال ابن عباس رهوا
سمتا وعنه قال كهيئته وامضه وعنه أيضا قال الرهو أن يترك كما كان (انهم) أى ان
فرعون وجنده بعد خروجكم (جند مغرقون) أى متمكنون فى هذا الوصف وان كان لهم
وصف القوة والتجمع الذى شانه النجدة الموجبة للعلو فى الامور أخبر سبحانه موسى بذلك
ليسكن قلبه ويطمئن جاشه قرأ الجمهور بكسر ان على الاستئناف لقصد الاخبار بذلك
وقرئ بالفتح على تقدير لانهم (كم تركوا) كم هى الخبرية المفيدة للتكثير وقد مضى الكلام
فى معنى الآية فى سورة الشعراء والتقدير فاغرقوا وكم مفعول به أى تركوا أمورا كثيرة
وقد بينها بقوله (من جنات) اى بساتين (وعيون) تجرى (وزروع ومقام كريم) قرأ
الجمهور ومقام بفتح الميم على انه اسم مكان للقيام وقرئ بضمها اسم مكان الاقامة قال ابن
عباس ومقام كريم المنابر وعن جابر مثله وقيل هو ما كان لهم من المنازل الحسنة
والمجالس الشريفة والمحافل المزينة (ونعمة كانوا فيها فاكهين) النعمة بالفتح التنعم
ونضارة العيش ولذاذته يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وبالكسر المنة وما أنعم به عليك
وفلان واسع النعمة أى واسع المال ذكر معنى هذا الجوهرى وقال المحلى نعمة أى متعة
أى أمور يتمتعون و ينتفعون بها كالملابس والمراكب قرأ الجمهور فاكهين بالالف وقرئ
بغير ألف والمعنى على الاولى متنعمين طيبة أنفسهم وعلى الثانية أشرين بطرين قال
الجوهرى فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا
الاشر البطر قال وفاكهين أى ناعمين وقال الثعلبى هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره
والفره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بانواع اللذة كما يتمتع الرجل بانواع الفاكهة (كذلك)
أى الامر كذلك يجوز ان تكون فى محل نصب والاشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا
أى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل مثل
ذلك الاهلاك أهلكناهم فعلى الوجه الاول يكون قوله (وأورثناها) معطوفا على تركوا

وذا الكفل وكل من الاخيار قد
تقدم الكلام على قصصهم
وأخبارهم مستقصاة فى سورة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام
بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله عز
وجل هذا ذكر أى هذا فضل لمن
فيه ذكر لمن يتذكر وقال السدى
يعنى القرآن العظيم (وان للمتقين
لحسن مآب جنات عدن مفتحة
لهم الابواب متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب

وعلى الوجوه الآخرة يكون معطوفا على الفعل المقدر (قوما آخرين) المراد بهم بنو اسرائيل فان الله سبحانه ملكهم مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين فصار والها وارثين أى انها وصلت اليهم كما يصل الميراث الى الوارث ومثل هذا قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وهذا قول الحسن وقيل انهم لم يرجعوا الى مصر والقوم الآخرون غير بنى اسرائيل وهو قول ضعيف جدا قاله الكرخى (فما بكت عليهم السماء والارض) هذا بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولك بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك فالبكاء مجاز مرسل ومع ذلك لابد من جعل الآية استعارة بالكناية والمعنى انه لم يصب بفقدهم وهلاكهم احد من أهل السماء ولا من أهل الارض وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت له السماء والارض أى عمت مصيبته وقال الحسن فى الكلام مضاف محذوف أى فما بكى عليهم أهل السماء والارض من الملائكة والناس وقال الزمخشرى ذكر هذا على سبيل السخرية بهم يعنى انهم كانوا يستعظمون أنفسهم ويعتقدون انهم لو ماتوا لبكت عليهم السماء والارض ولم يكونوا بهذا الحد بل كانوا دون ذلك فذكر هذا تهكما بهم وقال مجاهد ان السماء والارض تبكيان على المؤمن أربعين صباحا وقيل تبكى على المؤمن مواضع صلاته ومصاعد عمله وعلى هذا انه بكاء كالمعروف من بكاء الحيوان وفى معنى الآية وجهان والثانى أظهر وأوفق بالاحاديث ونظم القرآن قال السدى لما قتل الحسين رضى الله عنه بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مامن عبد الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت الخ وذكر انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكى عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام صالح فيفقدهم فيبكى عليهم أخرجه الترمذى وابن أبى الدنيا وأبو يعلى وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية والخطيب وأخرج ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى فى الشعب نحوه من قول ابن عباس وعنه قال يقال الارض تبكى على المؤمن أربعين صباحا وعن شريح بن عبيد الحضرمى مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ألا لا غربة على مؤمن مامات مؤمن فى غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ثم قال انهما لا تبكيان على كافر أخرجه ابن جرير وابن ابى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه ومصعد عمله من السماء ثم تلا هذه الآية (وما كانوا منظرين) اى مؤخرين للتوبة وممهلين الى وقت آخر بل عوجلوا بالعقوبة لفرط كفرهم وشدة عنادهم (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) اى خلصناهم باهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء وتكليفهم للاعمال الشاقة (من فرعون) بدل من العذاب اما على حذف مضاف اى من عذابه واما على المبالغة كانه نفس العذاب فابدل منه او على انه حال من العذاب اى صادرا من فرعون

وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ماتوعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء ان لهم فى الدار الآخرة لحسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله تعالى جنات عدن أى جنات اقامة مفتحة لهم الابواب والالف واللام ههنا بمعنى الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها اى اذا جاؤها فتحت لهم

وقرا

وقرأ ابن عباس من فرعون بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه اونسبه من أنت والاول أولى ثم بين سبحانه فقال (انه كان عاليا) في التكبر والتجبر (من المسرفين) في الكفر بالله وارتكاب معاصيه كما في قوله ان فرعون علا في الارض ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين سبحانه كيفية دفعه للضرعن بني اسرائيل بين ما أكرمهم به فقال (ولقد اخترناهم) اى مؤمني بني اسرائيل (على) اى مع (علم) منا بحالهم وهي كونهم احقاء بان يختاروا اوكونهم يزيغون وتحصل منهم الفرطات في بعض الاحوال (على العالمين) أي على عالمي زمانهم على علم منه سبحانه باستحقاقهم لذلك وليس المراد انه اختارهم على جميع العالمين بدليل قوله في هذه الامة كنتم خيرأمة أخرجت للناس وقيل على كل العالمين لكثرة الانبياء فيهم وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري وغيرهما والاول أولى وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون (وآتيناهم من الآيات) اى معجزات موسى (مافيه بلاء مبين) اى اختبار ظاهر وامتحان واضح لننظر كيف يعملون وقال قتادة الآيات انجاؤهم من الغرق وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى لهم وقال ابن زيد الآيات هي الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به وقال الحسن وقتادة البلاء المبين النعمة الظاهرة كما في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ونبلوكم بالشر والخير فتنة (ان هؤلاء) اى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الاصرار على الكفر (ليقولون ان هي الاموتتنا الاولى) التي نموتها في الدنيا ولا حياء بعدها ولا بعث وهو معنى قوله (وما نحن بمنشرين) اى بمبعوثين يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وليس في الكلام قصد الى اثبات موتة أخرى بل المراد ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية قال الرازي وابن الخطيب المعنى انه لا يأتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا الكلام يدل على انه لا تأتيهم الحياة الثانية البتة فلا حاجة الى التكلف الذي ذكره الزمخشري في هذا المقام ثم أوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه دليلا وهو حجة داحضة فقالوا (فأتوا بآبائنا) أي ارجعوهم بعد موتهم الى الدنيا قال الفراء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده كقوله رب ارجعوني والاولى انه خطاب له صلى الله عليه وآله وسلم ولاتباعه من المسلمين (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه وتخبرونا به من البعث ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) الحميري الذي دار في الدنيا بجيوشه وغلب أهلها وقهرهم وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وكان قومه كافرين وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وفيه وعيد شديد وقيل المراد بقوم تبع جميع اتباعه لا واحد بعينه وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم رواه البيهقي والحاكم وصححه وابن المبارك

أبوابها قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن أيوب الهباري حدثنا عبد الله ابن نمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعني ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله ولا يسكنه الا نبي أو صديق أو شهيد او امام عدل وقد ورد

وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا وعن سهل بن سعد الساعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحوه أخرجه أحمد والطبرانى وابن ماجه وابن مردويه وروى نحو هذا عن غيرهما من الصحابة والتابعين قال الرياشى كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة واليه تنسب الانصار وهو أول من كسى البيت بعد ما أراد غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها ثم انصرف عنها لما أخبر انها مهاجر نبى اسمه أحمد وقال شعرا أودعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدفعوه اليه وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه والمراد بقوله (والذين من قبلهم) عاد وثمود ونحوهم من الامم الكافرة (أهلكناهم) مستأنفة لبيان حالهم وعاقبة أمرهم (انهم كانوا مجرمين) أى كافرين منكرين للبعث تعليل لاهلاكهم يعنى ان الله سبحانه قد أهلكهم بسبب كونهم مجرمين فاهلاكه لمن هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصور قدرته بالاولى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أى ما بين جنسى السماء والارض (لاعبين) أى بغير غرض صحيح قال مقاتل لم نخلقهما عابثين لغير شىء وقال الكلبى لاهين وقيل غافلين قرأ الجمهور ما بينهما وقرئ وما بينهن لان السموات والارض جمع (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أى بالامر الحق والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال وقال الكلبى الا للحق وكذا قال الحسن وقيل الا لاقامة الحق واظهاره وقيل بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وقيل بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم ان الامر كذلك وهم المشركون وفيه تجهيل عظيم لمنكرى البعث والحشر وتوكيد لان انكارهم يؤدى الى ابطال الكائنات باسرها ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفى هذه الآية دليل على صحة الحشر ووقوعه ووجه الدلالة انه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك ان يتميز المطيع من العاصى بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصى متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون فى الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلابد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه لما حكى مقالة منكرى البعث والجزاء وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقنا الخ (ان يوم الفصل) أى يوم القيامة الذى يفصل فيه الحق عن الباطل والاضافة على معنى فى والظاهر انها بمعنى اللام (ميقاتهم) أى الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسىء والمحق من المبطل (أجمعين) لا يخرج عنهم أحد من ذلك وقد اتفق القراء على رفع ميقاتهم على انه خبر ان واسمها يوم الفصل وأجاز الكسائى والفراء نصبه على انه اسمها ويوم الفصل خبرها ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) بدل من يوم الفصل أو منتصب بفعل

فى ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة وقوله عز وجل متكئين فيها قيل متربعين على سرر تحت الحجال يدعون فيها بفاكهة كثيرة أى مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا وشراب أى من أى أنواعه شاؤا أتتهم به الخدام بأكواب وأباريق وكأس من معين وعندهم قاصرات الطرف أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن الى غير بعولتهن أتراب أى متساويات فى

يدل عليه الفصل أي يفصل بينهم يوم لا يغني والمعنى انه لا ينفع قريب قريبا ولا يدفع
عنه شيأ ويطلق المولى على الولي وهو القريب والناصر وفي المختار المولى المعتق
والمعتق وابن العم والناصر والجار والحليف أي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق
عن صديقه شيأ ومولى الاول مرفوع بالفاعلية والثاني مجرور بعن واعرابهما
اعراب المقصور كفتى وعصا ورحى والمراد بالمولى الثاني الكافر وبالاول المؤمن اى
لا يغني مولى مؤمن عن مولى كافر شيأ فهذه الآية نظير قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيأ الآية (ولا هم ينصرون) الضمير راجع الى المولى وان كان مفردا
في اللفظ لانه في المعنى جمع لانه نكرة في سياق النفي وهو من صيغ العموم اى ولا هم
يمنعون من عذاب الله والجملة توكيد لما قبلها فالمعنى لا ينصر المؤمن الكافر
ولو كان بينهما في الدنيا علاقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما كما أشار له القرطبي (الا من
رحم الله) قال الكسائي الاستثناء منقطع أي لكن من رحم الله وكذا قال الفراء وقيل
هو متصل والمعنى لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة
فيشفعون في بعضهم أو مرفوع على البدلية من مولى الاول ويغني بمعنى ينفع قاله
الحوفي أو مرفوع المحل أيضا على البدلية من واو ينصرون أي لا يمنع من عذاب
الله الا من رحمه الله ذكره السمين (انه هو العزيز الرحيم) أي الغالب الذي لا ينصر من
أراد عذابه الرحيم بعباده المؤمنين ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال
(ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم على صورة شجر
الدنيا وسماها الشجرة الملعونة والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل فاذا جاع أهل النار التجؤا
اليها فأكلوا منها وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات وشجرت ترسم
بالتاء المجرورة ووقف عليها بالهاء أبو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على
الرسم قاله الخطيب وفي القرطبي كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء
الا حرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرت الزقوم انتهى أي فيجوز الوقف عليها بالتاء والهاء
وفي القاموس كلام مبسوط على الزقم والزقوم فليرجع اليه والاثيم الكثير الاثم قال في
الصحاح اثم الرجل بالكسر اثما ومأثما اذا وقع في الاثم فهو آثم وأثيم وأثوم فمعنى طعام
الاثيم طعام ذي الاثم قيل هو أبو جهل ولا وجه للتخصيص (كالمهل) وهو دردي الزيت
وعكر القطران وقيل هو النحاس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب أو فضة
وكل منطبع سواء كان من صفر أو حديد أو رصاص وقيل الصديد والقيح (يغلي في
البطون كغلي الحميم) قرأ الجمهور تغلي بالتاء على ان الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة
خبر ثالث أو حال أو خبر مبتدا محذوف أي تغلي غليا مثل غلي الحميم وهو الماء الشديد
الحرارة وقرئ بالتحتية على ان الفاعل ضمير يعود الى الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يصح
عوده الى المهل لانه مشبه به وانما يغلي ما يشبه بالمهل (خذوه) أي يقال للملائكة الذين
هم خزنة النار خذوه أي الاثيم (فاعتلوه) العتل القود بالعنف يقال عتله يعتله اذا جره

في السن والعمر هذا معنى قول ابن
عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد
ابن جبير ومحمد بن كعب والسدي هذا
ما توعدون ليوم الحساب أي هذا
الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي
وعدها العباد المتقين التي يصيرون
اليها بعد نشورهم وقيامهم من
قبورهم وسلامتهم من النار ثم أخبر
تبارك وتعالى عن الجنة انه لا فراغ لها
ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال
تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد
كقوله عز وجل ما عندكم ينفد وما

وذهب به الى مكروه وقيل العتل ان تأخذ بتلابيب الرجل وتجامعه فتجره قرأ الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان (الى سواء الجحيم) أى الى وسطه ومعظمه كقوله فرآه فى سواء الجحيم (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) من هى التبعيضية أى صبوا فوق رأسه بعض هذا النوع واضافة العذاب الى الحميم للبيان أى عذاب هو الحميم وهو الماء الحار كما تقدم أو من اضافة الصفة للموصوف أو المسبب للسبب فالمصبوب هو الحميم لا عذابه وصب العذاب استعارة كقوله أفرغ علينا صبرا فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب (ذق) الامر للاهانة به أى قولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا ذق العذاب (انك) قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائى بفتحها وروى ذلك عن على أى لانك (أنت العزيز الكريم) قيل ان اباجهل كان يزعم انه أعز اهل الوادى وأكرمهم فيقولون له ذق العذاب ايها المتعزز المتكرم على زعمك وفيما كنت تقوله قال الفراء أى لهذا القول الذى قلته فى الدنيا عن ابن عباس فى الآية قال يقول لست بعزيز ولا كريم أخرج الأموى فى مغازيه عن عكرمة قال لقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباجهل فقال ان الله أمرنى ان أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال فنزع يده من يده وقال ماتستطيع لى أنت ولا صاحبك من شئ لقد علمت انى أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل ذق انك أنت العزيز الكريم (ان هذا) العذاب أو هذا الامر (ما كنتم به تمترون) اى تشكون فيه حين كنتم فى الدنيا والجمع باعتبار جنس الاثيم ثم ذكر سبحانه مستقر المتقين فقال (ان المتقين) الذين اتقوا الكفر والمعاصى (فى مقام) قرأ الجمهور مقام بفتح الميم وهو موضع القيام وقرئ بضمها وهو موضع الاقامة قاله الكسائى وغيره وهما سبعيتان وقال الجوهرى قد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم ثم وصف المقام بقوله (أمين) يأمن فيه صاحبه من جميع المخاوف قال النسفى هو من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى وأصل الامن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والامان والامانة فى الاصل مصادر ويستعمل الأمان تارة اسما للحالة التى عليها الانسان فى الأمن وتارة لما يؤمن عليه الانسان كقوله وتخونوا أماناتكم أى ما أئتمنتم عليه (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب أو بيان له أو خبر ثان (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو ثالث أو حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور والسندس مارق من الديباج وفى المصباح الديباج ثوب سداه ولحمته ابريسم ويقال انه معرب انتهى والاستبرق ماغلظ منه وهو تعريب استبرو اللفظ اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ ان يقع فى القرآن العربى وقد تقدم تفسيره

عند الله باق وكقوله جل وعلا عطاء غير مجذوذ وكقوله تعالى لهم أجر غير ممنون أى غير مقطوع وكقوله عز وجل أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والآيات فى هذا كثيرة جدا (هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا

في سورة الكهف (متقابلين) أي في مجالسهم ينظر بعضهم الى بعض وهو أتم للانس فلا
يرد ماقيل من ان الجلوس على هذه الصفة موحش لان قليل الثواب اذا اطلع على حال
كثير الثواب يتنغص لان أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا وقال المحلي لا ينظر
بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (كذلك) أي نفعل بالمتقين فعلا كذلك أو الامر
كذلك (وزوجناهم) أي أكرمناهم بان زوجناهم (بحور عين) الحور جمع حوراء وهي
البيضاء والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين وقال مجاهد انما سميت الحوراء حوراء لانه
يحار الطرف في حسنها وقيل هو من حور العين وهو شدة بياض العين في شدة سوادها
كذا قال أبو عبيدة وقال الاصمعي ما أدري ما الحور في العين قال أبو عمرو الحور أن
تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء
حور لانهن شبهن بالظباء والبقر وقيل المراد بقوله وزوجناهم قرناهم وليس من عقد
التزويج لانه لا يقال زوجته بامرأة وقال أبو عبيدة وجعلناهم أزواجا لهن كما يزوج البعل
بالبعل أي جعلناهم اثنين اثنين وكذا قال الاخفش واختلف أيهما أفضل في الجنة النساء
الآدميات أم الحور ذكر ابن المبارك ان نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على
الحور العين بما عملن في الدنيا وروى مرفوعا ان الآدميات أفضل من الحور العين
بسبعين ألف ضعف وقيل ان الحور العين أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام فأبدله
زوجا خيرا من زوجه والله أعلم (يدعون فيها) أي في الجنة (بكل فاكهة) أي يأمرون
باحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم (آمنين) من التخم والأسقام والآلام قال
قتادة آمنين من الموت والوصب والشيطان وقيل من انقطاع ماهم فيه من النعيم
(لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يموتون فيها أبدا الا الموتة التي ذاقوها في
الدنيا والاستثناء منقطع أي لكن الموتة كذا قال الزجاج والفراء وغيرهما ومثل هذه
الآية قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقيل ان الا بمعنى بعد
واختاره الطبري كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك أي بعد رجل عندك وأباه
الجمهور لان مجيء الا بمعنى بعد لم يثبت وقيل هي بمعنى سوى أي سوى الموتة الاولى نقله
الطبري وضعفه قال ابن عطية وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى سوى مستقيم
متسق قال ابن قتيبة انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا لان السعداء حين يموتون
يصيرون بلطف الله وقدرته الى أسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم
من الجنة ويفتح لهم أبوابها فاذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابها
ومشاهدتهم اياها فيكون الاستثناء على هذا متصلا قال الزمخشري فان قلت كيف
استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد أن
يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة
الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت الموتة
الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة انتهى قلت وهذا عند علماء

فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم
الابصار ان ذلك لحق تخاصم أهل
النار) لما ذكر تبارك وتعالى مآل
السعداء ثنى بذكر حال الاشقياء
ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم
وحسابهم فقال عز وجل هذا وان
للطاغين وهم الخارجون عن طاعة
الله عز وجل المخالفون لرسل الله
صلى الله عليه وسلم لشر مآب أي

البيان يسمى نفى الشئ بدليله (ووقاهم عذاب الجحيم) قرأ الجمهور ووقاهم بالتخفيف وقرئ
بالتشديد على المبالغة (فضلا من ربك) اى لاجل الفضل منه أو اعطاهم ذلك عطاء فضلا
منه (ذلك) الذى تقدم ذكره من صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم)
الذى لا فوز بعده المتناهى فى العظم لانه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب ثم لما بين سبحانه
الدلائل وذكر الوعد والوعيد قال (فانما يسرناه بلسانك) اى انما انزلنا القران بلغتك
كى يفهمه قومك فيتذكروا و يعتبروا و يعملوا بما فيه أو سهلناه بلغتك عليك وعلى من
يقرؤه وهذا فذلكة للسورة واجمال لما فيها من التفصيل (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون
فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) اى فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم واهلاكهم
على يدك (انهم مرتقبون) اى فانهم منتظرون ما ينزل بك من موت أو غيره وقيل انتظر
أن يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك نوائب الدهر والمعنى متقارب قال المحلى وهذا
قبل الامر بجهادهم اى فهو منسوخ وليس بصحيح لان رفع الاباحة الاصلية ليس نسخا
انما النسخ رفع حكم ثبت فى الشرع بحكم آخر

(سورة الجاثية وتسمى الشريعة قاله الخازن هى ست او سبع وثلاثون آية)

وهى مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهى
قوله قل للذين آمنوا الى ايام الله فانها نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب ذكره الماوردى
وقال المهدوى والنحاس انها نزلت فى عمر شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان
يبطش به فانزل الله قل للذين آمنوا الآية ثم نسخت بآية القتال فالسورة كلها مكية على
هذا من غير استثناء

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم الكلام على هذا فى فاتحة سورة غافر وما بعدها
والله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه
(الحكيم) فى صنعه ثم أخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال (ان فى السموات
والارض) أى فى خلقهما (لآيات) دالة على قدرة الله ووحدانيته (للمؤمنين) قال
الزجاج ويدل على ان المعنى فى خلقهما قوله (وفى خلقكم) أنفسكم على أطوار مختلفة
قال مقاتل من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا وحاصل ما ذكرها من الدلائل ستة
على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون ووجه التغاير بينها ان
المنصف من نفسه اذا نظر فى السموات والارض وانه لابد لهما من صانع آمن واذا نظر
فى خلق نفسه ونحوها ازداد ايمانا فأيقن واذا نظر فى سائر الحوادث عقل واستحكم علمه
(و) فى خلق (ما يبث) أى ما يفرقه وينشره (من دابة آيات) وللنحاة فى هذا الموضع كلام
طويل فى رفع آيات ونصبها والبحث فى مسئلة العطف على معمولى عاملين مختلفين وحجج
المجوزين له وجوابات المانعين منه مقرر فى علم النحو مبسوط فى مطولاته (لقوم يوقنون)
يعنى انه لا اله الا هو (واختلاف الليل والنهار) أى فى تعاقبهما أو تفاوتهما فى الطول

والقصر

لسوء منقلب ومرجع ثم فسره
بقوله جل وعلا جهنم يصلونها اى
يدخلونها فتغمرهم من جميع
جوانبهم فبئس المهاد هذا فليذوقوه
حميم وغساق أما الحميم فهو الحار
الذى قد انتهى حره وأما الغساق
فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطاع
من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز
وجل وآخر من شكله أزواج أى
وأشياء من هذا القبيل الشئ وضده

والقصر والظلام والضياء وذهابهما ومجيئهما (وما أنزل الله من السماء من رزق)
معطوف على اختلاف والرزق المطر لانه سبب لكل ما رزق الله العباد به (فأحيي به
الارض بعد موتها) احياء الارض اخراج نباتها وموتها خلوها عن النبات ويبسها
(وتصريف الرياح) فى مهابها أى أنها تهب تارة من جهة وتارة من أخرى وتارة تكون
حارة وتارة تكون باردة وتارة نافعة وتارة ضارة والرياح أربعة بحسب جهات الأفق (آيات
لقوم يعقلون) مراد الله سبحانه فى كتابه ويفهمون الدليل فيؤمنون (تلك آيات الله نتلوها
عليك) أى هذه الآيات المذكورة هى حجج الله وبراهينه (بالحق) أى محقين أو متلبسة
بالحق أو الباء للسببية فتتعلق بنفس الفعل (فبأى حديث بعد الله وآياته) أى حججه قيل
ان المقصود فبأى حديث بعد آيات الله وذكر الاسم الشريف ليس الا لقصد تعظيم
الآيات فيكون من باب أعجبنى زيد وكرمه وقيل المراد بعد حديث الله وهو القرآن كما فى
قوله الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بالآيات والعطف لمجرد التغاير العنوانى
(يؤمنون) قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية والمعنى يؤمنون بأى حديث وانما قدم
عليه لان الاستفهام له صدر الكلام (ويل) واد فى جهنم أو كلمة عذاب (لكل أفاك أثيم)
أى لكل كذاب كثير الاثم مرتكب لما يوجبه ثم وصف هذا الافاك بصفة أخرى فقال
(يسمع آيات الله) أى القرآن (تتلى عليه ثم يصر) على كفره ويقيم على ما كان عليه حال
كونه (مستكبرا) أى متماديا على كفره متكبرا عن الايمان ومتعظما فى نفسه عن
الانقياد للحق والاصرار مأخوذ من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحى عليها صارا
أذنيه وثم للتراخى الرتبى عند العقل أى اصراره على الكفر بعد ما قررت له الادلة المذكورة
وسمعها مستبعد فى العقول قال مقاتل اذا سمع من آيات القرآن شيأ اتخذها هزوا وجملة
(كأن لم يسمعها) فى محل نصب على الحال أو مستأنفة وان هى المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير شأن محذوف (فبشره بعذاب أليم) هذا من باب التهكم أى فبشر على اصراره
واستكباره وعدم استماعه الى الآيات بعذاب شديد الالم قيل نزلت فى النضر بن الحرث
وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة
فى كل من كان مضارا الدين الله (واذا علم من آياتنا شيأ) قرأ الجمهور بفتح العين وكسر اللام
مخففة على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والمعنى انه اذا وصل اليه وبلغه شئ
وعلم انه من آيات الله (اتخذها) أى الآيات (هزوا) وقيل الضمير فى اتخذها عائد الى شئ
لانه عبارة عن الآيات والاول أولى (أولئك) أى كل أفاك متصف بتلك الصفات (لهم
عذاب مهين) بسبب ما فعلوا من الاصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا
والعذاب المهين هو المشتمل على الاذلال والفضيحة (من ورائهم) أى من وراء ما هم فيه
من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق (جهنم) فانها من قدامهم لانهم متوجهون اليها وعبر
عن القدام بالوراء كقوله من ورائه جهنم والوراء مستعمل بمعنى الامام كما يستعمل بمعنى
الخلف وهو مشترك بين المعنيين فيستعمل فى الشئ وضده كالجون يستعمل فى الابيض

يعاقبون بها قال الامام أحمد حدثنا
حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة
حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى
سعيد رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن دلوا
من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن
أهل الدنيا ورواه الترمذى عن
سويد بن نصر عن ابن المبارك عن
رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث
عن دراج به ثم قال لا نعرفه الا من
حديث رشدين كذا قال وقد تقدم
من غير حديثه ورواه ابن جرير

والاسود على سبيل الاشتراك وقيل جعلها باعتبار اعراضهم عنها كانها خلفهم وقيل الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام (ولا يغنى) أى لا يدفع (عنهم ما كسبوا) من أموالهم وأولادهم (شيأ) من عذاب الله ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع (ولا) يغنى عنهم (ما اتخذوا من دون الله أولياء) من الاصنام وما فى الموضعين اما مصدرية أو موصولة وزيادة لا فى الجملة الثانية للتأكيد (ولهم عذاب عظيم) فى جهنم التى هى من ورائهم (هذا) أى القرآن (هدى) للمهتدين به (والذين كفروا بآيات ربهم) القرآنية (لهم عذاب من رجز أليم) الرجز أشد العذاب قرأ الجمهور أليم بالجر صفة للرجز وقرئ بالرفع صفة لعذاب (الله الذى سخر لكم البحر) أى جعله على صفة تتمكنون بها من الركوب عليه بان جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلله كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه بامره) أى باذنه واقداره لكم (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة تارة والغوص للدر والمعالجة للصيد وغير ذلك (ولعلكم تشكرون) أى ولكى تشكروا النعم التى تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) أى سخر لعباده جميع ما خلقه فى سمواته وأرضه مما يتعلق به مصالحهم ويقوم به معايشهم ومما سخره لهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر والسحاب والرياح وجميعا حال من ما فى السموات أو تأكيد له وقوله منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا اى كائنا منه أو متعلق بسخر أو حال من ما فى السموات أو خبر لمبتدا محذوف والمعنى ان كل ذلك رحمة منه لعباده وقال ابن عباس جميعا منه أى منه النور والشمس والقمر وكل شئ هو من الله وعن طاوس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب قال فمم خلق هؤلاء قال لا أدرى ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فأتى ابن عباس فسأله مم خلق الخلق فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق هؤلاء فقرأ ابن عباس وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فقال الرجل ما كان ليأتى بهذا الا رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم (ان فى ذلك) المذكور من التسخير (لآيات لقوم يتفكرون) خص المتفكرين لانه لا ينتفع بها الا من تفكر فيها فانه ينتقل من التفكر الى الاستدلال بها على التوحيد (قل للذين آمنوا يغفروا) اى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا قاله على بن عيسى واختاره ابن العربى وقيل التقدير قل لهم ليغفروا والمعنى قل لهم ليتجاوزوا (للذين لا يرجون ايام الله) أى عن الذين لا يرجون وقائع الله باعدائه أى لا يتوقعونها ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل هو على معناه الحقيقى والمعنى لا يرجون ثوابه فى الاوقات التى وقتها الله لثواب المؤمنين والاول أولى والايام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم فى تفسير قوله وذكرهم بايام الله قال مقاتل لا يخشون مثل عذاب الله للامم الخالية وذلك انهم لا يؤمنون به فلا يخافون عقابه وقيل المعنى لا يأملون نصر الله لاوليائه وايقاعه باعدائه وقيل لا يخافون البعث قيل

والآية

عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث به وقال كعب الاحبار غساق عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه فى كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه رواه ابن أبى حاتم وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من

والآية منسوخة بآية السيف والاقرب أن يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وعن ابن عباس فى الآية قال كان نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فأمره الله ان يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ والاولى القول بعدم النسخ (ليجزى) الله (قوما) قرئ بالتحتية وقرئ بالنون أى لنجزى نحن والجملة لتعليل الامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة (بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على أذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل المعنى ليجزى الكفار بما عملوا من السيآت كانه قال لا تكافؤهم أنتم لنكافئهم نحن قيل المراد بالقوم كلاهما فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع والاول اولى ثم ذكر المؤمنين واعمالهم والمشركين واعمالهم فقال (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اى ان عمل كل طائفة من احسان واساءة لعامله لا يتجاوزه الى غيره وفيه ترغيب وترهيب والجملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (ثم الى ربكم ترجعون) اى تصيرون فيجازى كلا بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) المراد بالكتاب التوراة كذا فى الكشاف وتبعه القاضى ولعل الاولى ان يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الانجيل والزبور ايضا لكن جمهور المفسرين على تفسيره هنا بالتوراة لانه ذكر بعدها الحكم ونحوه وما ذكر لا حكم فيه اذ الزبور ادعية ومناجاة والانجيل احكامه قليلة جدا وعيسى مأمور بالعمل بالتوراة والمراد بالحكم الفهم والفقه الذى يكون بهما الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم وبالنبوة من بعثه الله من الانبياء فيهم (ورزقناهم من الطيبات) اى المستلذات التى أحلها الله لهم ومن ذلك المن والسلوى وهذه نعم دنيوية وما قبله من الكتاب والنبوة نعم دينية (وفضلناهم على العالمين) من اهل زمانهم حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من كثرة الانبياء فيهم وفلق البحر وغرق العدو ونحوها وقد تقدم بيان هذا فى سورة الدخان قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أى شرائع واضحات فى الحلال والحرام أو معجزات ظاهرات وقيل العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشواهد نبوته وتعيين مهاجره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) أى فما وقع الاختلاف بينهم فى ذلك الامر الا بعد مجىء العلم اليهم ببيانه وايضاح معناه فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لثبوته وقيل المراد بالعلم يوشع بن نون فانه آمن به بعضهم وكفر بعضهم وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاختلفوا فيها حسدا و(بغيا بينهم) قيل بغيا من بعضهم على بعض بطلب الرياسة (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (ثم جعلناك على شريعة من الامر) ثم للاستئناف والشريعة فى اللغة المذهب والملة والمنهاج ويقال لمشرعة الماء وهى مورد

العذاب وقال غيره كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى الى غير ذلك من الاشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه وقوله عز وجل هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار هذا اخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعنى بدل السلام

شار بيه شريعة والجمع شرائع فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما تحيا به نفوسهم ومنه الشارع لانه طريق الى المقصد فالمراد بالشريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدين أى جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك الى الحق وقال ابن عباس على هدى من أمر دينه قال قتادة الشريعة الامر والنهى والحدود والفرائض البينة لانها طريق الى الحق وقال الكلبى السنة لانه يستن بطريقة من قبله من الانبياء وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة وقال ابن العربى الامر يرد فى اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشأن كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثانى ما يقابله النهى وكلاهما يصح ان يكون مرادا هنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين وهى ملة الاسلام كما قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين الشرائع فى التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينها فى الفروع حسب ما علمه سبحانه وتعالى (فاتبعها) أى فاعمل بأحكامها فى أمتك (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) توحيد الله وشرائعه لعباده وهم كفار قريش ومن وافقهم ثم علل النهى عن اتباع أهوائهم فقال (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) أى لا يدفعون عنك شيأ مما أراده الله بك ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) أى أنصار ينصر بعضهم بعضا لأن الجنسية علة الانضمام قال ابن زيد ان المنافقين أولياء اليهود (والله ولى المتقين) أى ناصرهم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصى والاشارة بقوله (هذا) الى القرآن أو الى اتباع الشريعة (بصائر للناس) أى براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون اليه من أحكام الدين وبينات تبصرهم وجه الفلاح ومعالم يتبصرون بها فى الاحكام والحدود جعل ذلك بمنزلة البصائر فى القلوب ليتوصل بكل واحد منها الى تحصيل العرفان واليقين وجمع الخبر باعتبار ما فى المبتدا من تعدد الآيات والبراهين وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات لان القرآن بمعناها (وهدى) أى رشد وطريق يؤدى الى الجنة لمن عمل به (ورحمة) من الله فى الآخرة (لقوم يوقنون) أى من شأنهم الايقان وعدم الشك والتزلزل بالشبهة (أم حسب الذين اجترحوا السيآت) أم هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم فى المائدة والجملة مستأنفة سيقت لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان حالى الظالمين والمتقين وهو معنى قوله (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى نسوى بينهم مع اجتراحهم السيآت وبين أهل الحسنات قيل نزلت فى قوم من المشركين وقيل المسيؤن عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والمحسنون على وحمزة وعبيدة بن الحرث حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم والعموم أولى (سواء محياهم ومماتهم) فى دار الدنيا وفى الآخرة كلا لا يستوون فى شئ منهما فان حال أهل السعادة فيهما غير حال أهل الشقاوة فهؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات

وأولئك

يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التى تدخل قبل الاخرى اذا أقبلت التى بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم أى داخل معكم لا مرحبا بهم انهم صالو النار أى لانهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أى فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا أى أنتم دعوتمونا الى ما أفضى بنا الى هذا المصير فبئس القرار أى

وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات وشتان بينهما وقيل المراد انكار يستووا في الممات كما استووا في الحياة قرأ الجمهور سواء بالرفع على انه خبر مقدم والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى انكار حسبانهم ان محياهم ومماتهم سواء وقرئ بالنصب على انه حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور في قوله كالذين آمنوا أو على انه مفعول ثان لحسب واختار قراءة النصب أبو عبيد وقال معناه نجعلهم سواء وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم ولما سقط الخافض انتصب (ساء ما يحكمون) أي ساء حكمهم هذا الذي حكموا به وقال مجاهد في الآية المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن والكافر في الدنيا والآخرة كافر وقال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت (وخلق الله السموات والارض بالحق) المقتضي للعدل بين العباد وهذا كالدليل لما قبله من نفي الاستواء ومحل بالحق النصب على الحال من الفاعل أو المفعول أو الباء للسببية (ولتجزى كل نفس بما كسبت) أي خلق الله اياهما ليدل بهما على قدرته ولتجزى أو اللام للصيرورة قاله ابن عطية أي صار الامر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها قوم آخرون (وهم) أي النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه أو سماه ظلما نظرا الى صدوره منا كما في الابتلاء والاختبار ثم عجب سبحانه من حال الكفار فقال (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) قال الحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه وقال عكرمة يعبد ما يهواه أو يستحسنه فاذا استحسن شيأ وهواه اتخذه الها قال سعيد بن جبير كان أحدهم يعبد الحجر فاذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر وقال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه (وأضله الله على علم) قد علمه قال ابن عباس يقول أضله في سابق علمه تعالى وقيل المعنى أضله عن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه وقال مقاتل على علم منه انه ضال لانه يعلم ان الصنم لا ينفع ولا يضر قال الزجاج على سبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه وقال الكرخي أضله وهو عالم بالحق وهذا أشد تشنيعا عليه (وختم) أي طبع (على سمعه) حتى لا يسمع الوعظ (و) طبع على (قلبه) حتى لا يفقه الهدى ولا يعقله (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة وغطاء حتى لا يبصر الرشد قرأ الجمهور غشاوة بالالف مع كسر الغين وقرئ بغير ألف مع فتح الغين وقرأ ابن مسعود والاعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهي لغة ربيعة وقرئ بضمها وهي لغة عكل (فمن يهديه من بعد الله) أي بعد اضلال الله له أي لا يهتدي (أفلا

فبئس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار هذا اخبار عن الكفار في النار انهم يفتقدون رجالا كانوا

تذكرون) تذكراعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه
الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه
وبصره ثم بين سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال (وقالوا) أى منكروا البعث
(ماهى الاحياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا
الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نموت نحن ويحيا فيها أولادنا وقيل نكون
نطفا ميتة ثم نصير أحياء وقيل فى الآية تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وكذا قرأ ابن مسعود
وعلى كل تقدير فرادهم بهذه المقالة انكار البعث وتكذيب الآخرة وقيل هذا من كلام
من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به (ومايهلكنا الا
الدهر) أى مرور الليالى والايام والدهر فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وفى
القاموس دهرهم أمر كمنع نزل بهم مكروه فهم مدهور بهم ومدهورون وقرئ الادهر يمر
قال مجاهد يعنى السنين والايام انتهى كانوا يزعمون ان مرورها هو المؤثر فى هلاك
الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث
الى الدهر والزمان ألاترى ان أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وقال قتادة الا العمر
والمعنى واحد وقال قطرب المعنى ومايهلكنا الا الموت وقال عكرمة ومايهلكنا الا الله عن
أبى هريرة قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يحيينا ويميتنا
فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب
الليل والنهار وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم الحديث وفى الموطا عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال لايقولن أحدكم ياخيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل
بهذا الحديث من قال ان الدهر من أسماء الله تعالى ومرادهم بهذا الحصر انكار ان
يكون الموت بواسطة ملك الموت واضافة الحوادث الى الدهر والزمان وان المؤثر فى هلاك
الانفس هو مرور الايام والليالى (ومالهم بذلك) أى بنسبة الحوادث الى حركات الافلاك
وما يتعلق بها على الاستقلال (من علم) ثم بين كون ذلك صادرا منهم لا عن علم فقال (ان هم
الا يظنون) أى ماهم الا قوم غاية ماعندهم الظن فما يتكلمون الا به ولا يستندون الا اليه
(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أى اذا تليت آيات القرآن على المشركين حال كونها
واضحات ظاهرة المعنى والدلالة على البعث أو مبينات لما يخالف معتقدهم قاله الكرخى
(ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا) أحياء (ان كنتم صادقين) انا نبعث بعد الموت
أى ما كان لهم حجة ولا متمسك ولا متشبث يتعلقون ويعارضون به الا هذا القول الباطل
الذى ليس من الحجة فى شئ وانما سماه حجة مع انه ليس بحجة لانهم أدلوا به كما يدلى المحتج
بحجته وساقوه مساقها فسمى حجة على سبيل التهكم أو لانه فى حسابهم وتقديرهم حجة ثم
أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قل الله يحييكم) فى الدنيا
(ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم الى) أى فى (يوم القيامة) بالبعث

يعتقدون انهم على الضلالة وهم
المؤمنون فى زعمهم قالوا مالنا لانراهم
معنا فى النار قال مجاهد هذا قول أبى
جهل يقول مالى لا أرى بلالا وعمارا
وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب
مثل والا فكل الكفار هذا حالهم
يعتقدون ان المؤمنين يدخلون النار
فلما دخل الكفار النار افتقدوهم
فلم يجدوهم فقالوا مالنا لانرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار أتخذناهم
سخريا أى فى الدار الدنيا أم زاغت

والنشور (لاريب فيه) أى فى جمعكم لان من قدر على ابتداء الخلق قدر على اعادته وفى هذا رد لقولهم وما يهلكنا الا الدهر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بذلك لاعراضهم عن التفكر بالدلائل فلهذا حصل معهم الشك فى البعث وجاؤا فى دفعه بما هو أوهن من بيت العنكبوت ولو نظروا حق النظر لحصلوا على العلم اليقين واندفع عنهم الريب وأراحوا أنفسهم من ورطة الشك والحيرة ثم لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون وما أجاب به عليهم ذكر اختصاصه بالملك فقال (ولله ملك السموات والارض) أى هو المتصرف فيهما وحده كما أراد لا يشاركه أحد من عباده وهو شامل للاحياء والاماتة المذكور بن قبله وللجمع والبعث وللمخاطبين وغيرهم ثم توعد أهل الباطل فقال (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أى المكذبون الكافرون المتعلقون بالاباطيل يظهر فى ذلك اليوم خسرانهم لانهم يصيرون الى النار والعامل فى يوم هو يخسر ويومئذ بدل منه والتنوين عوض عن المضاف اليه المدلول عليه بما أضيف اليه المبدل منه فيكون التقدير ويوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة فيكون بدلا توكيديا والاولى أن يكون العامل فى يوم هو ملك أى ولله ملك يوم تقوم الساعة ويكون يومئذ معمولا ليخسر والجملة مستأنفة من حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى أفاده السمين وقال التفتازانى وهذا بالتأكيد أشبه وأنى يتأتى ان هذا مقصود بالنسبة دون الاول وقال الحفناوى اليوم فى البدل بمعنى الوقت والمعنى وقت ان تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم تقوم الساعة فانه يوم متسع مبدؤه من النفخة الاولى فهو بدل البعض والعائد مقدر ولما كان خسرانهم وقت حشرهم كان هو المقصود بالنسبة (وترى كل أمة) الخطاب لكل من يصلح له أو للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والامة الملة والرؤية بصرية أو علمية وفيه بعد ومعنى قوله (جاثية) مستوفزة والمستوفز الذى لا يصيب الارض منه الا ركبتاه وأطراف أنامله قال الضحاك وذلك عند الحساب وقيل معنى جاثية مجتمعة قاله ابن عباس وقال الفراء المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين وقال عكرمة متميزة عن غيرها وقال مؤرج معناه بلغة قريش خاضعة وقال الحسن باركة على الركب والجثو الجلوس على الركب تقول جثا يجثو ويجثى جثوا وجثيا اذا جلس على ركبتيه والاول أولى ولا ينافيه ورود هذا اللفظ لمعنى آخر فى لسان العرب وقد ورد اطلاق الجثوة على الجماعة من كل شئ فى لغة العرب وعن عبد الله بن باباه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنى أراكم بالكوم دون جهنم جاثين ثم قرأ سفيان هذه الآية أخرجه البيهقى فى البعث وعبد الله بن احمد فى زوائد الزهد وابن أبى حاتم وسعيد بن منصور وعن ابن عمر فى الآية قال كل أمة مع نبيها حتى يجئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كوم قد علا الخلائق فذلك المقام المحمود وظاهر الآية ان هذه الصفة تكون لكل أمة من الامم من غير فرق بين أهل الاديان المتبعين للرسل وغيرهم من أهل الشرك وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار والاول أولى ويؤيده قوله (كل أمة تدعى الى كتابها) وقوله فيما سيأتى فأما الذين آمنوا الخ ومعنى

عنهم الابصار يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أولعلهم معنا فى جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون انهم فى الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الى قوله ادخلوا الجنة

الى كتابها الى الكتاب المنزل عليها وقيل الى صحيفة أعمالها وقيل الى حسابها وقيل اللوح
المحفوظ والاول أولى قرأ الجمهور كل أمة بالرفع على الابتداء وخبره تدعى وقرئ بالنصب
على البدل من كل أمة (اليوم) أى يقال لهم اليوم (تجزون ما كنتم تعملون) من خير
وشر (هذا كتابنا) لامنافاة بين هذا وقوله كتابها لانه كتابهم بمعنى انه مشتمل على أعمالهم
وكتاب الله بمعنى انه هو الذى أمر الملائكة بكتبه واليه أشار فى التقرير قاله الكرخى
(ينطق عليكم) بما عملتم (بالحق) بلا زيادة ونقصان وهذا من تمام ما يقال لهم والقائل
بهذا هم الملائكة وقيل هو من قول الله سبحانه أى يشهد عليهم وهو استعارة يقال نطق
الكتاب بكذا أى بين وقيل انهم يقرؤنه فيذكرهم ما عملوا فكأنه ينطق عليهم دليله قوله
تعالى ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال ابن
عباس هو أم الكتاب فيه أعمال بنى آدم وقيل هو ديوان الحفظة ومحل ينطق النصب على
الحال أو الرفع على انه خبر آخر لاسم الاشارة وجملة (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)
تعليل للنطق بالحق أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أى بكتبها وتثبيتها عليكم وليس
المراد بالنسخ ابطال شئ واقامة آخر مقامه اذ ورد أن الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة
على ما فى اللوح قال الواحدى وأكثر المفسرين على ان هذا الاستنساخ من اللوح
المحفوظ فان الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم فيجدون ذلك موافقا
لما يعملونه قالوا لان الاستنساخ لايكون الا من أصل وقيل ان الملائكة تكتب كل يوم
ما يعمله العبد فاذا رجعوا الى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيآت وتركوا المباحات
وقيل ان الملائكة اذا رفعت أعمال العباد الى الله سبحانه أمر عز وجل ان يثبت عنده
منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب وقال ابن عباس الملائكة
يستنسخون أعمال بنى آدم فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كنا نرى هذا تكتبه الملائكة
فى كل يوم وليلة فقال انكم لستم قوما عربا هل يستنسخ الشئ الا من كتاب وعن على بن
أبى طالب ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشئ يكتبون فيه أعمال بنى آدم وعن ابن عمر
نحو ما روى عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا فى الآية قال يستنسخ الحفظة من أم
الكتاب ما يعمل بنو آدم فانما يعمل الانسان ما استنسخ الملك من أم الكتاب وأخرج نحوه
الحاكم عنه وصححه وأخرج الطبرانى عنه أيضا فى الآية قال ان لله وكل ملائكة ينسخون
من ذلك العام فى رمضان ليلة القدر ما يكون فى الارض من حدث الى مثلها من السنة
المقبلة فيتعارضون به حفظة الله على العباد عشية كل خميس فيجدون ما رفع الحفظة
موافقا لما فى كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة قاله البيضاوى وهذا تفصيل لحال
الفريقين فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة وفسر المحلى كالزمخشرى الرحمة بنفس
الجنة وهو أظهر (ذلك) الادخال فى رحمته (هو الفوز المبين) أى الظاهر الواضح لخلوصه
عن الاكدار والشوائب التى تخالطه (وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى)

لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون
وقوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم
أهل النار أى ان هذا الذى أخبرناك
به يا محمد من تخاصم أهل النار
بعضهم فى بعض ولعن بعضهم لبعض
لحق لامرية فيه ولا شك (قل انما أنا
منذر وما من اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه

أى القرآن (تتلى عليكم) الاستفهام للتوبيخ لان الرسل قد أتتهم وتلت عليهم آيات الله
فكذبوا ولم يعملوا بها (فاستكبرتم) أى تكبرتم عن قبولها وعن الايمان بها (وكنتم قوما
مجرمين) أى من أهل الأجرام وهى الآثام والاجترام الاكتساب يقال فلان جريمة أهله
اذا كان كاسبهم فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصى (و) كنتم (اذا قيل) لكم أيها
الكفار (ان وعد الله حق) أى وعده بالبعث والحساب والجزاء أو بجميع ما وعد به من
الامور المستقبلة واقع لامحالة والعامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول وقرئ بفتحها
وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا قاله السمين (والساعة) قرأ
الجمهور بالرفع على الابتداء أو العطف على موضع اسم ان وقرئ بالنصب على اسم ان
أى القيامة (لاريب فيها) أى فى وقوعها (قلتم) استغرابا واستبعادا وانكارا لها
(ماندرى ما الساعة) أى أى شئ هى (ان نظن الاظنا) أى نحدس حدسا ونتوهم توهما قال
المبرد تقديره ان نحن الانظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل
ان نظن مضمن معنى نعتقد أى مانعتقد الاظنا الاعلما وقيل ان ظنا له صفة مقدرة أى
الاظنا بينا وقيل ان الظن يكون بمعنى العلم والشك فكأنهم قالوا مالنا اعتقاد الا الشك
ولعل ذلك قول بعضهم تحير وابين ماسمعوا من آبائهم وماتلى عليهم فى أمر الساعة (ومانحن
بمستيقنين) أى لم يكن لنا يقين بذلك ولم يكن معنا الامجرد الظن ان الساعة آتية (وبدا لهم
سيآت ماعملوا) أى ظهر لهم سيآت أعمالهم على الصورة التى هى عليها أى جزاؤها
(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار (وقيل
اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى نترككم فى النار كما تركتم العمل لهذا اليوم
والنسيان أريد به الترك مجازا اما بعلاقة السببية أو لتشبيهه فى عدم المبالاة وأضاف اللقاء
الى اليوم توسعا لانه أضاف الى الشئ ماهو واقع فيه كمكر الليل (ومأواكم النار) أى
مسكنكم ومستقركم الذى تأوون اليه (ومالكم من ناصرين) ينصرونكم فيمنعون
عنكم العذاب (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا) أى ذلك العذاب العظيم بسبب
انكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا (وغرتكم الحياة الدنيا) أى خدعتكم بزخارفها
وأباطيلها فظننتم انه لادار غيرها ولا بعث ولا نشور (فاليوم لايخرجون منها) أى من النار
قرأ الجمهور بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وقرئ بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل
وهما سبعيتان والالتفات من الخطاب الى الغيبة لتحقيرهم وللايذان باسقاطهم عن رتبة
الخطاب (ولاهم يستعتبون) أى لايسترضون ولا يطلب منهم الرجوع الى طاعة الله لانه
يوم لاتقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة (فلله الحمد) أى الوصف بالجميل على وفاء وعده
فى المكذبين (رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى خالق ماذكر لايستحق الحمد
سواه والعالم ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه قرأ الجمهور رب فى المواضع الثلاثة بالجر
على الصفة للاسم الشريف أو البيان أو البدل وقرئ بالرفع فى الثلاثة على تقدير مبتدا
أى هو رب السموات الخ (وله الكبرياء فى السموات والارض) أى الجلال والعظمة

يعرضون ما كان لى من علم بالملا
الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى
الا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى
آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن
يقول للكفار بالله المشركين به
المكذبين لرسوله انما أنا منذر
لست كما تزعمون ومامن اله الا الله
الواحد القهار اى هو وحده قد قهر
كل شئ وغلبه رب السموات
والارض ومابينهما أى هو مالك
جميع ذلك ومتصرف فيه العزيز

والسلطان وخص السموات والارض اظهور آثار ذلك فيهما وهو القهر والتصرف لانفسها لانها صفة ذاتية للرب تعالى واظهارهما فى موضع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز الحكيم) أى العزيز فى سلطانه فلا يغالبه مغالب والحكيم فى كل أفعاله وأقواله وجميع أقضيته عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار أخرجه ابن أبى شيبة ومسلم وأبو داود وابن ماجه والبيهقى

(سورة الاحقاف هى أربع أو خمس وثلاثون آية)

وهذا الاختلاف مبنى على ان حم آية أولا وهى مكية قال القرطبى فى قول جميعهم قال ابن عباس وابن الزبير نزلت بمكة وقال المحلى الاقل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والافاصبر كما صبر أولو العزم والاووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات يعنى آخرها قوله الأساطير الاولين وعن ابن مسعود قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الاحقاف واقرأها آخر فخالف قراءته فقلت من أقرأكها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لقد أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير ذا فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يارسول الله ألم تقرئنى كذا وكذا قال بلى وقال الآخر ألم تقرئنى كذا وكذا قال بلى فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فانما هلك من كان قبلكم بالاختلاف والاحقاف واد باليمن كانت عافيه منازل عاد وقيل جمع حقف وهو التل من الرمل

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الله أعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى وبيان ماهو الحق من ان فواتح السور من المتشابه الذى يجب ان يوكل علمه الى من أنزله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات باسرها (الا بالحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا هو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى الا خلقا متلبسا بالحق الذى تقتضيه المشيئة الالهية (واجل) أى وبتقدير أجل (مسمى) وهذا الاجل هو يوم القيامة فانها تنتهى فيه السموات والارض وما بينهما وتبدل الارض غير الارض والسموات وقيل المراد به هو انتهاء أجل كل فرد من افراد المخلوقات والاول أولى وهذا اشارة الى قيام الساعة وانقضاء مدة الدنيا وان الله لم يخلق خلقه باطلا وعبثا لغير شئ بل خلقه للثواب والعقاب (والذين كفروا عما انذروا) وخوفوا به فى القرآن من البعث والحساب والجزاء والعذاب (معرضون) والجملة فى محل نصب على الحال أى والحال انهم مولون غير مستعدين له ولا مؤمنين به (قل أرأيتم) أخبرونى (ماتدعون) وتعبدون (من دون الله) من الاصنام وغيرها (أرونى) يحتمل ان يكون تأكيدا لقوله قل أرأيتم أى أخبرونى أرونى والمفعول الثانى لأرأيتم قوله (ماذا) اى أى شئ (خلقوا من الارض) ويحتمل ان لا يكون تأكيدا بل يكون هذا من باب التنازع لان أرأيتم يطلب مفعولا ثانيا وأرونى كذلك (أم لهم شرك فى السموات) أم منقطعة مقدرة

الغفار أى غفار مع عظمته وعزته قل هو نبأ عظيم أى خبر عظيم وشأن بليغ وهو ارسال الله تعالى اياى اليكم ثم أنتم عنه معرضون أى غافلون قال مجاهد وشريح القاضى والسدى فى قوله عز وجل قل هو نبأ عظيم يعنى القرآن وقوله تعالى ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون أى لولا الوحى من أين كنت أدرى باختلاف الملا الاعلى يعنى فى شأن آدم عليه الصلاة

ببل والهمزة والمعنى بل ألهم شركة مع الله فيها والاستفهام للتوبيخ والتقريع وتخصيص
الشرك بالسموات دون ان يعمم بالارض أيضا احترازعما يتوهم ان للوسائط شركة فى ايجاد
الحوادث السفلية (ايتونى بكتاب) منزل هذا من جملة المقول والامر تبكيت لهم
واظهار لعجزهم وقصورهم عن الاتيان بذلك واشارة الى نفى الدليل المنقول بعد الاشارة الى
نفى الدليل المعقول (من قبل هذا) أى القرآن فانه قد صرح ببطلان الشرك وان الله
واحد لا شريك له وان الساعة حق لا ريب فيها فهل للمشركين كتاب يخالف هذا الكتاب
أو حجة تنافى هذه الحجة (أو اثارة من علم) قال فى الصحاح أى بقية منه وكذا الاثرة بالتحريك
قال ابن قتيبة أى بقية من علم الاولين وقال الفراء والمبرد يعنى ما يؤثر عن كتب الاولين
قال الواحدى وهو معنى قول المفسرين قال عطاء أو شئ تأثرونه عن نبى كان قبل محمد
صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل أو رواية من علم عن الانبياء وقال الزجاج أو اثارة أى
علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة وأصل الكلمة من الاثر وهى الرواية يقال
أثرت الحديث آثره أثرة واثارة وأثرا اذا ذكرته عن غيرك قرأ الجمهور اثارة على المصدر
كالسماحة والغواية وقرأ ابن عباس وزيد بن على وغيرهما بفتح الهمزة والثاء أثرة من غير
ألف وقرئ أثرة بضم الهمزة وسكون الثاء قال ابن عباس أو اثارة من علم أى خط أخرجه
أحمد وابن المنذر وابن أبى حاتم وغيرهم قال سفيان لا أعلم الا عن النبى صلى الله عليه وآله
وسلم يعنى ان هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس وعن أبى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبى من الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم
أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه ومعنى هذا ثابت فى الصحيح ولاهل العلم فيه تفاسير
مختلفة ومن أين لنا ان هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط وأين السند الصحيح الى
ذلك النبى أو الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الخط هو على صورة كذا فليس
ما يفعله أهل الرمل الا جهالات وضلالات وعن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله
وسلم أو اثارة من علم قال حسن الخط أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال خط كان
تخطه العرب فى الارض وعنه قال بينة من العلم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم التى
تدعونها وهى قولكم ان لله شريكا أو ان الله أمركم بعبادة الاوثان ولم يأتوا بشئ من
ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلى والنقلى على خلافه (ومن اضل ممن يدعو من
دون الله من لا يستجيب له) أى لا احد أضل منه ولا أجهل فانه دعا من لا يسمع فكيف
يطمع فى الاجابة فضلا عن جلب نفع أو دفع ضر فتبين بهذا انه أجهل الجاهلين وأضل
الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع (الى يوم القيامة) غاية لعدم الاستجابة والمراد
بها التأبيد كقوله تعالى وان عليك لعنتى الى يوم الدين قاله الشهاب وقال فى الانتصاف
فى هذه الغاية نكتة وهى انه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فاشعرت
الغاية بانتفاء الاستجابة فى يوم القيامة على وجه أبلغ وأتم وأوضح وضوحا ألحقه بالبين
الذى لا يتعرض لذكره اذ هنالك تتجدد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها (وهم عن

والسلام وامتناع ابليس من
السجود له ومحاجته ربه فى تفضيله
عليه فأما الحديث الذى رواه الامام
أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد
مولى بنى هاشم حدثنا جهضم
اليمانى عن يحيى بن أبى كثير عن
زيد بن أبى سلام عن أبى سلام عن
عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن
يخامر عن معاذ رضى الله عنه قال
احتبس علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات غداة عن صلاة

دعائهم غافلون) الضمير الاول للاصنام والثانى لعابديها والمعنى الاصنام التى يدعونها
غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جمادات فالغفلة مجاز عن عدم الفهم فيهم
والجمع فى الضميرين باعتبار معنى من وأجرى على الاصنام ماهو للعقلاء لاعتقاد المشركين
فيها انها تعقل (واذا حشر الناس) العابدون للاصنام (كانوا) اى كان الاصنام (لهم)
أى لعابديهم (أعداء) يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل ان الله يخلق
الحياة فى الاصنام فتكذبهم وقيل المراد انها تكذبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان
المقال وأما الملائكة والمسيح وعزير والشياطين فانهم يتبرؤن ممن عبدهم يوم القيامة كما فى
قوله تعالى تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون (وكانوا بعبادتهم كافرين) أى كان
المعبودون بعبادة المشركين اياهم جاحدين مكذبين وقيل الضمير فى كانوا للعابدين كما فى
قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاول أولى (واذا تتلى عليهم آياتنا) اى آيات القرآن حال
كونها (بينات) واضحات المعانى ظاهرات الدلالات (قال الذين كفروا للحق) أى لاجله
وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات كما قاله القاضى كالكشاف واليه أشار فى التقرير
ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق
وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة كما يؤخذ ذلك من تقريره وايضاحه انه هنا أقام
ظاهرين مقام مضمرين اذ الاصل قالوا لها اى للآيات ولكنه أبرزهما ظاهرين لاجل
الوصفين المذكورين افاده الكرخى (لما جاءهم) أى وقت أن جاءهم قالوا من غير نظر
وتأمل (هذا سحر مبين) أى ظاهر السحرية بين البطلان (أم يقولون افتراه) أم هى
المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أى بل أيقولون والاستفهام للانكار والتعجب من
صنيعهم وبل للانتقال عن تسميتهم الآيات سحرا الى قولهم ان رسول الله افترى ما جاء به
والظاهر ان الافتراء على الله اشنع من السحر لا يحتاج الى البيان وان كان كلاهما كفرا
وفى ذلك من التوبيخ والتقريع ما لا يخفى ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال (قل
ان افتريته) على سبيل الفرض والتقدير كما تدعون (فلا تملكون لى من الله شيأ) أى فلا
تقدرون على ان تردوا عنى عقاب الله فكيف أفترى على الله لاجلكم وأنتم لا تقدرون
على دفع عقابه عنى (هو اعلم بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب
والافاضة فى الشئ الخوض والاندفاع فيه يقال أفاضوا فى الحديث أى اندفعوا فيه
وأفاض البعير اذا دفع جرته من كرشه والمعنى الله أعلم بما تقولون فى القرآن وتخوضون
فيه من التكذيب له والقول بانه سحر وكهانة (كفى به شهيدا بينى وبينكم) فانه يشهد لى
بان القرآن من عنده وانى قد بلغتكم ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود وفى هذا وعيد
شديد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) لمن تاب وآمن وصدق بالقرآن وعمل بما فيه أى
كثير الرحمة والمغفرة بليغهما وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم (قل ما كنت
بدعا من الرسل) البدع من كل شئ المبدأ أى ما أنا بأول رسول كذا قال ابن عباس يعنى قد
بعث الله قبلى كثيرا من الرسل وقيل البدع بمعنى البديع كالخف والخفيف والبديع ما لم

الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس
فخرج صلى الله عليه وسلم سريعا
فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته
فلما سلم قال صلى الله عليه وسلم كما
أنتم ثم أقبل الينا فقال انى قمت من
الليل فصليت ما قدر لى فنعست
فى صلاتى حتى استيقظت فاذا أنا
بربى عز وجل فى أحسن صورة
فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ
الأعلى قلت لا أدرى يارب اعادها
ثلاثا فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى

يدله مثل من الابتداع وهو الاختراع وشئ بدع بالكسر اى مبتدع وفلان بدع فى هذا الامر أى بديع كذا قال الاخفش وقرئ بدعا بفتح الدال مصدرا على تقدير حذف مضاف أى ما كنت ذا بدع قاله أبو البقاء وقرئ بفتح الباء وكسر الدال على الوصف كحذر (وما ادرى ما يفعل بى) فيما يستقبل من الزمان هل أبقى فى مكة أو أخرج منها وهل أموت أو أقتل كما فعل بالانبياء قبلى قرئ يفعل مبنيا للمفعول وللفاعل وما استفهامية كما جرى عليه المحلى أو موصولة كما قال الزمخشرى (ولا) أدرى ما يفعل (بكم) يعنى هل تعجل لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم أم تمهلون وهذا انما هو فى الدنيا وأما فى الآخرة فقد علم انه وأمته فى الجنة وان الكافرين فى النار وقيل ان المعنى ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة وانها لما نزلت فرح المشركون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدرى ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والاول أولى قال ابن عباس رضى الله عنه فأنزل الله تعالى بعد هذا ليغفر لك الله الخ وقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية فاعلم الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يفعل به وبالمؤمنين جميعا وأرغم الله أنف الكفار وأخرج ابو داود فى ناسخه ان هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك الله وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه قلت رحمك الله يا أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ان الله أكرمه اما هو فقد جاءه اليقين من ربه وانى لأرجو له الخير وما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم قالت أم العلاء فوالله لا أزكى بعده أحدا (ان أتبع الا ما يوحى الى) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول أى ما أتبع الا القرآن ولا أبتدع من عندى شيأ والمعنى قصر افعاله صلى الله عليه وآله وسلم على الوحى لا قصر اتباعه على الوحى (وما أنا الا نذير مبين) أى أنذركم عقاب الله وأخوفكم عذابه على وجه الايضاح (قل أرأيتم) أى أخبرونى ماذا حالكم (ان كان) ما يوحى الى من القرآن (من عند الله) وقيل المراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان كان مرسلا من عند الله فى الحقيقة (و) الحال انكم قد (كفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) العالمين بما أنزل الله فى التوراة (على مثله فآمن) أى على مثل القرآن من المعانى الموجودة فى التوراة المطابقة له من اثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك وهذه المثلية هى باعتبار تطابق المعانى وان اختلفت الالفاظ قال الجرجانى مثل صلة والمعنى وشهد شاهد عليه انه من عند الله وكذا قال الواحدى فآمن الشاهد بالقرآن لما تبين له انه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على رسله وهذا الشاهد من بنى اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفى هذا نظر فان السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد رجلا من أهل الكتاب قد آمن بالقرآن فى مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير والراجح انه عبد الله ابن سلام وان هذه الآية مدنية لا مكية وروى عن مسروق ان المراد بالرجل موسى عليه

وجدت برد أناملها بين صدرى فتجلى لى كل شئ وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت فى الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام

السلام وشهادته مافى التوراة من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج البخارى
ومسلم وغيرهما عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول لأحد يمشى على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت
وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وأخرج الترمذى وابن جرير وابن مردويه
عن عبد الله بن سلام قال نزل فى آيات من كتاب الله نزلت فى وشهد شاهد من بنى اسرائيل
ونزل فى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وعن ابن عباس قال هو
عبد الله بن سلام وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين وفيه دليل على أن هذه الآية
مدنية فيخصص بها عموم قولهم ان سورة الاحقاف كلها مكية واياه ذكر الكواشى
وكونه اخبارا قبل الوقوع خلاف الظاهر ولذا قيل لم يذهب أحد الى أن الآية مكية اذا
فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث لان قوله وشهد شاهد معطوف على الشرط الذى يصير
به الماضى مستقبلا فلا ضرر فى شهادة الشاهد بعد نزولها وادعاء أنه لم يقل به أحد من
السلف مع ذكره فى شروح الكشاف لا وجه له الا أن يراد من السلف المفسرون قاله
الشهاب (واستكبرتم) أى آمن الشاهد واستكبرتم أنتم عن الايمان وقد اختلف فى
جواب الشرط ماهو فقال الزجاج محذوف تقديره أتؤمنون وقيل تقديره فقد ظلمتم
لدلالة ان الله لايهدى الخ عليه وقيل تقديره فمن أضل منكم وقيل قوله فآمن واستكبرتم
وقال أبو على الفارسى تقديره أتأمنون عقوبة الله وقيل التقدير ألستم ظالمين (ان الله
لايهدى القوم الظالمين) فحرمهم الله سبحانه الهداية بظلمهم لانفسهم بالكفر بعد قيام
الحجة الظاهرة على وجوب الايمان ومن فقد هداية الله له ضل عن عوف بن مالك الاشجعى
قال انطلق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم
فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود أرونى اثنى
عشر رجلا منكم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يحط الله عن كل يهودى
تحت أديم السماء الغضب الذى عليه فسكتوا فما اجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد
ثلاثا فقال أبيتم فوالله لانا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا
معه حتى كدنا أن نخرج فاذا رجل من خلفه فقال كما أنت يا محمد فاقبل فقال ذلك الرجل
أى رجل تعلمونى فيكم يا معشر اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا أعلم بكتاب الله ولا أفقه
منك ولا من أبيك ولا من جدك فقال فانى أشهد بالله أنه النبى الذى تجدونه مكتوبا فى
التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كذبتم لن يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله وأنا وابن سلام فانزل
الله قل أرأيتم ان كان من عند الله الى قوله ان الله لايهدى القوم الظالمين أخرجه أبو يعلى
وابن جرير والطبرانى والحاكم وصححه وصححه السيوطى ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من
أقاويلهم الباطلة فى حق القرآن العظيم والمؤمنين به فقال (وقال الذين كفروا) أى
كفار مكة (للذين آمنوا) أى لاجلهم وفى حقهم وقيل هى لام التبليغ (لو كان)
ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن والنبوة (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالى

قال سل قلت اللهم انى أسألك فعل
الخيرات وترك المنكرات وحب
المساكين وان تغفر لى وترحمنى واذا
أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون
وأسألك حبك وحب من يحبك
وحب عمل يقربنى الى حبك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
حق فادرسوها وتعلموها فهو حديث
المنام المشهور ومن جعله يقظة

الامور لاتنالها أيدى الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعماً منهم انهم المستحقون للسبق الى كل مكرمة وان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فماله منها من خلاق ولم يعلموا ان الله سبحانه يختص برحمته من يشاء و يعز من يشاء ويذل من يشاء و يصطفى لدينه من يشاء عن قتادة قال قال ناس من المشركين نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيرا ماسبقنا اليه فلان وفلان فنزلت هذه الآية وعن عون بن أبى شداد قال كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها زنيرة وكان عمر يضربها على الاسلام وكان كفار قريش يقولون لو كان خيرا ماسبقتنا اليه زنيرة فأنزل الله فى شأنها هذه الآية وعن أسمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بنو غفار وأسلم كانوا لكثير من الناس فتنة يقولون لو كان خيرا ما جعلهم الله أول الناس فيه (واذلم يهتدوا به) أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بالايمان (فسيقولون) غير مكتفين بنفى خيريته (هذا افك قديم) تجاوزوا نفى خيرية القرآن الى دعوى انه كذب قديم كما قالوا اساطير الاولين (ومن قبله كتاب موسى) قرأ الجمهور بكسر الميم من من على انها حرف جر وهى مع مجرورها خبر مقدم وكتاب موسى مبتدأ مؤخر والجملة فى محل نصب على الحال أو مستأنفة والكلام مسوق لرد قولهم هذا افك قديم فان كونه قد تقدم القرآن كتاب موسى وهو التوراة وتوافقا فى أصول الشرائع يدل على انه حق و يقتضى بطلان قولهم وقرئ بفتح الميم على انها موصولة ونصب كتاب أى وآتينا من قبله كتاب موسى (اماما) أى يقتدى به فى الدين (و رحمة) من الله لمن آمن به وهما منتصبان على الحال قاله الزجاج وغيره وقال الاخفش على القطع وقال أبو عبيدة أى جعلناه اماما ورحمة (وهذا كتاب مصدق) يعنى القرآن فانه مصدق لكتاب موسى الذى هو امام و رحمة ولغيره من كتب الله وقيل مصدق للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وانتصاب (لسانا عربيا) على الحال الموطئة وصاحبها الضمير فى مصدق العائد الى كتاب الله وجوز أبو البقاء أن يكون مفعولا لمصدق والاول أولى وقيل على حذف مضاف أى ذا لسان عربى وهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بلسان على اسقاط حرف الجر وهو ضعيف (لينذر الذين ظلموا) أى لينذر الكتاب أو لينذر الله وقيل الرسول والاول أولى قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ لتنذر بالفوقية على ان فاعله النبى صلى الله عليه وآله وسلم (و بشرى) فى محل نصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول به قاله الزمخشرى وتبعه أبو البقاء وتقديره للانذار والبشرى وقيل منصوب على المصدرية لفعل محذوف أى وبشر بشرى وقال الزجاج الاجود أن يكون فى محل رفع أى وهو بشرى وقيل انه معطوف على مصدق فهو فى محل رفع وقوله (للمحسنين) متعلق ببشرى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة على الشريعة التى هى منتهى العلم وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل

فقد غلط وهو فى السنن من طريق وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذى من حديث جهضم بن عبد الله اليمامى به وقال حسن صحيح وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور فى القرآن فان هذا قد فسر وأما الاختصام الذى فى القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة

ونوقف اعتباره على التوحيد وقد تقدم تفسير هذا في سورة السجدة (فلا خوف عليهم) أي من لحوق مكروه في الآخرة والفاء زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم تمنع ان من ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان (ولاهم يحزنون) على فوات محبوب في الدنيا وان ذلك دائم مستمر (أولئك) الموصوفون بما ذكر (أصحاب الجنة) التي هي دار المؤمنين حال كونهم (خالدين فيها) وفي هذه الآية من الترغيب أمر عظيم فان نفي الخوف والحزن على الدوام والاستقرار في الجنة على الابد مما لا تطلب الانفس سواه ولا تتشوّق الارواح الى ما عداه (جزاء بما كانوا يعملون) أي يجزون جزاء بسبب أعمالهم التي عملوها من الطاعات لله وترك معاصيه في الدنيا ولما كان رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث حث الله تعالى عليه بقوله (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) قرأ الجمهور بضم الحاء وسكون السين وقرئ بفتحهما وقرئ احسانا وقد تقدم في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا من غير اختلاف بين القراء وقد تقدم في سورة الانعام وسورة بني اسرائيل وبالوالدين احسانا فلعل هذا هو وجه اختلاف القراء هنا وعلى جميعها فانتصابه على المصدرية أي وصيناه أن يحسن اليهما احسانا او احسانا وقيل يتضمن وصينا معنى ألزمنا وقيل على انه مفعول له والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساءة والتوصية الامر (حملته أمه كرها ووضعته كرها) تعليل للتوصية المذكورة واقتصر في التعليل على الام لان حقها أعظم ولذلك كان لها ثلثا البر قاله الخطيب قرأ الجمهور كرها بضم الكاف في الموضعين وقرئ بفتحها قال الكسائي وهما لغتان بمعنى واحد قال أبو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه الغضب والغلبة واختار أبو عبيد الفتح وقال لان لفظ الكره في القرآن كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم وقيل ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره وانما ذكر سبحانه حمل الام ووضعها تأكيد الوجوب الاحسان اليها الذي وصى الله به والمعنى انها حملته ذات كره ووضعته ذات كره ثم بين سبحانه مدة حمله وفصاله فقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي مدتهما هذه المدة من عند ابتداء حمله الى أن يفصل من الرضاع أي يفطم عنه وقد استدل بهذه الآية على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع سنتان أي مدة الرضاع الكامل في قوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فذكر سبحانه في هذه الآية أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع وفي هذه الآية اشارة الى أن حق الام آكد من حق الاب لانها حملته بمشقة ووضعته بمشقة وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب ولم يشاركها الاب في شئ من ذلك قرأ الجمهور فصاله بالالف وقرئ فصله بفتح الفاء وسكون الصاد والفصل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف والقطاف عن نافع بن جبير أن ابن عباس أخبره قال اني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر وضعت لستة أشهر فأنكر الناس ذلك فقلت لعمر لم تظلم قال كيف قلت اقرأ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين كم الحول قال سنة قلت كم السنة

اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم

قال اثنا عشر شهرا قلت فأربعة وعشرون شهرا حولان كاملان ويؤخر الله من الحمل ماشاء ويقدم ماشاء فاستراح عمر الى قولى وعنه انه كان يقول اذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهرا واذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا واذا وضعت لستة أشهر فحولان كاملان لان الله يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (حتى اذا بلغ اشده) أى بلغ استحكام قوته وعقله وغاية شبابه واستوائه وهو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته ولبه وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وقد مضى تحقيق الاشد مستوفى ولابد من تقدير جملة تكون حتى غاية لها أى عاش واستمرت حياته وقيل بلغ عمره ثمانى عشرة سنة وقيل الاشد الحلم قاله الشعبى وابن زيد وقال الحسن وهو بلوغ الاربعين والاول أولى لقوله (وبلغ اربعين سنة) فان هذا يفيد ان بلوغ الاربعين هو شىء وراء بلوغ الاشد قال المفسرون لم يبعث الله نبيا قط الا بعد أربعين سنة الا ابنى الخالة (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى ورغبنى ووفقنى قال الجوهرى استوزعت الله فأوزعنى أى استلهمته فألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) أى ألهمنى شكر ما أنعمت على من الهداية (وعلى والدى) من التحنن على منهما حين ربيانى صغيرا وقيل أنعمت على بالصحة والعافية وعلى والدى بالغنى والثروة (وأن أعمل) عملا (صالحا ترضاه) منى (وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعل ذريتى صالحين راسخين فى الصلاح متمكنين منه وعدى بفى لتضمنه معنى اللطف أوهو نزل منزلة اللازم ثم عدى ليفيد سريان الصلاح فيهم والا فالاصلاح متعد كما فى قوله تعالى وأصلحنا له زوجه وفى هذه الآية دليل على انه ينبغى لمن بلغ عمره أربعين سنة ان يستكثر من هذه الدعوات (انى تبت اليك) من ذنوبى (وانى من المسلمين) أى المستسلمين لك المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك (أولئك) اشارة الى الانسان المذكور والجمع لانه يراد به الجنس (الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) من أعمال الخير فى الدنيا والمراد بالاحسن الحسن كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم فالقبول ليس قاصرا على أفضل عباداتهم وأحسنها بل يعم كل طاعاتهم فاضلها ومفضولها والقبول هو الرضا بالعمل والاثابة عليه وقيل ان اسم التفضيل على معناه ويراد به ما يثاب العبد عليه من الاعمال لا ما لا يثاب عليه كالمباح فانه حسن وليس بأحسن (ونتجاوز عن سيآتهم) فلا نعاقبهم عليها قرأ الجمهور يتقبل ويتجاوز على بناء الفعلين للمفعول وقرئ بالنون فيهما على اسنادهما الى الله سبحانه والتجاوز الغفران وأصله من جزت الشىء اذا لم تقف عليه (فى اصحاب الجنة) أى انهم كائنون فى عدادهم منتظمون فى سلكهم فالجار والمجرور فى محل النصب على الحال كقولك أكرمنى الامير فى أصحابه أى كائنا فى جملتهم وقيل ان فى بمعنى مع أى مع أصحاب الجنة وقيل انهما خبر مبتدا محذوف أى هم فى أصحاب الجنة (وعد الصدق) مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله أولئك الذين نتقبل عنهم فى معنى الوعد بالتقبل والتجاوز ويجوز ان يكون مصدر الفعل محذوف أى وعدهم الله

وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة وفى اول سورة

وعد الصدق (الذى كانوا يوعدون) به على ألسن الرسل فى الدنيا عن ابن عباس قال أنزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعا واخوانه وولده كلهم ونزلت فيه أيضا فأما من أعطى واتقى الى آخر السورة وقال النسفى قيل نزلت فى أبى بكر الصديق وفى أبيه أبى قحافة وأمه ام الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله تعالى عنه ولما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه ذكر من قال لهما قولا يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له الى الايمان فقال (والذى قال لوالديه اف لكما) الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولهذا اخبر عنه بالجمع وأف كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شىء يرد عليه قرئ اف بكسر الفاء مع التنوين وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ بكسرها من غير تنوين فالقرا آت ثلاثة سبعية والهمزة فى الكل مضمومة وقد مضى بيان الكلام على هذا فى سورة بنى اسرائيل واللام فى لكما لبيان المؤفف له كما فى قوله هيت لك وقد اخرج البخارى عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن ابى سفيان فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية عليه ما عليه لكى يبايع له بعد ابيه فقال عبد الرحمن بن ابى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا أنزل فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الا ان الله أنزل عذرى وعن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنه قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما الآية فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب مروان والله ماهو به ولو شئت ان أسمى الذى نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه فمروان من لعنه الله أخرجه النسائى وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وعن ابن عباس فى الآية قال هذا ابن لابى بكر ونحوه عن السدى ولا يصح هذا ويرده ماسيأتى من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم والصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه (أتعدانى) بنونين مخففتين وفتح ياءه أهل المدينة ومكة وأسكنها الباقون وقرئ بادغام احدى النونين فى الاخرى وقرئ بفتح النون الاولى فرارا من توالى مثلين مكسورين (أن أخرج) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى أتعدانى ان أبعث بعد الموت وهذا هو الموعود به (وقد خلت القرون من قبلى) أى والحال ان قد مضت القرون فماتوا ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) له ويطلبان منه التوفيق الى الايمان واستغاث يتعدى بنفسه تارة وبالباء أخرى يقال استغاث الله واستغاث به

الاعراف وفى سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهى ان الله سبحانه وتعالى اعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حما مسنون وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له اكراما واعظاما واحتراما وامتثالا لامر الله عز وجل فامتثل الملائكة

وقال

وقال الرازى معناه يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل وقيل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى الباء وزعم ابن مالك انه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به قلت لكنه لم يرد فى القرآن الا معتديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذى من شيعته وان يستغيثوا يغاثوا قال الفراء يقال أجاب الله دعاءه وغواثه (ويلك) اى يقولان له ويلك وليس المراد به الدعاء عليه بل الحث له على الايمان ولهذا قالا له (آمن) بالبعث واعترف وصدق (ان وعد الله حق) قرأ الجمهور بكسر ان على الاستئناف أو التعليل وقرئ بفتحها أى آمن بان وعد الله حق لا خلف فيه وهو من جملة مقولهما (فيقول) عند ذلك مكذبا لما قالاه (ماهذا) الذى تقولانه من البعث (الا أساطير الاولين) أى احاديثهم واباطيلهم التى يسطرونها فى الكتب من غير ان تكون لها حقيقة (اولئك) القائلون هذه المقالات هم (الذين حق عليهم القول) اى وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما يفيده قوله (فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وجملة (انهم كانوا خاسرين) تعليل لما قبلها وهذا يدفع كون سبب النزول عبد الرحمن بن ابى بكر وانه الذى قال لوالديه ما قال فانه من افاضل المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب (ولكل) اى لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين والابرار والفجار من الجن والانس (درجات مما عملوا) أى مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم قال ابن زيد درجات أهل النار تذهب سفلا ودرجات أهل الجنة تذهب علوا ومراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف كما فى الحديث لا درجات والجواب ان ذلك على جهة التغليب أو المراد المراتب مطلقا (وليوفيهم اعمالهم) أى جزاء أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية واختار أبو عبيد الاولى وأبو حاتم الثانية (وهم لا يظلمون) أى لا يزاد مسىء ولا ينقص محسن بل يوفى كل فريق ما يستحقه من خير وشر والجملة حالية مؤكدة أو مستأنفة مقررة لما قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى اذكر لهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء فينظرون الى النار ويقربون منها وقيل معنى يعرضون يعذبون من قولهم عرضه على السيف وعرض الشخص على النار أشد فى اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه عليها يفيد انه كالحطب المخلوق للاحتراق وقيل فى الكلام قلب والمعنى تعرض النار عليهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) أى يقال لهم ذلك قرأ الجمهور أذهبتم بهمزة واحدة وقرئ بهمزتين محققتين ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ قال الفراء والزجاج العرب توبخ بالاستفهام وبغيره فالتوبيخ كائن على القراءتين قال الكلبى المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعايش والمعنى ان كل ما قدر لكم من اللذات والطيبات فقد ذهبتم به وأخذتموه وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شىء وقيل المعنى أفنيتم شبابكم فى الكفر والمعاصى قال ابن بحر الطيبات الشباب والقوة مأخوذة من قولهم ذهب أطيباه أى شبابه وقوته قال الماوردى

كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن نخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان اليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى انه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين فى زعمه وقد أخطأ فى ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل

ووجدت الضحاك قاله أيضا قلت القول الاول أظهر والثانى فيه بعد (واستمتعتم بها) أى بالطيبات والمعنى انهم اتبعوا الشهوات واللذات التى فى معاصى الله سبحانه ولم يبالوا بالذنب تكذيبا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى العذاب الذى فيه ذلكم وخزى عليكم قال مجاهد وقتادة الهون الهوان بلغة قريش (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق) أى بسبب تكبركم عن عبادة الله والايمان به وتوحيده (وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله وتعملون بمعاصيه فجعل السبب فى عذابهم أمرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصى الله سبحانه وهذا شأن الكفرة فانهم جمعوا بينهما قيل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والصالحون من بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة وفى الباب أخبار وآثار تدل على ذم التمتع (واذكر) يا محمد لقومك (أخا عاد) هو هود بن عبد الله بن رباح كان أخاهم فى النسب لا فى الدين (اذ أنذر قومه) أى وقت انذاره اياهم (بالاحقاف) هى ديار عاد جمع حقف وهو الرمل العظيم المستطيل المعوج قاله الخليل وغيره وكانوا قهروا أهل الارض بقوتهم والمعنى ان الله سبحانه أمره ان يذكر لقومه قصتهم ليتعظوا و يخافوا ويعتبروا بها وقيل أمره ان يتذكر فى نفسه قصتهم مع هود ليقتدى به ويهون عليه تكذيب قومه له قال عطاء الاحقاف رمال بلاد الشحر والشحر قريب من عدن وفى القاموس الشحر كمنع فتح الفم وساحل البحر بين عمان وعدن وقال مقاتل هى باليمن فى حضرموت وقال ابن زيد هى رمال مبسوطة مستطيلة مشرفة على البحر كهيئة الجبال ولم تبلغ أن تكون جبالا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقال ابن عباس الاحقاف جبل بالشام وقيل واد بين عمان ومهرة واليه تنسب الابل المهرية وقيل كانوا من قبيلة ارم (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى وقد مضت الرسل من قبله ومن بعده كذا قال الفراء وغيره والمعنى أعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فالذين قبله أربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسمعيل واسحق وكذا سائر أنبياء بنى اسرائيل (أن) أى بأن قال (لا تعبدوا الا الله) وحده (انى أخاف عليكم) تعليل لما قبله (عذاب يوم عظيم) أى هائل بسبب شرككم قاله القاضى وفيه اشارة الى أن عظيم مجاز عن هائل لانه يلزم العظم (قالوا) أى جوابا لانذاره (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) أى لتصرفنا عن عبادتها وقيل لتزيلنا وقيل لتمنعنا والمعنى متقارب (فأتنا بما تعدنا) من عذاب يوم عظيم (ان كنت من الصادقين) فى وعدك لنا به (قال انما العلم) بوقت مجيئه (عند الله) لا عندى ولا مدخل لى فيه فاستعجل به (وأبلغكم) أى وأما أنا فانما وظيفتى التبليغ (ما أرسلت به) اليكم من ربكم من الانذار والاعذار لا الاتيان بالعذاب اذ ليس من مقدورى بل هو من مقدورات الله تعالى (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتكم به بل اقترحتم على ما ليس من وظائف الرسل

وارغم انفه وطرده عن باب رحمته ومحل انسه وحضرة قدسه وسماه ابليس اعلاما له بانه قد ابلس من الرحمة وانزله من السماء مذموما مدحورا الى الارض فسأل الله النظرة الى يوم البعث فانظره الحليم الذى لا يعجل على من عصاه فلما أمن الهلاك الى يوم القيمة تمرد وطغى وقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك

(فلما

(فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما فى قوله بما تعدنا وقال المبرد والزجاج يعود الى غير مذكور
وبينه قوله (عارضا) فيعود الى السحاب أى فلما رأوا السحاب عارضا فعارضا نصب على
التكرير يعنى التفسير وسمى السحاب عارضا لانه يبدو فى عرض السماء قال ابن عباس
العارض السحاب وبه قال الجوهرى وزاد يعترض فى الافق ومنه قوله هذا عارض
ممطرنا وانتصاب عارضا على الحال أو التمييز (مستقبل أوديتهم) أى متوجها نحوها سائرا
اليها قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله اليهم سحابة سوداء
فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا و (قالوا
هذا عارض ممطرنا) أى غيم فيه مطر وقوله مستقبل أوديتهم صفة لعارض لان اضافته
لفظية لا معنوية فصح وصف النكرة به وهكذا ممطرنا فلما قالوا ذلك أجاب عليهم هود
أو القائل هو الله (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب حيث قلتم فائتنا بما تعدنا (ريح فيها
عذاب أليم) الريح التى عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذى رأوه (تدمر كل شئ بأمر
ربها) صفة ثانية لريح أى تهلك كل شئ أمرت به من نفوس عاد وأموالها والتدمير الاهلاك
وكذا الدمار وقرئ يدمر بالتحتية مفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على
الفاعلية من دمر دمارا ومعنى بأمر ربها ان ذلك بقضائه وقدره اخرج البخارى ومسلم
وغيرهما عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستجمعا ضاحكا
حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وكان اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك فى وجهه قلت
يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا ان يكون فيه المطر وأراك اذا رأيته عرفت فى
وجهك الكراهية قال يا عائشة وما يؤمننى ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح
وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وابن
ماجه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عصفت الريح قال
اللهم انى اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها
وشر ما ارسلت به فاذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا مطرت سرى
عنه فسألته فقال لا أدرى لعله كما قال قوم عاد هذا عارض ممطرنا (فأصبحوا لا يرى الا
مساكنهم) بعد خراب أموالهم وذهاب أنفسهم قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب لمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح للرؤية ونصب مساكنهم وقرئ بالتحتية مبنيا
للمفعول ورفع مساكنهم قال سيبويه معناه لا يرى اشخاصهم الا مساكنهم وقال
الكسائى والزجاج معناها لا يرى شئ الا مساكنهم فهى محمولة على المعنى كما تقول ما قام
الا هند أى ما قام أحد الا هند وفى الكلام حذف والتقدير فجاءتهم الريح فدمرتهم
فأصبحوا الخ قال ابن عباس فى الآية أول ما عرفوا انه عذاب رأوا ما كان خارجا من
رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والارض مثل الريش دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم
فجاءت الريح ففتحت أبوابهم ومالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية
أيام حسوما لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم فى البحر فهو قوله

منهم المخلصين كما قال عزوجل أرأيتك
هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى
يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا
قليلا وهؤلاء هم المستثنون فى الآية
الاخرى وهى قوله تعالى ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك
وكيلا وقوله تبارك وتعالى قال
فالحق والحق أقول لأملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ
ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق
الاول وفسره مجاهد بأن معناه انا

فأصبحوا الآية وعنه قال ما أرسل الله على عاد من الريح الا قدر خاتمي هذا (كذلك
الجزاء (نجزي القوم المجرمين) قد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الاعراف (ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه) قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما النافية وتقديره
ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من كثرة المال وطول العمر وقوة الابدان وقيل ان
زائدة أي ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وبه قال القتيبي والاول أولى لانه أبلغ في التوبيخ
لكفار قريش وأمثالهم قال ابن عباس يقول لم نمكنكم وعنه قال عاد مكنوا في الارض
أفضل مما مكنت فيه هذه الامة وكانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأطول أعمارا (وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة) اى انهم اعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع ما اعطاهم الله من
الحواس وآلات الفهم التي بها تدرك الادلة ولهذا قال (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا أفئدتهم من شئ) اى فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به الى التوحيد
واعتقاد صحة الوعد والوعيد ووحد السمع لانه لا يدرك به الا الصوت وما يتبعه بخلاف
البصر حيث يدرك به اشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة والفؤاد يعم ادراكه كل
شئ قاله الكرخي وقد قدمنا من الكلام على افراد السمع وجمع البصر ما يغني عن الاعادة
ومن في من شئ زائدة والتقدير فما أغنى عنهم شيأ من الاغناء ولا نفعهم بوجه من وجوه
النفع (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اى لانهم كانوا جاحدين (وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن) اى احاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء حيث قالوا فائتنا
بما تعدنا (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة والمراد بالقرى قرى قوم
ثمود وهي الحجر وسدوم قرى قوم لوط بالشام ونحوهما مما كان مجاور البلاد الحجاز وكانت
اخبارهم متواترة عندهم (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) اى بينا الحجج ونوعناها لكي
يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا ثم ذكر سبحانه انه لم ينصرهم من عذاب الله ناصر فقال
(فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا
بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك
الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين
كالرهبان والرهابين وأحد مفعولي اتخذوا ضمير محذوف راجع الى الموصول والثاني
آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقيل
يصح ذلك ولا يفسد المعنى ورجحه ابن عطية وأبو البقاء وأبو حيان وأنكر ان يكون في المعنى
فساد على هذا الوجه (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرهم ولم يحضروا عند الحاجة اليهم
بالكلية وقيل بل هلكوا وقيل الضمير في ضلوا راجع الى الكفار أي تركوا الاصنام
وتبرؤا منها والاول أولى (وذلك افكهم) أي ذلك الضلال والضياع أثر افكهم الذي هو
اتخاذهم اياها آلهة وزعمهم انها تقربهم الى الله قرأ الجمهور افكهم بكسر الهمزة وسكون
الفاء مصدر افك يأفك افكا أي كذبهم وقرئ افك بفتح الهمزة والفاء والكاف على أنه
فعل أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد وقرئ بفتح الهمزة وتشديد الفاء أي صيرهم

الحق والحق أقول وفي رواية عنه
الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون
بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم
الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى
ولكن حق القول مني لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين
وكقوله عز وجل قال اذهب فمن
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا (قل ما أسألكم عليه من
أجر وما أنا من المتكلفين ان هو
الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد

آفكين قال أبو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم وقرئ بالمد وكسر الفاء بمعنى
صارفهم (وما كانوا يفترون) معطوف على افكهم أي وأثر افترائهم أو أثر الذي كانوا
يفترونه والمعنى وذلك افكهم أي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع
لهم وما كانوا يكذبون انها آلهة ولما بين سبحانه ان في الانس من آمن وفيهم من كفر بين
أيضا ان في الجن كذلك فقال (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أي اذكر اذ وجهنا اليك
نفرا منهم وبعثناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (يستمعون القرآن) صفة
ثانية لنفرا أو حال لان النكرة قد تخصصت بالصفة الاولى عن ابن مسعود قال هبطوا يعني
الجن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا
أنصتوا قالوا صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله واذ صرفنا الى قوله ضلال
مبين وعن الزبير قال اذ صرفنا اليك نفرا من الجن بنخلة ورسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يصلي العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه لبدا وكانوا تسعة نفر من أهل
نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسلا الى قومهم وعنه قال أتوه ببطن
نخلة وعنه قال صرفت الجن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين وكانوا أشراف
الجن بنصيبين وهي قرية من اليمن وجنها أشرف الجن وسادتهم وأخرج البخاري ومسلم
وغيرهما عن مسروق قال سألت ابن مسعود من آذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجن
ليلة استمعوا القرآن قال آذنته بهم الشجرة وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال
قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم أحد ليلة الجن قال
ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة
بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح اذا نحن به يجيء من قبل حراء فأخبرناه فقال انه أتاني
داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وأخرج
أحمد عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن وقد روي نحو هذا من
طرق والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعتا منه صلى الله عليه وآله وسلم مع الجن
حضر احداهما ابن مسعود ولم يحضر في الاخرى وقد وردت أحاديث كثيرة ان الجن
بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة بعد مرة وأخذوا عنه الشرائع
وذكر سليمان الجمل في سبب هذه الواقعة قولين من الخطيب والخازن لا حاجة بنا الى
ذكرهما فانهما ليسا من التفسير في شيء (فلما حضروه) أي حضروا القرآن عند تلاوته
وقيل حضروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون في الكلام التفات من الخطاب الى
الغيبة والاول أولى (قالوا أنصتوا) أي اسكتوا أمر بعضهم بعضا لاجل ان يسمعوا (فلما
قضي) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول أي فرغ من تلاوته وقرئ مبنيا للفاعل أي فرغ النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من تلاوته والاولى تؤيد أن الضمير في حضروه للقرآن والثانية
تؤيد أنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولوا الى قومهم منذرين) أي انصرفوا قاصدين
الى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومحذرين لهم وانتصاب

حين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء
المشركين ما أسألكم على هذا
البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه
من عرض الحياة الدنيا وما أنا من
المتكلفين أي وما أزيد على ما أرسلني
الله تعالى به ولا ابتغي زيادة عليه
بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه
ولا أنقص منه وانما ابتغي بذلك
وجه الله عز وجل والدار الآخرة
قال سفيان الثوري عن الاعمش
ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق

منذرين على الحال المقدرة أى مقدرين الانذار وهذا يدل على انهم آمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يهود اوقد أسلموا والجن لهم ملل مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع قاله الخازن (قالوا ياقومنا) فى الكلام حذف والتقدير فوصلوا الى قومهم فقالوا ياقومنا (انا سمعنا كتابا) أى قرآنا (أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) أى لما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها (يهدى الى الحق) أى الى الدين الحق أى العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) اى الى طريق الله القويم أى الشرائع الفرعية والاحكام الدينية قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) أى بعضها وهو ماعدا حق العباد لانه لايغفر الا برضاء أصحابه وقيل ان من هنا لابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران من الذنوب ثم ينتهى الى غفران ترك ماهو الاولى وقيل هى زائدة والاول أولى (ويجركم من عذاب أليم) وهو عذاب النار وفى هذه الآية دليل على ان حكم الجن حكم الانس فى الثواب والعقاب والتعبد بالاوامر والنواهى وقال الحسن ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار وبه قال أبو حنيفة والاول أولى وبه قال مالك والشافعى وابن أبى ليلى وعلى القول الثانى فقال القائلون به انهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا كما يقال للبهائم والاول أرجح وقد قال الله تعالى فى مخاطبة الجن والانس ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فامتن الله سبحانه على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة ولا ينافى هذا الاقتصار ههنا على ذكر اجارتهم من عذاب أليم ومما يؤيد هذا ان الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فكيف لايجازى محسنهم بالجنة وهو مقام فضل ومما يؤيد هذا أيضا مافى القرآن الكريم فى غير موضع ان جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة وجزاء من قال لااله الا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير فى الكتاب والسنة وقد اختلف أهل العلم هل أرسل الله الى الجن رسولا منهم أم لا وظاهر الآيات القرآنية ان الرسل من الانس كما فى قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلوا الطعام ويمشون فى الاسواق وقال سبحانه فى ابراهيم الخليل وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب فكل نبى بعثه الله بعد ابراهيم فهو من ذريته وأما قوله سبحانه فى سورة الانعام يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فقيل المراد من مجموع الجنسين ماصدق على أحدهما وهم الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما (ومن) شرطية (لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) أى لايفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه لانه وان هرب كل مهرب فهو فى الارض لاسبيل له الى الخروج منها وفى هذا ترهيب شديد (وليس له من دونه أولياء) أى أنصار يمنعونه من عذاب الله بين سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره (أولئك) أى من لايجب داعى الله (فى

قال أتينا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول الرجل لما لايعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين أخرجاه من حديث الاعمش به وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن قاله

ضلال مبين) أي ظاهر واضح وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن قد اجتمع ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس لهما نظير في القرآن غير هذا ثم ذكر سبحانه دليلا على البعث فقال (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض) الرؤية هنا هي القلبية التي بمعنى العلم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر أي ألم يتفكروا ولم يعلموا ان الذي خلق هذه الاجرام العظام من السموات والارض ابتداء (ولم يعى) مجزوم بحذف الالف قرأ الجمهور بسكون العين وفتح اليا مضارع عيي وقرئ بكسر العين وسكون الياء (بخلقهن) أي لم يتعب ولم ينصب ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه يقال عي بالامر وعي اذا لم يهتد لوجهه قال الشهاب عدم العي مجاز عن عدم الانقطاع والنقص يعني ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد أبد الاباد (بقادر على أن يحيي الموتى) قال أبو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كما في قوله وكفى بالله شهيدا قال الكسائي والفراء والزجاج العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام فتقول ما أظنك بقائم والجار والمجرور في محل رفع على انهما خبر لأن وقرأ جماعة يقدر على صيغة المضارع واختار أبو عبيد الاولى وأبو حاتم الثانية (بلى انه على كل شئ قدير) لا يعجزه شئ تعليل لما أفادته بلى من تعليل الخاص بالعام ولما أثبت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاهوال فقال (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يقال ذلك اليوم للذين كفروا (أليس هذا بالحق) وهذه الجملة هي المحكية بالقول والاشارة بهذا الى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار وفي الاكتفاء بمجرد الاشارة من التهويل للمشار اليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه (قالوا بلى وربنا) اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف وأكدوا هذا الاعتراف بالقسم لان المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن جحده ولا انكاره ولانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقية ما هم فيه (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم به في الدنيا وانكاركم له وفي هذا الامر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ وتهكم عظيم ولما قرر سبحانه الادلة على النبوة والتوحيد والمعاد أمر رسوله بالصبر فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الصبر الوثوق بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه قاله القشيري والفاء جواب شرط محذوف أي اذا عرفت ذلك وقامت عليه البراهين ولم ينجع في الكافرين فاصبر كما صبر أرباب الثبات والحزم وأولو الجد والصبر فانك منهم قال مجاهد أولو العزم من الرسل خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أصحاب الشرائع وبه قال ابن عباس وقال أبو العالية هم نوح وهود وابراهيم فأمر الله رسوله ان يكون رابعهم وقال السدي هم ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس وقال الشعبي والكلبي هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى واسمعيل والياس واليسع ويونس ولوط واختار

ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن اسمعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى للعالمين قال الجن والانس وهذه الآية كقوله تعالى لأنذركم به ومن بلغ وكقوله عز وجل ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقوله تعالى ولتعلمن نبأه أي

هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل ان الرسل كلهم أولو عزم ولم يبعث الله عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا الى بنى اسرائيل وقال الحسن هم أربعة ابراهيم وموسى وداود وعيسى وعن ابن عباس قال هم الذين أمروا بالقتال حتى مضوا على ذلك نوح وهود وصالح وموسى وداود وسليمان وعن جابر بن عبد الله قال بلغنى ان أولى العزم من الرسل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر وعن عائشة قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صائما ثم طوى ثم ظل صائما ثم طوى ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله أخرجه ابن أبى حاتم والديلمى قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة قال القرطبى والاظهر أنها منسوخة لأن السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد فأمره الله ان يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم تسهيلا عليه وتثبيتا له (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل العذاب يا محمد للكفار فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر واللام للتعليل ولما أمره سبحانه بالصبر ونهاه عن استعجال العذاب لقومه رجاء ان يؤمنوا قال (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة طوله (لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى الا قدر ساعة من ساعات الايام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم (بلاغ) قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أى هذا الذى وعظتهم به بلاغ أو تلك الساعة بلاغ أو هذا القرآن بلاغ أو هو مبتدا والخبر لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل لهم أى لهم بلاغ وقرئ بالنصب على المصدر أى بلغ بلاغا وقرئ بلغ بصيغة الامر و بلغ بصيغة الماضى (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) قرأ الجمهور يهلك على البناء للمفعول وقرئ على البناء للفاعل وقرئ بالنون ونصب القوم والمعنى انه لا يهلك بعذاب الله الا القوم الخارجون عن الطاعة الواقعون فى معاصى الله قال قتادة لا يهلك على الله الا هالك مشرك قيل وهذه الآية أقوى آية فى الرجاء وقال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله تعالى وفضله الا القوم الفاسقون وهذا تطميع فى سعة فضل الله سبحانه وتعالى

(تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوله سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

خبره وصدقه بعد حين اى عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة ولا منافاة بين القولين فان من مات فقد دخل فى حكم القيامة وقال قتادة فى قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين قال يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين آخر تفسير سورة ص ولله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى اعلم

(ولما بزغت شمس هذا التفسير البهيج وتضوع فى الآفاق عرفه الأريج وطار صيته فى البلدان وتمتع بمسامرة لطائفه كل قاص ودان نشط لتقريظه حضرة العلامة الاريب المصقع الاديب من لا يجاديه فى مجال الادب مجارى جناب الامثل السيد محمد بن حسين بن محسن اليمنى الانصارى فقال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لك يا من افتتح كتابه الكريم ببسم الله الرحمن الرحيم وشكرا لك يا من أنزل فى تبيانه العظيم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ونصلى ونسلم على نبيك الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه المقتفين نهجه القويم ونسألك اللهم أن تفيض علينا شآبيب نعمتك وان تدخلنا بفضلك فسيح جنتك (وبعد) فان علم التفسير أجل العلوم مقدارا وأعلاها منارا وأوسعها بحرا وأغزرها قطرا وأقدمها ذكرا وأعزها ذخرا وانى بحمد الله قد وقفت على تفسير وحيد زمانه وفريد وقته وأوانه العلامة الامام والسيد السند الهمام رافع ألوية الاسلام الجامع لجل العلوم منثورها والمنظوم علامة المعقول فهامة المنقول أبو المحاسن والمكارم نخبة سادات بنى هاشم الجناب العالى من لم تسمح بمثله العصر الخوالى امير الملك وصاحب الجاه مولانا ابو الطيب السيد صديق الحسن خان والاجاه لا برح شمل الاحباب بوجوده مجموعا وحكمه مطاعا نافذا مسموعا وجنابه العالى من طوارق الحدثان ممنوعا

مدى الدهر مخصوصا بعز ورفعة * وارغام أعداء وتحقيق آمال

فألفيته روضة كالمت السحاب رباها بلآلئ القطر وتوشحت أعطاف قدود غصونها بقلائد الزهر وتأرجت بأريج ريحانها وصقلت يد الشمال صحيفة غدرانها أبهج منظرا وأرق أثرا على بلوغ الغاية القصوى تألفت القلوب وأقرت العقول السليمة باعجازه للنظراء فانه منحة علام الغيوب قد مدت اليه البلغاء أعناقها مستسلمين لاعجاز بلاغته ثملين من حميا معانيه المشرقة فى دوحة فصاحته فلله هو من جنة علم قطوفها دانية لا يسمع فيها لاغية ومجرة فهم أضاءت فيها شموس التحقيق وأشرقت فيها كواكب التدقيق وحصن مشيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قد سل صوارم الحجج القطعية على أقوال الملحدين ورمى بسهمه شياطين المبطلين خفض هام كل معاند بذلك السيف المسلول وأشهر فضيحته بين أرباب المنقول والمعقول فتنكب خوفا ان يقطعه الزحام حين رام لمفاضلة ذلك الفاضل الهمام وقيل له وهو خائف وجل ماهكذا يا سعد تورد الابل فلعمرى ان هذا هو التأليف الذى يفتخر به العالمون ولمثل هذا فليعمل العاملون فيه من دقائق العلوم شواردها ومن لطائف الفهوم قلائدها حوى من التفصيل ما لم يحوه كتاب وفتح للطالب الى أقصى المطالب كل باب وتناسق فيه جزيل المعانى مع لطيف الالفاظ تناسق العقد المنظوم حتى صار عمدة ينسج على منواله أرباب المنثور والمنظوم وسار لشهرته مسير الشمس فى الآفاق وترنمت

بالثناء عليه ألسنة الفضلاء كأنها الحمائم وهو في جيدها الاطواق وأيد قول من قال ان لكل علم رجال ولكل ميدان أبطال وانه ليس كل من صنف أجاد ولا كل من قال وفى بالمراد

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

باهى به الاوائل فى الفضيلة الدهر فتحلى من نكت البديع برد العجز على الصدر ونادى لسان حال منشيه ومشيد أساسه ومعليه قائلا

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

فجزى الله مؤلفه عن المسلمين خير آفانه قلد اجيادهم قلائد النعم ونصر الدين بما أحكمه من محكم هذا التفسير الذى على تزييف مقالة الخصم حكم هذا وانى وان أطلقت لسان البراعه ونظمت فى أجياد الطروس قلائد البراعة فأنا معترف بأنى عن ارتقاء مدارج الثناء انى قصور وان تبوأت من جنات المدائح أعلى قصور كيف وهو علامة وقته الذى انعقد الاجماع على انه الرئيس المقدم واذا راية مجد رفعت فهو المتلقى لها وليس ثم من يتقدم الحائز لأعلى شرفى العلم والنسب مفخر العجم والعرب واسطة عقد الكبار والموالى كوكب سماء دولة بهفال التى مازال نورها متعالى وفتحها متوالى وشرفها بين الدول عالى والسعد خادم والبشر قادم الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرامى للمعالى بكل سهم مصيب من زان منصب الرياسة بحسن سيرته وطرز حلة الزمان بجميل سريرته وخالص طويته وصافى سجيته

ولو أننى أنفقت عمرى فى الثنا * عليه لما وفيت جانب حقه

المشار اليه أعلاه حماه الله ورعاه وأبقاه ساميا ذرى المجد مخدوم العز والسعد رافلا فى حلل الحبور واردا موارد السرور ولازالت أيامه مشرقة السنى وبابه كعبة المرام والمنى ما ترنم بمدحه مادح وصدح بشكره صادح وبعد ما عجز القلم عن المديح أراد أن يجول فى ميدان القريض الفسيح فقرض بأبيات أبيات جارية فوق خيل عربيات تبوس أقدام مفسر الآيات البينات مطلعها الاول وأخرها الذى عليه المعول

فتح البيان الذى أبدى لنا فيه * فرائدا نظمت كالدر من فيه
لله جدك كم أبديت من نكت * قلائد الدر والعقيان تحكيه
قد ارتضاك اله الخلق منتجعا * يا كعبة العلم ته تيها على تيه
ياحادى العيش اما جزت ناديه * فاقر أعليه سلاما من عبيديه
وسل ظلال الغضى عنه فثم له * مثوى بها فهجير الهجر يلحيه
وحى أقمار ذاك الحى عن دنف * يميته الليل فكرا ثم يحييه
وانح الحمى يا جمال الله ملتمسا * فك القلوب الاسارى عند أهليه
سقى الحيا عز أقوام صوارمهم * عن منة الغيث عام الجدب تغنيه
وحقكم ان رضيتم فى ضنى جسدى * بحبكم لوجودى فى تفانيه
الله ياساكنى بهفال نفس شج * على الطلول أسالتها مآقيه

تبدو بدور معانيكم فتوهمه * بأنهن ثناياكم فتصبيه
رعيا لمنزل أنس بالمحل لنا * لازال صوب الحيا بالدر توليه
شمس بها زان وجه الدهر فانكشفت * عن أهله ظلمات من مساويه
غرّا كأن أبا النورين خوّلها * فزينت بيدور من أياديه
ذاك الامام الاثيل المجد من شهدت * له البلاغة فى معنى قوافيه
أبو المحاسن مولانا أبو حسن * لازال فى رتب العليا ترقيه
السيد العالم النحرير بجتنا * كم ذا نتيه به تيها على تيه
من سيد العرب العرباء جوهره * كم قلت مستنشدا تفسيرها بيه
حليف حزم له فى كل معضلة * نور من الرأى نحو الحق يهديه
غيث همى فسما فى المجد فاشتركت * فى جوده الخلق واختصت معاليه
فلو أتته النجوم الشهب يوم ندى * لم يرض بالشمس دينارا فيعطيه
تهوى الأهلة ان تسعى لخدمته * ولو بها اشتعلت يوما مذاكيه
مقداره عن ذوى الاقدار يرفعه * وجوده لذوى الحاجات يدنيه
ان يحمل الجد وردا فهو قاطفه * أو يجتنى منه شهد فهو جانيه
هام الزمان به حبا فأوشك أن * يعود شوقا الى رؤياه ماضيه
دوح الفخار الذى مزن الامارة لا * تنفك فى رشحات البر تسقيه
من الملوك الأولى لولا حلومهم * تزلزل المجد واندكت رواسيه
نشا ونفس الندى منه نشت فغدا * كل لصاحبه الأدنى يربيه
ساس الامور فأجرى فى أوامره * حكم المنى والمنايا فى مناهيه
تعشق المجد طفلا واستهام به * فهان فيه عليه ما يقاسيه
سل الحيا حين يهمى عن أنامله * أهن أندى نباتا أم غواديه
له خصال بخيط الفجر لو نظمت * لم ينتظم سبح الداجى لثانيه
شمائل لو حواها الليل وافتقدت * بوده لفداها فى دراريه
قلادة المجد والعليا صنائعه * وزينة الدين والدنيا مساعيه
مولى كأنك تتلو فى مجالسنا * آى السجود علينا اذ تسميه
ياساعد الجود بل يا نفس خاتمه * يا نقش خاتمه يا طوق هاديه
لازلت ياغوث لى غوثا ومنتجعا * ولا برحت اليك المدح أهديه
لولا تملككم رقى بأنعمكم * مارق شعرى ولا راقت مبانيه
واستجل من آى نظمى أى معجزة * تخلد الذكر فى الدنيا وتبقيه
مدح تسير اذا ما فيك فهت به * سير الكواكب فى الدنيا قوافيه
بيوت شعر بناها الفكر من ذهب * سكانها حور عين من معانيه
صلى السلام على مسك الختام أبى الز هراء أنمى صلاة منه ترضيه

والآل والصحب ما ناحت مطوقة * على غصون أراك البان تشجيه

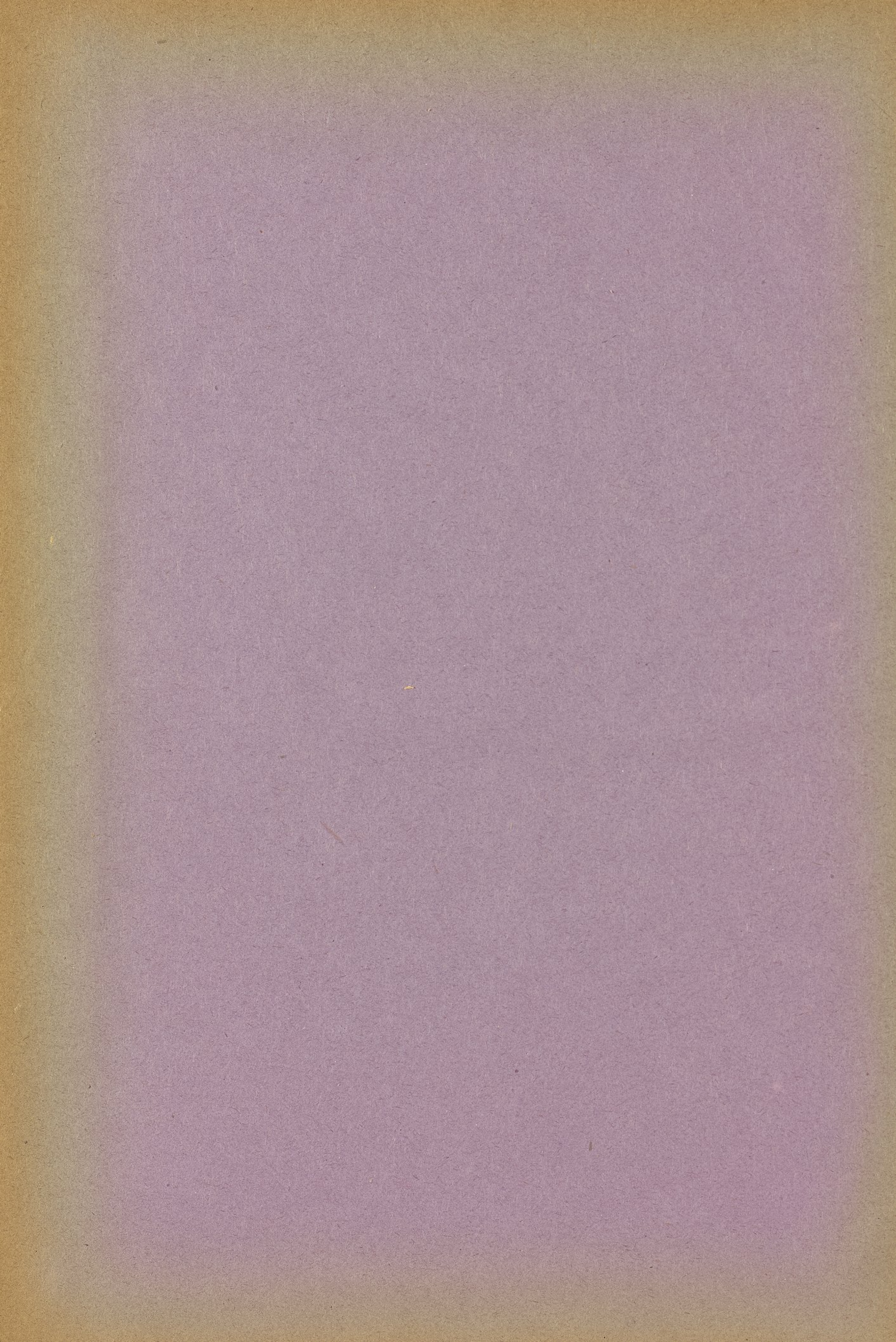
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

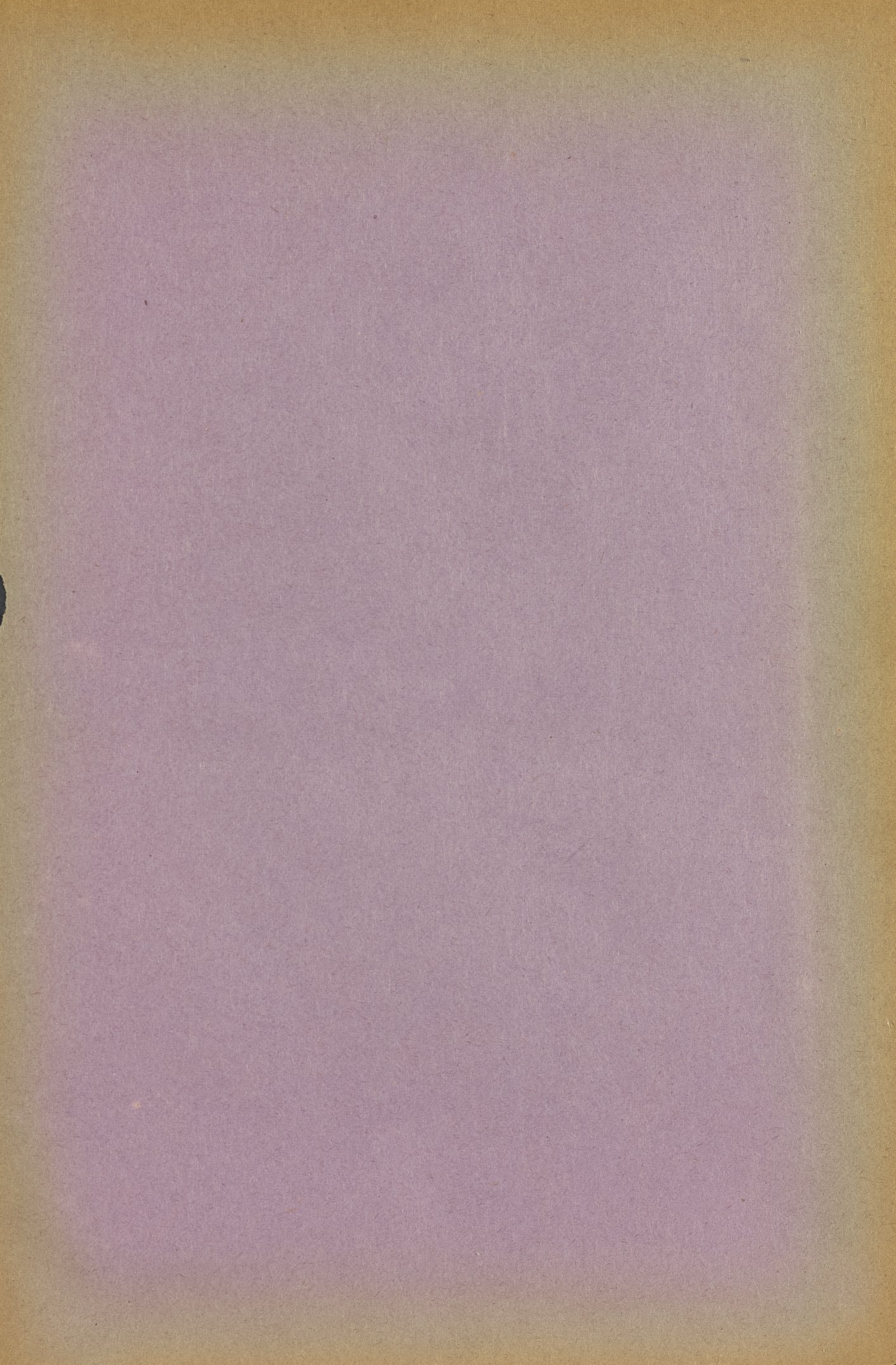
قاله بلسانه وحرره ببنانه أسير ذنوبه ورهين عيوبه الحقير الفقير

الى رحمة ربه العزيز البارى محمد بن حسين بن محسن

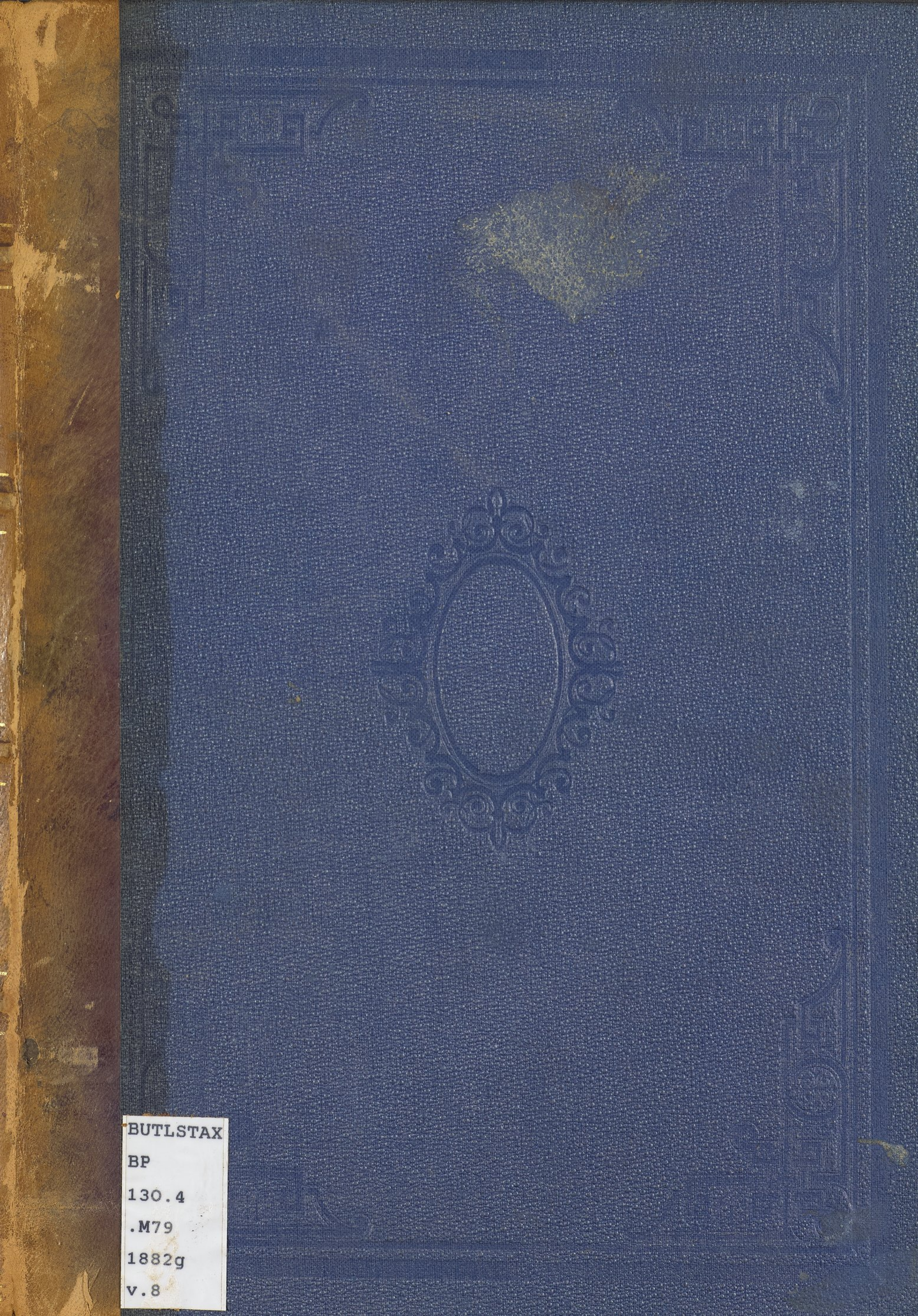
اليمنى الانصارى عفا الله

عنه أمين






COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0037852833


BUTLSTAX
BP
130.4
.M79
1882g
v.8